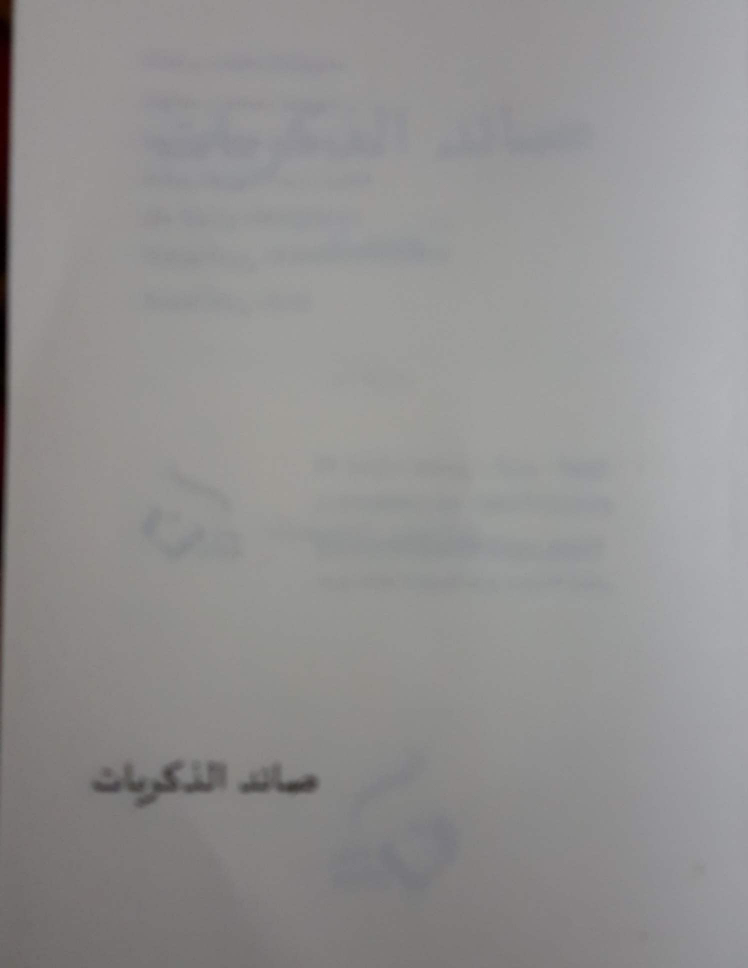
الطبعة 4

رواية

محمد عصمت

صائد الذكريات





صائد الذكريات

الكتاب : صائد الذكريات

المؤلف : محمد عصمت

تصميم الغلاف : أسامة علام

تدقيق لغوي : أحمد أسامة

رقم الإيداع : 2015/23049

الترقيم الدولي : 978-977-778-046-9

الطبعة الأولى : 2016



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت- 02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

صائد الذكريات

"حصاد"

رواية لـ

محمد عصمت



إهداء

إلى كل روح تاهت في عالم غائم بحثًا عن الحقائق

إهداء خاص

- شريكة عمري

لولاكِ ما كنت

للأسف لم يخلق الله كلمات تكفي كي أعبِّرَ لكِ عن حبي وامتناني وشكري

أحبك

***

- أبي وأمي

شكرًا وحدها لا تكفي

لم أكن خير ابن ولكن الحب الذي يسكن قلبي لكما يغفر لي تقصيري

(1)

فتح عينيه ببطء وطفق يتأمل السقف المطلي باللون الأبيض، شعر بشعور غريب ينتابه للمرة الأولى، تجاهل كل شيء وهو يتثاءب بقوة ويزيل الغطاء عن جسده ويلقيه بإهمال بجوار الفراش، وقف يُمَطِّي جسده بقوة قبل أن يسأل نفسه سؤالًا مهمًا: لماذا يبدو المكان غريبًا؟

تأمل المكان من حوله ليجد نفسه في غرفة نوم متوسطة الحجم، بها خزانة ملابس عملية بُنِّيَةِ اللون و شباك مغلق تغطيه ستائر حريرة الملمس بيضاء اللون، حاول تَذَكُّر هذه الغرفة إلا أن الذكريات كانت أشبه بالماء فتسربت من بين يديه مرة تلو الأخرى، بدأ يشعر بالانزعاج من فكرة جهله بالمكان الذي استيقظ به، عاد إلى فراشه و جلس على طرفه مفكرًا و علامات القلق تغزو ملامحه، فكر في البحث تحت الوسادة أو في أدراج الكومود الصغير الذي يقف بجوار الفراش، مد يده يتحسس ما تحت الوسادة إلى أن اصطدمت يده بشيءٍ صلب، أمسكه جيدًا و أخرجه من تحتها ليجده هاتف محمول حديث الطراز، عبث فيه بأصابعه لبرهة قبل أن يكتشف أنه لا يلتقط أيَّ شبكة، عله عطل طارئ أصاب الشبكة، ألقاه جانبًا و استكمل بحثه فوجد شريط دواء مجهول بالنسبة له لكن ينقصه ثلاث حبات، ألقاه بإهمال و قد تملكه تساؤل ضخم : من هو؟!

حاول أن يتذكر اسمه أو عمله أو أيَّ شيء عن حياته السابقة إلا أن لم يجد شيئًا، كان كمن يبحث عن الماء في صحراء قاحلة، مد يده يتحسس رأسه بحرص عله يجد صدمة أو غيرها فربما فقد ذاكرته جراء صدمة أو ضربة لكنه لم يجد شيئًا، فاجأه رأسه الصحيح كما فاجأته ذاكرته

الغائبة. هناك إطار صور بلاستيكي ساقط أرضًا بجوار الكومود. أمسكه و نظر فيه فطالعه وجه رجل أشقر وسيم الملامح يبتسم بثقة مَن مَلَك الكون. تحسس وجهه ليتأكد أنه هو من يطالعه في الصورة. تقريبًا هي نفس الملامح و إن كان يحتاج لمرأة ليتأكد. وضع الصورة و حرص على ألا تسقط مرة أخرى و هو يمسك رأسه بين يديه و يحاول جاهدًا التذكر: من هو؟ أين هو؟ ماذا يفعل هنا؟

كمن يصطاد الأسماك في البحر الميت، لا شيء يهز خيطه منبهًا إياه بالعثور على مبتغاه. زحف بإصبعه مرة أخرى على رأسه باحثًا عن جرح قديم أو حديث. صدمة. كدمة أو نتوء و تورم لكنه لم يجد شيئًا. نظر للحل الأخير الذي تركه للنهاية و هو يبتلع ريقه بصعوبة. الباب المغلق. أمسك مقبضه بحرص و حاول أن يتمتم بأي شيء ديني يؤمنه و لكنه حتى لا يستطيع تذكر دينه. أزعجه الأمر بشكل لا يصدق. فتحه و نظر ببطء إلى الخارج فوجد نفسه يطالع صالة فسيحة واسعة تتوسطها منضدة غربية الطراز يتراص حولها بضع كراسي مرصوصة متجاورة بشكل جيد ينم على أن هناك لمسة أنثوية في هذا المنزل. هذا ما كان يخشاه. أن يكون له شريكًا في هذا المكان المجهول بالنسبة له. قرر بينه و بين نفسه أن يتظاهر بأن الأمور كلها بخير في حال ظهور أي شخص آخر. تجول ببطء في الصالة ليجد بابًا مفتوحًا بينها و بين ما يشبه حجرة الجلوس. غرفة صغيرة بها شاشة تلفاز ضخمة الحجم و أمامها تقبع أريكة جلدية وثيرة تبدو مريحة و يتراص عليها جهازي تحكم يبدو أن أحدهما خاص بالشاشة و لكنه لا يعرف كنه الاخر و لم يهتم به. لديه مشكلة أكبر من معرفة ماهية الجهاز. يجب أن يعرف ماهيته أولًا !!

هناك بابان آخران في الصالة. مشي حتى وصل لأقربهما و فتحه بهدوء يطالع ما خلفه فوجده سلم حلزوني الشكل يهبط لدور سفلي. حسنًا تلك المعلومة مهمة لأنها أول معلومة يتأكد منها منذ استيقاظه. أغلق الباب و أرجأ فكرة اكتشاف الدور السفلي لوقت آخر،اتجه للباب الآخر و فتحه فوجد خلفه حمام أبيض اللون تغطي أرضيته ألواح البورسلين اللامع. في ركنه البعيد يتلألأ حوض استحمام مستدير الشكل،اقترب منه ليتأمله فوجده من طراز فخم للغاية. به أنظمة لضخ الفقاعات و ملح الاستحمام و غيرها من الأشياء التي تحول عملية الاستحمام الروتينية لعملية مبهجة و ممتعة. لمح لوح تحكم إلكتروني يتحكم في درجة حرارة الماء و درجة حرارة الجو و غيرها من الرفاهيات، وضعه جانبًا و هو يتأمل باقي الحمام بنظرات سريعة قبل أن يقف بعينيه عند خزانة ضخمة تراصت فيها أنواع مختلفة من مستحضرات التجميل و الأدوية و المنظفات التي لا يعلمها، تساءل عن مُسَبِّبَة تلك اللمسة الأنثوية على المكان، من تكون و أين هي؟

هل خرجت لتقضي حاجة ما أم أنها نائمة في مكانٍ ما لم يكتشفه بعد؟، هل هي مجرد خادمة تأتي فقط للتنظيف؟

أسئلة بلا إجابات ملأت صدره حتى كاد يختنق فضولًا ... تلفت حوله في عصبية قبل أن يمسك الزجاجة الأقرب إليه ويلقيها بعنف أرضًا، مراقبًا سائلها الذي يتدفق منها كتدفق الأمان من قلبه قبل أن ينظر لانعكاسه في المرآة ويتساءل بصوتٍ عالٍ: "من أنا؟؟"

***

غرق في بحر النعاس العميق و ود لو لا يستيقظ مجددًا، ذبابة مملة صممت على مخالفته الرأي و أخذت تطير من حوله لتمس وجنته و جبهته

لمسات ناعمة تثير حنقه و تدفعه لحك وجهه.هشها بعيدًا و عادت يده لتنام مرة أخرى فوق بطنه المنتفخ لكنها أبت أن تتركه و شأنه. عادت لتلامسه مرة أخرى وهذه المرة أعلنت احتجاجها الرسمي بأزيز خافت مزعج. تجاهلها تمامًا. شعرت بالحنق. تحت أنفه مشت مسببة له عطسة قوية. شعر بصوته أجش و مختلف عما اعتاد أن يسمع و لكنه اعتقد أن السبب هو طول فترة نومه. تحالفت أشعة الشمس مع الذبابة في مؤامرة كونية ضده ليستيقظ. فتح عينيه ببطء ليجد قرص الشمس يطالعه في تحدٍ فأغلق عينيه مرة أخرى و هو يبحث عن شيءٍ ما يحمي عينيه. شعر بشيء طري القوام ناعم الملمس ففتح عينيه ليرى ماهيته، وجدها قبعة رعاة بقر بنية اللون أمريكية الطراز، وضعها على رأسه دون أن يسأل عن مالكها. هكذا تعود و هذا قانونه . كل الأشياء ملكه حتى تثبت ملكيتها لشخصٍ آخر وكم من أشياء انضمت إلى حوزته كغنائم هذا القانون، أمال مقدمتها قليلًا لتحمي عينيه شر الشمس الحامية وأغلق عينيه مرة أخرى لكن شيئًا ما جعله يفتح عينيه بفزع متجاهلًا أشعة الشمس الحارقة. انتفض واقفًا فجأة غير عابئ بالآلام التي انتابت جسده بفعل حركته المفاجئة وهو يتلفت حوله، الصحراء التي تحاصره من كل مكان؟، شعر بالفزع وهو يتساءل أين هو؟؟ حاول استجواب ذاكرته ولكنه لم يجد منها سوى أسئلة بلا إجابات. شعر بألم في ظهره فنظر خلفه ليجد أنه كان نائمًا على إحدى نباتات الصبار. لابد أن أحد أشواكها هاجر جذعها ليستقر في ظهره لكن هذا ليس بالأمر الأهم الآن، المهم هو معرفة ما هذه الملابس التي يرتديها. قميصًا من القماش الأحمر الذي تتوسده مربعات زرقاء اللون وبنطالًا من الجينز الأزرق ينتهي وسطه بحمالتين ترتفعان لتستندا على كتفيه. هل استغلت الصحراء نومه لتحتل العالم؟

شعر بحركة خافتة تأتي من خلف الصبارة، نظر بحذر ليجد خنزيرًا صغيرًا يقبع في مرح.ابتعد في هدوء و هو يخشي أن يراه لكن السيف سبق العزل. رآه الخنزير و أصدر صياحه الشهير بالقباع في سعادة و هو يقترب منه. لا مجال للهرب هاهنا فالصحراء من أمامك و الخنزير من خلفك. وقف ينظر له و هو يقترب منه ببطء، هبط على ركبتيه أمامه و هو ينظر له بفضول. تلك المرة الأولي التي يرى فيها أحد هذه الكائنات. شعر بثقل في جيب بنطاله الأيسر فمد يده ليرى ما به فوجدها تفاحة حمراء طازجة. مسحها في ملابسه و هم بأكلها لكن نظرة استجداء لمعت في عينيه الواسعتين. قضم التفاحة ليقسمها قسمين، تناول أحدهما و أعطاه النصف الآخر و هو يراقبه يأكل في سعادة. تركه و مشي باتجاه قرص الشمس في حماس لكن الخنوص قبع بقوة فالتفت له. مشي الخنوص في الجهة المقابلة ببطء ففهم ما يريد و ابتسم لذكاء هذا الصغير. تبعه فتباطأ حتى سبقه و مشيا بخطوات واسعة ينشدان أيَّ أثر لأي حياة. دقائق مرت قبل أن يجد كوخ صغير يظهر من بعيد.ابتسم له بسعادة و هو يسرع الخطي تجاه الكوخ. كوخ خشبي صغير يقف وحيدًا يلتف حوله سياج صغير يحمي عنزتان و جدي و بضع دجاجات و ديك من الفرار. تفحص سياجه برفق فوجد باب صغير مغلق بقطعة من سلك نحاسي قديم. فتح الباب و دلف و هو يتابع الحيوانات التي لم يلفت نظرها وجوده و كأنها تربت معه. وقف أمام باب الكوخ حائرًا هل يطرقه أم يفتحه و يدخل. لم تَطُل حيرته. شعر بباب الكوخ يُفتح فرسم ابتسامة سعادة على وجهه قبل أن تطالعه فوهة بندقية قديمة الطراز. تحولت ابتسامة السعادة لنظرة فزع. نظر لمن يحملها فوجده عجوزًا لاتيني الشكل. طويل الشعر أبيضه ذو جسد ممتلئ و يرتدي ملابس تقترب جدًا من ملابسه. لكن أكثر ما أثار فزعه هي نظرة

الجنون التي تراقص في عيني العجوز، نظرة من فقد عقله أو من كاد يفقده. سأله العجوز بفزع : "من أنا؟؟"

"أنا لم أقصد أن أقتحم المنزل، كنت أرغب في بعض المساعدة"

سأل العجوز مرة أخرى وإن كان اليأس بدأ يفرض سيطرته على نبرات صوته: "من أنا؟؟"

"لا أدري، حقيقة لا أدري من أنت، بل والأدهى لا أدري من أنا؟"

بعد أن انتهي من كلماته فوجئ بأنه يتحدث لغة جديدة عليه، لم يسمع هذه اللغة من قبل ولكن الملفت للنظر أنه يتحدثها ويفهمها بطلاقة كما لو كانت لغته الأم، لا يشعر بأي تلعثم في لكنتها ولا يشعر أن لسانه غريبًا عليها. كما أن سؤال الرجل غريب ومثير للدهشة، نظر للرجل الذي كاد يبكي، مد يده ببطء ليمسك فوهة البندقية وهو يهبط بها لتشير أرضًا، ساعده استسلام العجوز وعدم رغبته في المقاومة وهو يسأله: "ألا تعرفني؟ ولا تعرف نفسك؟"

هز رأسه نفيًا وهو يقول: "هل نحن مرضى؟"

مَطَّ العجوز شفتيه وهو يمسك البندقية بجواره ليقول: "أعتقد هذا"

سمعا صوت هدير محركات طائرة يقترب منهما للغاية فرفع العجوز بندقيته مرة أخرى ليصوبها نحو السماء، سأله بسخرية: "هل تنوي إسقاط الطائرة بقطعة الخردة هذه؟"

وَجَّهَ العجوز فوهة البندقية نحو جبهته وبمجرد أن لمس المعدن البارد وجهه حتى ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول: "أرجو أن تصوب نحو السماء كي لا تمر الطائرة"

عاد العجوز ليصوب البندقية نحو السماء التي ظهرت فيها طائرة حمراء صغيرة الحجم من تلك الطائرات التي تستخدم لري المحصولات أو لرش المبيدات ولكنها هذه المرة كانت تحلق بقرب شديد وبابها السفلي مفتوح لتمطر منه منشورات ورقية مكتوبة بخط منمق، وقفا يتأملان الطائرة حتى ابتعدت عنهما قبل أن ينحني كلا منهما ليلتقط إحدى هذه المنشورات ويقرأها بصمت، لحظة مرت حتى انتهي كلًا منهما من قراءة منشوره، نظر كلًا منهما للآخر في عينيه ينتظر منه تكذيبًا لم يجده، وتراقصت آلهة الفزع في عينيهما

(2)

طبقًا لآخر المعلومات التي تطفو في ذهنه لم يكُ أشقر من قبل، و لم يمتلك هذا الجسد الرياضي، تأمل الوجه الوسيم الذي يطالعه من المرآة، لولا نظرة البلاهة المصاحبة لبوادر تخلف عقلي المرسومة على الوجه المُطالع له لأقسم أنه ينظر لشخص آخر، رفع يده ليتحسس شعره الأشقر الناعم الذي ينام فوق رأسه كتاج ذهبي يعلن تتويجه ملكًا على عرش الوسامة، تأمل العينين الزرقاوتين الذي يلتمع فيهما عدم الفهم و الفك المفتوح ببلاهة تؤطره شفتان أقرب لشفاه الإناث و ذقن ناعم، لا لحية شقراء و لا سوالف مشعثة، كأنه سكن في جسدٍ من شمع، تأمل الرقبة الطويلة التي تعتلي جسدًا مليء بالعضلات المصقولة، جسدًا تقريبًا خالي من الدهون، مشي بيده فوق العضلات و هو يشعر بملمسها قبل أن يغالبه شعور بالغثيان و هو يفكر أنه يلمس جسد رجل آخر، هز رأسه بعنف طاردًا الفكرة المثيرة للقرف عن رأسه المُتخَم بالأسئلة، أغلق باب الخزانة و هو يتأمل بعينيه باقي الحمام حتى لمح مبتغاه، رداء أبيض ناعم الملمس مُعَلَّق خلف مشجب الباب، خلع بنطاله و ولج عاريًا إلى حوض الاستحمام عَلَّ الماء الدافئ يعيد له ذكري مفقودة أو يجيبه عن تساؤل مطروح، أمسك اللوح الإلكتروني و سمح للماء الدافئ أن يتسلل ليملأ الحوض، ضغطة زر أخرى فتحت الباب أمام ملح الحمام و الرغوة و العديد من الأشياء التي لا يعرف كنهها و لكنه شعر بها تشتبك مع الإرهاق و الألم في معركة ضارية يمحوها بانتصار ساحق، ترك عقله يبحث عن إجابات يتمناها و لكن الأمر كان أصعب وسط هذه الحالة من الاسترخاء، شعر بالألم يدق رأسه محذرًا إياه من التمادي في التفكير أكثر من هذا، خرج من الحوض و هو

يتناول المنشفة و يجفف جسده بلا اكتراث لقطرات الماء التي تتساقط منه أرضًا. تأمل جسده المبلل و هو يرتدي الرداء و يخرج من الحمام. وضع المنشفة على ظهر أحد الكراسي و تركها لتجف. مشي ببطء إلى الأريكة و جلس عليها و ترك جسده يغوص بها قليلًا. اعتدل ليجذب طاولة القهوة القصيرة و هو يضعها أمامه. استراح مرة أخرى و ترك الأريكة تلتهم جزءًا من جسده و هو يرفع قدميه ليضعهما على المنضدة. وجد جهازي التحكم بجواره أمسك الذي يجهل استخدامه و ضغط عليه ليجد موجات من الهواء البارد تتسلل من بين شفرات المكيف بينما بالآخر فتح الشاشة الكبيرة. وجد مذيعًا مرتبكًا يمسك بورقة يقرأ منها بيانًا. علامة كتم الصوت الموجودة في ركن الشاشة لفتت انتباهه فضغط زر الصوت ليملأ صوت المذيع فراغ الغرفة وهو ينقل كلماته للمشاهدين بصوتٍ مرتجف

***

شعب كوكبنا الكريم

في ظاهرة غريبة. تحدث للمرة الأولي في تاريخ كوكبنا العريق فقد جميع سكان الكوكب وعيهم يوم الثلاثاء الثاني عشر من مايو في تمام الساعة السابعة و ثمان دقائق حسب توقيت جرينتش. عندما أفاق الجميع فوجئ كُلٌّ منهم أن ذكرياته لا تسكن عقله و إنما رحلت لتسكن عقلًا آخر . هذه العملية تمت بعشوائية تامة. لا قواعد مفهومة. لا أسس منطقية. تشير الاحصاءات الأولية أن حوالي 80 % من سكان الكوكب تعرضوا لهذا الأمر الغير مفهوم و بناءً عليه تم اجتماع هام للغاية في هيئة الأمم المتحدة بحضور كافة أعضائها و بعد سلسلة من الاجتماعات تمت فيها العديد من المناقشات تقرر التالي :

1- تشكيل هيئة علمية من العلماء المخضرمين في كافة المجالات التي تتعلق بالأمر وتوفير لهم كافة سبل الراحة وتوفير كافة مطالبهم المادية

هذا وقد تم الوصول للتشكيل النهائي للفريق العلمي القائم على مناقشة وحل هذه الأزمة وتم تعيين فريق تابع للأمم المتحدة ليلبي لهم كافة متطلباتهم المادية والمعنوية مع الحرص على عملهم بكافة طاقاتهم وبذل الجهد والعرق من أجل الخروج من تلك الأزمة وعودة الاستقرار والأمن للكوكب

2 - فتح الحدود بين كافة الدول وبعضها وإيقاف التعامل بجوازات السفر وتأشيرات الدخول

لأن الذكريات تبدلت بعشوائية تامة وتسهيلًا على المواطنين تقرر بالاتفاق مع رؤساء الدول ووزراء خارجيتها فتح كافة الحدود بين الدول وبعضها والحرص على إلغاء التأشيرات وجوازات السفر

3 - بدء العمل على تسجيل الكشوفات الخاصة بالأجساد والذكريات على خلاف لتسهيل مهمة البحث عنهم، جدير بالذكر أن الذاكرة يتم التعرف عليها من خلالها بينما الأجساد يتم التعرف عليها طبقًا لقاعدة بيانات الحمض النووي عن طريق البصمات أو تحاليل الـ (DNA)

مع مراعاة أن تسجيل البيانات وإجراء الكشف الطبي لمعرفة لمن ينتمي الجسد وتحديد مكان الجسد المرغوب ستتم في كافة السفارات ووزارات الخارجية، رجاءً سيداتي وساداتي لا تتأخروا في إجراء الكشف الطبي والحرص على مساعدة أطبائنا وممرضاتنا لأنهم يعملون من أجل انتهاء الأزمة

4 - توفير رحلات سفر برية وبحرية وجوية بالمجان لكل من يبحث عن ذكرياته أو جسده بشرط أن يجد كُلًا منهما في الكشف الخاص به

تقرر الاتفاق مع شركات الطيران والمطارات ومحطات القطارات الدولية والمواصلات البرية كالأتوبيسات وسيارات الأجرة والوسائل البحرية كالسفن العملاقة وناقلات الجنود على التعامل مع الأمر ووضعه في قائمة الأولويات كضرورة قصوى

5 - شطب كافة الأجساد والذكريات التي يجدها أصحابها من السجلات وانتهاء فرصة السفر بلا تصاريح أو جوازات سفر بالنسبة لهم

بمجرد أن تستقر ذكرياتك في جسدك يتم شطب الاسم والجسد من كافة السجلات كما تفقد مزية السفر عبر الحدود بدون تكاليف أو تأشيرات وعودة العمل بجواز السفر الخاص بك ومن يخالف هذا القانون يعتبر معطلًا لسياسات الأمم المتحدة في العمل على انتهاء الأزمة ويتعرض للمحاكمة

6 - الحرص على تجميع الأجساد الملقاة بالشوارع والاحتفاظ بها في ظروف خاصة تمنع تحللها ريثما يهتدي العلماء لطريقة لإعادة الذكريات بداخلها

كل من يجد جسدًا مُلْقَى بلا ذاكرة مهما كانت حالته الصحية عليه أن يحرص على تسليمه لأقرب مشفي أو سفارة وسيتم العمل على الحفاظ على هذا الجسد بطرق ومعالجات تحافظ عليه ريثما يتم التوصل لذكرياته وإسكانها داخله مرة أخري

7 - تهيب قوات الأمن الخاصة والتي تم تجميعها من كامل القوي الخاصة من جميع دول العالم بالمواطنين البعد عن المشاكل والجدل وفي حالة تعرضك لأي مشكلة من فضلك توجه لأقرب جندي قوات خاصة

برجاء عدم مواجهة الأزمات والمشاكل ببطولة. نحترم هذا ونقدره ولكن جنودنا تدربوا طويلًا على طرق حل الأزمات للخروج منها بأقل خسائر ممكنة. نحن في الشوارع لخدمتك فلا تبخل علينا بطلب المساعدة

8 - توجه لأقرب سفارة وأخضِع نفسك لاختبارات تحديد الجسد والذاكرة حرصًا على تسهيل الأمر

كل من يتأخر أو يتهرب من تسليم نفسه ليخضع للكشف الطبي حول العالم مهما كانت ديانته، جنسيته، لونه أو عرقه يعتبر خائنًا لهذا الكوكب ولكافة شعبه، برجاء التوجه للمكان الأقرب وإجراء الفحص الطبي بلا إثارة أي مشكلات

9 - بدأ العمل بهذا القرار وتعميمه بإذاعته عبر شاشات التلفاز العالمي بجميع اللغات وطبعه في أوراق ومنشورات وقذفها من الطائرات وتوزيعها في كافة وسائل المواصلات والحرص على وصولها ليد كل مواطني الأرض

إلى هنا ينتهي منشورنا وبرجاء التعاون للوصول لحل لتلك الأزمة بأقصى سرعة ممكنة

شكرًا لتعاونكم

المستشار / كيم يانج باو

أمين عام هيئة الأمم المتحدة

(3)

أغلق التلفاز عقب سماع البيان وهو يفتح فاه بدهشة من لا يصدق، تبادل ذكريات؟

فكرة لطالما هاجمت مخيلات كُتَّاب الروايات و صُنَّاع الأفلام و لكنه لم يتوقع حقًا أن تحدث لشخص يعرفه أو أن تحدث له ناهيك عن أنها حدثت لثلاثة أرباع سكان الكوكب، فكرة مرعبة حقًا و مجرد تخيلها يجعل القلب يدق بعنف، ابتلع ريقه بصعوبة و هو يفكر هل يعني هذا أن ذكرياته في هذا الجسد أم أنه من الربع المحظوظ، ابتسم عندما تخيل لو أنه كان فقيرًا أو قبيحًا و حالفه الحظ فسكنت ذكرياته التائهة في هذا الجسد الرشيق وسط هذا الثراء الفاحش و ابتسم أكثر عندما تخيل لو أن ذاكرة رئيس جمهورية أو أمير إمارة قد سكنت جسد فقير معدم من شعوبهم التي نهبوا خيرها فتركوها جرداء تصرخ بجوعها، ابتسم لمجرد الفكرة قبل أن يقوم من مكانه مقررًا عدم الذهاب لأي سفارات و ليحدث ما يحدث فإما أن يتذكر من هو و يتصرف بناءً على هذا و إما يأتون للقبض عليه تاركينه يشبع من ملذات الثراء و الرفاهية التي يراها ها هنا، قام يمشي متبخترًا في الشقة متجهًا للباب الذي يقوده للسلم المؤدي للدور السفلي، صمم اكتشاف المكان طالما قرر أن يعيش به لفترة، للمرة الأولي يشعر أن الأمر لا يزعجه و أن النسيان نعمة!

ربما تذكر و كان من الفقراء فلماذا يضيع على نفسه فرصة العوم وسط أمواج السعادة، فتح الباب و هبط درجات السلم في بطء متأملًا الصالة الفسيحة التي يفضي إليها السلم الرخامي، هبط وسط سجادة ناعمة

النافورة الرخامية الرمادية وقف يتأمل النافورة الرخامية الرمادية تحمل رسمًا بديعًا لمنظر طبيعي و وقف يتأمل النافورة الرخامية الرمادية

التي وجدها أمامه. عشرات اللوحات معلقة حوله و غرفة جلوس بديعة جميلة. المكان باكمله يبعث على الدهشة. مكان جميل جمال لم يره من قبل أو ربما رآه و نسي. لا يريد أن يتذكر الآن يريد فقط أن يتمتع بهذه الفرصة قبل أن تزول. لولا صوت مرتفع يأتي من خلف باب بني اللون مائل للاحمرار ضخم. فكر أن يفتحه ليكتشف سبب الضوضاء أو يتركه مغلق ليتمتع باكبر قدر ممكن من هذه اللوحة الجمالية التي اكتشفها لكن الفضول كما قتل القط كاد يقتله. مَنَّى نفسه بأن يجد بالخارج حديقة غنَّاء بها من الأزهار أشكال و ألوان و بها من الطيور المغردة و الملونة ما لا يستطيع أن يحصي. فتح الباب ووقف يتأمل و قد انحسرت الفرحة عن قلبه لتحل محلها دهشة مذعورة. أمام عينيه الغير مصدقتين لِمَا ترى كانت ثورة صغيرة. المئات من الأفارقة سود البشرة يدمرون كل شيء بهمجية لا مثيل لها. المحلات مهشمة و منهوش داخلها بقسوة و السيارات مدمرة تمامًا و السليم منها تتصاعد منه نيران حمراء تلتهمه في جشع. مئات السيوف تلتمع في أيديهم ليتراقص عليها ملك الموت فرحًا بغنيمته. صخرة طائرة غادرة استغلت انشغاله بمتابعة ما يحدث متسلحة بدقة تصويب أصابته في رأسه. شعر وقتها بشيء يشبه تترات الأفلام و المسلسلات يجول في رأسه . تجاهل كل هذا و مسح الدماء عن عينه ليجد صبيًا نحيلًا يتراقص الشر على ملامحه يقف فوق مؤخرة سيارة تحترق ممسكًا سيفًا صارمًا بيده و يشير نحوه و يصرخ بكلمات غير مفهومة. شعر بالفزع فحاول إغلاق الباب بسرعة لكن سيفًا أخر كان أسرع منه فمنعه من إغلاقه. ترك الباب و جري كما لم يجر من قبل. صعد درجات السلم بسرعة محاولًا الوصول لـ ... لماذا؟؟ أين سيذهب؟؟ لم يعرف كل ما يعرفه الآن هو ضرورة الجري من أمام هؤلاء المخابيل بأقصى سرعة. سمع

زئيرهم يتصاعد من خلفه. حاول ألا ينظر خلفه كيلا يتعثر على درجات السلم فيُدَقُّ عنقه أو يسلم نفسه لهم فريسة جاهزة للاقتناص، كاد أن يتعثر و لكنه تمالك نفسه سريعًا و هو يغلق باب الغرفة خلفه باحثًا عن قِفل وجده بعد ثوانٍ فأغلقه جيدًا و جذب الباب بيده مرتين ليتأكد من إحكام غلقه، هرع إلى النافذة حاول فتحها إلا أن حجرًا حَطَّمَ أخشابها جعله يغير رأيه و يبحث عن فكرة جديدة، وقف كالمشلول ينتظر لا يعرف ما يفعل قبل أن يرى بلطة فأس حادة تشق خشب الباب مخلفة فجوة ضخمة سمحت لذراع ضخم أن يخترقها عابثًا بالقفل ليفتحه قبل أن يدخل فردان إلى الغرفة باحثين عنه بأعين تطق شررًا، تفادى نصل سيف كاد يقطع من وجهه قطعة ليست بصغيرة قبل أن يمسك بمزهرية زجاجية و يصوبها بدقة لرأس مهاجمه الأول، أصابته فتجمد مكانه لحظات قبل أن يهوي أرضًا،التفت للآخر الذي يمسك الفأس و قبل أن يجد طريقة لقتاله وجد آخرون يقفون خلفه منهم من يمسك بسلسلة معدنية مُطَوِّحًا إياها في الهواء و منهم من هو مسلح بقطعة زجاجية حادة، شعر بالعجز و شعر بفكره يتجمد و قبل أن يقرر ماذا سيفعل فوجئ بصوت طلقات مكتومة يصعد من أسفل و صوت صراخ حاد يوأد قبل أن يولد، لحظات قليلة وسط ارتباك مهاجميه و تحدثهم بلغة لا يعرفها قبل أن يسقطوا أرضًا و رؤوسهم تنزف دماءً لا يعرف كيف سالت تبين منقذيه، شخص ضخم الجثة ملثم يرتدي حلة سوداء تبدو مضادة للرصاص و من خلفه شخص آخر يرتدي حلة رمادية اللون أنيقة مزينة برابطة عنق سوداء و ابتسامة مُطَمْئِنَة لكن قبل أن يتحرك أو يطمئن خرجت الرصاصة التي أنهت كل شيءٍ تمامًا

***

تابع الورقة بعينيه وهي تسقط أرضًا قبل أن يحمل البندقية على كتفه ويأمر زميله: "هيا!"

نظر له الآخر بدهشة وعيناه مفتوحتان وفكه يكاد يسقط، رد الفعل هذا لا يتناسب مع ما قرأوه، هذا شخص لم يدرك بعد أن ذكرياته قد تبدلت وأنه في جسدٍ آخر، هذا لم يُقَدِّر موقفهم ولم يستوعبه بعد أو استوعبه ولكن الصدمة عبثت بعقله فتركته غير مدرك لما يفعل، تبعه بخطوات سريعة وأمسكه من كتفه وهو يقول: "قرأنا أن ذكرياتنا تبدلت وأنت تريد الرحيل كأن شيئًا لم يحدث؟"

مَطَّ الآخر شفتيه وهو يقول بصوت غلبته اللامبالاة: "وهل وقوفنا هنا لنندهش سيساهم في حل المشكلة؟"

نظر له وقد عقد حاجبيه في دهشة، لم يتوقع أن يسمع هذه الإجابة فتبعه في صمت، بضع خطوات وشعر أن فضوله يغلبه مرة أخرى فسأله: "هل فهمت شيئًا؟"

أجاب الآخر دون أن ينظر إليه وهو مستمر في المشي بخطوات سريعة: "فهمت أو لم أفهم، الأمران سواء، يجب أن نبحث عن سفارة أو مكتب حكومي أو على أقل تقدير أحد الجنود"

هز رأسه متفهمًا وهو ينظر لقرص الشمس الذي يستعد للرحيل مخلفًا ظلمات الليل من بعده، سمع صوتًا يتبعهما فنظر خلفه وليلمح الخنوص الصغير يتبعه في إصرار، وقف ينتظره إلى أن وصل له وهبط ليربت على رأسه، تبعا العجوز بخطوات سريعة وبرغم أنه أصغر سنًا وأكثر شبابًا وحيوية إلا أن جسده كان ممتلئ على عكس العجوز الذي يحظى بجسد

متناسق. نظر للخنوص الذي ظل يجري بجواره مرات ويداعبه بالمرور من بين قدميه مرات أخرى قبل أن يسمع صوت زميله يناديه: "انظر هناك"

رفع وجهه في نفس اللحظة التي قرر الخنوص أن يمر بين قدميه فتعثر. سقط أرضًا لتصطدم رأسه بصخرة كبيرة كانت ترقد أرضًا وبرغم الدماء التي سالت على وجهه والدوار الذي هاجم رأسه فاحتلها إلا أنه قفز برشاقة لا تتناسب مع وزنه الثقيل ليقول بلهجة أرشميدس حين وجد اكتشافه العظيم: "لقد تذكرت كل شيء. اسمي فريد من مصر، أبلغ من العمر ست وعشرون عامًا. قبل أن يحدث هذا الأمر كنت أعمل في تجارة لعب الأطفال والاستيراد والتصدير. ترى ماذا حدث لتجارتي. ترى هل حازم بخير؟"

نظر له العجوز بعدم فهم للحظة قبل أن تصدمه الفكرة فتتسع عينيه دهشةً. هذه الصدمة تستخدم كمُحفز للدماغ كي يقتحم ذكريات الذاكرة و يتحدا سويًا. أمسك بندقيته و أعطاها لفريد الذي تناولها في عدم فهم. كان الآخر على وشك الانفجار و هو ينظر لزميله بغضب. لحظات أخرى وفهم فريد المطلوب منه. ضرب زميله بعنف على رأسه فسقط أرضًا. هذه المرة اكتفت رأسه بكدمة و نتوء و لم تبكِ دماءً و لكنه شعر كأن شبكة من الأضواء الملونة تقتحم وعيه قبل أن يدرك أن كافة ذكرياته قد استقرت في مكانها و أنه بسهولة تامة يستطيع استجواب عقله بحثًا عن أي إجابة يرغب بها. تحسس النتوء و هو يتناول البندقية مرة أخرى و يمد يده ليصافح فريد : "شينزو تاكاهاري. أربعون عامًا. ياباني الجنسية"

صافحه فريد قبل أن تتعلق عيناه بشيءٍ ما في السماء. تابع شينزو عينيه قبل أن يدرك أن زميله اكتشف ما كان يريد إخباره به. تعلقت أعينهما بشعاع من ضوء يتأرجح يمينًا و يسارًا ليعلن عن مكانِ شيءٍ ما. أسرعا

إليه و بعد عدة دقائق من العدو وصلا إلى مبتغاهما، وقفا يتأملان مبني عالٍ ضخم يقف شامخًا وسط عدة مبانٍ أخري، لم ينتبها أنهم تركا الصحراء و دخلا إلى المدينة منذ حين، تأملاه فوجداه عالٍ صخري يمتاز بعدة نقوش و ديكورات حجرية جميلة التكوين و على سطحه ترتفع راية خفاقة تمثل علم دولة لم يميزها أيهما في الظلام، من بوابة حديدة دخلا و قد شهر شينزو سلاحه أمامه، سمعا ضجيجًا يأتي من داخل المبنى و قبل أن يمد فريد يده ليفتح الباب شعرا بفوهات معدنية تلتصق بمؤخرتي رؤوسهما. لم يحتاجا الكثير من الوقت ليدركا أن ثمة أسلحة مصوبة إلى رؤوسهما الآن و بدون أن يريا مهاجميهما سقطا أرضًا على ركبهما و هما يرفعان أيديهما للأعلى في استسلام بينما ألقي شينزو سلاحه أرضًا في توتر

(4)

نظر لرأس مهاجمه الأسمر المنفجر وجثته الراقدة أرضًا تحت قدميه قبل أن ينظر لفوهة المسدس المشهرة في وجهه قبل أن يخفضها حاملها وهو يمد قدمه ليلكز الجثة الراقدة أرضًا للتأكد من أنها فارقت الحياة، وقف ينتظر دوره وهو لا يعرف هل سيقتله هذا الشخص أم أن مهمته انتهت بقتل مهاجميه؟

راقبه بعينيه في توتر. طويل القامة رياضي الجسد و ملثم لا يظهر منه سوى عينان سوداوتين تحملان نظرات ثقة و قوة. نظر له و هو يشير له بسلاحه أن يتقدمه. رفع يديه فوق رأسه و هو يتحرك ببطء ليجد ملثمًا آخرًا في انتظاره خارج الباب. هبط السلم ببطء و هم يتابعونه. تأمل الجثث الملقاة في إهمال و ثقوب الرصاصات التي امتصت منها الحياة تلطخها. تأمل الملثم الذي يهبط السلم أمامه و هو يشهر مسدسه قبل أن يتخذ قراره. انتظر حتى وصلوا إلى منتصف السلم الحلزوني. تنفس بعمق و هو يتحفز لتنفيذ فكرته، دفع الملثم الذي يهبط درجات السلم أمامه ليتعثر و يسقط عن السور. انحني كي لا تصيبه الرصاصات و هو يسرع عدوًا ليفتح الباب و يخرج إلى الشارع سريعًا قبل أن يفيقا من الصدمة، الأمر الذي أثار دهشته بقوة هو أنه لم يسمع صوت رصاصات و لم يسمع صوت ارتطام جسد الملثم المتعثر أرضًا. فتح الباب و خرج يعدو إلى الشارع. لم ير ابتسامات الملثمان الساخرة من تحت غطاء وجههما و أحدهما يساعد زميله الذي تماسك و لم يسقط عن السور و إنما تمسك بحافته قبل أن يتابعاه و هو يدخل من الباب مرة أخرى منكس الرأس

خجلًا و ملثم ثالث يتبعه شاعرًا بالخزي يغزو قلبه و بوجنتاه تحمران خجلًا و ملثم ثالث يتبعه مهددًا إياه بسلاحه، هبط الملثمان الآخران و أمسكا به كلًا منهما من ذراع و جذبوه بقوة أرادوا بها أن يعاقبوه على ردة فعله، خرجا إلى سيارة سوداء تحمل لافتة دبلوماسية لمحها بسرعة و هما يجرانه جرًا، فتح أحدهم له الباب و أمسك رأسه كيلا يصدمها، جلس في المقعد الخلفي للسيارة و بجواره واحد منهم فقط.الاثنان الآخران ذهبا لسيارة أخرى أو لمهمة أخرى لم يسعه الأمر ليتاكد، نقر مرافقه على كتف السائق الذي يرتدي نظارات شمسية كبيرة لتتحرك السيارة، أمسك بعدها بعصابة سوداء و غطي عينيه، لم يقاومه فقد عرف و فهم و تعلم أن المقاومة لن تجدي مع هؤلاء، شعر باهتزازات السيارة و حاول أن يشعر باتجاهاتها و يحفظها و لكنه شعر بالارتباك فتخلى عن الفكرة بأكملها، أخيرًا توقفت السيارة و شعر بالعُصَابَة تُزال عن عينيه فأغمض عينيه قليلًا ليحميها من أثر الضوء المفاجئ، فتح الملثم الباب له و أشار له ليخرج، بينما يخرج صدم رأسه بقوة في الحاجز المعدني الخاص بباب السيارة، شعر بالمعلومات و الذكريات تتدفق إلى رأسه، نظر للملثم و هو يهتف : "تذكرت من أنا !!"

أشار له الملثم أن يصمت فصمت مُجْبَرًا مقاومًا حماسة المجنون للبوح بما عرف و هو يدلف من باب خلفي ضيق في هذا المبني، سمع ضجيجًا هائلًا و لكنهم انحرفوا بعيدًا عنه، صعدوا سلم رخامي أبيض اللون و سلمه الملثم لشخص يرتدي حلة رمادية اللون ابتسم و هو يصافحه و يطلب منه أن يتبعه . وقف أمام باب مغلق و طرق عليه قبل أن يأتيه صوت من الداخل يأمره بالدخول، فكر أن يهرب بينما دخل الشخص الآخر إلى المكتب و تركه وحيدًا و لكنه تذكر كيف انتهت آخر عملية هروب، دقيقة مرت قبل أن يخرج و هو يبتسم، أشار له أن يدخل قبل أن يغلق الباب

خلفه، كان في مكتب ضخم واسع، أرضيته مغطاة بالسيراميك الأبيض بينما يزينها بساط إيراني، الحائط مغطي بشهادات تقدير و شهادات علمية بينما يتصدر الغرفة مكتب ضخم يجلس خلفه شخص نحيل خفيف الشعر و تزين وجهه لحية منمقة وقف و هو يخرج من خلف مكتبه ليقابله في منتصف الغرفة و يصافحه، أشار له أن يجلس على مقعد جلدي أسود و جلس أمامه، بدأ النحيل بالكلام مُعَرِّفًا نفسه : "جيمس هاميش، السفير النيوزيلاندي في نيجيريا، هل سمعت أو قرأت البيان الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة؟"

هز رأسه إيجابًا فتابع السفير أسئلته: "هل تذكرت من أنت أم أنك ما زلت تحتاج لمؤثر خارجي؟"

تحسس رأسه وهو يقول: "بل تذكرت، حازم سلامة من مصر"

ابتسم السفير وهو يقول: "مرحبًا سيد حازم، هل تعلم أيَّ شيء عن الجسد الذي تحتله ذكرياتك؟"

هز حازم رأسه بالنفي فتابع السفير: "هذا جسد جون ماكارثي، أشهر رجل أعمال نيوزيلاندي ومن ضمن أغني مائة رجل في العالم لذا كان واجبًا علينا حماية جسده جيدًا "

ظهرت علامات الفهم على وجهه وهو يسأل السفير: "وماذا عن العصابة التي هاجمت بيتي أو بيته، أقصد ذلك المكان؟"

ابتسم السفير وهو يقول: "بعدما استيقظ العالم على هذه الكارثة وجدنا الآتي: نسبة كبيرة جدًا من المصابين أرادوا استعادة أجسادهم مرة أخرى بينما هناك نسبة ضئيلة قررت أن تساعدنا أولًا قبل أن تبحث عن

أجسادها. خيرًا يفعلون. الآخرون حاولوا استغلال الفوضى والسطو على الأغنياء وقصورهم وهؤلاء أطلقنا عليهم اسم"الهمج" أو أصحاب ثورات الفوضى وصدر قانونًا تم تعميمه في كافة دول العالم بوجوب قتلهم بلا رحمة أو تفكير لأنهم لن يترددوا في قتل الأبرياء من أجل مصالح شخصية وأخالك خضت تجربتك الخاصة معهم"

هز رأسه وهو يتذكر مهاجميه وأسلحتهم البيضاء التي كادت تودي بحياته. عاد السفير إلى خلف مكتبه وهو يقول: "من حسن الحظ أننا عرفنا أين تقع ذكريات السيد جون لذا سنسافر الآن لكي نعيد ذكرياته إلى جسده ومن ثم نعيد ذكرياتك إلى جسدك "

سأله حازم بفضول: "وهل سكنت ذكريات السيد جون جسدي؟"

هز السفير رأسه وهو يقول: "طبقًا للسجلات التي أمامي والتي تنقسم إلى أربعة أقسام أحدها يضم اسم الجسد والآخر مكان الجسد والثالث اسم صاحب الذكريات والرابع كما في حالتك الوصول إلى عملية التبادل فإن جسدك تسكنه ذكريات امرأة تدعي سكارليت مانيرو من الأرجنتين بينما ذكريات السيد جون تسكن في جسد طفل فرنسي يدعي تشارلي"

"وأنتم ستتركونني بداخل تشارلي هذا؟"

"لا. أعدك أننا سأعيدك لجسدك "

"حسنًا لن أتحرك من مكاني إلا إذا وعدتني أنك ستعيدني إلى جسدي أولًا ثم تحمل سكارليت بداخل جسد جون لتسلمها إلى تشارلي أو أيًا كان ما ستفعله"

ابتسم السفير بسخرية وهو يقول: "أقدر عرضك ولكن يجب أن تعلم أن الأمور هنا تتم تبعًا لشروطنا الخاصة فقط"

ابتسم حازم بدوره وهو يتحرك بسرعة ويختطف نصلًا يستعمله السفير في فتح الخطابات من على المكتب ويضعه على شرايينه ويقول: "أتمنى أن تكون قد ودعت السيد جون جيدًا"

اتسعت عينا السفير وهو يهتف به: "يبدو أنك لا تعلم قواعد الأمر، إذا قتلت نفسك فستدمر الاثنين معًا، ستموت وستَتِيهُ ذكرياتُ السيد جون في العدم وسينتهي الأمر تمامًا"

"لا يهمني ما تقول، إما أن تنفذ شروطي وإما ..."

أنهى كلمته وهو يحرك الشفرة على يده لتظهر نقاط دم حمراء على معصمه فهتف السفير: "حسنًا، حسنًا "

ابتسم حازم وهو يضع الشفرة في جيبه ويبتسم للسفير الذي بادله الابتسامة بعصبية

***

تفاصيل كهذه لا تراها حين تعيشها و لكنك بالطبع تراها بوضوح عندما تنظر لها من وجهة نظر أخري، فكر حازم في هذا و هو ينظر إلى جسده الذي يتحرك أمامه دون أن يأتمر لأمره، شعور غريب للغاية ألا يصدر مخك لجسدك الإشارات و الأوامر التي تحركه، تأمل جسده، مقدمة رأسه التي بدأت في الانحسار و بطنه التي استدارت و كادت تصبح (كرشًا)، يجب أن يهتم بالرياضة أكثر من هذا، نظر للسفير و ابتسم فلم يدر السفير هل يبتسم له أم يتجاهله تمامًا، آثر التظاهر بالصرامة كي يظل محافظًا

على سيطرته على الأمور و لو بنسبة قليلة فتجهم في وجه حازم المبتسم و قال بصرامة : "هلا انتهينا؟"

رفع حازم كتفيه وهو يقول: "كان بودي ولكني لا أعرف الطريقة"

أخرج السفير من جيب حلته الداخلي سيجارًا بني اللون وفَضَّ غلافه وهو يمرره تحت أنفه ليستنشق رائحته قبل أن يقول: "الموضوع في غاية البساطة ... كل ما عليكما فعله هو أن تصافحا بعضكما وأن ترغبا بشدة في القيام بعملية التبادل"

ارتفع حاجبي حازم بدهشة وهو يسأل: "بهذه البساطة؟"

رد السفير وهو يتظاهر أن الأمر لا يهمه بينما تشتعل رغبته في الانتهاء من الأمر بداخله: "بهذه البساطة"

للمرة الأولي تحركت سكارليت وتحرك جسد حازم معها وهي تضع يديها في خصرها وتقول بصوته الرجولي وبنبرة غلب عليها الدلال الأنثوي: "وأنا؟؟، لماذا تعاملون النساء كأنهم جوارٍ، لماذا لم تطلبوا رأيي"

لاحظ حازم أنها تحدثت بالإنجليزية وبلكنة إسبانية واضحة، لكنه والسفير كانت إنجليزيتهم لا تشوبها لكنة، نظر للسفير منتظرًا رد فعله، نظر لها السفير وهو يقول: "حسنًا، لنسألك، ما رأيك هل تريدين العودة لجسدك أم أنك تريدين أن تقضي ما تبقي من عمرك في هذا الجسد؟"

ظهرت علامات الاشمئزاز على وجه حازم بينما تحدثت سكارليت بشفتيه: "تبًا، بالقطع لا، أريد العودة لجسدي، العناية بأجساد الرجال صعبة للغاية"

وضع السفير سيجاره في فمه وهو يتحدث لتخرج كلماته مشوهة بعض الشيء: "حسنًا، هلما لتنتهيا لكي نرحل، سنذهب لفرنسا ومن ثم نعود للنرويج"

أنهى كلماته وهو يخرج علبة ثقاب ويشعل عودًا منها ويقربه من طرف سيجاره، تأمله حازم بدهشة وهو يقول: "وماذا سنفعل في النرويج؟"

اتسعت ابتسامة السفير بينما تسللت إلى أنفه أولى عبقات السيجار فظهرت عليه علامات الانتشاء: "نفعل؟؟ أنت لن تأتي معنا، مهمتك تنتهي باستعادة جسدك بينما نحن سنصحب معنا الآنسة سكارليت لمكتبنا في النرويج لكي تتم عملية تبادلها هي الأخرى"

هز حازم رأسه و هو يحاول منع دخان السيجار من التسلل إلى رئتيه اللتين شعرتا باقترابه فلجأتا لنظام دفاعي مكون من السعال،أنهى سعاله و هو يغمض عينيه و يشعر بيده تقتحم غمار كف جسده القديم و أغلق عينيه منتظرًا أن تخرج روحه في دوامة زرقاء وتدور ويشعر بالألم يكتنف جسده ليعذب خلاياه ويشطرها أنصافًا لتلتحم بعدها روحه بذكرياته لتعودا سويًا لجسده و لكن شيئًا من هذا لم يحدث، كل ما شعر به هو ما يشبه الصدمة الكهربائية التي مرت بجسده لثانية أو أقل فتح عينيه ليطالع جسدًا لطالما رآه في المرآة لمدة يوم كامل، هذه المرة يراه من عينيه التي يعرفها و بنظرته التي يألفها، يشعر به بقلب لطالما خفق بداخله فحفظ دقاته، نظر للسفير و هو يقول : "حسنًا، ها أنا في جسدي مرة أخري، أتدري هذه التجربة تشبه الصدمة الكهربائية الضعيفة"

ضحك السفير بقوة فهربت من رئتيه سحابة دخان لتملأ سماء الغرفة فرحة بحريتها قبل أن يقول: "صدمة كهربائية ضعيفة!!، لخصت تجربة ستؤرق الكوكب بأكمله لسنواتٍ عدة في هذا التعبير؟"

ابتسم حازم وهو يحرك يديه وقدميه وكأنه فرح باستعادة جسده بينما أعطي السفير إشارة للملثمين بالإمساك بسكارليت المنكمشة بداخل جسد جون وتراقب الأمر وكأنها لا تفهم بعد ما حدث، حسنًا ستأخذ القليل من الوقت لتألف الأمر وتعتاده، هَمَّ بالرحيل قبل أن توقفه نحنحة خفيفة من حازم أوقفته، التفت لحازم ببطء ليجد ابتسامة سخرية مرسومة على شفتي حازم وهو يسأله: "وزوجتي؟؟"

ارتفع حاجبا السفير ليحلقا في سماء الدهشة وهو يسأله: "زوجتك؟؟ "

دخل حازم إلى غرفة جانبية وصوت السفير يعلو ليسمعه وهو يتابعه بعينيه بدهشة: "مالي ومال زوجتك؟، أعتقد أن اتفاقنا كان واضحًا"

خرج حازم من الغرفة وهو يضع يديه خلف ظهره ولا يزال يحافظ على ابتسامته الساخرة ويقول: "ألا تظن أن الوقت قد حان لنضع بضع قوانين جديدة"

أشار السفير للملثمين اللذان تركا جسد جون الذي اختبأ خلفهما وتقدما عدة خطوات ليصبحا أمام السفير الذي قال بنبرة ثقة: "حازم، نحن لا نريد التسبب في أية مشاكل"

أخرج حازم يده من خلفه ليشهر مسدسه الضخم في وجه أحد الملثمين وهو يسأل بسخرية: "حقًا؟"

(5)

رأيا من موقعهما جندي ملثم يتقدم و هو يتفحصهما بنظراته قبل أن يصل إلى السلاح و يركله بقدمه ليبعده عن متناول أيديهما، أمسكه و هو يتأمله و من عينيه تنبعث نظرة احتقار قبل أن يعلقه على كتفه و هو يشير لهما بالوقوف، وقفا و خفض فريد يديه قبل أن يلكزه الجندي الواقف خلفه لكي يرفع يديه مرة أخرى فرفعها متذمرًا في صمت.انهمك الجندي في تفتيشهما و حرص على ملامسة مناطق معينة من جسديهما ليشعرهما بالمهانة قبل أن يشير لصاحباه أنهما خاليان من أي خطر، شعر كلًا منهما بالجندي الواقف خلفه يلكزه لكي يمشي، مشيا لفترة يتقدمهما جندي صامت و تتبعهما لكزات مؤلمة حتى وصلوا جميعًا إلى باب ضخم مغلق بسلسلة معدنية.فتح الجندي الباب و أشار لهما بالدخول قبل أن يغلق الباب من خلفهما في سرعة، في البداية كان الصوت هو أول ما لفت أنظارهما، صوت أزيز كخلية نحل و لكنه يصدر من حناجر بشرية، نظرا ليجدا ما يقارب الخمسمائة فرد أو يزيد يتحدثوا جميعًا في نفس الوقت و بدون أن يسمع أحدهم الآخر، أمام هذا الجمع الغفير كانت عدة منافذ لخدمة الجمهور موجودة و لكنها مغلقة بزجاج مصفح و خلفها يجلس موظفون ممتنعون عن تأدية عملهم و يراقبون الفوضى من خلف الستار الزجاجي، الفوضى تزيد لأن الموظفين ممتنعين عن العمل بينما الموظفين لن يعملوا إلا بعد أن تهدأ الفوضى، دائرة مفرغة يدور بها الجميع، تأملا الجمع في هلع، فوضي لا مثيل لها، عدة عراكات تكاد تقترب من الدموية تتابعها أعين لا تبالي بنتيجتها و آخرون يكسرون الأثاث و يفرغون بطنه من محتوياته و يهشمون أخشابه ليستخدموها في الدق على النوافذ

المغلقة. أعين بليدة بلا ردود فعل خلف الستار الزجاجي و أعين تتقد غضبًا من أمامه!

نظرا إلى بعضهما البعض قبل أن يتأملا المكان. غرفة مستديرة بها سلم نصف دائري يبدأ يمينًا و يصعد حتى يصل لباحة صغيرة و يهبط منها يسارًا حتى يصل للأرض و تحت كل سلم هناك جندي يمسك سلاحه و يتثاءب في ملل خلف ستاره المصفح بلا أدني اهتمام لما يجري. فجأة و بدون أي مقدمات قفز شينزو ليعتلي جسد فريد الذي ترنح فجأة قبل أن يتماسك و يستعيد توازنه و هو يحاول النظر له الذي لم يبالي برد فعله أو حتى باستئذانه قبل أن يفعل هذا، و بالفعل وقف على كتفيه ليمسك فريد بقدميه و هو يطلق صفيرًا لم يلتفت له أحد و لكن مع صيحة منبهة من فريد يليها صفيرًا حادًا من شينزو بدأ يسود الهدوء و تتعلق بهم الأنظار و بمجرد أن ضمن جمهوره حتى هبط أرضًا و هو يخاطب الجمع الذي يتأمله في فضول : "شينزو تاكاهاري. مواطن ياباني. أطمح كما تطمحون في استعادة جسدي و أربو إلى تفسير يُطَيِّبُ خاطري ويُهَدِّئ من ثائرة فكري و لكن سبيل الوصول لمبتغاي و مبتغاكم كذلك هو النظام. يجب أن نهدأ لكي يستطع الموظفون القيام بعملهم "

قاطعه أحدهم بابتسامة ساخرة ولهجة تحمل من التهكم أطنانًا: "وبعد أن نسجل أسمائنا في السجلات ماذا سيحدث؟"

قبل أن يفكر شينزو في إجابة مقنعة أتته إجابة من أحد الموظفين: "ستقسمون إلى مجموعتين. من وجدنا أجسادهم وحددنا أماكنها سيتجهزون للسفر على متن رحلات خاصة من هنا للمطار ومن المطار سيطير كل منكم على الدولة الموجود جسده فيها بينما الاخرون سنوفر لهم

مساكن خاصة مجهزة خصيصًا لهم ريثما نجد أجسادهم أو نحدد أماكنهم"

ابتسم شينزو أمام إجابة الموظف المقنعة قبل أن يطلب من هذا الموظف مجموعة أوراق وأقلام، مررها له الموظف من تحت الساتر الذي رفعه قليلًا في حرص وهو يخبره أن معظمهم بالفعل تسلم أوراقًا تحمل أرقامًا مطبوعة لكنهم لم يعملوا بها ولكن شينزو فكر في أمر آخر، صدح صوته في الغرفة: "من فضلكم قفوا في صفوف مكونة من خمسة عشر شخصًا لكي نستطيع أن نعد أنفسنا "

لحظات قليلة تحرك فيها الجميع و تراوحت مشاعرهم بين الحماس و التذمر و لكن العدد وصل لستمائة و ست عشر شخصًا، انهمك فريد و شينزو و شخصان آخران في كتابة الأرقام من واحد إلى ستمائة و ستة عشر وأغلقوها وحركوها جيدًا حتى تيقنوا أنها اختلطت ببعضها البعض و مروا على الجمع معطيين لكل فرد من الجمع وريقة تحمل رقمًا، تأكدا من أن الجميع موافق و لو على مضض على هذه الفكرة و بدأ شباك أو اثنان في الفتح لخدمة المتقدمين بأرقامهم و وقف رجال الأمن بين الجميع لتنظيمهم و التأكد من راحة الجميع لأن الأمر قد يستغرق بعض الوقت

في غرفة أخرى أخذ شخصٌ ما يرتدي حُلَّة أنيقة تحمل علامة أحد أكبر و أشهر مصممي الأزياء في العالم في مشاهدة شينزو و هو يفرض النظام بصرامته المحببة للنفس قبل أن يضغط زر استدعاء في مكتبه ليدخل رجل أمن ملثم ضخم البنية، اقترب من المكتب قبل أن يشد جسده وهو يعطي الجالس تحية عسكرية قوية، رد عليها الآخر بلا مبالاة و هو يشير له على شينزو عبر الشاشة، هز الجندي رأسه و هو يستدير ليخرج من الغرفة و يمشي في ممرطويل ليصل لباب يحرسه جندي آخر فتح له الباب ليمر،

وجد نفسه في الباحة التي يحاصرها السلمان فأشار لرجال الأمن المنهمكين في ترتيب المواطنين لكي يأتي له بشينزو الذي تعلق في ذراع فريد لكن رجل الأمن هز رأسه رافضًا إحضار فريد. تقتضي الأوامر إحضار شينزو بمفرده. بعد بضعة دقائق وجد شينزو نفسه أمام مكتب يجلس عليه شخص أنيق تبدو على ملامحه الثقة في النفس.وقف الآخر و خرج من خلف المكتب ليجلس على كرسي وثير و هو يشير له بالجلوس أمامه. جلس بتوتر و هو ينتظر أن يفصح له عما طلبه من أجله و في نفس الوقت كان يشعر بالقلق من أن يختل النظام الذي فرضه بالأسفل. مد الأنيق يده ليصافح شينزو وهو يسأله : "هل سمعت عن (المنظمة) من قبل يا سيد شينزو؟"

***

أغلق شينزو باب الغرفة ووقف يفكر قليلًا. العديد من الأفكار تجتاح رأسه عما سمع بالداخل. هذه هي المرة الأولي التي يسمع فيها عن المنظمة فضلًا عن العرض الذي قُدم له ليعمل تحت رايتها و ضمن قواتها. العرض مغري له وهو المحب للإنسان ولخدمة البشر. هبط درجات السلم وسط تعلق عينا فريد به و اللهفة التي نُحتت على ملامحه.انتظر حتى هبط و أشار لأحد المساعدين له بمتابعة مجري الأمور قبل أن ينتحي بشينزو جانبًا. عكست ملامح شينزو الحيرة التي تنهش أفكاره و وجدانه. نظر شينزو لفريد و هو يسأله في قلق : "إذا أخبرتك أننا بصدد تكوين مشروع تدعمه الحكومات تحت قيادة ما يسمي (المنظمة). هل ستنضم لي؟"

صمت فريد قليلًا قبل أن يجيب سؤاله بسؤال: "انضمامي لك. ألا تجد أن الأمور تتحرك بشكل سريع؟"

ابتسم شينزو وهو يجيبه: "أفهم قصدك، لا تقلق، أنا جيد في الحُكم على البشر، أنا أثق بك، هل ستنضم لي؟"

شعر فريد بالراحة من ذكاء شينزو وإجابته المطمئنة وهو يجيبه: "لا مانع لدي ولكني كنت أطمح في معرفة المزيد عن المشروع وعما يسمي المؤسسة"

ابتسم شينزو قائلًا: "المنظمة يا صديقي، دع كل أمر لأوانه"

لم يرغب فريد في معارضته، تركه شينزو و ذهب ليطمأن على سير مجريات الأمور، لم لا و هو الآن يحمل تصريحًا خاصًا من المنظمة بمتابعة مجريات الأمور، راقبه يتبادل مع الموظفين كلمات المزاح لقتل التوتر و كسب الثقة و كذلك مع المواطنين الذين انهمك رجال الأمن بعد خروجهم من أوكارهم في تنظيمهم و تقسيمهم إلى مجموعات منها من سيسافر و منها التي ستنتظر ريثما يظهر لها بصيص أمل، بعد مرور بضع ساعات كان الأمر قد انتهي أو بالأحرى قارب على الانتهاء، ظهر التعب على وجوه الجميع و قبعت بعض النساء و العجزة بجوار الجدران منهم من يريح ظهره و منهم من ذهب في رحلة متنها النوم العميق، عندها أعلن شينزو أن لديه بيان هام يرجو من الجميع الاستماع إليه، بدأ الاهتمام يبدو على وجوه الناس، أحضر كرسيًا صغيرًا و وقف فوقه يتأمل وجوه الناس و أبصارهم المتعلقة به، تنحنح في حرج و حاول أن يتماسك، لطالما شعر بالحرج وسط التجمعات لكن هذا ليس الوقت المناسب،تسلح بالثقة و هو يتحدث : "منذ قليل كنت في اجتماع مع أحد المسؤولين هنا في السفارة و عرض عليَّ تنظيم فريق جديد يهدف لـ ...."

قبل أن يستكمل حديثه سمع صوت يقاطعه، نظر للأعلى ليجد المسؤول الذي اجتمع به من قبل يقف على حافة السور يراقبه مبتسمًا، شعر شينزو أن لديه ما يقوله فصمت قليلًا. أشار له الرجل ليجد مجموعة من الرجال منهمكين في بضع توصيلات كهربائية لم يفهمها شينزو ولكن بعد قليل فهم و زاد توتره، شينزو سيخاطب سكان الكوكب في بث مباشر، سيخاطب كافة المواطنين، شعر بالفزع يتسلل إلى روحه و لكنه وأده بقوة محاولًا التنفس بعمق، بعدما انتهوا من التوصيلات بدأ شينزو يتحدث مرة أخرى و إن كان القلق يجتاح جوارحه: "أعرفكم بنفسي أولًا، شينزو تاكاهارى من اليابان، لا أعرف جسد من هذا و لا أهتم الآن إلا بأمن هذا الكوكب، منذ قليل كنت في اجتماع مع أحد مسؤولي المنظمة و أخبرني أننا على وشك البدء بمشروع ضخم من أجل خدمة البشرية و خدمة المجتمع، مشروع (كتيبة المحاربين)، الكتيبة التي ستعمل بمساعدة الحكومات حول العالم، بيد أننا كمحاربين يجب علينا التضحية بأنفسنا من أجل مساعدة البشرية على العودة للمسار الصحيح و بناءً عليه أطالب الراغبين بالتقدم للانضمام للكتيبة بالتقدم و تسجيل أنفسهم في السفارات و يجب أن تعلموا أننا لن نَكِلَّ أو نَمِلَ إلا بعد انتهاء هذه الأزمة أو انتهاء حياتنا و سنكون كذلك آخر من يستعيد أجساده، مُحَرَّمَةٌ علينا أجسادنا و أذكريات الآخرين تائهة"

صيحات التأييد والفرح انطلقت من حناجر الجميع فرحة وقد شعرت أن لها مؤيد، ولأن لا حق يضيع وخلفه مطالب فقد ارتاحت القلوب فمن منا وشعروا بمشاكلنا لن يهدؤوا إلا بعد حل المشكلة، تعلقت عينا شينزو بالمسؤول الذي رفع سبابته للأعلى قبل أن يستدير وينصرف، تقدم بعض

الأشخاص ليعلنوا رغبتهم في الانضمام وبدأ الموظفين في تسجيل بياناتهم بينما وقف فريد وشينزو يستقبلون المحاربين تحت رايتهم. تحت راية الأمن

انتهي شينزو من فحص فريقه المكون من خمسة شباب ورجلين وفتاة شابة وفريد المبتسم في فخر يتأمل تابعيه قبل أن تسقط قلوب الجميع أرضًا لينهشها الخوف ويفترس الأمن منها بلا تردد. انطلقت صرخة عالية لتشق سكون الليل، صرخة لا تخرج إلا من حنجرة بشرية تتعرض لأعتى ألوان العذاب. ظهر القلق في عيني شينزو وهو يقول: "ها هي مهمتنا الأولى!"

(6)

عقد السفير حاجبيه في عنف وهو يتأمل فوهة المسدس المشهرة في وجهه. شعر بتوتر حركة الحراس من خلفه فمد يده يشير لهما أن يهدئا. وضع كل منهما سلاحه بجواره وإن تراقصت نظرة عدم اقتناع في أعينهما. تأمل ملامح حازم المليئة بالعزم والغضب وإن لمح شرارة قلق تتوارى بعيداً خلفهما. قرر أن يسأله بهدوء تام: "هل تهددني؟"

صمت للحظة قبل أن يقرر تصعيد الأمر للدرجة الأعلى فرسم علامات الغضب على وجهه وهو يسأل بصرامة: "ألا تعلم أن أضعفهما يستطيع أن يزين جبهتك بثقبٍ دامٍ قبل أن تتحرك خطوة واحدة؟"

ظهر الملل على وجه حازم وهو يسأله بنبرة غلبتها السخرية: "هل سنضيع الوقت في كلمات مملة؟. ألم تر أفلام سينمائية من قبل؟؟ لم يعد أي شخص يتأثر بتلك التهديدات الجوفاء. أريد منك شيئًا ما وسأتركك ترحل أنت وثيرانك"

عقد أحد الحارسين حاجبيه في عنف وهو يسمع سبته فقبض على سلاحه بعنف وإن آثر السلامة ولم يتحرك. سأل السفير بغضب ممتزج بنفاذ صبر: "ماذا تريد؟"

ابتسم حازم وهو يقول: "هذا هو المطلوب. أنت تعرف أنني متزوج. أريد أن أعرف مكان زوجتي"

تنفس السفير بصوتٍ عالٍ وهو يقول: "أعطني سببًا واحدًا كي أساعدك؟؟ أعطني سببًا واحدًا ... واحدًا فقط كي لا نمزقك برصاصاتنا الآن"

فتح حازم خزانة مسدسه وتأمل ذخيرته الراقدة داخلها بلا حراك قبل أن يقول بهدوء: "أمامي ها هنا ستة أسباب"

أغلق خزانته وحرر زر الأمان قائلًا: "انظر، وجدت سببًا سابعًا"

شد أجزاء مسدسه ليضع إحدى الرصاصات متأهبة في رحم الفوهة وهو يقول: "خمن ماذا حدث؟؟، لقد وجدت سببًا ثامنًا"

صمت للحظة يتابع نظرات السفير القلقة وتَحَفُّز حارساه وتَوَترا قبل أن يقول: "ولكنني غير مقتنع بأي سبب منهم، كلها أسباب واهية، أتعلم؟؟ أنا أثق بالسبب التاسع تمام الثقة"

أنهى جملته وهو يلامس زناد مسدسه بإصبعه فظهر التوتر على وجه السفير فقال بصوت حاول السيطرة عليه: "حسنًا حسنًا، لقد وضحت وجهة نظرك"

مد السفير يده في جيب حلته فتأهب حازم خلف مسدسه وهو يشير له أن يخرج يده ببطء، أخرج السفير يده ببطء وهي ممسكة بجهاز أسود اللون يشبه الهواتف المحمولة، انهمك بضع لحظات في ضغط بعض الأزرار قبل أن ينظر لحازم ويطالبه بالاسم الرباعي لزوجته، تلا عليه حازم اسم زوجته الرباعي قبل أن يعقد حاجبيه وهو يفكر هل بدل بين اسم جدها واسم جد جدها؟؟، هل كان محمد عبد الجليل أم عبد الجليل محمد؟؟

و في غمار حيرته تحرك الحارس المتحفز بسرعة فقبض على فوهة سلاحه الخاص و هو يطلق إحدى رصاصاته على حازم الذي تحرك في سرعة

ليتفاداها و هو يطلق رصاصتين استقرت إحداهما في كتفه بينما اخترقت الأخرى عنقه ليسقط صريعًا رفع السفير يديه للأعلى بينما تحرك الحارس الآخر ليحميه قبل أن يعالجه حازم برصاصة غادرة في جبهته. وقف السفير يرتجف كالطائر الصغير الذي يفتقد أمه في ليلة ظلماء قبل أن يلاحظ حازم يجلس على أريكة ما دون أن يخفض سلاحه. شعر حازم بشيء ما يحدث. عضلاته تتصلب و جسده يتشنج بعنف. آلمه جسده للحظات و لكن الألم ضاع بين غياهب النشوة التي شعر بها. شعر كما لو أن هناك شذي يتسلل من مخه ليتسرب لكامل جسده. يحتل كل خلية في جسده مُجبِلًا إياها لقشعريرة لذة منفصلة عن شقيقاتها. شعر كما لو أنه يجرب نوعًا جديدًا من المخدرات.امتلأت جبهته بالعرق البارد و أطلق آهة عميقة قبل أن يعتدل و عينيه تلتمعان في قوة خالصة. كما لو كان أمسك سلكًا كهربائيًا عاريًا و لكنه صعق بالبهجة و النشوة. شعر بالذكريات تتسلل لتملأ عقله و الأحاسيس تتسلل إلى قلبه لتختبئ خلف أحاسيسه الشخصية. للمرة الأولي يشعر كما لو أن بداخله عدة أشخاص. جسده يحتوي على عدة ذاكرات . لقد صاد ذكرياتهما و يشعر بهما بداخله. أغلق عينيه في نشوة بالغة و هو يشعر بالقوة النابعة عن كثرة عدد الذاكرات بجسده. ابتسم لاكتشافه نبع قوة لم يعرفه غيره. أو هكذا تخيل ..!

***

وقف حازم وهو يشعر بدغدغة كهربائية تنقش النشوة بداخله تتكرر كل بضع ثوان. رفع مسدسه مرة أخرى أمامه ومشى حتى وصل للسفير الذي يتأمل جثث حارسيه الملقاة أرضًا بفزع. وضع فوهة المسدس على جبهته. شعر السفير بالفزع فتراجع عدة خطوات أمام نظرة حازم الثاقبة وابتسامته الساخرة

وبحركة سريعة أمسك جسد جون المختبئ بداخله سكارليت التي شلها الخوف وأربكها الفزع، اختفى خلف الجسد وحاول أن ينسحب ببطء لكن حازم أوقفه بتساؤل صارم: "الآن تستخدم هذا الجسد كدرع بشري بينما منذ لحظات كنت على أتم استعداد لتقتلني دفاعًا عنه"

خرجت الإجابة من بين شفتي السفير مصبوغة بلون الخوف: "أنت ... أنت لا تفهم شيئًا"

"إذن أريد أن أفهم ... واحرص جيدًا على أن ينتحي خبثك جانبًا لأنني جربتك من قبل فوجدتك تحرص على إظهار بعض الأمور وإخفاء أمور أخرى لخدمة مصلحتك أنت ومن يرأسوك"

تقدم السفير من خلف الجسد الذي قادته سكارليت ليلتصق بالحائط في خوف باحثًا عن أي ذرة أمان تدفئ قلبه المرتعب، تحدث السفير بصوت خافت يغلب عليه الخوف: "صدقني يا حازم لم أُخفِ عليك شيئًا عن عمد ولكني أخشى عليه من جراء لعبتك الخطرة، أخفض فوهة مسدسك ودعني أفسر لك "

ظهرت الشراسة على كلمات حازم المنتشي بلذة الصيد: "تفسر لي؟؟ ولماذا لم تفسر لي منذ البداية؟"

"هناك أشياء عدم معرفتها نعمة من الله "

"كل المعرفة نعمة"

"كل المعرفة نقمة يا صديقي وأي نقمة، صدقني أن تعرف قليلًا يسعد قلبك ويعطيك أملًا حتى لو زائفًا خير من كل المعرفة التي تكسر القلوب وتصبغ النفوس بالسواد "

"حقًا أيها السفير؟؟. أترى الوقت مناسبًا لتلك المحاضرات المملة؟"

"صدقني أنت لا تعلم بواطن الأمور، وصدقني مرة أخرى أنت لا تريد أن تشترك في هذه اللعبة القبيحة ولا أن تدخل هذه العوالم القذرة"

تشنجت يد حازم الممسكة بالمسدس و ظهرت عروقها و بدا على وجهه أنه يصارع نفسه على اتخاذ قرار مهم، قرر السفير استغلال الأمر. سحقًا لجون و سحقًا لكل شيء في سبيل عدم كَشْفِ أيِّ شيء، يجب أن يحافظ على سرية الأمر بأكمله، مد يده ليمسك بجسد جون و بحركة دفع جسد جون بغتة ليصطدم بجسد حازم الذي ضغطت يده تلقائيًا على الزناد لتخرج لرصاصة طائشة لتصيب الحائط فوق رأس السفير الذي تجمد لوهلة يراقب الجسدين يسقطان أرضًا قبل أن يهرب و هو يصرخ بشيءٍ ما في جهاز إرسال يحمله، وقف حازم و خرج يعدو في طرقات البيت قبل أن يهبط السلم بسرعة و يخرج للشارع ليرى السيارة السوداء تخرج من الشارع بسرعة كبيرة،ابتسم بسخرية قبل أن يقول : "لنا لقاء قريب يا سعادة السفير"

صعد حازم درجات السلم بسرعة قبل أن يقف على آخر سلمة و هو يبتسم و يراقب الجسد الذي وقف بتوتر أمامه كمن وقع في المصيدة، تأمل ارتباك سكارليت بجسد جون و الخوف الذي يلمع في عينيها، للمرة الأولي يفهم جملة (يتغذى على خوفه) التي يقرأها في العديد من الروايات، كلما شعرت سكارليت بالخوف شعر بالثقة تدب في أوصاله و القوة تجري في عروقه، تقدم لتتراجع سكارليت حتى وقفت على باب الشقة، تأمل جسد جون الذي سكنه من قبل، دخل إلى الشقة و أمامه جون يرفع يديه عاليًا باستسلام، تنفس حازم بعمق قبل أن يقول لجون بلهجة المعتذر: "آسف، لا مفر مما سأفعل"

أنهى كلماته برصاصة انتزعت الحياة من جسد جون ليشعر حازم بنشوة صيد الذكريات بداخله مرة أخري. تهاوى جسد حازم على الأريكة مرة أخرى يتجرع لذة الصيد غير عابئ بالأجساد الثلاثة التي تفترش الأرض أو بنهر الدماء الصغير الذي يمر عبر شقته وغير واعٍ بأنه في مكانٍ آخر قد ظهرت علامة مضيئة صغيرة على خريطة في أحد المقرات السرية للمنظمة. رفع موظف مسؤول عن متابعة مستجدات الخرائط سماعة الهاتف وبمجرد أن سمع رد الطرف الآخر قال جملة مكونة من ثلاث كلمات

"لدينا صائد آخر"

تعلقت النظرات كلها بشينزو وصمت الجميع وهم يراقبونه في انتظار أول قراراته والذي سيمثل جزء كبير من مدي تقبل الجميع لرأيه. هذا القرار الذي سيحمل بين كلماته احترام شينزو لدي الجميع أو عدم تقبله كقائد ولأن شينزو يعرف جيدًا مدي حساسية كلماته التالية فقد صمت قليلًا تاركًا أفكاره تنضج قليلًا قبل إطلاق سراحها على شكل كلمات ستطير من بين شفتيه إلى آذان المستمعين. تلك الكلمات هي ما ستترك في قلوبهم الاطمئنان أو ستزرع فيها أشواك الخوف لذا تعلقت به الأبصار منتظرة قراره

الفكرة السائدة كانت ألا يخرجوا ولكنه بهذه السلبية يدمر أولى جسور الثقة التي بُنيت بينه وبين قلوب الجمع الذي يتطلع إليه. خرج شينزو بجسده المترهل ليقف أمام باب السفارة دون أن يهبط درجات السلم. أدار عينيه ليراقب ما حول السفارة ولكنه لم ير شيئًا. شكل الظلام عائقًا يجبعلى شينزو التغلب عليه قبل التوصل لقرار. مط شفتيه وهز كتفيه وهو يدخل لِيُطَمْئِنَ قلوبهم الوجلة: "حسنًا. يبدو أنها تعثرت أو شيءٍ كهذا لأنه لا أثر لمخلوق بالخارج. سنعود لاستكمـ ..."

صرخة أخرى جمدت الكلمات على لسانه قبل أن تجمد الدماء في عروقهم جميعًا و لكن هذه المرة كانت الصرخة تحمل آيات العذاب و قسمات الفزع. لم يكن هناك مفر من المواجهة هذه المرة. رفع عينيه ليبحث عن المسؤول بالسفارة فوجده يقف و علامات الوجوم على وجهه. هز رأسه بإشارة فهمها شينزو قبل أن يرحل بهدوء كما ظهر بهدوء. تماسك شينزو و

هو يلتفت ليواجه المجموعة التي عُرفت منذ قليل بكتيبة المحاربين، علامات التلهف على وجوههم كانت تعكس الكثير مما يعتمل في نفوسهم و بإشارة من يده انقسموا قسمين قام هو بقيادة قسم منهم و تولي فريد بإشارة أخرى منه قيادة القسم الآخر، ليس ثقة منه في فريد كما كان يقول و لكنه لأنه في هذه اللحظة تحديدًا لا يعرف غيره،، بلل فريد شفتيه الجافتين بطرف لسانه في محاولة لطرد التوتر و هو يقف أمام مجموعته ينظر لهم، أربعة أشخاص، رجلان و شاب و فتاة شابة، لقد حصل على الفتاة الوحيدة في المجموعة، دعا الله في سره أن تكون فأل حسن على مجموعته و ألا تكن نقطة ضعف فيها، تحرك شينزو بمجموعته قبل أن يلفت نظره صفارة حادة، التفت ليجد أحد رجال الأمن يلقي له ببندقيته، أمسكها شينزو و هو يطمأن من حشو رَحِمَهَا بالذخيرة قبل أن ينظر له نظرة تحمل الكثير من الامتنان و هو يتحرك ليخرج، و بنظرة تحمل المزيد من الاستنكار تلاقت عينا فريد و رجل الأمن، شعر رجل الأمن بالحرج فألقي له بمسدسه الشخصي الصغير، قلبه فريد بين يديه و كاد أن يعيده له مرة أخرى في يأس لولا أن أمسكه أحد الرجلين و بحركات سريعة اطمأن لها قلب فريد تبين منها أنه محترف فيما يتعلق بالسلاح، خرج شينزو بمجموعته ليتجه ناحية اليسار قبل أن يشير لفريد أنه المسؤول عن جهة اليمين، هز رأسه بتوتر و هو يراقب شينزو يختفي في أحضان الظلام، تقدم الرجل الذي يحمل المسدس المجموعة بينما أشار فريد للآخر أن يظل في مؤخرة المجموعة و تولي هو الميمنة مع إشارة للشاب أن يتولى الميسرة ليحيطوا بالفتاة و يحكموا سيطرتهم و حمايتهم لها، بقلب يرتجف و ملامح تحمل ثقة زائفة،اتجه يمينًا ليسمح للظلام أن يبسط سيطرته على مجال رؤيته، لحظات و هو يكافح بعينيه في الظلام قبل أن يشعل الشاب قداحته لتبدد الظلام و تسمح للضوء أن ينتشر مصحوبًا

بالأمان، مشوا قليلًا و المسدس و حامله يتقدمانهم، نقل بصره بقلق بين الأشياء الموجودة في محيط السفارة، كل شجرة و كل مجموعة حشائش و كل صندوق قمامة يبدو أنهم وُجِدُوا لكي يختبئ خلفهم الخوف منتظرًا أن يمس القلوب في لحظة غادرة، شعر بحركة بسيطة من خلف إحدى الشجيرات فأشار لحامل المسدس أن يتجه عن يمينها و يذهب هو عن يسارها، تحركا ببطء و حرص كي لا يَصْدُر عن أحدهما صوتًا ينبه المجهول لقدومهما، أشار للشاب أن يغلق القداحة قبل أن يهجم بحركة سريعة ليمسك بجسدًا صلبًا شهق في عنف، صرخ بحامل القداحة أن يشعلها، دنس ضوء القداحة المرتعش قدس الظلام، رأي فريد ما أمسكا به و لكن القداحة سقطت من يدي الشاب في غمرة ارتجافه و هو يتراجع بينما ندت عن فريد صرخة قصيرة حاول أن يعترضها و لكنه فشل، كان شبح إنسان و لكنه ليس بشريًا، هذا الشيء ليس بشريًا على الإطلاق، في اللحظات القليلة التي سطع فيها ضوء القداحة رأي فريد جسدًا يغلب عليه اللون الرمادي الباهت يشبه تكوينه الخارجي تكوين الإنسان، تتناثر في رأسه الكبير بضعة شعيرات تكاد تعد طويلة و لكن قلتها مع كبر حجم الرأس يعطوك انطباعًا أنك تراقب شيطانًا فقد شعره، أحدب، طويل القامة و قصير القدمين، له عينان بلا حدقات ينبعث منهما الشر لِيُرْجِفَ أشجع القلوب بينما وجهه ملطخ بأوساخ لا يعرف كنهها، ضلوعه تخترق لحمه لترسم لوحة مرعبة على صدره بينما غطي عورته بقطعة قماش بالٍ تكشف أكثر مما تستر، حاول هذا المسخ أن يتحرك بعنف و لكن فريد أحكم قبضته عليه، سمع الجميع في الظلام صوت زمجرة و لم يعرف أَيُّهم من أيهما يخرج، لم يضيع المزيد من الوقت، صرخ برجاله بلغة إنجليزية أن يقتربوا، شعر بحركتهم في الظلام و حاول أن يدلهم على مكانه كي يساعدوه و لكنه قبل أن يفتح فمه شعر بشيء صلب يصطدم بمؤخرة رأسه بشكل

يدل على عدم دقة التصويب و أن ضاربه يضرب بيديه عشوائيًا في الظلام. شعر بدوار يغتصب تركيزه و لكنه صمم ألا يفلت المسخ الذي يخور بين يديه و ينتفض بقوة كبيرة. شعر بيد أخرى تساعده في الإمساك به قبل أن تصيب ضربة طائشة أخرى رأس المسخ ليتهاوي على صدره بحركة تدل على فقدانه للوعي أو للحياة. بحث صاحب القداحة عنها أرضًا بسرعة قبل أن يجدها لينير بها المكان ليجدوا الفتاة ممسكة بصخرة مدببة ملطخة بدماء المسخ الذي شُجَّتْ رأسه بقوة بينما الدماء تغطي مؤخرة رأس فريد بقوة. و في الظلام وَجَّهَ نظرة نارية للفتاة التي ارتبكت و تركت الحجر يسقط أرضًا. ساعد الرجلان فريد بأن حملا المسخ من بين يديه بينما خلع الفتي صاحب القداحة القميص الذي يرتديه و حاول كتم شلال الدماء المتفجر من رأس فريد الذي تقدم الجمع و هو يحكم قبضته على القميص الذي امتلأ بالدماء. دخلوا إلى السفارة و هم يحملوه ليسمعوا شهقات و صرخات تَعَجُّب تولد من بين ألسنة مشدوهة و شفاه ذاهلة. وقفوا و هم يلقون بجسد المسخ أرضًا أمام الجميع و فريد يقول و هو يعض شفتيه مقاومًا ألمه : "يبدو أن هذا مصدر الزئير"

سمع صوت شينزو من خلفه وهو يقول: "وللأسف يبدو أن هذا مصدر الصراخ"

نظر لشينزو متأملًا ما بين يديه لوهلة قبل أن تتقافز شياطين الدهشة أمام عينيه بقوة

***

كان شينزو يمسك بين يديه بقطع ممزقة من القماش التي لا ترقي للقب ثوب، تملأها الثقوب و تصبغها الدماء بحمرة مخيفة،اقترب فريد من شينزو و هو يتأمل الرداء الممزق، بنظرة بسيطة و بدون الحاجة لأطباء شرعيين ستعرف جيدًا أن صاحبة هذا الثوب لم تعد على قيد الحياة، من المستحيل أن يتعرض الثوب لكل هذه الثقوب و التشققات و يمتلئ بتلك الكمية من الدماء دون أن تتوفي الفتاة التي ترتديه و إلا كنا في أحد الأساطير التي لا تُصدق، ضغط فريد القميص على مؤخرة رأسه بقوة و هو يأن لينتبه شينزو للمرة الأولي للدماء التي تغطي مؤخرة رأسه و تملأ قميصه و بنظرة حائرة بعث بسؤال رده فريد بنظرة مطمئنة، ندت حركة خافتة عن المسخ المُلقَى أرضًا، شيء يشبه الارتجافة البسيطة و لكنها تركت أثرًا ضخمًا داخل القلوب، الكل توجس و تأهب إلا فريد الذي ترك القميص الممتلئ بالدماء يسقط أرضًا و هو يخطو تجاه المسخ ليقف خلفه قبل أن يبدأ في ركل مؤخرة رأسه بقوة، بعد ثلاث أو أربع ركلات انتبه شينزو إلى أنه لا يستطيع السيطرة على نفسه فأمسك بذراعه ليجذبه بعيدًا، نظر فريد نظرة أخيرة للمسخ الذي عاد لسباته مرة أخرى قبل أن يترك ذراع شينزو تقوده، لحظات و كانا بمفردهما، لاحظ فريد القلق و الخوف في عينا شينزو فتمالك أعصابه و هو يسأله : "ما الأمر؟"

نظر شينزو للأرض وهو يجيب: "في الحقيقة أنا لم أجد الرداء فقط، وجدت شيئًا آخرًا لم يراه سواي"

تطلع فريد إليه للحظة غلبه فيها فضوله و قبل أن يسأل مد شينزو يده إلى جيبه ليخرج قطعة من الرداء ملفوفة حول شيء ما،انهمك في فكها قبل أن يضعها في يد فريد إلى تأملها، قطعة من كف امرأة عبارة عن إصبعين تربطهما قطعة من اللحم الذائب و لكن هذا لم يكن المفزع في

الأمر، المفزع كان في أحدي الأسنان الحادة التي تعلقت بقطعة اللحم. هذا هو الفيصل و ذاك هو الدليل. هذا المسخ هو من قتل تلك السيدة و مزقها بتلك الوحشية. فجأة و بدون مقدمات ترك فريد شينزو وحيدًا و أخفي قطعة اللحم و هو يتحرك ليصل إلى المسخ. فتح فمه أمام الجميع و فحص أسنانه وسط الأعين التي تراقبه بدهشة قبل أن يعود لشينزو ليخبره أن فكه سليم و بلا أي أسنان ناقصة. ظهر القلق في أعين شينزو و هو يسأله : "هل تعلم ماذا يعني هذا الأمر؟"

ودون أن ينظر له فريد أجاب بصوت مرتجف: "هناك آخرون"

أجابه شينزو : "حسنًا لا تخبر الآخرين بما رأيت. أنا لم أخبر أي شخص. أريد أن أعود أولًا للمسؤول لأستشيره، بمجرد أن تحرك شينزو ليستعيد القطعة من بين أيدي فريد سمعا صوت صرخات حادة.التفتاالإثنان بعنف ليراقبا ما يحدث، استيقظ المسخ ليقبض على طفل صغير بين أسنانه. سالت الدماء فوق ذراع الطفل الذي يعضه المسخ بينما يتقافز فوق السلالم ليهرب بفريسته بعيدًا عن الناس، أغلب الناس قد التصقوا بالحوائط و الممرات خوفًا منه و صمت الجميع تمامًا و لو استطاع بعضهم أن يمتنع عن التنفس لفعلها. الخوف هو الحاكم و القلوب رعية مخلصة لا تناقش و لا تجادل و إنما تسجد رعبًا تحت أقدامه. تحرك شينزو و فريد بسرعة دون تفكير و صعد كلًا منهما من سلم و هذا يعني أن أحدهما سيواجهه و الأخر سيكون خلفه. من الأفضل الأن أن يواجهه فريد لأنه أعزل بينما سيستطيع شينزو أن يعالجه برصاصة تستقر في رأسه من خلفه دون أن يدري به. في البداية كانت صرخة شينزو العالية هي أول ما لفت نظر المسخ و أثار غضبه ففتح فاه ليزأر بقوة. سقط الطفل أرضًا و هو يمسك ذراعه و يتأمل الدماء بفزع يزيده فزعًا فيبكي

بقوة، أشار له فريد أن يزحف بعيدًا فبدأ التحرك ببطء و هو ينظر للمسخ بخوف، تأمله المسخ للحظة قبل أن يقرر أنه لا مجال للجوع الآن، الأولوية للانتقام من هذا البشري الغبي الذي يتحداه،اقترب من شينزو ببطء و تأمل خوفه و تراجعه فاقترب و هو يزأر بعنف و لعابه يسيل بطريقة مرعبة، حمل فريد مزهرية صغيرة و أمسكها جيدًا و هو يعدو قبل أن يقفز في الهواء و هو يصرخ ليضرب بها المسخ الذي التفت في سرعة و هو يلطم فريد الذي طار في الهواء لوهلة قبل أن يصطدم بالحائط و يسقط أرضًا تاركًا خيطًا من الدماء التي سالت من جرح رأسه الذي فُتِحَ من جديد،التفت المسخ ليواجه شينزو الذي رفع أمامه بندقيته مهددًا برصاصاتها،ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي المسخ الغليظتين و هو يمسك فوهة المسدس و يثنيها للأعلى قبل أن يمسكها و يجذبها من بين يدي شينزو و يلقيها بعيدًا و هو يزأر في وجهه بقوة انخلع لها قلبه، تساءل فريد في سقطته عن سر هذه القوة التي امتلكها فجأة المسخ، يبدو أن حظهم حسنًا فقد واجهوه متسلحين بسلاح المفاجأة في المرة الأولي، تسلل فريد ببطء و هو يضع الطفل خلف ظهره ليحميه و هو يشير له بالصمت كي لا ينتبه المسخ لهم، تراجع شينزو إلى أن شعر بالحائط يعيق تراجعه فالتصق به بعنف و هو ينظر لفريد خلسه كي يتحرك، اقترب المسخ منه و رأي شينزو ابتسامة شر تتلاعب في عينيه، فتح فمه و زأر و هو يقترب منه لدرجة أن شينزو اشتم رائحة فمه الكريهة فأغلق عينيه و هو يدير وجهه للجهة الأخرى، سمع فريد همس باسمه فتحرك ببطء ليجد الشخص الذي يحمل المسدس يقذفه له بعنف، من سوء حظه أن شينزو نظر له في تلك اللحظة فرآه المسخ، تأمل المسخ ما يحدث قبل أن يفهم ما يحدث، تحرك بسرعة قبل أن يلتقط فريد المسدس، رأي المسخ يقترب منه فقرر أن يركله ليعيد تصويبه تجاه شينزو، سقط المسدس بجوار شينزو قبل

أن يسقط المسخ فوق فريد و يتدحرجا معًا لوهلة قبل أن يسيطر المسخ على الأمر و هو يضغط على رقبة فريد الذي ازرق وجهه و هو يجاهد من أجل جرعة هواء قبل أن يسمع الجميع صوت رصاصة. لحظات و سقط المسخ فوق جسد فريد الذي استغل الفرصة ليتحرك بعيدًا عنه و هو يشهق بعنف طالبًا المزيد من الهواء. نظر فريد لشينزو نظرة تحمل الكثير من الشكر قبل أن يلاحظ بقلق أن شينزو يعاني. في البداية اعتقد أنه أصيب أثناء هذا الصراع و لكنه سرعان ما وجد شينزو يضع يديه على عنقه و عينيه تدوران في محجريهما كأنه يبحث عن الهواء. عروق رقبته برزت و هو يتشنج بعنف بالغ. سقط أرضًا و جسده يرتجف بعنف بالغ. صرخ شينزو بعنف قبل أن يبصق دمًا و هو يغلق عينيه و يهدأ تمامًا. اقترب فريد منه و ركع بجواره و هو يطمأن عليه قبل أن يقفز شينزو فجأة و هو يزأر ليتأمل فريد ملامحه بدهشة لا تُصدق

(8)

نظر لانعكاسه في مرآة المصعد وهو يتأمل حلته رمادية اللون ومدي تناسقها مع عينيه الرماديتين وشعره الأسود للحظة قبل أن يضبط كمي قميصه ويعيد ضبط رابطة عنقه، فُتح الباب فخرج ليَجول بنظره في بعض الأشخاص الواقفين في صمت انتظارًا للمصعد إلا أنه لم يعرف أي شخص فيهم. تجاوزهم بخطوات سريعة وهو يقطع الممر تجاه وجهته، وقف أمام الباب المغلق وهو يلتقط أنفاسه ويحاول كبح جماح وحش توتره.

تنفس بعمق. يعلم جيدًا أهمية و خطورة المهمة الملقاة على عاتقه، في أقل من ثلاث ساعات ظهر على خريطة العالم آثار لثلاثة صائدين و يجب عليهم أن يقوموا بعمل اللازم قبل أن يتوحش أي صائد، طرق الباب ثم توقف ليلتقط أنفاسه و هو ينتظر الإشارة التي ستأتيه لتأمره بالدخول، تعلقت عيناه بالمصباح الصغير المعلق في إطار الباب و الذي يلتمع باللون الأحمر. لحظات ثقيلة مرت زاد فيها توتره قبل أن تتحول إضاءته للون الأخضر. سمع تكة مميزة صدرت عن قفل الباب، دلف إلى الغرفة بهدوء و هو يتنفس بعمق. أغلق الباب خلفه و وقف لحظة ينتظر أي إشارة أخرى لكي يستطيع التصرف كما تَعَلَّم. أثناء وقوفه ظل يتأمل الغرفة. جدرانها المصمتة التي لا تحوي أي نوافذ أو فتحات سوى الحائط الأخير الذي يحتضن باب الدخول. تتمركز طاولة ضخمة في منتصف الغرفة و يتجمع حولها أربعة كراسي وثيرة.اثنان جهة اليمين و آخران جهة اليسار، بينما كرسي خشبي غير مريح يواجه الشاشة الضخمة الموضوعة على المنضدة

في مواجهة الباب، جلس على الكرسي الخشبي و طفق ينتظر لوهلة قبل أن تُفتح الشاشة ليطل عليه سلويت لشخص ما أسود اللون بلا ملامح، و بصوت معدني تحدث الرجل : "مرحبًا بك يا رمزي"

"مرحبًا يا سيدي "

تابع الشخص الاخر حديثه الجاد بصوته المعدني المنبعث من الشاشة: "أرجو أن يكون الأمر مهمًا، أنت تعلم أن هذا الاتصال يجب أن يتم في أضيق الحدود "

"أعتذر يا سيدي ولكن الأمر لم يحتمل الانتظار"

" ما الأمر الطارئ؟"

"ظهر ثلاث صائدين خلال أقل من ثلاث ساعات وفي أماكن مختلفة من العالم "

"مصري وإسباني ونيوزيلاندي، أليس كذلك؟"

"أجل يا سيدي ولكن ...."

قاطعه الصوت المعدني وقد شابته لمحة من الغضب: "لكن ماذا؟؟، من المستحيل أن تكون زيارتك للاستعلام عن الخطوات اللازمة للقيام بالعمل !!، أنتم مدربين على أكمل وجه ومنذ عدة سنوات لكي تستطيعوا مجابهة أي طارئ يحدث، أليس كذلك؟"

ظهر الارتباك على وجه رمزي فحاول أن يستدرك نفسه: "نعم ولكن ..."

للمرة الثانية يقاطعه الصوت بغضب: "هل شعرت بالفزع !، رمزي يا صغيري، لا مانع من اعترافك بالشعور بالفزع، لهذا وجد الدعم وفرق السيطرة"

"جسنًا لم أشعر بالفزع ولكن ...."

بصرامة وحدة سأله الصوت: " لماذا أتيت وطلبت هذا الاجتماع الطارئ؟"

نظر رمزي للملف الذي يمسكه بيده وهو يقول: "الأمر ليس بخصوص الصائدين"

"بالطبع ليس بخصوص الصائدين، أعلم أن هناك ثلاث فرق تحركت بالفعل للقيام بالمُتعارف عليه ... ما الأمر؟"

تنحنح رمزي وبدا الارتباك جليًا ليعبث بهدوئه ويبدو أن رئيسه قد شعر بالملل فقرر مبادرته بالسؤال: "هل الأمر بخصوص الهمج؟"

"بالعكس يا سيدي، اتفاقاتنا مع رؤساء الهمج سارية ونمدهم بكل ما يحتاجونه من سلاح ودعم لكي يستمروا في فرض الفوضى حول العالم، الفوضى التي تمكننا من تمرير آلاف وآلاف الأمور من تحت الأنوف بينما البشر منهمكين في متابعة أخبار الهمج وقلوبهم تنخلع منهم رعبًا"

"هل خرجوا عن السيطرة؟"

"بالعكس تمامًا. قيادات الهمج لا يهمهم أن يستقر الأمر أو أن يشتعل العالم بنيران الدم والفساد طالما حساباتهم في البنوك تزداد وتسمن وطالما ندفع فاطمئن لأننا نملك زمام السيطرة"

"والمسوخ؟"

"كما تعلم فالمسوخ نستطيع السيطرة عليها ونتحكم بهم. نقوم بتخديرهم ونقلهم للمكان الذي نريد أن نسيطر عليه بسلاح الخوف، وأنت تعلم فكلما زاد خوف الإنسان كلما زادت قابليته لتصديق أي شخص يحمل راية الأمان أو على الأقل مجرد كلمات ووعود عن الأمل"

"ورجالنا؟؟ هل هناك مشاكل تواجههم؟"

"رجالنا في أماكنهم ويقومون بالخطة المرسومة لهم تمامًا وكلما انتهي أحدهم من دوره رحل وترك مكانه لشخص جديد ليستكمل رحلته ولكن بسياسات جديدة وروح جديدة، الأمر ليس له علاقة بكل هؤلاء"

"إذن ما الأمر، أنت تعلم أن وقتي ضيق للغاية ولا يحتمل كل هذا الإهدار"

"سيدي الأمر بخصوصي أنا "

"هل تريد أن تترك عملك هنا؟"

"بالطبع لا يا سيدي وهذا لسببين مهمين، الأول أن من يترك عمله هنا لا يجد عملًا آخرًا سوى في الجحيم، أعلم هذا جيدًا كما أعلم أنني لن أعيش لأخرج من باب تلك الغرفة إن قررت أن أترك عملي"

"والسبب الآخر "

"أنني أستمتع بهذا الأمر، كم شخص حول العالم يتاح له القيام بدور المسيطر؟"

ضحك الرئيس ضحكة جافة وهو يسأله: "إذن ماذا تريد؟"

ظهرت الجدية على ملامح رمزي وهو يفتح الملف الموضوع أمامه على المنضدة وهو يقول: "أريد أن أكون على رأس العملية الميدانية المتوجهة لأحد هؤلاء الصائدين"

صمت مديره للحظة وهو يقول: "ولكنك لست من هواة العمل الميداني !. عمومًا لن أعارضك. لك ما تُريد"

"أشكرك يا سيدي وأعتذر عن إضاعة وقتك"

أنهى رمزي كلماته وهو يقف ليحيي رئيسه قبل أن يُهندم زيه قليلًا وهو يستعد للخروج، أُغلقت الشاشة ليعم الهدوء بينما رمزي مستمر في تأمل الصورتين الراقدتين أمامه في الملف قبل أن يختار صورة ويقبض عليها بعنف وهو يلقيها أرضًا بغضب بالغ، صورة حازم!

تأمل فريد وجه شينزو الذي تتبدل ملامحه بقوة. شعر كما لو أن هناك شخصان تحت هذا الجِلد وكلاهما يصارع الآخر على أحقيته في الحصول على هذا الجسد، كلاهما يسعي لاحتلال هذا القالب البشري. بدا شينزو كما لو كان يختنق، ظهرت عروق رقبته جلية بينما كادت الأعصاب تتقافز من ساعده وهي تنبض بعنف تحت جلده.

تبدلت ملامحه و كأن وجهه مكون من صلصال و يتبدل بسرعة بأيد نحات بارع يعيد قولبته وهلة ليشبه المسخ و يحسن خلقته مرة أخرى ليعيد ملامح شينزو بينما تتيه ملامحهما في بعضها البعض لأوقات كثيرة. سقط شينزو على ركبتيه مرة أخرى و هو يصرخ بقوة، هذه المرة صرخته جاءت من حنجرة بشرية محملة بالألم، تداعي جسده و بدا لوهلة كما لو أنه سيسقط أرضًا، حاول فريد التحرك لنجدته و لكن قبل أن يتحرك فريد كان شينزو قد ارتكز على ركبتيه بينما قبضتيه حملتا جسده و منعتاه من السقوط، كان يلهث بعنف و قوة و العرق البارد يسيل على وجهه بغزارة، وقف و هو يتعلق في ملابس فريد، مد فريد يديه ليعينه و عندما وقف شينزو بشكل صحيح تحدث بصوت خافت : "فريد، هذا الوغـ ... هذا الوغد قوي"

تساءل فريد والحيرة تنهش روحه قلقًا على زميله: "ما الذي يحدث؟؟ "

"ذكريات هذا المسخ تتعامل مع جسدي بعنف، تريد أن تحتل جسدي"

"تحتل جسدك!"

"أصارعه بكل ما استطعت من قوة ولكن في أي لحظة ضعف قد يحاول مرة أخرى وبصراحة ربما يتسلل لي في وقت ما أكون مشغولًا أو نائمًا"

هز فريد رأسه ليطمئنه و لكنه لم يفهم معني جملته (تريد أن تحتل جسدي)، ما الذي يقصده باحتلال الجسد و كيف انتقلت ذكريات هذا المسخ إلى جسد شينزو ؟، هل لعالم هؤلاء المسوخ قوانين خاصة أم أنها قوانين جديدة ظهرت بعد تلك الظاهرة !!، ترك أفكاره جانبًا و هو يتجول بنظره على الجمع المحتشد بالأسفل يتابع النقاش الجارى بينما جسد المسخ يرقد أرضًا بلا حراك، الطفل ينتحي أحد الأركان و يبكي خوفه، استجمع شينزو قواه ليخلق ابتسامة أمل مرهقة ظهرت على ملامحه و هو ينظر للمجتمعين بالأسفل يبحث عن طمأنتهم، عاد بعض الموظفين لمتابعة أعمالهم و بدأت تجهيز هذا الجمع للسفر بحثًا عن أجسادهم، فُتح الباب فجأة ليظهر على عتبة الموظف الذي تابع شينزو بنظراته دون أن ينبس ببنت شفة، ترك الباب مفتوحًا و غاب في الظلام و بدون أي كلمة تبعه شينزو بهدوء و هو يغلق الباب خلفه، لم يدرِ فريد ماذا يفعل فشغل نفسه في العد، هناك حوالي تسعة و ستون امرأة، أربعة و عشرون فتاة شابة، درجات السلم مائة و ثلاثون، دقائق ثقيلة مرت كضيف ثقيل على قلب فريد قبل أن يخرج شينزو من الباب و يغلقه خلفه و دون أي كلمة قبض على يد فريد بعنف و هو ينتحي به أحد الأركان، نظر له بدهشة و هو يسأله : "ما الأمر؟"

ظهر التصميم على ملامح شينزو وهو يقول: "لن أستكمل عملي كمحارب في كتيبة المحاربين"

ذُهش فريد ورفع حاجبيه للأعلى وهو يسأله: "لماذا؟ ما الذي حدث بالداخل؟"

أجابه شينزو بنبرة واثقة: "هذه المسوخ قوية للغاية. لن يستطيع أي شخص القضاء عليها، تحتاج لإصرار ولقوة إرادة وإلا تحول قاتلها لمسخ بدوره وأعتقد أنك قد حضرت صراعي ضد أحدهم"

سأله فريد: "وكتيبة المحاربين؟؟ "

"تناقشت مع المسؤولين وقررت تركها أمانة بين يديك، عليك أن تعدني أن تتولي محاربة هذا الخلل العالمي وأن تساعد كل مرء في الحياة أن يسترد جسده أو ذكرياته أو حتى محبوبه "

أجابه فريد والدهشة تزحف على ملامحه: "ولكن ... ولكنني أخبرتك أنني سأعود إلى مصر في رحلة بحث عن حازم صديق عمري، أعلم جيدًا أنه يحتاجني، وأيضًا هل سأحتاج للانضمام للمؤسسة؟؟"

"المنظمة يا فريد، ولا لن تنضم لهم، سأكون أنا المسؤول عن الوساطة بينكم، وما المانع أن تساعد صديقك وتكون قائدًا لكتيبة المحاربين حول العالم في نفس الوقت؟"

" تقصد أنني أستطيع القيام بالأمرين معًا؟؟ "

"وما المانع؟؟، بالعكس سيساعدك المحاربين في مهمتك ويكونون خير سند لك بدلًا من أن تبحث بمفردك"

فكر فريد للحظة في العرض لكنه لم يستطع أن يتخذ قرارًا نهائيًا لأن شينزو سرعان ما تبدلت ملامحه مرة أخرى وهو يسقط أرضًا ويمسك رقبته بشدة وكأنه يختنق، ملامح وجهه تشع بالحزن الدفين، يديه تقبضان على عنقه وكأنه يحمل الحياة لهما، بدأت شفتاه تزرقان وبدأت الحياة تهرب من جسده، نبضة الحياة تركت قلبه وحيدًا وهمت أن ترحل

بعيدًا لولا أن أسرع فريد وهو يبعد يديه عن عنقه ويصارعه، شهق شينزو بعنف وكأنه يغرق في بحار من هم ويأس، وقف مرة أخرى وهو يشكر فريد. سأله فريد بحيرة: "ما الذي حدث؟؟ "

"لقد حاول الوغد ثانيةً ولكنني كنت أقوي منه فقرر أن يوجه طاقاته صوب أمرٍ جديد"

ظهرت الدهشة على وجه فريد بينما استكمل شينزو حديثه : "علم اللعين أنني قوي و أستطيع مقاومته فقرر أن يهاجم هذه المرة على محورين و ليس على محور واحد، بدأ هجومه بأن بحث في ثنايا روحي عن أكثر ما يحزنني، شعرت كأنني أشاهد فيلمًا حزينًا يدعو لذبول القلب و انطفاء الروح، رأيت يوم وفاة أمي و هي غاضبة عليّ، يومها كنت بعيدًا، أخبروني أنها على فراش الموت و تطلبني و لكن قسوتي لم تسمح لي بإعطائها فرصة أخيرة، رأيتني أهمل التعامل مع أبي، أبي الذي تحول لجثة على قيد الحياة بعد وفاتها و كأن روحاهما تعلقتا ببعضهما البعض، ذوى والدي و بدأ في الانعزال و كعادة أي ابن جاحد ترك الدنيا تسحبه من يده لتلقي به في سلسلة من المشاغل تركته بين يدي ممرضة لم ترعه بشكلٍ كافٍ فمات، مات ليتم يتمي في عالم لا يعرف الرحمة، شعور بانكسار الظهر هاجمني، شعور لن و لم أشعره -من قبل، أتدري حيث تكون مرتكزًا على حائط يسندك كي لا ينكسر ظهرك و فجأة بلا أي مقدمات يُكسر الحائط فهوي الأمان من تحتك،الأدهى أن تعلم أنه لا علاج لهذا الكسر، أتعرف عندما تتركك من ملكت روحك، حبيبتك الوحيدة، أتدري الشعور حيث تجف روحك كالصحراء الجرداء و أن تشقق شمس الهجر قلبك فيتفتت أمامك و أنت تعلم أن كسوره لا تلتئم، حين يصبح الكذب ضرورة يومية للحياة، أن تظل تخبر نفسك و الآخرين أنك بخير بينما أنت أبعد ما يكون عن

الخير. أن تظل تبتسم أمام الناس بينما بداخلك تقام مراسم العزاء لروحك التي ماتت بلا رجعة. أن تعيش للتنفس غصبًا عنك و أنت تتمنى كل يوم لو أن قلبك توقف فجأة. أن تشعر أن تعيش. فقط لأن الله قدر لك الحياة بينما أنت ميت وروحك ميتة بأيدي عباد الله. كل هذه الذكريات تقافزت بداخلي و قبل أن أفهم ما حدث وجدته يتحكم بيدي ليجعلني أختنق. كلما حاولت المقاومة ضخ إليَّ المزيد من الذكريات المحزنة الكئيبة. أشكرك يا صديقي لأنك أنقذتني"

هز فريد رأسه متفهمًا ولم يعلق على مَرْثِيَّةِ الوجع التي ألقاها شينزو والتي أحيت بداخله المزيد من الآلام، صمت شينزو للحظة قبل أن يقول لفريد: "عدني يا صديقي أن تصبح محاربًا"

صمت فريد لوهلة قبل أن يقول: "أعدك يا شينزو أن أستعيد جسدي وأقود كتيبة المحاربين "

هز شينزو رأسه: "لا تستطيع ... قُدر لك ألا تستعيد جسدك وسأحرص على ذلك حتى لو وصلت إليه قبلك "

"ماذا تعني؟"

"لكي تكون محاربًا يجب أن ترضي بالجسد المقدر لك. ألا تستعيد جسدك نهائيًا "

"سأستعيد جسدي"

"سأمنعك !!. سأمنعك حتى لو كان هذا آخر ما سأفعله!"

***

حدق فريد في وجه شينزو بأعين تحولت حدقتاها إلى علامات استفهام. حاول أن يستفسر منه عن كلمته الأخيرة إلا أن الدهشة ألجمت لسانه. لم يتوقع أن يهدده شينزو !!، ولكن لم لا؟؟

هو لا يعرف شينزو سوى منذ بضعة ساعات، اقترب من شينزو وهو يضع يده على كتفه ويحاول أن يبث موجات من الطمأنينة في صوته وهو يقول: "شينزو ... أريدك أن ترتاح لأن التوتر ليس جيدًا بعد ما واجهت "

تركه فريد وهَمَّ بالرحيل لولا أن شينزو استوقفه وهو يجذبه من كتفه ويديره بيدٍ جعلت من القوة شعارها، تأمل عينيه وهو يقول: "فريد ... من فضلك افهمني"

"شينزو ... الأمر مرفوض، لن أكمل حياتي بهذا الجسد بهدف الكفاح من أجل العالم "

"يا صديقي الأمر لا يحتمل غير هذا، ألا تقدم لعالمك تضحية صغيرة؟؟"

"شينزو .. أنت مواطن ياباني، تعلمت معاني لكلمات لا نعرفها في أوطاننا العربية، أتعلم ماذا يحدث حين تقدم شيئًا جيدًا لوطنك، حين تضحي من أجل بلدك، حين تتفاني من أجل تراب موطنك، تكرمك دولتك وتقدر لك ما فعلت أما في أوطاننا العربية فلا تلتفت لك دولتك لتكرمك ولا حتى بكلمة شكر بسيطة!"

ارتفع حاجبا شينزو وهو يترك كتف فريد: "إذا كنت تضحي من أجل كلمة شكر أو تقدير فلا تضحي، التضحية أساسها الارتقاء بوطنك، بعالمك، ببلدك وليس كلمات تكريم أو شكر"

احتج فريد: "ولكن كلمات الشكر لها عامل معنوي "

"وأيضًا رفعة عالمك وتطورك لها دافع معنوي أكبر. هل كلمة شكرًا سترضي غرورك أكثر من ارتقاء وطنك لسلم التطور وركب الحضارة؟؟ "

صمت فريد ولم يجد بين ثنايا روحه ردًا فنظر أرضًا بخجل بينما تابع شينزو: "لهذا تقدمت اليابان بعدما دُمرت تمامًا ولهذا تأخرتم رغم كل مقوماتكم التي تؤهلكم لتمتلكوا العالم. هل لك الآن أن تسمعني؟"

هز فريد رأسه وهو يرفع عينيه: "أمامك حلان. الأول ألا تتخلى عن هذا الجسد وأن تقود كتيبة المحاربين لكي تعيد كل مواطني العالم إلى أجسادهم. أن تهب حياتك وحياة كتيبة المحاربين لدعم المهاجرين من أجسادهم والتائهين عن ذكرياتهم ومساعدة حكومات العالم "

"والآخر؟؟ "

"أن تعود لجسدك وتقود كتيبة المحاربين بجسدك الشخصي لكن لن تكون كلمتك مؤثرة بنسبة كبيرة على تابعيك لأنك آثرت أن تستعيد جسدك وألا تقدم تضحيتك الشخصية من أجل علاج مشكلة عامة "

صمت فريد وهو يقارن بين الاحتمالان في ذهنه دارسًا إيجابيات وسلبيات كلًا منهما في ذهنه قبل أن ينظر إلى شينزو وهو يسأله: "هل ستدعمني في اختياري؟؟"

"يجب أن تعلم أولًا أن لكل اختيار تضحية يجب أن تقتنع بها "

"هل لي أن أعلمها أولًا؟؟ "

"بالطبع لا. أريد أن يكون اختيارك تابع لقناعتك الشخصية حتى تستطيع أن تتحمل قدر تضحيتك"

"إذن سأستعيد جسدي أولًا ومن ثم أقود كتيبة المحاربين"

"حسنًا، أتمنى أن تتحمل تبعيات اختيارك"

"ماذا تقصد؟"

ابتسم شينزو ابتسامة خفيفة وهو يستدير ليرحل، فتح الباب ووقف على الباب وقال دون أن ينظر لفريد: "فلتدعو الله أن تصل لجسدك قبلي"

أنهى حازم تنظيف شقته، مسح الأرضية من نهر الدماء الجارى فيها و وضع الثلاث جثث بلا نظام في غرفة داخلية و أحكم غلقها جيدًا، رتب بعض قطع الأثاث التي تحركت من مكانها قبل أن يجلس على أريكته و هو يغلق عينيه و يكاد يستسلم للنوم لولا أنه سمعهم، يبدو أن هناك من يصعد السلم ببطء و حرص لكن حذَر حازم جعل من تسللهم أمرًا سخيفًا. في نفس اللحظة التي اعتدل فيها سمع صوت الخطوات يتوقف أمام شقته، لم يسمع شيئًا آخر و لكنه تخيل بعض الملثمين بالخارج، أمسك مسدسه و أخرج خزينته و هو يتأمل الرصاصات الراقدة بداخلها قبل أن يدسه في حزامه ليلامس جسده و هو يخرج قميصه ليخفيه، أسرع يتناول إحدى السكاكين التي رقدت على منضدة قريبة، وقف بجوار الباب و هو يطمئن نفسه بأن الباب حينما سيُفتح سيخفيه عن أعين المهاجمين، أمسك سكينه جيدًا و قبل أن يستعد فوجئ بباب شقته ينهار ليسقط أرضًا، لم يتوقع عنف هذا الهجوم، توقع أن يعالجوا الباب ببطء لكي يُفتح لكن هذا التصرف ينبأه أنهم قرروا نقل الصراع إلى ساحة أخري، ساحة الدم و العنف، دلَفَ ملثم من الباب و وقف أمام الباب مما جعله أمام حازم، أسرع حازم ليستغل عنصر المفاجأة و يقبض على عنقه و يحيطه بيديه و هو يضع نصل السكين على رقبته، أدار جسده بقوة ليواجه باقي المعتدين و لكي يستخدمه كدرع بشري، نظر أمامه ليجد خمسة ملثمين آخرين، كلهم يرتدون ملابس سوداء ثقيلة مزودة بدروع واقية ضد الرصاص و من أسفلها ملابس سوداء تمامًا إلا أحدهم كان يرتدي قميصًا أبيض اللون

تحت درع حمايته، وَجَّهَ حازم الحديث له بقسوة و هو يقول : "هل تفضل أن ينقص عدد زملائك واحد أم أن تضعوا أسلحتكم أرضًا "

لو أن القناع اختفى لرأينا ابتسامة ساخرة تتلاعب على وجهه قبل أن يرفع مسدسه أمامه وبصوت مكتوم جراء كاتم الصوت الذي يزين فوهة مسدسه وجد حازم بقعة من الدماء الدافئة تسيل على يده وفتحة صغيرة في عنق درعه البشري تنزف بغزارة، لم يُلقِي جسده وإنما حرص على جره أمامه برغم وزنه الثقيل حتى وصل إلى إحدى الأرائك، ألقي بالجثة وهو يقلب الأريكة ويختبئ خلف ظهرها بينما سمع صوت الشخص الآخر وهو يقول: "ما رأيك بهذا الخيار؟؟ "

صرخ حازم وهو يضع سكينه أرضًا ويستل مسدسه ويحاول الحفاظ على رباطة جأشه: "من أنتم؟"

لمعت عينا الملثم بابتسامة وهو يقول: "حقًا، هل معرفة قاتلك ستحدث فارق؟"

أجابه حازم بعصبية: "ربما معرفة قتيلي الرابع ستصيبني بحالة من الراحة النفسية "

سمع صوت محدثه يضحك فانعقد حاجباه بعنف لوهلة قبل أن يدرك شيئًا مهمًا، تنفس بعمق وهو يقول: "تتحدث العربية بطلاقة ولا توجد لكنة، أنت مصري"

سمع صوت هادئ يقول: "وأنت ذكي"

حاول أن يصعد ليلقي نظرة إلا أن رصاصة أصابت الحائط من فوقه أعادته إلى مكانه، كان يشعر كالفأر المحتجز في مصيدة وبرغم مسدسه

المعدني إلا أنه اشتم برودة الموت تحيط بالمكان، وقبل أن يقرر أن يصعد للمرة الثانية شعر بفوهة مسدس على مؤخرة رأسه وصوت ساخر يقتحم أذنيه: "ظننتك أذكى من هذا "

ترك مسدسه يسقط أرضًا وهو يقف قبل أن يسمع صوت رافض من لسان مهاجمه فتوقف، حادثه مهاجمه مرة أخرى: "أتدري ما الخطأ الذي يسقط فيه العديدون من ممثلي السينما؟؟، أنهم يتركون الأسلحة ملقاة أرضًا وبالتالي أثناء أيِّ صراع يسقط المجرم بجوار المسدس أو البطل في حالات أخرى وينتهي الأمر بثقب يزين رأس أحدهم، أترضي لي أن أحصل على مثل هذا الثقب؟"

لم يرد حازم وإنما التقط مسدسه وهم أن يستدير ليعطيه له إلا أن صوتًا رافضًا آخر عبارة عن طقطقة لسان أوقفه: "أريدك أن تضغط الزر الخاص بإسقاط خزانة مسدسك"

فعل حازم مثلما أُمر وترك الخزينة تسقط أرضًا بينما استكمل الآخر كلماته: "الآن من فضلك مرر لي تلك الخزانة بكعب قدمك"

بمجرد أن توقفت الخزينة تحت قدميه ركلها بقوة إلى أحد الملثمين الذي انتظر حتى وصلت إليه وهو يطأها بقوة لتتوقف وهو ينحني ليمسكها بينما أكمل المهاجم حديثه: "الآن أريدك أن تجذب ماسورة مسدسك كي تخرج الرصاصة الراقدة بداخله"

صوت الرصاصة المعدنية وهي تسقط أرضًا جعل نظرة رضا تظهر في عيني الملثم وهو يقول: "الآن التفت ببطء وأعطني المسدس ولا تفكر بحماقة كي لا أعاقبك على حماقتك برصاصة ثمينة"

نظر له حازم وهو يعطيه المسدس بينما رفع الملثم مسدسه ليقابل جبهة حازم وهو يقول له: "اركع"

سأله حازم بدهشة: "ماذا؟"

"اركع تحت قدميّ، ألا تعلم كيف تركع؟؟ "

سقط حازم على ركبتيه وهو ينكس رأسه أمام مهاجمه، لحظات صمت مرت قبل أن يرى قناع مهاجمه يسقط أرضًا، هذا يعني أن ملامح مهاجمه خرجت للنور إلا أن فوهة المسدس تمنعه من النظر للأعلى، شعر بالضيق يجتاح روحه ليس بسبب المسدس الذي يمنعه من النظر لأعلي وليس بسبب أن مهاجمه أجبره على الركوع ولكن بسبب الفضول، سمع صوت بلاستيكي وسمع مهاجمه يفسر: "هذا جهاز لا سلكي، أريدك أن تستمع إلى آخر الأخبار"

أنهى كلماته مع حازم قبل أن يكتسي صوته بالحزم وهو يتحدث بإنجليزية ممتازة: "الفريق أ والفريق ج، ما آخر المستجدات"

صوت شوشرة إلكترونية تبعه صوت شخص ما أجش يقول: "هِنريك لارسون يتحدث، نجح الفريق ج في السيطرة على الوضع بنيوزيلاندا، تم تصفية الصائد بنجاح، نسبة الخسائر البشرية: صفر، نسبة الإصابات: صفر، نسبة نجاح العملية: مائة في المائة "

سمع حازم صوته يسأل مرة أخرى: "الفريق أ، الفريق أ، ما أخر التطورات؟"

لحظات وأجابه صوت أنثوي: "معذرة على التأخير، مارجريت كونشر تتحدث، نعم، نجح الفريق أ في السيطرة على الوضع بإسبانيا، تم تصفية

الصائد بنجاح، نسبة الخسائر البشرية: صفر، نسبة الإصابات: صفر، نسبة نجاح العملية: مائة في المائة"

أجابها مهاجمه: "الفريق ب بقيادة قائد العمليات يتحدث، تمت السيطرة على الأمر بنجاح وتم القبض على الصائد حيًا ونحن بصدد تصفيته"

سمع صوت هنريك عبر الجهاز: "عُلم "

وتبعه صوت مارجريت يشوبه بعض التقطيع: "عُلم "

سمع صوت الجهاز يغلق فصمت ليستمع لصوت الرصاصة التي سينتهي بها الأمر، سأله: "أتعلم أنك صائد الآن"

أجاب حازم بصوت حاول السيطرة عليه: "سمعتك تخبرهم بالأمر، ما معني الكلمة؟"

"الصائد هو الشخص الذي ينجح في قتل ثلاث أشخاص أو أكثر وينجح في السيطرة على ذكرياتهم والصائدين عملة نادرة، عملية الصيد تحدث لواحد من كل خمسمائة ألف شخص ودائمًا ما يظهر صائدين ولكنهم يضعوننا أمام اختيارين، إما تجنيدهم أو قتلهم وبما أنك رفضت أن تنضم لنا لذا وجب قتلك "

"لكنني لم أر...."

"أتظنني حقًا أرغب في العمل معك، ارفع رأسك لترى مهاجمك أيها الأحمق"

رفع حازم رأسه ببطء وكأنما يخشى تأثير المفاجأة، تأمل ملامح مهاجمه لوهلة قبل أن تتبدل ملامحه ليغلب عليها الاشمئزاز وهو يقول: "رمزي!"

"نعم أيها الوغد، رمزي الذي حولت حياته حطامًا، رمزي الذي أضعت عليه فرصة التعيين بالكلية كمعيد بينما لم تستفد منها أنت، رمزي الذي سرقت منه بعثة دراسة بالخارج كانت ستحول حياته للأفضل لتستغلها في قضاء شهر عسلك مع زوجتك اللعينة، أتدري من هي؟؟ خطيبتي التي تركتني وهربت إليك، سرقت بعثتي ووظيفتي وخطيبتي، سرقت مستقبلي أيها الوغد "

ابتسم حازم بسخرية وهو يقول بنبرة لاذعة: "ألم أسرق ملابسك بالمرة؟"

"امزح عَلَّهَا تكون آخر مزحاتك، أين حبيبة عمري الخائنة؟؟ أين من سرقت قلبي؟؟ أريد أن أستعيده "

"أنا حقًا لا أعلم مكانها، أتريد أن ترافقني في رحلتي للبحث عنها وعندما نجدها سنخيرها بيننا وأغلب الظن أنها ستمسك قلبك الذي تَدَّعِي أنها سرقته منك لتدوسه بأقدامها وهي تسرع إلى أحضاني أمام عينيك "

بغضب هادر صرخ به رمزي: "اصمت"

"لماذا لا تتقبل حقيقة أنني أفضل منك في كل شيء؟؟ ألا تعلم أنك إذا وفرت الوقت الذي تتذمر فيه عن نجاحات الآخرين واستغللته في تطوير نفسك ومهاراتك سيعلو نجمك عليهم؟؟ فبدلًا من العويل والنواح في كل مرة أنك أفضل من غيرك، أثبت الأمر ودعك من أمور الضعفاء تلك، اخشوشن"

قبل أن يتحدث رمزي سمع صوت رصاصات يتردد بعنف بينما تتفجر رؤوس أتباعه واحدًا تلو الآخر وعندما سقط آخرهم ظهرت حسناء في العشرينات من عمرها تمسك مسدسها وتصوبه إلى رأس رمزي الذي

تحرك في سرعة ليعدو تجاه النافذة بينما تطارده رصاصاتها قبل أن يقفز بقوة وهو يخترق الزجاج بجسده ويختفي عن أعينهم تمامًا، أسرع حازم إلى النافذة لينظر إلى رمزي الذي اختفى كما لو أنه تبخر قبل أن يسقط أرضًا، التفت ليواجه الفتاة إلا أنه وجد الشقة خالية تمامًا

***

أسرع حازم خارج باب الشقة و هو يعدو في الممر وصولًا إلى السلم، هبط درجات السلم و كل درجة يهبطها يتصاعد بداخله شعور القلق، القلق و الخوف حول رمزي و انتقامه و هذه الفتاة و اختفائها، ما بين الموت الذي حدق فيه عبر فوهة مسدس رمزي و بين الأمان الذي تهشم ألف قطعة مع تهشم الزجاج بجسد رمزي، وصل إلى الشارع و هو يتفحصه بنظره و لكنه لم يجد أثر لأيًا منهما،اختفيا و كأنهما أشباح لا وجود لها إلا في خياله، وقف وحيدًا يصارع نسمات الهواء و صراع الأفكار محاولًا أن يتخذ قراره هل يبحث عنهما أم يتركهما و يصعد إلى شقته متخلصًا من تلك الجثث، فكر لوهلة في المجهود البدني و النفسي الذي سيتحمله من أجل التخلص من ثلاث جثث قبل أن يقرر أن هجر الشقة هو الحل الأنسب، صعد درجات السلم ببطء و الأفكار تتصارع بداخل رأسه متمنيًا لو أن رأسه بها فوهة كالبركان لكي تنفجر منها مخففة الضغط عن روحه المثقلة بذنوب ضمير مات

وصل إلى باب الشقة و دخل إلى الغرفة البعيدة التي وضع بها الجثث، خطا من فوق الجثة الأولي و هَمَّ بالعبور من فوق الثانية قبل أن يلمح بعينه الفراش الذي تحرك من مكانه بضعة أمتار لتظهر من خلفه خزينة معدنية صغيرة حفر لها في الحائط لتختبئ داخله من أعين المتطفلين و فضول المتسائلين لكن أيدٍ آثمة اغتصبت سرها، تأمل بطنها المفتوح و

معدتها الخالية و بذهول سيطر عليه تحسس بيده باطنها المعدني البارد قبل أن تخالجه مشاعر متضاربة بين الرعب و القلق على ضياع الأوراق و التي تمثل له أهم شيء في حياته بعد امرأته و بين الشعور بالأمان لأنه يعرف الخطوة التالية، لم لا و هو مُشَاهِد جيد لآلاف الأفلام الأجنبية، سيستدير ليجد أحدهم يمسك بالأوراق و يسأله بثقة : "هل تبحث عن هؤلاء؟"

استدار و هو يرسم ابتسامة ساخرة على شفتيه و هو يتوقع أن يفاجئ الشخص الذي استولي على الأوراق و لكن تلك الابتسامةانسحبت لترتسم بدلًا منها علامات القلق حيث وجد الغرفة خالية، خرج إلى الصالة و جلس على الأريكة يفكر في تلك الأوراق قبل أن يسمع صوت من داخل الحمام، فزع و جرت القشعريرة في جسده، دلف إلى الحمام و هو يفتح الضوء بسرعة و يتأمله إلا أنه كان خاويًا كما عقله الباحث عن إجابات لا يعرفها، خرج للصالة إلا أنه وجدها، تقف وحيدة في منتصف الصالة و هي توليه ظهرها، تأمل جسدها لوهلة قبل أن يهز رأسه بعنف مستدعيًا تركيزه الذي ضاع في قوامها، حدثته و هي لا تنظر إلى وجهه : "أوراقك بحوزتي "

"توقعت هذا، من أنتِ؟"

"أنا؟؟، اعتبرني ملاكك الحارس أو شيطانك المُضِلّ أو حتى حائط صد لحمايتك، اعتبرني ما ترغب فيه أيًا كان "

"سؤال ساذج ولكن لابد لي من سؤاله، هل لي أن أحصل على أوراقي؟"

انتشرت ابتسامة ساخرة على وجهها وهي تغالب ضحكاتها قبل أن يستدرك حازم الموقف قائلًا: "حسنًا لم أتوقع أن تعطيني إياها ولكني كان لا بد لي من أن أسأل"

جلست على الأريكة وهي تضع قدمًا فوق قدم وتنظر إليه وهي تبعد شعيراتها الثائرة عن وجهها وتخرج صورة من بين الأوراق لتتأملها، امرأة بيضاء البشرة واسعة الأعين تبتسم وفي ابتسامتها حياء وفي حيائها حياة، تأملتها لبرهة قبل أن تعطيه الصورة ليمسكها بلهفة وهي تسأله: "زوجتك؟"

"أجل"

"هل تعرف مكانها؟"

"لا ولكنني سأبحث عنها حتى أجدها "

"لن تجدها"

وقف حازم عاجز عن اتخاذ أي قرار، لم يستطع أن يترك الدهشة تتملك من قلبه ولن يدع الرعب يفرض قبضته على روحه، شعر بفضوله يتزايد، سألها بصوت جاف حاول أن يسيطر عليه فلا يدع لأحاسيسه فرصة الظهور: "لماذا؟"

"لأنني أعرف طريقها ولن أسمح لك باستعادتها سوى بشروطي"

في حركة سريعة هاجمها حازم وهو يحيط رقبتها بذراعه ويحاول خنقها وهو يصرخ بجنون: "تحدثي، أين هي؟؟ أين؟؟ "

بدلًا من اختناقها فوجئ بها تضحك بعنف، تركها وهو يتأملها بدهشة، حاولت السيطرة على ضحكاتها وهي تسأله: "هل حقًا ... هل تصدق حقًا أنني كنت سأعترف فورًا؟"

سال الدمع من مقلتيها من كثرة الضحك، تمالكت أعصابها وهي تقول: "حازم، اهدأ ولا داعي لعصبيتك "

قال بصوت يكاد يغالبه الدمع: "أريد زوجتي "

ارتفع حاجباها دهشة وهي تسأله: "حازم سلامة يكاد يبكي من أجل امرأة؟"

حاول السيطرة على نفسه وهو يقول: "امرأة؟؟، زوجتي ليست مجرد امرأة، من ملكت روحي وكياني بضحكة صغيرة من شفتيها التي تحملان سر الحياة والتي تملك سر الكون بين رموشها، تطبق رمشها فأحيا سعيدًا وتفتح عيناها فأغدو وحيدًا في عالم شمسه جمالها وقمره صوتها الحاني، تحمل في لمسة يديها أعتي أسرار الكون وطيبات من الجنة، ليست مجرد امرأة بالنسبة لي بل هي جزء من جنة الله في الأرض، زوجتي ليست امرأة "

ظهرت الدهشة في عينيها وهي تقول: "من سيرتك الذاتية أكاد أجزم أنك قاسي القلب، ملتزمًا بمبادئك لكنك قاسٍ "

"أقسو على كل العالم لأغدو وحشًا كاسرًا وأمام عينيها أصير طفلًا رضيعًا"

"حسنًا بما أن رغبتك صادقة باستعادتها لابد لك من العمل بشروطي"

"هل أملك خيارًا آخر؟"

"للأسف لا "

"ما هي شروطك؟"

"أريدك أولًا أن تشرح لي سبب حقد رمزي عليك وما هي تلك الأوراق التي وجدتها، لاحظ أنني لم أفتحها بعد كدليل على حسن نيتي معك، أريد أن أعرف ما الذي يدفع شخصًا في مكانته أن يترك أعماله ويهرع لمطاردة صائد؟"

"مكانة رمزي؟؟، هل أصبح رمزي شخصًا مهمًا؟"

"ألم تلاحظ أن ذكرياته لم تتبدل؟"

"ظننتها تبدلت ولكنه وصل لها بطريقة ما كما وصلت لذكرياتي وجسدي"

"هؤلاء لا يتبدلون!"

"هؤلاء!"

"ستفهم في النهاية، عليك الآن أن تشرح لي الأمر بالتفصيل إذا أردت أن ترى زوجتك"

في صالة فسيحة بكلية الشرطة تراص عشرات الشباب حليقي الرؤوس مُلَوَّحِي البشرة من جراء أشعة الشمس بجوار بعضهم البعض، مفرودي الظهور، مفتولي العضلات، يستمعون لأحد المحاضرين و هو يتلو عليهم بصوت رتيب محاضرة مملة عن حالات الرهائن و كيفية التعامل معها، و كعادتهما مرر أحدهم لزميله وريقة تحتوي على رسم كاريكاتوري للعقيد الذي يجلس أمامهم و لكنه استبدل اسمه كاتبًا بدلًا منه (العقيد / مُمِل السيد ضَجِر)، كان الرسم متقن بشكل رائع و إن غلبت عليه الفكاهة بفضل اللغد الضخم و الكرش البارز اللذان أضافهما راسمه،ابتسم الآخر في نفس اللحظة التي رفع فيها العقيد عيناه عن الأوراق فرأي ابتسامته، بإشارة صغيرة من يده أمره أن يقف، وقف الشاب وشَدَّ جسده في وضع الانتباهاحترامًا للرتبة التي أمرته بهذا، نسي الورقة معلقة بين أنامله فلمحها العقيد، أشار له أن يقترب،اقترب منه قبل أن يدرك أن الورقة لا تزال معلقة في يده، حاول إخفائها إلا أن السيف كان قد سبق العزل، مد العقيد يده أمامه و بأيد مرتعشة و توتر لا حد له مد له يده بالورقة ليرى الرسم الساخر ويرى الاسم الذي أطلقه عليه، نظر له بأعين تحمل من الكراهية سيولًا و هو يسأله : "اسمك؟"

تلعثم الشاب وحاول تبرير موقفه: "الورقة ليست مـ .... "

قاطعه العقيد بصرخة هادرة تحمل أطنانًا من الغضب: "اسمك أيها الطالب؟"

لم يستطع أن يقف أمام الطوفان أكثر من هذا فتمتم باسمه بأحرف متلعثمة وهو يقول: "رمزي محمد ياسر الإتربي "

صمت العقيد لوهلة وهو يقول: "رمزي الإتربي؟؟ أعتقد أنني قرأت اسمك في مكانٍ ما!"

صمت رمزي وهو يدعو الله في سره ألا يتذكر العقيد الأمر، حاول لفترة قبل أن يقرر أن الأمر ليس بهذه الأهمية، نظر له نظرة باردة ولكنه شعر أنها حادة كنصل السكين تخترق جسده، وبصوتٍ هادئ بعث القشعريرة في جسده وأسكن قلبه أشباح الخوف أمره أن يخرج من القاعة لينتظره أمام مكتبه، خرج الشاب بخطى متعثرة وهو لا ينطق ويكاد يسمع دقات قلبه من شدة الخوف وبمجرد أن خرج استكمل العقيد محاضرته المملة كأن شيئًا لم يكن فعادتْ الأعين المتسعة تُعلق مرة أخرى وترضخ لهجمات الكسل التي يمدها ملل المحاضرة بأطنان من الخمول

بعد المحاضرة وأثناء جمع العقيد لأوراقه وترتيبها في حقيبته الجلدية شعر بأحد الطلاب يقف بجواره، وبدون أن ينظر له سأله: "ما الأمر؟"

أتاه صوت الطالب خافتًا وهو يقول: "أنا حازم سلامة الميرغني أحمد وأريد أن أخبرك شيئًا بخصوص رمزي "

نظر له وهو يقول: "الأمر منتهي، لقد أخطأ ولابد من عقابه"

وبصوت واضح وابتسامة ماكرة أجابه حازم: "وأنا أتفق معك تمامًا ... لكنني أتيت لسيادتكم في أمرٍ آخر "

"ألا وهو؟"

"أريد أن أُذَكِّرَ حضرتك أن الطالب رمزي هو الفائز بالمنحة الدراسية في دولة روسيا وأريد أن أسأل هل من الصواب أم يُمنح طالب بمثل هذه الأخلاق بعثة بمثل هذه الأهمية؟"

ابتسم العقيد وقد أدرك ماهية الأمر: "حازم سلامة الميرغني أحمد؟؟ ... أليس كذلك؟"

"بالظبط يا سيدي"

"يبدو أننا سنعمل معًا كثيرًا، هل ستكون على هذا القدر من المسؤولية؟"

"أجل يا سيدي، ولا تقلق فلن يعرف أي شخص أنني سأعمل معك"

"لا أريد توصيتك، يجب أن تصلني كافة الأخبار، كل الأقاويل، جميع الأحاديث مهما بدت لكَ تافهة"

"حسنًا يا سيدي"

"أنتظرك في مكتبي غدًا كي نتحدث قليلًا ... أتمتلك جواز سفر؟"

ابتسم حازم وعيناه تلمعان بشدة وهو يهز رأسه إيجابًا

***

في هذا الطقس الحار و الجو الخانق وقفت تقاوم نوبات ملل تهاجم عقلها و هجمات من تأنيب ضمير تحاول مقاومة الحصون التي شَيَّدَتْهَا لتحمي قلبها منه هذه المرة. للمرة الأولي منذ تعارفهما القريب يتأخر عليها بهذا الشكل. و للمرة الأولي يستغل ضميرها وحدتها ليحاول إيقاظها من غفوة الحب المسيطرة عليها. صارخًا مرددًا بكلمات حادة أخبرها ضميرها أن

أفيقي يا حمقاء، بالطبع لن يأتي، لقد قللتِ من شأنك حينما وافقتي على مقابلته بالخارج متحدية كل الأسس التي تربيتي عليها و كل المبادئ التي حرص والدك على زرعها فيكي منذ طفولتك البريئة. صرخ فيها : رباه لو كان أبيكِ يعلم لكان وأد روحك في تربة من قيم أغلظ وغطاكِ بأخلاق أحسن وأقوَم عَلّهُاستطاع إنقاذكِ من هذا الموقف و لكن سرعان ما أتي طوفان التبريرات بأمواجٍ من حب وود مصدرها قلب عاشق يدق باسم حبيب تأَخَر، تبريرات كان من شأنها أن ضَخّت الدماء في عروقها لتتورد خجلًا فتزيد جمالها جمالًا و سحرًا، تلفتت حولها وهي تنظر في ساعتها، مرت عشر دقائق، لحظات و سمعت صوتًا من خلفها يقول : "لن يأتي"

اعتقدت أنه أحد المتحرشين الذين امتلأت بهم الشوارع في الآونة الأخيرة حتى صار عددهم يقارب عدد الكلاب الضالة فأدارت وجهها الجهة الأخرى وتجاهلته وهي تحمل حقيبتها بيدها قابضة عليها متوجسة أن يمس جسدها ليدنسه بأنامله التي تحمل الظلم تحت أظفارها ولكنها سمعت صوته مرة أخرى يقول بأدب: "آنستي، رمزي لن يأتي"

عندما سمعت اسم معشوقِها اطمئن قلبها للحظة ولكن بعد انتهاء الجملة هاجمها القلق، لماذا لن يأتي؟؟، هل حدث مكروه ما؟؟ هل حدث شيء خطير؟؟، نظرت بعينين يلتهمهما القلق لترى هذا الشاب الذي يقترب في جثمانه الرياضي وفي قَصَّةِ شعره من ملامح رمزي، شرطي المستقبل والفتي الحالم الذي ملك قلبها بنظرة واحدة، عاد الشاب خطوة للخلف كي يعطيها مساحة من الأمان هي في أمس الحاجة لها وهو ينظر في الأرض كي لا تتلاقى عيناهما: "رمزي يخبرك أنه لن يستطيع القدوم لأنه مُعاقَب بالحجز هذا الأسبوع "

اتسعت عيناها هلعًا عند سماعها لكلمة (مُعاقَب) ولكن ابتسامة هادئة منه طمأنت قلبها الوَجِل فسألته: "ماذا فعل كي يُعاقَب؟"

نظر للأرض وهو يقول: "أُفَضِّل ألا أتحدث عن الأمر كيلا يقال إنني أفسد العلاقات "

"أرجوك"

قالتها بصوت خافت مس قلبه فجعل نبضاته ترتبك لتنبض نبضة إعجاب ونبضة طبيعية، ابتسم وهو يقول: "سَخَرَ من أحد أساتذتنا "

عيناه منحت قلبها أطنانًا من الأمان وابتسامته بعثت في روحها الدفء فشعر قلبها بشيءٍ جديد يداعبه، حاولت أن تتجاهل سحره وهي تقول"ولكن هذا ليس من شيمه!"

"أعتقد أن خسارته للبعثة قبل ميعادها بأربعة أشهر أفقده عددًا من شيمه وعاداته "

"خسارته لـ... ماذا؟؟ هل خسر رمزي البعثة؟؟"

"ألم يخبرك؟"

"لا !!"

"يا إلهي !،اسمحي لي بالانصراف وأعتذر يبدو أنني أخبرتك أكثر مما ينبغي "

"انتظر يا .... "

"حازم يا آنستي، حازم "

"حازم ... أريد أن أعرف تفصيلًا ما الذي حدث؟"

"حقًا لا أرغب في الحديث كي لا أفسد علاقتكما ولكن إذا كنتِ مُصِرَّة، هذا رقم هاتفي الجوال، أنتظر مكالمتك"

نظرت في البطاقة التي تحتوي الرقم بدهشة، كيف يفكر بها كي يعطيها رقمه الشخصي في أول لقاء بينهما ولكنها يجب أن تعترف أنه نجح جدًا في إثارة فضولها الأنثوي لأقصى حد، رفعت عينيها لتخبره بأمرٍ ما لكنها لم تجده أمامها، بحثت عنه بعينها قبل أن تقرر الذهاب وهي تضع البطاقة في حقيبتها ولم تنتبه للأعين الماكرة التي تراقبها بخبث، لُعِبَت ببراعة

***

رن هاتفها فتناولته لتطالع الاسم المكتوب على شاشتها و تخيلت صاحبه الذي يتحرق شوقًا لسماع صوتها و لكن الأوان قد فات على هذا، ضغطت زر الرفض و هي تترك الأيدي تعبث في وجهها الحسن بحجة زيادته جمالًا، أصباغ و ألوان تضيف شحوبًا على وجهها و تنزع منه براءة الملائكة التي تشتهر بها لتحولها لمهرج قبيح لَطَّخَ وجهه بأصباغ غير متجانسة، رن الهاتف مرة أخرى فنظرت له بإهمال قبل أن تتناوله بحرص محافظةً على الأظافر الصناعية التي لم يجف لاصقها بعد و قربته من أذنها بحرص كي تحمي الحلق الضخم المعلق في أذنها و هي تقول بنبرة حاسمة : "الأمر منتهي يا رمزي، من فضلك أنا الآن امرأة متزوجة "

وقعت الكلمات عليه كدلو من الماء البارد المحمل بطعنات غدر لم يتوقعه ولم يتحمله، كالمجنون بحث في هاتفه عن رقم صديقه الوحيد ليستنجد به، ضغط على اسمه على شاشة هاتفه التي تعمل باللمس وطفق ينتظر

ردًا أتاه بعد حين بصوت يحمل له كل علامات الشهامة، استنجد به بسرعة: "حازم، أنجدني، بالله عليك، حبيبتي ستتزوج "

أتاه صوت صديقه هادئًا وكأن الصدمة لم تمسه: "أعلم "

فوجئ رمزي من ردة فعل صديقه ومن إجابته الهادئة فسأله في شك: "تعلم؟؟ "

"أجل يا رمزي "

"كيف تعلم؟"

"هل يوجد عريس لا يعلم من هي عروسه؟ أو بمعني أصح لا يعلم أن زوجته ستتزوجه؟"

شعر رمزي كأنه تاه من نفسه، كأنه فقد روحه بداخل متاهة من ظلم لا يعرف كيف يخرج منها، هذه المرة لم يدق قلبه باسمها، هذه المرة أعلن رمزي كفره بها و بالحب، لن يقيم مناسك الحب في قلبه مرة أخرى و لن يقدم قرابين الولاء لأيِّ أنثي ثانية، لن يثق في أيِّ شخص مرة أخرى و لن يسمح لنفسه أبدًا أن ينسي هذا الغدر، سيضع كلاهما نُصْبَ عينيه كي ينتقم منهما حتى و إن طال الانتظار، سيقبع وحيدًا كذئب جريح يَجْتَرَّ آلامه في انتظار اللحظة الحاسمة التي سيقدم لهما انتقامه منهما كوجبتهما الأخيرة و بروح كاهن تعبد في الحب سنينًا حتى أتاه ملاك مرسل بجناحين من ألم ليخبره أن كل صلواته في ضريح العشق خاطئة قرر أن ينسي كل ما مضي وألا يفكر سوى في انتقامه و أن يركز في عمله، سيعود حازم من روسيا بعد شهر، سيعود من بعثته التي سرقها منه و بزوجته التي

اغتصبه إياها عُنْوَةً، سيعود ليجد رمزي قد حقق شيئًا من أهدافه، عليه الآن أن يسبقه بخطوة فقط

***

خرج مسرع الخطا تجاه هدفه و رغم برودة الجو المنبعثة من المُكَيِّف إلا أنه كان يشعر بجسده يغلي من الحرارة، مسح ذرات عرق تجمعت على جبينه في مظاهرة تهتف بالغضب ووضع منديله في جيب حُلَّته، كان يتابع الكل بعينيه لكنه لا يرى شيئًا، هدفه الأول و الأخير هو هذا الوغد الذي وضع حياته نُصْبَ عينيه و أخذ في تدميرها قطعة تلو الأخرى بدون سبب مقنع مما زاد غضبه غضبًا، ربما لو كان أخطأ في حقه أو أذاه في يومٍ ما لكان تَفَهَّم الموقف لكنه بالفعل لم يفعل شيئًا يستحق هذه المعاملة، كقطع بازل رديئة الصناعة تساقطت أجزاء حياته أمام عينيه و هو عاجز لا يقوَ على فعل شيء، أخيرًا وجده أمامه و لكنه يُوَلِيْهِ ظهره، عشرات التخيلات و الاحتمالات مَرَّت أمام عينيه و جرت أحداثها بين ثنايا مخه

سيضربه بكعب مسدسه على رأسه ويراه يسقط أرضًا فاقدًا للوعي، سيصرخ به وهو مُلْقَى أرضًا بكل ما يعتمل في نفسه من غضب.

سيُخرِج مسدسه من غماده ويضغط زناده مرة تلو الأخرى وهو يزأر بغضب ويرى بقع الدماء تنتشر على ظهره وربما يدور ليرى عينيه تتسع دهشةً قبل أن يخبو منهما بريق الحياة.

سيضع يده على كتفه وعندما يستدير سيحضنه وربما يبكي بين يديه وهو يعاتبه بكل شيء، هما صديقان قبل كل شيء ورغم كل محنة.

سينادي عليه وعندما يستدير سيعاجله بلكمة تجعل سماء أنفه تمطر دمًا ويبصق في وجهه قبل أن يتركه ويرحل.

لكن كل هذا لم يحدث، ما حدث حقيقة أنه نادى عليه ولكن حمل صوته أطنانًا من الغضب وحملت عينيه سيولًا من العتاب، التفت حازم ليرى من يناديه فوجد رمزي يقف ثابتًا وعيناه تلتمعان في حنق بَرَّدَ قلبه وأضفى السعادة على روحه، لم يعرف كيف وصل لهذه الحال بل وفي الحقيقة لم يهتم، ما الذي جعل حنق زميل عمره يطرب قلبه؟.

سؤال لم يتوقف أمامه كثيرًا وهو يستفسر منه بنظرة صامته عما حدث، سمع صوت رمزي عاليًا يتردد في جدران مديرية الأمن يسأله: "هل صحيح أنك قَدَّمْتَ استقالتك؟"

سأله باستخفاف: "هل هذا من شأنك؟"

حاول رمزي كبح جماح غضبه وهو يسأله: "إذًا ما سمعته صحيح، ألم يكفيك ما فعلت؟"

ابتسم حازم بسخرية وهو يردد: "ما فعلت؟؟ "

"أجل ألم يكفيك سرقة أحلام حياتي وتدميرها واحدًا تلو الأخر، حب حياتي سرقته مني وعبثت في عقلها وتفكيرها لتوهمها أنني مصدر الشر في هذا العالم، بعثتي الدراسية التي سرقتها مني برسم كاريكاتوري ووشاية حمقاء وأخيرًا بعدما سرقت البعثة تستقيل، لماذا لم تتركها لي منذ البداية؟"

"هذه هي المرة الأولي التي أعرف فيها مقدار شري، من فضلك اتركني أذهب لأتخلص من شروري، بعد إذنك "

"اسمعني أيها الأحمق "

صاح حازم بغضب هادر هذه المرة : "بل اسمعني أنت يا سيادة الضابط. مجرد أنك تفكر أنني عبثت في عقلها لأقنعها بأنك شرير فهذه هي السذاجة الحقة، أعتقد أنها امرأة بالغة وواعية وجديرة باتخاذ قراراتها الخاصة أما بعثتك فأنا لم أسرقها كان بيدك أن تدافع عن نفسك و أن تخبر الجميع أنها رسمتي و وقتها لم أكن لأنكر الأمر لكنك اخترت الجُبْنَ أرضًا وصمتت، والوظيفة استقلت منها، أتدري لم؟؟، لأن هذا الوسط فاسد، به من الفاسدين الآلاف و لكني سأحقق العدالة و بطريقتي الخاصة، فلتنعم أنت بنجماتك المحلقة على كتفيك و تترك لي حياتي هانئة بدونها"

تركه ورحل ومن خلفه أتاه تهديد رمزي: "لن أتركك "

"حسنًا"

"أقسم أنني سوف أنتقم "

"بالطبع "

"لن أترك حقي "

"بالتأكيد "

"ستندم"

"أصدقك "

وقتها كان ابتعد بشكل كافي لِألّا يسمع كلمات تهديد جوفاء تخرج من حلق شخص أحمق أعماه الغضب، وقتها اتخذ قراره بألا يترك رمزي يتقدمه أو يسبقه خطوة مهما كَلَّفَهُ الأمر

موسيقي هادئة تتسلل إلى أذنيه في نعومة فيسترخي عقله تمامًا مرسلًا إشارة إلى باقي الجسد أن استرخي فأنت في حضرة الموسيقي ... لأول مرة منذ بدء مغامرته يشعر فريد أنه متسخ، ملابسه الغير منسقة، جسده المُتَرَّب المليء بالغبار، شعره الأشعث و ذقنه الخشنة الغير حليقة، شعر بالخزي فوقف يتأمل رباط حذائه المهترئ، تمني وقتها لو أنه في جسده الأنيق، يرتدي حلته المفضلة و يصفف شعره متسلحًا بلحية مرتبة و ابتسامة ساحرة، سمع فريد صوت الباب يفتح فنظر تجاهه، خرج المسؤول الذي رآه من قبل من باب جانبي يبدو أنه باب دورة مياه أو استراحة، خرج المسؤول و هو يجفف يده قبل أن ينظر من النافذة يتأمل الجبال المليئة بالصخور و الأسرار، الكهوف و الجُثث، تأمله فريد بعين فاحصة قبل أن ينهمك في محاولة إخفاء طرف حذائه المتآكل و هو يشعر بسخط على شينزو الذي يريد حبسه بداخل هذا الجسد المليء بالدهون و الشحوم، تحرك المسؤول ليجلس خلف مكتبه و هو يشير لفريد الذي انتبه إلى حركته و جلس أمامه، أمسك المسؤول بجهاز لوحي و إنهمك في الضغط على شاشته بحماس و علامات التركيز تبدو على وجهه قبل أن يبتسم و هو يدير شاشة الجهاز إلى فريد ليرى الموجود على شاشته، تأمل فريد صورته القديمة و هو يشعر بأسوار التماسك التي يشعر بها تنهار أمام هجمات جيوش الحنين لذاته القديمة، ابتسم رُغْمًا عنه و حاول منع سُحُب الدموع التي أتت لتنبؤه أن عينيه أوشكتا على الإمطار، نظر له الرجل و هو يبتسم قبل أن يقول لأول مرة منذ رآه فريد : "نعرف جيدًا مكان جسدك"

ظهرت علامات الاهتمام على وجه فريد، نسي أو تناسى الآن الجسد المتخم والملابس المهترئة والشعور السلبي، رَكَّزَ كل أفكاره وأحاسيسه تجاه كلمات الرجل الذي أتته واثقة وكأنها تخرج من رجل يعرف جيدًا كيف يقود كل تلك الأمور، تحدث الرجل واثقًا: "نستطيع بكل بساطة أن نوصلك إلى جسدك وأن نُتِمَّ عملية التبدل بشكل تام"

انتظر فريد الكلمة المتممة لحديثه، تعلم جيدًا أن من يملك زمام الأمور يجب أن يتقن لعبته، أن يُلقِي لكَ بالطُعم الذي يسيل له لعابك وقبل أن تسيطر على انفعالاتك يعالجك بـ (لكن)، حاول جاهدًا أن يتمالك أعصابه ولكن الـ (لكن) أتته من حيث لا يحتسب لتشتته تمامًا: "ولكن يجب أن تعمل معنا"

ابتلع ريقه وهو يقول بصوتٍ خافت مهزوز: "ولكن شينزو يعمل بالفعل معكم في قيادة مصارعي المُسُوخ وهو المسؤول عني في قيادة كتائب المُحاربين"

هز الرجل رأسه وهو يبتسم: "هذا فعلًا ما يعتقده شينزو"

اتسعت عينا فريد وهو ينتظر باقي جملة الرجل الذي لم يتأخر كثيرًا فسرعان ما عالجه بقوله: "المنظمة يا عزيزي فريد هي كيان ضخم، لا يجب أن يقتصر على مجموعة من الموظفين أو المرتزقة، المنظمة كيان يعلم جيدًا سبب كل خطوة ونتيجة كل تحرك، يعلم جيدًا ما يدور في العقول وما يَخْفَى في الأنفس، يعلم النوايا ... أتعتقد أننا سنترك قيادة كل شيء لشينزو؟، المرتزق الياباني الذي نراه لأول مرة؟"

هز فريد رأسه متفهمًا قبل أن يسأله: "ولكن معنى كلامك أنك أيضًا لن تثق فيَّ، المُرتَزَق المصري الذي تراه لأول مرة على حسب كلماتك!"

"هذا حقيقي ولكنك الآن لديك فرصة لتثبت لنا أنك محل ثقة، لو علم شينزو ما يدور بيننا هنا فسيصله عنوان جسدك قبل أن يصل إليك وأنت تعلم جيدًا تهديده لك"

"وإذا لم يعلم سأصل إلى جسدي؟"

"ستصل إلى جسدك يا صديقي ولكن يجب أن تُثبت حُسن النوايا أولًا"

"كيف؟"

"ستعرف كل شيء في وقته ولكن يجب أن تضمن لي أنك وَفِيٌّ للمنظمة"

"حسنًا، لكَ ما تُريد"

ابتسم المسؤول و هو ينهمك مرة أخرى في العبث بشاشة جهازه، كان القلق و الفضول يأكل جسد و روح فريد الذي تململ في كرسيه عدة مرات قبل أن ينظر له المسؤول و هو يدير شاشة الجهاز للمرة الثانية، تأمل فريد الشاشة التي وجد عليها صورتان لشخصان ذوي ملامح لاتينية، تذكر أنه رأي أحدهما بالأسفل، توتر و هو يتمني من الله ألا يطلب منه المسؤول قتلهما أو تعذيبهما من أجل بضع معلومات ينتزعها منهما و لكن المسؤول فاجئه و هو يطلب منه ضمهما تحت رايته كقائد لكتيبة المُحاربين، تأملهما مرة أخرى قبل أن يغلق المسؤول الجهاز و يصمت تمامًا في إشارة لفريد بانتهاء المُقابلة، فهم فريد المطلوب فتحرك سريعًا ليخرج من الغرفة قبل أن ينادي عليه الرجل و هو يقول : "لن تستعيد جسدك إلا بعد أن تُثْبِتَ ولائك، لا تنس"

***

هبط فريد درجات السلم ببطء و هو يفكر في الحديث الذي دار بينه و بين المنظمة، تساءل طويلًا بينه و بين نفسه عن السبب الذي دفعهم لاختيار هذان الشخصان دونًا عن غيرهما، لاحظ تعلق عينا شينزو به و القلق يملأها إلا أنه حاول رسم ابتسامة بسيطة على شفتيه لطمأنته، بمجرد أن رأي شينزو ابتسامته حتى تحرك في سرعة لاستقباله و بمجرد أن هبط احتضنه بقوة قبل أن يقف بجواره و هو يرفع يده عاليًا كأنه يُكَرِّمَهُ وسط صرخات و صيحات حماس من متابعي الموقف و الذي اطمأن قلبهم من دمج و تفاهم كتيبة المحاربين و مصارعي المسوخ و عملهم ككيان واحد مُتَّحِد تحت راية المنظمة التي تعدهم بالأمن و الأمان و تسهيل عمليات تنظيم تبادل ذكرياتهم مرة أخري، إذن هذا الكيان بأكمله هو طوق النجاة الوحيد و الأمن وسط هذا العالم الذي تبدلت قوانينه فجأة و تبدلت الأسس و القواعد التي يعرفها الجميع، صيحات الفرح طارت عاليًا لتحلق في سماء الغرفة التي قطعها فريد بعينيه حتى توصل لغايته، شخصان يبدو عليهما الشدة و البأس رغم أنهما في أجساد مترهلة بالطيبة و الشحوم، أدهشه أن يراهما متجاوران و كأنهما يعرفان أنهما مطلوبان و بمجرد أن تلاقت أعينهم حتى ترك يد شينزو و هو يتظاهر بتهنئة الجموع و تقبل التهاني، وصل إليهما و هو يبتسم لهما و يقول بصوت هادئ : "لقد وقع اختيار المنظمة عليكما لتكونا العماد الأساسي لكتيبة المحاربين"

فوجئ بأحدهما يرد بنبرة غليظة تغلفها الوحشية: "لماذا نحن تحديدًا؟"

حاول التماسك أمام هذه الغِلْظَة والاحتفاظ برباطة جأشه قائلًا: "هذا اختيار المنظمة"

سأله الاخر بقسوة: "ولو رفضنا؟؟"

دَوَّى صوت المسؤول قويًا صارمًا في فضاء الغرفة: "أنتما لا تملكان مزية الاختيار ... اصعدا من فضلكما، رافقهما يا سيد فريد من فضلك"

صعد الثلاثة إلى الدور الثاني و من ثم عبروا الممر ليصلوا للغرفة التي أغلق المسؤول بابها خلفهم، جلس على مكتبه و أشار لفريد بالجلوس أمامه بينما ظل الشخصان واقفان حيث لم يشير لهما المسؤول بأي شيء، بدأ المسؤول حديثه موجهًا كلماته التي يكسوها الهدوء لفريد : "أتعلم يا سيد فريد حين تحصل على عدة أحكام بالسجن مدى الحياة، و عدة أحكام بالإعدام و برغم هذا تظل هاربًا لعدة سنوات، عليك أن تفكر مرة أخرى في ذكائك إن اعتقدت أنك أذكى من كل أجهزة الأمن، يجب أن تعرف جيدًا أنك حر بسبب أجهزة الأمن و أنك بالخارج تخدم مصالحها حتى و إن لم تكن تعرف هذا، لذلك الآن آن الأوان لكي ترد جزءًا من خدمات البلاد التي تركتك حرًا طوال هذه السنوات و لم تضعك في زنزانة حديدية لتزينها و لم تضع عقدة مميتة حول رقبتك و لم تسمح للكهرباء أن تمرح بجسدك"

أنهى كلماته وهو ينظر بصرامة للثنائي الذي ظهر عليه الارتباك لوهلة قبل أن يتداركا الموقف ويتماسكا وهم يعلنون موافقتهم على الانضمام لكتيبة المحاربين، ابتسم المسؤول وعاد يوجه كلماته لفريد مرة أخرى: "انتظرنا في الخارج بضع دقائق يا سيد فريد"

خرج فريد متسائلًا عن سبب طرده بهذه الطريقة المهذبة، لن ينكر أنه لم يشعر بالإحراج لكنه طُرد، بعد مرور ما يقارب النصف ساعة فُتح الباب و خرج منه الرجلان و هما يرتديان زيًا عسكريًا يشبه ما يرتديه الجنود المنتشرون في الشوارع، دروع واقية و خوذات حماية، تضاعف حجمهما بسبب كل تلك الدروع التي أحاطت بأجسادهما بينما تسلح كل منهم

بسلاح آلي حديث الصنع وفي حزام ملفوف حول خصريهما تتدلي الذخيرة المناسبة لهذا السلاح، أحذية ذات رقبة عالية، راقبهما فريد بهلع و هما يقفان أمامه يتفحصان أسلحتهم و يتأكدون من عملها بشكل جيد قبل أن ينظر له أحدهما و هو يسأله : "هيا بنا؟"

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يسأله: "ألن أرتدي مثلكما؟"

أجابه بنبرة سخرية: "أنت القائد، لا يجب أن يختبئ القائد خلف الدروع"

وجد نفسه مُحَاصَرًا إما أن يجازف ليثبت أنه قائد صلب وإما أن يختار الأمان فيثبت أنه رخو، آثر السلامة وقرر أن يظهر بمظهر القائد الصلب، هبط درجات السلم قبل أن تأتيه كلمات مصحوبة بنبرة سخرية أخرى: "أين تذهب أيها القائد؟، طائرتنا تقف فوق السطح"

صعد مرة أخرى متجهًا للسلم المؤدي للسطح وفي رأسه تعتمل آلاف الأفكار وتتصارع بلا نهاية، لم يلحظ نظرات السخرية التي تبادلها مرافقوه قبل أن يستعيدا مظهرهما الصارم والهواء البارد يضرب وجوههم وهم يتأملون المروحية الصغيرة التي تستعد للإقلاع

لأن الحياة تُعاش مرة واحدة لذا يجب أن تكفينا في هذه المرة لكي نفعل كل ما نحلم به أو نتمناه، لا مانع من بضع شطحات طالما كان الحلم في حدود المعقول ولا مانع من كثير من القفزات إذا كان الحلم في لا حدود الجنون، فلتحدد حلمك كي تعرف قدر خطواتك فربما يكون حلمًا صغيرًا فتكون خطواتك إليه خجلة متعثرة وربما يكون حلمًا كبيرًا فتكون قفزاتك ضخمة وبعيدة كالقمر في سماء الحلم، لذا لم يفكر حازم مرتين في العرض الذي عرضته عليه الحسناء، سيفعل أيَّ شيء و كل شيء من أجل الإطاحة بهذا المسمى رمزي، عدوه الصدوق و صديقه اللدود، علاقتهما مربكة نحت فيها الزمان تعقيدات لم يقدر أيهما على حلها، سينضم للمنظمة و سيقاتل ضمن صفوفها

ما المانع؟ من المؤكد أنها منظمة خيرية طالما يكرهها رمزي وحتى لو لم تكن خيرية يكفي ثواب محاربة رمزي، لذا لم يفكر كثيرًا قبل أن ينظر إليها ويتخذ قراره بوضوح: "لا مانع لديّ من الانضمام إليكم"

ابتسمت وهي تقول له: "كنت متأكدة من هذا ولكن كما تعلم لكي تذوق العسل لابد من القليل من اللدغات"

نظر لها بدهشة منتظرًا باقي الجملة ولكنها مدت يدها إلى جيبها لتخرج حاملة وريقة صغيرة كُتب فيها بخط حَسَن وبلغة عربية سليمة بضع أسماء وعناوين، نظر لها وهو يمر بعينيه سريعًا قبل أن ينظر لها مرة

أخرى منتظرًا باقي التفسير، أكملت حديثها بهدوء: "أظن أنه لا مانع لديك من بعض التضحيات في سبيل الوصول لرمزي"

أجابها مُصَحِّحًا جملتها: "لا مانع لديّ من بعض التضحيات في سبيل سحق رمزي"

ابتسمت بهدوء و هي تقول له : "في هذه الوريقة عشر أشخاص من أكثر الأشخاص ضررًا بالنسبة للمنظمة، الاختبار الحقيقي بالنسبة إليك أنك لن تعلم أيَّ شيء عن هؤلاء الأشخاص قبل أن تدخل بيوتهم بنفسك، ربما تجد بينهم المجرم و المغتصب و السارق و ربما تجد بينهم التقي و الطاهر و العالم، ربما تجدهم مجموعة من الملاحدة أو بعض رجال الدين، المهم أن قدرتك على تصفية هؤلاء العشرة هي تذكرتك لدخول المنظمة، سأضمن لك ألا تتعثر في قوات الأمن و لكنك ستحارب المسوخ و صُناع الفوضى بمفردك، لن نمدك بأيِّ نوعٍ من أنواع الأسلحة و لن تلقى منا أي نوع من التسهيلات، إذا قُبِضَ عليك فهذه المحادثة لم تتم و المنظمة لا تعلم شيئًا عنك أو عن رمزي"

وبرغم قسوة الكلام والتهديد الصريح الذي يتلاعب بين الكلمات مبتسمًا بسخرية إلا أنه تقبله في سبيل شخص واحد، زوجته!

كان مطمئنًا فمن يدافع عن حبه لن تخذله الدنيا، عليك فقط أن تعلم جيدًا أن الحياة لو خذلتك فمن خُذلت منه أو بسببه ليس حبك الحقيقي لذا سيفعل المستحيل من أجلها، من أجل نظرة منها، ابتسامتها الساحرة وأخيرًا تحرر لسانه فسأل: "وزوجتي؟"

ابتسمت وهي تقول: "زوجتك هي الجائزة الكبرى، هل تسمع عن اليانصيب؟؟ زوجتك هي جائزته، فرصتك الوحيدة الصحيحة أن تجمع العشر ذاكرات بداخلك، وقتها فقط ستفوز بها"

"سأفوز"

"أتمنى"

"ورمزي؟"

"ستتسلمه على طبق من ذهب بمجرد أن تقوم بالمطلوب ومن الممكن أن يقوم بالمهمة مجموعة من ذوي الأيدي الملطخة بدلًا منك"

تساءل في دهشة: "ذوي الأيدي الملطخة !!"

"ذوي الأيدي الملطخة هم مجموعة من المتطوعين ويقومون بالمهام القذرة التي تتعلق بالدماء ولا يمانعون أن تتلطخ أيديهم بالدماء طالما ستغسلها النقود، وستدفع المنظمة أجرهم بدلًا عنك إذا أردت"

"ولكن أيَّ لذة سأُحرَم إذا لم أرى الذل والهوان في عينيه قبل أن أقضي عليه، أنا صياد قاس، أحب أن أرى ضحيتي تطلب الحياة فلا تجدها، التوسلات والذُل هما وقود قوتي"

ابتسمت هي تعطيه ورقه المُغلَّق وتقول: "دليل حُسن نية"

تسلم ورقه و هو يبحث عن قداحة في جيبه و أحرق الأوراق تمامًا دون أن يفتحها و ركل رمادها بقدمه قبل أن يتبادل ابتسامة مع الحسناء و هي ترحل من الشقة قبل أن يترك جسده يسقط ليرتاح على الأريكة و أنامله تقبض على الورقة التي تحوي أرقام اليانصيب الفائزة بينما تحركت هي و

بمجرد أن خرجت من المبنى وجدت سيارة تنتظرها، ابتسمت لقائدها و هي تُخرِج طَيَّةً من الأوراق من بين ملابسها و تُرِيهِ إياها، ابتسم و هي تدلف في المقعد الخلفي و تجلس و السيارة تتحرك بها، قبل أن تغلق عينيها تبادلت نظرة رضا مع قائد السيارة، مع رمزي!

***

أغلق عينيه و ترك رأسه يفصل تشابك الأفكار عن بعضها، كان يبدو كالنائم لا يتحرك في جسده سوى صدره الذي يعلو و يهبط في سيمفونية التنفس الرتيبة و لكن بداخله كان يدور صراع لا هوادة فيه، حلبة الصراع لا تحتمل الأفكار الضعيفة أو الملحوظات المكررة، أرض لا تنتصر فيها سوى الأفكار ذات الزخم الإبداعي، فتح عينيه فجأة و كأنه عائد من موت طويل قبل أن يتحرك بهدوء إلى غرفة داخلية، توجه إلى المكتب و فتح أحد الأدراج يبحث فيه عن غايته، مرت لحظات و لم يجدها فتركه مفتوح و فتح الآخر و بيدٍ بدأت ترتعش و جسد متوتر بدأت عملية البحث تتخذ شكلًا عصبيًا، لم يجد مبتغاه هذه المرة فجذب الدرج الخشبي بقوة ليلقيه أرضًا و يفتح الدرج الذي يقبع أسفله منتظرًا دوره هذه المرة وجدها، خرجت يده تقبض عليها بقوة، نظر لمحتويات الدرج الآخر المتناثرة أرضًا قبل أن تقع عينيه على مبتغاه، علبة دبابيس ضغط و خريطة العالم، توجه نحو حائط تزينه بضع لوحات طولية تُكَوِّن مشهدًا ساحرًا للغروب و نزعها بقوة و هو يلقيها قبل أن يخمد حماسه، فرد الخريطة و ثَبَّتَ أركانها واحدًا تلو الآخر وأخذ يتأملها قبل أن يُخْرِج الوريقة التي تحمل خلاصه من جيبه و يتأملها، ملاحظة صغيرة مرت عليه و لكن عقله النشط لم يسمح لها بالمرور، بعض تلك العناوين تقع في دول لها علاقات متوترة مع الوطن العربي، لم تخبره الحسناء عن الوسيلة التي سيسافر بها

و لكنها تركت له عنوان بريد إليكتروني مدون بخط أسود مختلف عن باقي الورقة، بالتأكيد سيستخدمه للإجابة عن أسئلته، أمسك باقي المسامير و استمر في غرزها واحدًا تلو الآخر في الدول التي كُتبت في الوريقة و بترتيب معين استمر في تثبيت الدبابيس، و بمجرد أن انتهي دخل إلى غرفتها، كتم أنفاسه كي لا يشتم رائحتها و دمعت عيناه بقوة، كل الموجودات ظللتها الدموع بينما هو يعبث في أدراج ماكينة خياطتها الخاصة حتى وجد بكرة خيط أحمر سميكة و كانت هي مبتغاه، خرج من الغرفة و أغلقها قبل أن يتنفس بعمق و مع زفيره خرجت آهة ألم محملة بوجع هائل ضاق به صدره، تمالك أعصابه و هو يخرج و يبدأ في توصيل الدبابيس ببعضها، بدءًا من بيلا روسيا مرورًا بالمملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، المغرب، غانا، السودان، جزر المالديف، إيران، تركيا و فلسطين، دائرة غير منتظمة التكوين تحيط بالوطن العربي الذي يتوسطها حائرًا فيم فعل كي يُحاصر،أنهى ما فعله و ابتعد خطوة للخلف و هو يتفحص نتاج عمله، مرت بضع دقائق قبل أن يُخْرِجَ هاتفه و يلتقط صورة لما فعل، وضع هاتفه جانبًا و انهمك في فك الخيط و الدبابيس و إزالة الخريطة عن الحائط، وضع كل هذا جانبًا و هو يتأكد من غلق الغرفة التي تحتوي على الجثث،التقط إحدى صور زوجته و حررها من إطارها و هو يقبلها بصدق و يضعها في جيبه، فتح باب الشقة و هو ينظر للوراء مُتَأَمِّلًا شقته للمرة الأخيرة، لم يحدد بعد ماذا سيفعل و لكنه سيجد حلًا بالتأكيد، كل ما يحتاجه هو حاسب محمول و خط إنترنت سريع بعض الشيء و بريد إليكتروني يتواصل منه مع البريد الذي تركته له الحسناء،التفت ليجد أمامه شخص أسمر البشرة يقف مبتسمًا كاشفًا عن صفين من الأسنان البيضاء، تأمل ملامحه في سرعة و هو يتأهب لكن ابتسامة الآخر طمأنته، لم يتحدث و لم يتحرك، فقط يبتسم !

تركه حازم وَهَمَّ بالرحيل قبل أن يتذكر أن ملامحه قريبة الشبه من هؤلاء الذين هاجموه من قبل عندما كان يحتل جسد جون، وقبل أن يلتفت للخلف ليتأكد من ملحوظته سقطت هراوة خشبية ثقيلة على مؤخرة رأسه وسمحت لوعيه أن ينحسر منه في سرعة ليترك الظلام ينتشر ويحتل رأسه في سرعة، وهوى جسده أرضًا، تبادل الشخصان نظرة صامتة وهما يمسكان به من قدميه ويجرانه مُخَلِّفِيْنَ ورائهم خيطًا متصلًا من الدماء الحمراء القانية وصورة ملوثة بالدماء سقطت من جيب ضحيتهم

(14)

هبطت المروحية في مكانٍ ما قارس البرودة، تأمل فريد المكان من حوله و هو يشعر بالبرودة تتسلل إلى جسده، تأمل البخار الأبيض المصاحب لأنفاسه قبل أن تقع عيناه على شخص ما قادم بسرعة و باحترام ليستقبلهم، مد يده أمامه و هو يرسم أكثر ابتساماته دبلوماسية إلا أن الرجل تجاوزه و هو يمر ليصافح الملثمان، شعر فريد بالغضب.انهمك القادم في حديث خافت مع الملثمان و هو يمدهم ببعض الأوراق التي ينظرون إليها، قرر فريد ألا يفتعل مشكلة فبدأ بتأمل المكان من حوله. تقريبًا المكان واسع فسيح و يحتوي على مبني واحد ضخم جهة اليسار بينما أغلبه ممرات لهبوط الطائرات، لافتة ضخمة حملت اسم المطار (Hrodna Airport)،أنهى القادم كلماته قبل أن يرحل و هو يتفحص فريد بعينين زرقاوين و ابتسامة سخرية، مر الرجل فتوجه فريد إلى الملثمين بقوة و هو ينتزع الأوراق من بين ايديهم بقسوة و يتأملها، عرف أنهم في مطار هرودنا الذي يخدم بلدة جرودنو في دولة بيلاروسيا، حاول أن يقرأ الأوراق إلا أنها كانت مكتوبة بلغة لم يفهمها، و لكي لا يُخرِج نفسه تظاهر بتأمل الورقة قبل أن يعطيهم إياها و هو يقول : "من هذا؟"

أجابه أولهم وهو يطوي الأوراق ويحفظها في جراب صغير مثبت حول خصره: "صديق قديم"

صمت فريد منتظرًا المزيد من التفاصيل ولكن تأتي الرياح دائمًا بما لا تشتهي السفن، عاد الغريب مرة أخرى ولكن هذه المرة يركب سيارة دفع رباعي ضخمة ويقف بجوارهم، قفز الملثمان إلى السيارة برشاقة رغم

ضخامة جثثهم بينما عانى فريد من جسده المترهل وهو يركب السيارة وبمجرد أن استقر بها وحيدًا في المقعد الأخير، بدأ يتنفس رائحتها الجيدة ويتأمل الملثمان اللذان جلس أحدهما بجوار السائق بينما جلس الآخر خلفهما منهمكين في حوار آخر خافت، صاح بهم فريد بغضب باللغة الإنجليزية: "أنتم !، هل تخفون شيئًا عن قائدكم؟"

تلفت أحدهم حوله ساخرًا وهو يقول: "أين هذا القائد؟"

ملأت الضحكات الساخرة المعبقة بروائح السجائر سماء السيارة قبل أن يتدارك الآخر الموقف وهو يقول: "نمزح يا زعيم ... بالطبع لا نخفي شيئًا ولكن كما أخبرناك صديق قديم ونستعيد معًا الأيام الخوالي"

أخذت السيارة تقطع الطريق وسط همسات الثلاثي الذي يجلس متجاورًا في الخلف بينما صمت فريد الذي أخذ يستمع إلى صوت بضع صخور تهشم تحت عجلاتها فتلقي حتفهما بصمت، أخيرًا توقفت السيارة أمام إحدى البنايات وفُتحت أبوابها ليهبط الجميع، سأل فريد: "هل وصلنا إلى هدفنا؟"

أجابه أحد الملثمين بهدوء: "لا، هذا بيت آمن تابع للمنظمة، سنصعد لنفهم مهمتنا قبل أن نتحرك"

هز رأسه متفهمًا و هم يصعدون على سلم البناية ليقفوا أمام أحد الأبواب الذي فتحه الغريب ليدخلوا، شقة فسيحة هادئة،ابتسم فريد و هو يستمع للموسيقي التي انطلقت جَرَّاءَ ضغط الغريب على أحد أزرار جهاز تحكم كان موضوع فوق منضدة عملية صغيرة، دخلوا إلى غرفة فسيحة تحوي أريكة و عدة مقاعد و شاشة تلفاز ضخمة و تحتوي على بار صغير، دخل أحد الملثمان إلى البار وانهمك في فحص الزجاجات قبل أن ينتقي

زجاجة و هو يصيح فرحًا بكنزه الصغير، انتقي اربعة كؤوس و صب لكل منهم رشفة شراب صغيرة، أعطي لكل منهم كأسه و لكن فريد هز رأسه ورفض الشراب، ظهرت الدهشة على وجه الرجل قبل أن يسأله عن السبب، أجابه فريد بكلمة واحدة : "مُسلم"

ضغط الرجل على كأسه بقسوة فتهشم بين يديه و سال السائل أرضًا ملوثًا بالدماء قبل أن يطلق سبة بصوتٍ عالٍ و هو ينظر الجهة الأخرى و كيلا يتوتر الموقف فتح الغريب الشاشة و ضغط زرًا في جهاز التحكم عن بُعد الخاص بها فظهرت صورة شخص ما، شاب ثلاثيني أشقر ذو عينين عسليتين و ابتسامة ساحرة يرتدي معطفًا أبيض، صورة أخرى ظهر معمل علمي مجهز بأحدث الأجهزة العلمية، الصورة الثالثة و الأخيرة كانت خريطة المدينة مع إشارة بنقطة سوداء توضح مكانهم حاليًا و أخرى حمراء تشير إلى مكان هدفهم، أغلق الغريب الشاشة و بدأ يتكلم : "العالم أيدا سيلفا، 29 عامًا، أحد أهم علماء و أطباء علاقات الجسد البشري و صاحب أهم نظريات الذاكرة و علاقتها بالجسد، هذا هو هدفكم، هذا أحد أهم أسباب المشكلة الحالية التي يُعاني منها الكوكب"

ولأن خير الكلام ما قل ودل صمت الغريب فبدأ فريد يسأل: "ما الذي فعله؟"

"الأسئلة ممنوعة يا سيد فريد، ليس لأنني أعرف ولا أريد إخبارك ولكن لأنني فعلًا لا أعرف، الأسئلة ممنوعة تمامًا هنا"

سأل أحد الملثمين: "هل المطلوب القبض على الهدف؟"

أجاب الملثم: "لا"

سأل فريد بقلق: "إذن ما المطلوب؟"

"تصفيته"

***

في هدوء تام و بدون أي صوت كان الملثمان يصعدان السلم، حتى أصوات أحذيتهم المطاطية الخافتة حاولوا كتمها قدر استطاعتهم، كانا يصعدان من السلم الخلفي الخارجي الذي يسمي سلم النجاة محاولين البحث عن نافذة مفتوحة أو مكسورة يدخلون منها إلى المبنى لأن الباب الخلفي مفتوح، هناك حيلة قديمة يتبعها البعض في هذه الحالات ألا وهي الضغط على كل أزرار الـ (ديكتا فون) المعلق أسفل البناية فبالتأكيد ينتظر أحد السكان شخصًا ما أو شيئًا ما و لكن نظرًا لسرية مهمتهم و حرصهم أشد الحرص على التخفي قدر الإمكان حاولوا التسلل لسلم النجاة، كان السلم معلقًا على ارتفاع عالٍ و كاد فريد ييأس إلا أن أحدهما قفز برشاقة قفزة هائلة ليتعلق به و يجذبه للأسفل، خانهم السلم المعدني و صرخ نتيجة تعطله عن العمل لفترة و لكنهم لحسن الحظ كانوا في شارع جانبي فلم يلتفت لهم أحدًا، و الآن هاهم يبحثون عن نافذة مفتوحة كي يدخلون منها و يفتحوا الباب لفريد المنتظر بالأسفل، المعلومات تقول أن وجهتهم تقع في الطابق العشرون و يجب ألا يستعملوا المصعد، هكذا أمروا و هكذا سينفذون، أخيرًا لمحوا نافذة مفتوحة فتوجهوا إليها، أزاحوا الستارة التي تغطيها و دخلوا إلى المنزل بهدوء، وجدوا أنفسهم في غرفة معيشة بداخل شقة دافئة، صوت التلفاز يعمل و لكن لا أحد يشاهده هذا لأنهم يتأملون الآن الأسرة المكونة من أب و أم و طفلين يتناولون الطعام، الطفل الأصغر كان أول من رآهم و يبدو أن مظهرهم الملثم و اللون الأسود الغالب على أزيائهم لفت نظره، توقف عن تناول خضرواته و انهمك في تأملهم بهدوء، حاولت أمه مرة تلو الأخرى أن تحثه على استكمال طعامه و لكنه لم يرد عليها فاضطرت أخيرًا أن ترى ما يلفت نظره، كان

الملثمان قد استلا مسدساتهما و هما يتحركان ببطء و هدوء عندما وقعت عينا الأم عليهما، شهقت في عنف و قالت شيء بلغة لم يفهموها و على الفور التفت الأب و لكنه للأسف لم ير سوى الرصاصة التي سكنت جمجمته فأخرجت الروح منه، تألقت عينا الملثم الأول بينما عالج الآخر الأم برصاصة حملت تذكرة سفرها لتقابل زوجها في رحلتهم الأخيرة فسقط رأسها وسط طبق من الحساء الذي تلوث الآن بلون أحمر و برصاصتين كتم صوتهما كاتم الصوت الذي زين مقدمات المسدسين انتهت حياة أسرة كاملة كان لها أحلام وأدتها الرصاصات قبل أن تولد، ضغطا الزر المخصص لفتح الباب و تأكدا أن فريد يصعد السلم،انهمكا في تجهيز مسدساتهم مرة أخرى و التأكد من حشوها بالذخيرة المناسبة، أخيرًا وصل إليهما فريد فصعدوا على الفور بهدوء يقطعون الطابق تلو الآخر و يتجاوزون ما لا يهمهم في سبيل الوصول لهدفهم، في الطابق التاسع عشر وقفوا ليتأكدوا من كل شيء، دق قلب فريد بعنف على عكسهما فهو رجل عادي و ليس رجل أمن أو مجرم سابق مثلهما، أشارا له بالتسلح فحمل سلاحه الصغير و أشهره أمامه، صعدا إلى الطابق العشرين ووقفوا أمام الشقة المنشودة،احتل الملثمان جانبيها كلٌ إلى جانب ووقف فريد يحتل المقدمة، ركل فريد باب الشقة الذي لم يجادله طويلًا فانفتح على مصراعيه ودخل الملثمان إلى الشقة ليفتشاها بحثًا عن هدف اقترب موعد صيده، كان فريد يسمع صوتهم يقلبون الأثاث و يعيدون ترتيب هيئة الشقة، صوت زجاج يتحطم و أدراج ينتهك عرضها، قبل أن يسمع صوت خافت يأتي من خلفه، من جوف علبة المصعد تحديدًا، نظر بحرص فلم ير شيئًا، المصعد مظلم، فتح بابه الخارجي و قبل أن يفتح الباب الداخلي دفعه أحدهم بعنف،التصق الباب بوجه فريد الذي شعر بألم حاد في أنفه، سالت الدماء من أنفه لتغطي نصف وجهه السفلي بينما استغل الطبيب الشاب المفاجأة و هو يحاول المرور لينزل درجات السلم،

تعلق فريد بقدمه في اللحظة الأخيرة فسقط أرضًا لتصطدم رأسه بالأرض، أصابه الدوار فلم يستطع الحركة لكن لسانه لم يكل أو يمل، حاول أن يخاطب فريد، أن يستغل عاطفته، أن يتحدث مع عقله عله يستمع، بكلمات أرهقها الدوار تحدث : "اسمعني، لا تكن غبيًا، أنا الأمل الأخير لهذا الكوكب، هناك مسودة كُتب فيها جميع المعادلات الخاصة بالجهاز الذي تنوون تحطيمه، لو تحطم هذا الجهاز لن تستعيد الأرض توازنها مرة أخري"

"جهاز!، ما لنا وجهازك، أنت خطر على هذا الكوكب ووجودك يهدد أمنه"

"هذا ما أوهموك به، يجب أن تسمعني جيدًا، هذه المسودة لا يعلم أحد مكانها سوى ثلاثة، أعتقد أن حياتي انتهت هنا ولكن كي تعلم لا يستطيع أحد أن يقرأها ويفسر ما كتب بها سوانا، يجب أن تتركني أرحل، أنا الأمل الأخير"

قبل أن يستكمل كلماته زينت جبهته رصاصة أخرسته للأبد ولكنها أبدًا لن تفلح في إخراس التساؤلات المثيرة التي تعتمل بعقل فريد، نظر له الملثم وهو يسأله بخشونة: "ماذا كان يقول لك؟"

"كان يرجوني ألا أقتله"

"فقط؟"

"أجل ... فقط"

"لا أصدقك ... ولكننا سنري"

ابتلع فريد ريقه بصعوبة وهو يمشي خلفهم آملًا ألا يكونوا قد حضروا الحوار منذ البداية وطفق يفكر في سر هذه المسودة وسر علمائها الثلاث

(15)

أتدري حين تكون مستكينًا تبحث في وادي الأحلام عن أحلامك الضائعة التي طالما حلمت بها و لم يسعفك الزمن أو بمعني أصح لم يسمح لك القدر أن تنفذها، تلك الأحلام التي صارت تافهة برغم عظمتها بسبب ضغوط الحياة، حلم أن تكون طبيبًا أو مهندسًا الذي تضاءل أمام نظام تعليم يعتمد على درجات و ليس رغبات، حلم أن تتزوج حبك الأول الذي سحقته ظروف الشقة والمصاريف و حلم مشروعك الأول الذي هُدم بسبب التكاليف التي تطلبها، كل تلك الأحلام وغيرها تراها الآن بين يديك، تشعر بها ملموسة و تنتعش روحك بالأمل في أن الأوان لم يفُت وأن تحقيق تلك الأحلام ما زال ممكنًا، ستستبدل مشروعك بآخر يناسب متطلبات هذا العصر وزواجك بالاهتمام بزوجتك الحالية و تدليلها بينما الحلم الأخير لن تستطيع إيجاد حل له لأنك ستشعر بموجة من الماء البارد تصدمك في وجهك لتصفع أحلامك البريئة التي ستهرع خوفًا لتختبئ مرة أخرى في غياهب جزء مات من قلبك، هذا ما شعر به حازم حينما اصطدم دلو ماء بارد بوجهه ليعيده إلى تلك الحياة مرة أخري،انتفض في عنف و هو يعتدل قبل أن يتأوه و يمسك برأسه و يسب في ألم بلغة عربية ، بدأت الرؤية تتضح أمامه و بدأ يرى مجموعات من الأشخاص يتأملونه و هم يبتسمون في شفقة، في الحقيقة لم يكن عددهم كبيرًا و لكنه قدَّر عددهم بأنهم حوالي المائة قد يزيدون و قد ينقصون، من أمامه هناك منضدة قديمة متهالكة تم تغطيتها بقطعة من قماش أخضر اللون في محاولة لإخفاء تهالكها الواضح بينما خلفها يجلس شخص أسمر البشرة ذو لحية مشعثة و يجلس على مقعد أحمر اللون ضخم التكوين يحاول

بائسًا أن يبدو كعرش،اعتدل حازم و هو يحاول التوقف، شعر بالدوار فكاد يسقط، حضر الشخص الذي رآه من قبل يبتسم أمام بابه و حاول أن يسانده كيلا يسقط لكن حازم انتزع ذراعه منه بعنف و سخط و هو يتمالك نفسه و يستعيد توازنه و يسأل الشخص الذي يحاول أن يبدو ملكًا : "أين أنا؟"

ابتسم الملك وأمر بإحضار مقعد له كي يجلس أمامه، سرعان ما حضر طفل لا يتجاوز الخامسة عشر يحمل المقعد والأمر الذي لفت نظره أن هذا المقعد كان يبدو أحسن من مقاعدهم، هم يحاولون الظهور أمامه بصورة حسنة، جلس وهو يصوب نظراته تجاه الملك الذي حافظ على ابتسامته لم تتزعزع وهو يجيب سؤاله: "أنت في المقر الرئيسي لكتائب صُناع الفوضى"

ظهر الغضب على وجه حازم وهو يقول: "ما الذي يحدث، هل جننتم، صُناع الفوضى والمنظمات والمزيد والمزيد من التسميات، أيعقل أن تسمي كل مجموعة نفسها اسمًا مثيرًا وتعيث في الأرض فسادًا، أما كفاكم؟"

جاءته المفاجئة في ابتسامة الملك التي لم تتزعزع أمام ثورة حازم بل وبهدوء أجابه: "صُناع الفوضى هم صنيعة المنظمة، هي من مولتهم ودربتهم وحرصت على زرعهم في أماكن محددة لكي تخدم أغراضها ولكننا أفقنا، متأخرين ولكن أن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي لذا نحاول القيام بعمل صالح، اعتبرنا مجموعة من المرتدين عن دين الظلم أو فلول المنظمة ولكن يجب أن تسمعنا جيدًا قبل أن تتمادى في ثورتك ويجب أن تعرف أنك سترحل آجلًا أو عاجلًا، أنت لست أسير أو سجين"

ارتاح قلب حازم لأنه شعر بجزء من حريته يعود إليه فبدأ يعتدل على المقعد معطيًا إشارة للملك أن يبدأ بالحديث و لكن الملك أشار لأحد الموجودين فاختفى لبرهة قبل أن يعود بجهاز عرض بدائي مكون من عمودين من الخشب بينهما قطعة قماش أبيض اللون و من أمامها جهاز عرض صغير يرمي بصورته على القماش الذي أيضًا يحاول بدوره أن يتحول لشاشة عرض سنيمائية، بدأ عرض فيلم قصير أغلبه مصور بكاميرات بدائية ذات جودة قليلة و لقطات ليس لها علاقة ببعضها البعض وضعت في ترتيب غير مفهوم و لكن في نهاية الخمس عشر دقيقة أو ما يزيد قليلًا المكونة لمدة عرض الفيلم كان وجه حازم قد احمر تمامًا، تعلم مصطلحات لم يسمع بها من قبل ككتيبة المحاربين و محاربي المسوخ و غيرها من المصطلحات الجديدة،انتهي من الفيلم و تأمل وجه الملك الذي اختفت ابتسامته ليحل محلها أطنان من الحزن و الشعور بالمسؤولية، وجه حديثه إلى الملك مرة أخرى : "الموضوع أكبر مني و منك فما الذي تريده مني؟"

"الصبر يا عزيزي فلولاه لانتهى الزمان"

ضغط زرًا آخرًا فظهرت صورة الخريطة المستخلصة من ذاكرة هاتفه لتملأ نصف الشاشة وصورة فريد صديق عمره تملأ النصف الآخر وبدأ الملك حديثه مرة أخرى: "لكل منا دافع يحثه على استكمال تلك اللعبة مهما بلغت حقارتها وقسوتها، أريد أن أعرف دافعك ... المال، زوجة، طفل، عمل أو صداقة؟"

"زوجة تحمل طفلًا بداخلها"

ابتسم الملك وهو يقول: "الصورتان اللذان أمامك هم أول الطريق لاستعادة كل شيء ولكن يجب أن تسمعني جيدًا"

"هذا فريد صديقي وهذه الصورة هي خريطة طلبت مني المنظمة تصفية بعض الأشخاص الموجودين بعناوين محددة بها"

"في الحقيقة يجب أن تنقذ هؤلاء الأشخاص، تلك هي بداية الطريق لاستعادة كوكبنا ويجب أيضًا أن تعلم أن فريد مكلف بتلك المهمة أيضًا، يجب أن تقنعه بالتوقف"

ضغط زرًا آخر فظهرت صورة رجل مترهل قذر الهيئة وأشار إليه الملك وهو يقول: "هذا هو فريد ... سأخبرك بمكان جسده وسأساعدك في توصيله للمكان التالي، لقد انتهوا للأسف من القضاء على أحد أهم آمال الأرض ويتجهون الآن إلى آخر... اسمعني جيدًا"

بدأ الملك في الحديث ومع كل كلمة بدأ يتأكد حازم أن الوباء الأعظم موجود في العقول والقلوب وليس في مكان آخر!

***

تألق السؤال فجأة وسط حديث الملك، حاول حازم أن يتماسك وألا يقاطعه لكن فضوله تجاه السؤال فاق فضول القط فلم يتحمل، انطلق التساؤل من بين شفتيه كقذيفة: "لماذا نحن!"

صمت الملك ولم يُبْدِ أي تبرم أو ضيق على ملامحه رغم أنه ملك وأن إشارة منه ستجعل حاشيته تأكل حازم أكلًا ولكن يبدو أن المقاعد والمناصب لا تغير أصحابها وأنها آفة العرب وحدهم، لو جرؤ حازم وقاطع مدير وحدة صحية مصري لدفنوه حيًا، إلا أن هذا لم يحدث لحسن حظه ولكن على العكس تمامًا ابتسم الملك في هدوء وهو يتيح الفرصة لحازم كي يستعرض

سؤاله ويأتي بما في جعبته ليلقيه أرضًا كي يراه الجميع، لاحظ حازم الصمت فتابع أسئلته: "لماذا نحن؟، أنا مجرد رجل شرطة متقاعد وفريد ليس شخصًا مهمًا على قدر علمي؟"

صمت قليلًا قبل أن يستفسر مرة أخرى: "هل كيان ضخم بحجم المنظمة يحتاج لرجلان عاديان كل مهارتهما تكمن في لعب الطاولة والدومينو؟، لم لا يبحثون عن أبطال يشبهون أبطال الأفلام الهوليودية، أبطال مفتولي العضلات، وسيمي الخلقة، سريعي التفكير وحادي الذكاء؟، لماذا رجلان يشبهان أي رجلان آخران؟"

حافظ الملك على ابتسامته برغم قسوة وحدة أسلوب حازم الذي انتهى من أسئلته محمر الوجه وعلامات الغضب منحوتة على ملامحه وبهدوء أجاب: "يجب أن تعرف يا صديقي أن أي ماكينة في العالم تدور بفضل مجموعة تروس، منها الكبير ومنها الصغير ولكن هذه التروس كلًا منها يعتقد أنه بفضله وحده تدور تلك الآلة مهملًا كل الأدوار الأخرى بفضل غروره وكِبْرُه، هذا ما وقعت أنت فيه أو كدت تقع فيه، هل تعتقد أن المنظمة اختارتك أنت تحديدًا؟؟ أنت مجرد ترس وترس صغير جدًا، الذي لا تعرفه أن المنظمة تلعب لعبتها بطريقة الفرق، هناك حتى الآن أربعة عشر فريقًا سبقوا فريقك أنت وفريد ولكنهم فشلوا جميعًا وأنت ربما ستفشل، لا تغتر بنفسك يا صديقي فخلفك تنتظر مئات الفرق منتظرة أن تؤدي نفس دورك وربما أفضل منك ولكنها لن تشارك إلا في حالة فشلك، وفشلك بالنسبة للمنظمة يعني الموت، والموت فقط"

"أربعة عشر فريقًا فشلوا؟"

"نعم، منهم على الأقل حوالي ستون بالمائة منهم لم يصلوا لوجهتهم كي يبدأوا مهمتهم، منهم من اغتالته أصابع العدالة سواء متمثلة فينا أو في

غيرنا ولو أنك رجل أمن سابق وستتفهم الأمر ما جازفنا بكشف أنفسنا إليك"

"أنتم !، أنتم من حاول قتلي من قبل!"

نظر الملك أرضًا وهو يجيبه: "هذا قبل أن تهرب وتثبت كفاءة في المقاومة والنجاة حتى الآن"

وقف حازم وهو يصرخ: "أيها الأوغاد"

وعلى الفور عشرات الرماح والأسهم والسيوف وجهت إليه تنتظر إشارة من الملك لتحيله كتلة من اللحم المفروم إلا أن إشارة الملك جاءت على النقيض تمامًا لتدخل هذه الأسلحة مرة أخرى كُلٌّ إلى عرينه، تأمله الملك وهو ثائر غاضب قبل أن يشير له بأن يجلس وكأن الملك يحمل في يده مفاتيح نفسه القلقة استجاب له حازم على الفور فتابع الملك حديثه: "ستحاول يا حازم، ربما تنجح وربما تفشل، ستساعدنا وستساعد الكوكب وإن نجحت فنحن عون لك"

"وإن فشلت؟"

"نحن من سنقتلك، سر تمردنا يجب ألا يُكشف أو يذاع؟"

"وكيف ستضمن ولائي؟"

"لن تكون وحيدًا في صراعك، نحن أيضًا سنخوض صراعًا شاقًا من أجل ضمان ولائك"

صمت الملك وهو يضغط زرًا في جهاز التحكم لتظهر صورتها على الشاشة، سقط قلبه أرضًا وهو يرتجف حنينًا وينظر للملك الذي اختفت ابتسامته الآن تمامًا.

(16)

وصلوا لندن، عاصمة الضباب، خرجوا من المطار في سيارة صغيرة خاصة بالمطار ولكنهم سرعان ما استغنوا عنها بعد أن قطعت عدة شوارع خالية من المارة، نقدوا السائق مبلغًا ماليًا مع نظرة حادة تخبره ألا يطلب شيئًا آخر، سألهم فريد: "أين سنذهب الآن؟"

نظرا له ولكن أحدهما لم يجبه، تركاه ومشيا بخطوات سريعة وأحدهما يتأمل جهاز إلكتروني في يده يعمل عن طريق شبكة الإنترنت، كانوا يظهرون في الجهاز على شكل نقطة حمراء تتحرك في طريق أزرق اللون يتعرج كالثعبان لينتهي عند نقطة خضراء تومض بكثرة كلما اقتربوا منها، لم يجد فريد سبيلًا سوى أن يتبعهم في هدوء، بدأ يفهم قواعد اللعبة، هو مجرد واجهة للأمر، رئيس لا حول له ولا قوة أما هما فهما القادة الحقيقيين ولكن لأن سجلهم ملوث بجرائم وإدانات تم اختياره هو ليكون مجرد دمية بلهاء تسعد بالقيادة

تبعهم في صمت و هو ينوي أن يغير قواعد اللعبة، طالما لجئوا لتهميش دوره فسيظل مهمش و لكنه سيلعب بخبث، يجب أن يتأكد أولًا من الكلام الذي قاله له الطبيب وهو يحتضر ثم عليه أن يجد تلك الأبحاث التي تحدث عنها و أن يلجأ لأحد الشخصين أولًا لكي يشرحها له ثم سيفرد باقي قواعد اللعبة لكن أولًا القاعدة الأهم هي أن يتظاهر بالحماقة لذا تبعهم في صمت مقيدًا أفكاره كيلا تفضح خطته، أخيرًا وصلوا للمكان فأغلق الأول الجهاز وبصمت دون تبادل أيَّ كلمة مع فريد أخرجوا أقنعة سوداء وغطوا وجوههم تمامًا، فتحوا الباب ليجدوا امرأة عشرينية كانت

توشك على الخروج قبل أن تقف لتتأمل أسلحتهم و أقنعتهم بفزع، فتحت فمها لتصرخ طلبًا للمساعدة و لكن رصاصة صامتة كتمها كاتم صوت أقنعتها أن تعدل عن رأيها و تسقط ميتة تحت أقدامهم و بلا أي مبالاة تقريبًا تخطوها وهم يصعدون السلم بخطوات بطيئة. توقفوا أمام إحدى الشقق و بهدوء وَجَّهَ أحدهم ركلة للباب، فتح الباب على مصراعيه و لكن قبل أن يدخلوا للشقة خرجت منه رصاصة أصابت أحدهما في ذراعه و في المكان الذي يفصل الدروع الواقية عن بعضها، هذه الرصاصة خرجت من سلاح شخص يعرف جيدًا من يواجه و كذلك يعرف نقاط ضعف دروعهم، شعر فريد بالفزع و هو يتأمل الدماء التي غطت ذراع الملثم الذي بدا و كأنه لم يهتم برغم أنه يضغط على أسنانه كيلا يصرخ ألمًا و لكن باستثناء نظرة الألم في عينيه فإن شيئًا لم يتغير، ارتبك فريد و هو يبحث عن مكان يختبئ به قبل أن تأتيه رصاصتان إحداهما عن يمينه و الأخرى عن يساره، لم تصيباه بخدش واحد و إنما سببتا له حالة من الفزع، اطمأن قليلًا لأن مهاجمهم لم يصيبه و إنما حرص على حياته، وقف مكانه شاعرًا بالخوف يمتزج مع الأمان، لم يتحرك، نظر للملثمين فوجدهما يتأملاه بحيرة و عيناهما تسأل عن السبب الذي دفع مهاجمهم لعدم قتله؟

وقبل أن ينتبها أتاهم الموت من حيث لا يحتسبون، أصابت الأول رصاصة في حنجرته فشهق شهقة مصحوبة بحشرجة ملوثة بالدماء، اتسعت عيناه في ذهول و كأنه لا يصدق أنه مات قبل أن يسعل بعنف لتتناثر الدماء على زميله الذي شعر بالغضب فكشف عن مخبأه و هو يزمجر في قسوة انتهت سريعًا عندما سقط أرضًا مضرجًا بالدماء، وجد فريد نفسه يقف وحيدًا في مواجهة باب مفتوح و شقة خالية و جثتان أرضًا سقطتا

برصاص غادر اقتنص الحياة منهما، لم يعرف ما هو التحرك السليم و لكن شعورًا داخليًا أخبره بأن هذا الرجل لو يريد قتله لقتله بسهولة و لكنه لم يقتله لسببٍ ما و لكي يبحث عن هذا السبب تحرك ببطء ليدخل إلى الغرفة عندما رآهما للمرة الأولي، ثقبان صغيران في الحائط المقابل للباب أحدهما عبرت منه فوهة بندقية روسية الصنع بينما الآخر تلتمع فيه عين مليئة بالشغف، عندما دلف إلى الشقة انسحبت فوهة البندقية و اختفت العين، وقف فريد يرتجف و هو ينتظر الخطوة التالية التي لم تتأخر، سرعان ما فُتِحَ باب جانبي خرج منه شخص يرفع يديه للأعلى في استسلام و هو يضع قناع أسود بلا أي فتحات و خلفه يمشي ملثم مصوبًا البندقية إلى ظهره، تأمل فريد الوضع قبل أن يركع على ركبتيه و هو يرفع يديه للأعلى هو الآخر بدوره، أشار له الملثم أن يقف و ألا يرفع يديه فامتثل للأمر بحيرة، خلع الملثم القناع عن وجه الضحية فصُعق فريد، كان جسده يقف أمامه، جسده بشحمه و لحمه، صحيح أنه خسر الكثير من الوزن و اختفت عدة عضلات سيبذل الكثير من الجهد من أجلها فيما بعد ولَوَّحَت الشمس بشرته و خسر أحد أصابع يده اليسري لكنه هو، تسمر و هو لا يعرف ماذا يفعل قبل أن يخلع الملثم قناعه لتظهر ملامح حازم و هو يبتسم : "مرحبًا يا فريد"

***

تسمر فريد مكانه في صمت، لا يدري ما هي الخطوة القادمة، هل يبحث عن طريق لاستعادة جسده أم أنه يجب أن يسرع لاحتضان صديقه خصوصًا و أنه من أتي له بمراده الذي تورط بسببه في هذه المغامرة ، حسم أمره عندما رأي ابتسامة صديقه التي طمأنته عبر الكثير من المشاكل و كانت خير سند و دعم، اندفع له يحاول احتضانه لكن بابتسامة

صغيرة نبهه حازم إلى المسدس الذي لو هبط لدقيقة لهرب الأسير و بالتالي سيفقدون فرصة و الفرصة كما يعرف البعض تأتي مرة واحدة فقط في العمر، أمر حازم الأسير أن يهبط أرضًا ليركع على ركبتيه ريثما يتم لقائه مع صديق عمره، هبط الأسير فاندفع حازم يحتضن صديقه و يضمه و هو يربت عليه، أخيرًا وقفا يتأملان بعضهما قبل أن يقول حازم ببطء : "هذا الجسد يليق بك كثيرًا"

ابتسم فريد قبل أن يجيبه بمرح: "أريد القديم، هذا لا يناسبني"

ضحك حازم وهو يجيبه: "أتعرف، لطالما كان جسدك لغزًا محيرًا بالنسبة لنا، كنت أكثرنا أكلًا وأقلنا زيادة في الوزن، أتعرف محمد زميلنا الذي كان يزيد وزنه بمجرد أن يشم روائح الطعام؟"

ضحك فريد بقوة وهو يتذكر أيام كان العالم فيها أهدأ والنفوس فيها أصفي ... أيام كانت الذكريات لا تفارق الجسد إلا للموت، جلس فريد وهو يتأمل صديقه قبل أن تزحف نظراته رغم إرادته ليتأمل جسده القديم، هاجمته موجات الحنين والرغبة لامتلاكه مرة أخري، نظر لحازم الذي فهم قبل أن يقول له: "بالطبع أنت لا تعلم كيف تسترد جسدك؟"

"افترض أني لا أعلم، اشرح لي وببطء كي أستطيع استيعاب الأمر"

"الأمر بسيط للغاية، كل ما عليك فعله هو أن تؤمن بداخلك أنك تريد استرداد جسدك وذكرياتك وأن تتم عملية التبادل، أغلق عينيك وانتظر عملية التبادل، لا تفتح عيناك إلا حين انتهائها"

سأل فريد: "وكيف سأعرف؟"

لاحت ابتسامة قلق على وجه حازم قبل أن يجيبه: "ستعرف ... صدقني ستعرف"

تأمل فريد جسده الذي يجلس أرضًا مستكينًا قبل أن يأتيه خاطر فيسأله لحازم بصوتٍ عالٍ: "أتدري، لقد تحدثت لغة لا أفهمها وتحدثت بالإنجليزية والآن أخاطبك بالعربية، لا أدري موضوع اللغات هذا لا أفهمه ... كيف نتحدث العديد من اللغات؟"

ابتسم حازم وهَمَّ بالإجابة قبل أن يسمع صوت سعال يأتي من غرفة داخلية، ابتسم وهو يستأذن من صديقه ويخبره وهو يرحل: "السبب بسيط للغاية، كل من وجد ذكرياته يتحدث بلغته الأصلية أما من لم يجد جسده فيتحدث الإنجليزية التي يعرفها الجميع أو على الأقل يعرف القدر الكافِ منها للتعامل، لا تنس أنها اللغة العالمية الأولي "

تأمل فريد الشخص الأسير الذي يسكن جسده وهو يرى القلق يتقافز في عينيه قبل أن يقرر أن يسأله بلغة عربية وبصوت خفيض: "هل تفهمنا؟"

ابتلع الأسير ريقه وهو يهز رأسه إيجابًا، ابتسم فريد وهو يسأله: "من أين أنت؟"

أجابه بصوت خافت: "سنغ ... سنغافورة"

قبل أن يجيبه فريد دوي صوت رصاصة غادرة تركت فوهة مسدسها لتشق الهواء شقًا قبل أن تستقر في صدر فريد ... تأمل بأعين ينسحب منها الضوء تدريجيًا قسمات وجهه الأصلي وهي تُغَطَّي بالفزع و الدماء قبل أن يأتي ميعاد إغلاق العينين بستارة الموت السوداء، خرج حازم من الغرفة فَزِعًا وهو يُشهِرُ مسدسه فوجد أحد الملثمين يحتضر و قد استنفذ آخر

طاقاته في قتل فريد، شعر بالخوف أن يموت الملثم و ذكريات فريد بداخله قبل أن يتمكن من استردادها، صَوَّبَ المسدس نحو رأسه استعدادًا لصيد ذكرياته و ذكريات فريد من داخله و لكن جسد الملثم سكن أرضًا و توقف تنفسه، أودعه حازم رصاصة في رأسه فتفجر قبل أن يغلق عينيه و ينتظر أن يصيد ذكرياتهما لكن شيئًا لم يحدث، أغلق عينيه مرة أخرى و هو يضغط على أسنانه قبل أن يفتح عينيه و يفرغ المسدس في جسد الملثم و هو يصرخ : "هيا، هيا !"

لكن شيئًا لم يحدث على الإطلاق، ضاعت الفرصة ووأد الأمل واغرورقت عيناه بالدموع وهو يطلق آخر رصاصاته على الجسد الهامد

(17)

دوّت أجراس الإنذار تصرخ فزعة لتنبه الموجودين بفداحة الأمر و على الفور تحول المبنى الهادئ لخلية نحل نشيطة يجري بها الجميع و يُعاد ضبط جميع الشاشات و أجهزة الحواسب على برامج معينة ليتمكن الجميع من متابعة ما يحدث، في طابق معين كانت الأمور أكثر سخونة من باقي الطوابق، تحرك الجميع بفزع يقدمون تقاريرهم إلى الزعيم ... قائد المنظمة، بينما انهمكت بضع موظفات استقبال حرصن على ارتداء زي موحد على ترتيب التقارير التي ستدخل و بينما ينتظر الجميع التقرير الأهم، تقرير المسؤول المباشر عن الأمر شعروا بالتوتر، منهم من قبع يقرض أظافره بغير اهتمام للألم التي تسببه تلك العملية، بعضهم انهمك في هز أقدامهم بوتيرة معينة ولأن التوتر مُعْدٍ ولأن الجميع هنا يشعرون بالمسؤولية نشبت بعض المناوشات القليلة هنا وهناك ولكن أهمية الأمر وأدتها قبل أن تستفحل أو تنتشر، في مكتب يحتل منتصف الغرفة سمعت موظفة الاستقبال الأهم والأقدم صوت جرس يأتيها من جهاز الاستدعاء،ضغطت الزر لتفتح شبكة اتصال مع جُهاز آخر شبيه في المكتب بالداخل وأتاها صوت الزعيم ملوثًا ببعض الشوشرة الإلكترونية وهو يقول بهدوء لا يتناسب مع الموقف : "رمزي !"

بدون أن يزيدها من القول حرفًا و بدون أن تنتظر هي أن تسمع المزيد قفزت في سرعة لتشق الممر بخطوات سريعة متجهة لمصعد معدني، ضغطت زره فاستجاب في سرعة فاتحًا أبوابه أمامها على مصراعيها، دخلته و ضغطت زرًا آخرًا فاستجاب مرة أخرى آخذًا إياها إلى وجهتها بغير

نقاش، وصلت للطابق المطلوب فخرجت من المصعد تتأمل مدى الفوضى التي سببها غياب المسؤول عن هذا الطابق، بضع موظفين يعدون هنا و هناك يحملون أوراقًا تتطاير من أيديهم لتسقط أرضًا قبل أن يجمعونها في سرعة متابعين طريقهم بفزع لا يعرفون سببه، أضواء الإنذار تغطي الموجودات بلون أحمر قانٍ و صوته يشبه الصرخات الحزينة، وقفت منعقدة الحاجبين لوهلة قبل أن تتحرك في سرعة إلى لوحة إلكترونية في الحائط و تضغط أرقام كلمتها السرية في سرعة و مهارة تدل على أن تلك ليست مرتها الأولي في التعامل مع تلك اللوحة أو شبيهاتها، فتحت باب اللوحة و ضغطت زرًا ما فصمت المكان تمامًا و على الفور تحول الأمر لما يشبه أحد أفلام السينما التي ضغط أحدهم زر توقفها، تجمد الجميع في أماكنهم يتابعونها، أغلقت الباب بقوة فبدأ الجميع يستفيق من الصدمة و يتحركون لإتمام الأعمال المكلفين بها ريثما تمر تلك الأزمة على خير، توجهت بخطوات واثقة و كعب حذائها يطرق الأرض بشدة حاولت أن تجعل بأسها يطغى على أنوثتها و هي تتجه إلى باب تعرفه جيدًا و بدون أي مقدمات فتحت الباب بقوة و توقفت أمام رمزي الذي نظر لها بدهشة و هو يلتهم قضمة كبيرة من شطيرة يحملها في يد و يده الأخرى مشغولة بحمل كوب كبير من المياه الغازية التي تسبح بها جزر من ثلج أوشك على الذوبان، ارتفع حاجباه و هو يشير إليها بالشطيرة و لكنها دون أن تبتسم أغلقت الباب خلفها و توجهت لتجلس على مقعده أمام شاشاته و أجهزته التي تملأ منضدة كبيرة، ابتلع طعامه و هو ينظر لها قبل أن يبتسم و يقول :"لا داعي لأن تطرقي الباب في المرات القادمة، من فضلك ادخلي فورًا"

لم تبتسم بل وعكست عيناها صرامة فاجأته هو شخصيًا فترك كوب المياه الغازية والشطيرة جانبًا وبدأ يبحث عن شيءٍ يمسح به يديه من

الدهون والزيوت التي لوثتها فلم يجد، اقترب منها في بطء فحملت نظرتها تحذيرًا ناريًا فاضطر أخيرًا إلى تناول وريقة من فوق المكتب ليمسح بها يديه ويلقيها بعيدًا، جذب كرسيًا من آخر الغرفة وجلس بجوارها وهو يسألها: "ما الأمر؟"

أجابته بصرامة: "ألا تعرف؟"

ظهر الارتباك في عينيه وهو ينظر للشطيرة ويقول: "ولكنني دفعت ثمنها نقدًا ولم أضيفها إلى نفقات العمل !!"

بصوت حمل صرامة لم يتوقعها صاحت به: "رمزي !!"

ابتسم ببساطة وهو يقول لها: "إذن الأمر بخصوص التقرير؟"

هزت رأسها إيجابًا فتابع هو كلماته: "الأمر بسيط للغاية ولا يحتاج لأي تقارير على الإطلاق"

نظرت له وملامحها تعكس نظرة عدم فهم فتابع: "سأصعد للمدير بنفسي بدلًا من إرسال تقريري"

هزت رأسها نفيًا: "لابد من تقرير مكتوب ليضاف إلى سجلات الحادث"

ارتبك وهو يقول: "سأخبره كل الأمور وسأطمئنه بل سأعطيه دراسة شفوية كاملة عن الأمر، معطياته ومستجداته"

سألته: "أين التقرير؟"

نظر للورقة الملوثة بالدهون وهو يقول لها بارتباك: "لم أكتبه بعد"

لاحظت نظرته للورقة فتناولتها غير عابئة بتلوث يديها هي الأخرى وتأملت المكتوب بها قبل أن تسأله: "ولكن هذا ليس التقرير؟!"

ابتسم بخبث وهو يسألها: "ومن أخبرك أنه التقرير؟؟، هيا بنا نصعد للمدير لأخبره بالأمر"

خرجت من الغرفة قبل أن يعود ليتناول الشطيرة، لمحته فصاحت به بحزم: "رمزي!"

ترك الشطيرة جانبًا وتناول قلمًا وضعه في جيبه وهو يرمق شطيرته بنظرة وداع أخيرة ويخرج من الغرفة يتبعها في صمت

***

دلف رمزي إلى الغرفة خلف السكرتيرة التي قطعت المسافة بين الباب و المكتب الذي يجلس عليه المدير و ملامحه لا تعكس قلقًا أو توترًا عكس كل الموجودات بخارج مكتبه، تأملها المدير ببرود قبل أن يخلع نظارته الطبية و يضعها على المكتب و هو يمد يده ليتناول منها الأوراق، تأمل الأوراق و بدأ في تصفحها و هو يصرفها بإشارة من يده قبل أن يتوقف و يرفع عينيه ببطء ليتأمل رمزي المبتسم أمامه، لاحت نظرة تساؤل في عينيه قبل أن ينظر للسكرتيرة التي شعرت به فتوقفت وهي تنظر له، أشار لرمزي بيده و هو يسألها : "هل ستتركين السيد رمزي واقفًا هكذا؟"

التفت لرمزي وهو يبتسم بلطف ويسأله: "ماذا تشرب؟"

جلس رمزي على المقعد الموضوع جهة اليمين من المكتب وابتسم للسكرتيرة وهو يقول لها: "كوب كبير من المياه الغازية مليء بالثلج مثل الذي تركته في مكتبي، تتذكرينه"

احمر وجهها غيظًا ولكنها لم تنطق، أومأت برأسها وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها، تجاهله المدير تمامًا وهو يقرأ الأوراق بسرعة ويصنفها تبعًا لحساسيتها وأهميتها، مرت بعض الدقائق قبل أن ينظر لرمزي وهو يسأله: "أتعرف ميزة الأزمات؟"

تعجب رمزي وهو يسأله: "أولها ميزات؟"

هز المدير رأسه إيجابًا وهو يتناول نظارته لتنام على أذنيه وتبدأ مهمتها في تحسين نظره ويجيب: "من أكبر ميزاتها أنها تخبرك مَن مِن موظفيك يستطيع أن يعمل تحت ضغط الأزمات ومَن لا يستطيع"

أُعْجِبَ رمزي بالإجابة إلا أنه تجاهل التلميح قبل أن يسمعا صوت طرقات على الباب، أمر المدير الموجود بالخارج بالدخول فدخلت إحدى السكرتيرات وهي تحمل صينية فضية تحوي كوبًا من المياه الغازية تسبح على سطحه جزرًا من الثلج وكوب قهوة ساخن يتصاعد منه البخار، وضعت كوب المياه الغازية أمام رمزي والقهوة أمام المدير، تأمل المدير نظرات رمزي المتعلقة بالكوب الساخن قبل أن يسأله: "تشرب القهوة؟"

هز رأسه نفيًا وهو يجيبه: "أشمها"

أجابه بتعجب: "تشمها؟"

"نعم، أحب رائحتها التي تفتح مسام البشرة بأكملها وتصيب الجسد بحالة انتباه وتدغدغ الحواس برقة ونعومة، القهوة إكسير النشاط"

"تشعر بكل هذا بمجرد أن تشتم رائحتها؟"

"الصراحة لا أشعر بشيء ولكنني أجدهم دائمًا يرددون مثل تلك العبارات فحرصت على ألا أبدو متخلفًا، كل ما أردته هو أن أبدو عميقًا وكل ما أشمه هو رائحة بن محترق!"

ابتسم المدير وهو يتناول أولى رشفاته قبل أن يسأل رمزي: "أين تقريرك؟"

ابتسم رمزي وهو يقول: "الأمر لا يحتاج لتقرير يا سيدي، نحن نتابع الموضوع والأمور بأكملها تحت السيطرة"

"كيف وفريد وحازم تقابلا وأحدهما قد توفي أو أوشك على هذا، لا أعرف بالظبط أتدري لم؟"

"لم يا سيدي؟"

"لأن أحدهم لم يأتني بتقريره"

احمر وجه رمزي وهو يقول: "كل الأمور تحت السيطرة، ثق بي يا سيدي"

"أرجو أن تكون جديرًا بتلك الثقة"

وقف رمزي وهو يجيبه: "أشكرك"

توجه للخارج وفتح الباب وقبل أن يخرج توقف فجأة وعاد ليتناول كوب المياه الغازية وخرج من الغرفة، أغلق الباب وبمجرد أن اجتاز مكتب السكرتيرات تلاعبت على شفتيه شبح ابتسامة خبيثة، ابتسامة من يدرك خبايا الأمور وحده

(18)

توقف الزمن في هذه اللحظة، تجمدت كل الموجودات و توقفت كل ساعات العالم عاجزة أمام هذه الأزمة، توقف قلب حازم عن النبض حزنًا على مقتل فريد أمام عينيه و سيطر عليه شيطان العجز حتى شعر بغصة في حلقه، تأمل جسد الملثم الذي فارق الحياة سارقًا ذكريات فريد قبل أن يتسلمها منه حازم، حازم الذي لامته دموع عينيه على تأخر رد فعله وعلى إضاعة الوقت الهام في مناقشات فارغة، تأمل جثته المسجاة أمامه خالية من الروح و الدماء تسيل من ثقب امتص الحياة من صدره، و تأمل جثة الملثم التي مزقتها الرصاصات بلا أي رد فعل، ترك جسده يسقط على الأريكة بدون أي رد فعل أو مقاومة و هو يضع مسدسه جانبًا و يدفن وجهه بين كفيه و ينهمك في دموعه عَلَّهَا تُهَوِّنُ عليه قليلًا جسامة ما حدث، حركة خافتة في فضاء الغرفة لفتت نظره فتعلقت عيناه بها أملًا في رؤية ما يسر قلبه الحزين لكنه وجد جسد صديقه الأصلي يتحرك بعد أن نسيه الجميع في تبادل إطلاق النار الذي حدث، كان يزحف بعيدًا بجسد يرتعش فتجاهله حازم و هو يغمض عينيه بقوة محاولًا أن يجد طريقة ما للرجوع بالزمن و تصحيح الأخطاء، سمع سعلة تخرج من حنجرة مشروخة فتجاهلها و لكنه أقسم أن هذا الوغد لو أزعجه ثانيةً سيقتله، ما الهدف من إبقائه حيًا الآن؟

سمع سعلة أخرى مشروخة مع صوت أَنَّة تأتي من داخل قلب بشري يتألم ففتح عينيه في بطء و جَزَّ على أسنانه بعنف و هو يبحث عن مسدسه الذي سرعان ما وجده، أمسكه جيدًا وهو يتحرك بقوة و يزأر من شدة

الغضب قبل أن يضع فوهة مسدسه لتقبل جبهة جسد صديقه القديم الذي نظر إليه بخوف، نظرة عينيه بعثت طوفانًا من الذكريات و الحنين لكنه أغلق أحد عينيه استعدادًا لصيد ذاكرة جديدة و قبل أن يضغط على الزناد سمع الصوت يتكرر و لكن الجسد القابع أمامه لم يصدره، تلفت حوله في لهفة حتى صادفت عينه المشهد الذي سعد برؤياه، الجثة التي يسكنها فريد تتحرك، تتنفس بصعوبة و تسعل دماءً تلطخ وجهه، رباه، هذه هي المرة الأولي التي يسعد فيها شخص ما برؤية أعز أصدقائه يحتضر و لكن لا وقت للتفكير أو لأي شيء آخر،اقترب حازم من الجثة و هو يشهر مسدسه أمامه و بسرعة ضغط الزناد و لكنه لم يسمع سوى صوت تكة خافتة تنبئه أن المسدس قد نفذ رصيده من الرصاصات. بحث عن رسولًا للموت في جيبه بسرعة و لكنه لم يجد. بدأت أنفاس فريد تخفت و بدأت عيناه تتيهان في بحرٍ من ظُلُمَات و قبل أن يفقد حازم تركيزه سمع صوت صفير فالتفت في سرعة بحثًا عن مصدره وجد جسد فريد يلقي له بمسدس صغير كان بحوزة أحد الملثمين. شكره بنظرة خافته و استعد لتناول المسدس لكن وقته لم يسمح له فهو يرى آخر أضواء الحياة تنسحب من عيني فريد و بمجرد أن اقترب منه المسدس حتى أحكم قبضته عليه و ضغط زناده قبل أن يستقر في يديه، و لأن المسدس لا يزال محلقًا في فضاء الغرفة فبالطبع طاشت أولى الرصاصات ولكن الثانية تعلمت من أخطاء زميلتها فهرعت لتمتص الحياة من جسد فريد الذي استكان جسده و قبل أن يهدأ جسد حازم شعر بها. شعر بالذكريات تقتحم رأسه. كما لو أن جسده يتمدد وأوصاله تتفكك و أفكاره تحترق، لكن ابتسامة المنتصر طغت على كل هذا. شعر بذكريات صديق عمره تستقر داخله و كل ما عليه فعله الآن هو إعادتها إلى جسده. اندفع إلى جسد فريد و احتضنه بقوة كاد معه أن يسحقه شاكرًا إياه بلا كلمات

على ما فعل، فالحضن أحيانًا أصدق من مئات الكلمات، و بسرعة مد يده إليه فتفهم الأخر الموقف، أغمض كلاهما عيناه وركزا في مهمتهما، سرعان ما تبدلت الذكريات، سعل فريد بقوة بعد أن استعاد جسده و هو يحتضن زميل عمره قبل أن يتابع بعينيه نتيجة الأمر، استعادة جسده التي أثمرت عن ثلاث جثث و عشرات فوارغ الرصاصات المتناثرة هنا و هناك و سيل من دماء و صديق ينشج بقوة كما لو أنهى ماراثونًا لتوه. فكر فريد للحظة : ترى هل كان شينزو محقًا و لم يكُ عليه أن يسعي لاسترداد جسده؟

***

مرت دقائق قليلة تخللتها أحداث كثيرة بتفاصيل مملة في وقت قليل، قَصَّ كُلًا منهما على زميله كل ما يعرفه وكل ما ينوي فعله، الآن الأمور صارت بينهما ليفكرا بها جمعًا فعقلان يفكران أفضل من عقل واحد، جلس فريد على طرف الأريكة وهو يريح ظهره بزاوية حادة على ظهرها وهو يفكر للحظات قبل أن يسأل حازم: "إذن نحن جميعًا نسعى خلف هدف واحد، قتل أهداف المنظمة دون أن نعي أننا عبيد نُسَاق في منظومتها لتحقيق أهدافها ولكن حسب كلماتك فإنه يجب أن ننقذهم لكي نتأكد أن حديث العالم الذي قُتل أمامي ليست مجرد ترهات"

هز حازم رأسه إيجابًا: "بالضبط. ولحسن الحظ أني سبقتكم هنا لأنقذ الضحية الجديدة ومن حسن الحظ أنني اكتشفت مكان جسدك لأساعدك في استرداده"

ابتسم فريد وهو يسأله: "ألا تلاحظ أن الكثير من المصادفات يحدث هذه الأيام؟"

قالها وهو يتأمل قبضته وهو يعبث بأصابعه كأنه يتأكد من جسده القديم قبل أن يسمع رد زميله: "ومن قال إنها صدف؟"

التفت إليه فجأة ليجد ابتسامة خبيثة تتلاعب على شفتيه قبل أن يسأله مرة أخرى: "أخبرتني أنك سبقتنا إلى هنا لتنقذ الضحية الجديدة ومنذ قدومي رأيت شلال دماء وعشرات المظاريف الخالية لرصاصات حملت ملائكة الموت عليها وجثث فقدت حياتها"

أشار بيده للغرفة الداخلية التي خرج منها وهو يقول: "ينام كالملائكة بالداخل"

يقف فريد ليدخل إلى الغرفة لكن حازم يوقفه بيده وهو يخبره بابتسامة صغيرة: "هناك شيء يجب أن نفعله أولًا"

ظهرت علامات التعجب على وجه فريد للحظات قبل أن يفاجأ بلكمة قوية وُجِّهَت إلى أنفه ليندفع منها شلال دماء يغرق وجهه قبل أن يضم قبضتيه ويبدأ في صراع حازم الذي لم يفهم ردة فعله حتى الآن

وقف فريد في منتصف الغرفة و هو يرفع رأسه للأعلى محاولًا ردع الدماء التي تسيل بعنف من أنفه ممسكًا في يده بمنديل قماشي تحول لونه للأحمر من كثرة شراهته للدماء، شعر بشخصٍ ما يقترب منه و دون أن ينظر شعر بشيءٍ بارد يوضع بين يديه فتأمله بطرف عينيه ليجدها حقيبة بلاستيكية تحوي الكثير من الثلج، رفع المنديل ليجد أن النزيف قد قارب على التوقف فوضع كيس الثلج مكانه و جلس على الأريكة و هو يحافظ على وجهه مرفوعًا للأعلى، أخيرًا شعر أن النزيف توقف فهبط رأسه لوضعه الطبيعي و هو يتأمل الشاب الوسيم الجالس أمامه و الذي يتسلح بابتسامة لطيفة قبل أن يسأله : "من أنت مرة أخرى؟"

بصوت هادئ وقور أجابه: "رمزي، رمزي الاتربي ... مدير عام قسم الـ ..."

قطع كلماته بابتسامة مستدركًا: "مدير عام قسم مهم بالمنظمة، أريدك أن تهدأ وأن تقص عليَّ ما حدث مرة أخري"

أشاح فريد بوجهه وهو يقص عليه الأمر متجنبًا بعض التفاصيل وصولًا للحظة العراك الذي سرعان ما وجده حازم خاسرًا لأن بنية فريد الجسدية أكبر وبرغم مهارات حازم القتالية لكنه لم يصمد أمام فريد الذي كان الغضب يمده بأطنان من الأدرينالين التي منحته من القوة أضعاف ما يملك فخاض معركته كثورٍ طليق، لكمات وركلات هاجمت حازم الذي فوجئ فترك الأمور هاربًا من أمام فريد الذي طارده حتى الأسفل لكنه رفض ترك المنزل خوفًا من هرب الضحية، أنهى كلماته فتلفت رمزي حوله وهو يسأله: "لكنني لا أرى الضحية يا فريد؟"

تأمل فريد الجثتان الملقيتان أرضًا بعينيه قبل أن يشير بيده لغرفة داخلية: "بالداخل، كما أخبرتك حازم كان يخدره بالداخل فدخلت وقتلته دون أيّ مقاومة"

نظر رمزي بتخوف للغرفة الداخلية قبل أن يسأله: "هل من الممكن أن أراها؟، أنت تعرف أن تلك مجرد إجراءات روتينية"

هز فريد رأسه إيجابًا بهدوء لم يتوقعه وهو يقف، بخطوات سريعة دلف للغرفة وسرعان ما خرج منها يجر جثة خلفه بمجرد أن رآها رمزي حتى أشاح برأسه الجهة الأخرى متحاشيًا النظر إليها، تأمله فريد بتعجب وهو يسأله: "ما بك؟"

نظر له رمزي وهو يسأله بدهشة هو الآخر: "أعتقد أن تلك الجثة ينقصها عضوًا رئيسيًا، حسنًا، اترك لي الوقت لأفكر لأن الأمر صعب بعض الشيء"

صمت رمزي وهو يتظاهر بالتفكير قبل أن يجيبه بغضب ساخر: "أعتقد أنه الرأس ولكنني لست متأكدًا"

نظر فريد للجثة متأملًا قطعة الحطام التي تحل محل الرأس وتأمل الاشتباك العنيف الذي حدث بين مكوناتها مخلفًا قطعة من اللحم المعجون بمزيج من العظام وخلايا المخ وقليل من الدماء قبل أن تظهر عليه علامات الخجل وهو يجيبه: "عندما هرب مني حازم شعرت بالغضب واضطررت أن أنفث عن غضبي كيلا أموت غيظًا"

تأمله رمزي و الشك يلعب حركته النهائية في تلك المعركة قبل أن يخرج من جيبه جهازًا و يضغط به زرًا جانبيًا، تحولت الشاشة للون الأخضر، أمسك رمزي بيد الجثة و وضع إبهامها على الشاشة منتظرًا نتيجة الفحص، مرت لحظات صمت قبل أن تقطعها صوت صفارة حادة ليخبر

رمزي عن وصول نتيجة الفحص، ترك اليد و أمسك الجهاز و تأمل نتيجته الإيجابية قبل أن يغلقه و يضعه في جيبه و هو يستأذن فريد في تقليل جرعة العنف قليلًا في التعامل مع الضحايا، أجابه فريد بابتسامة عَبَّرَت عَمَّا يجيش بداخله أبلغ من أي كلمات قبل أن يتركه رمزي و يرحل، نادي عليه فريد فتوقف مستمعًا لتساؤل : "ما الذي سيحدث؟"

التفت رمزي وتأمل ملامحه قبل أن يخبره: "الآن سنرسل فرقة من ذوي الأيدي الملطخة لتنظيف تلك الكارثة قبل أن تُلاحظ وسيتم تعيين شخص أو اثنان لمساعدتك، أم أنك تحتاج فريقًا بأكمله؟"

"لا أريد أيَّ شخصٍ برفقتي"

"كيف ستتحرك بمفردك يا فريد؟"

"ألا تعرف أن الذئب العجوز لا يَصْطَادُ إلا بمفرده؟"

"ولكن بعض الذئاب تفضل الصيد ضمن قطيع"

أشار فريد لأنفه وهو يسأله: "ألا ترى ما فعله بي أحد أعضاء القطيع؟"

ابتسم رمزي وهو يجيبه: "حسنًا أيها الذئب العجوز، لا ترحل قبل أن ينتهي ذوي الأيدي الملطخة من مهمتهم"

سأل بفضول: "لماذا؟"

أجابه وهو يرحل: "لأنهم يحملون مفاجأة لك"

***

انهمك ذوي الأيدي الملطخة في عملهم، في البداية اعتقد فريد أنهم سيدرسون الغرفة أولًا ثم ينهمكون في محاولة لإعادتها مرة أخرى إلى نظامها السابق و لكن يبدو أنهم مدربون على أداء أعمال أخرى أهم،

انهمكوا في خلق غرفة جديدة، طلوا الحوائط بلون أبيض لامع و في ثوانٍ معدودة جف الطلاء و لدهشته لم يجد فيه دليل واحد على أنه طلاء جديد و بعدها انهمكوا في معالجة الطلاء كيميائيًا حتى بدا و كأنه قديم بعض الشيء و افتقد جزء من لمعته و بدا لو أنه مترب بعض الشيء بعدها انهمكوا في تركيب الإضاءة و لاحظ أن بضع مصابيح كانت إضاءتها أضعف من الأخرى لتبدو كأنها أقدم، بعدها جمعوا كل الجثث و جففوا الدماء و أخلوا الأرضيات قبل أن يزيلوا كل السجاد الموجود و الأثاث ليلقوا به في شاحنتهم و بدأوا في تركيب بعض "السيراميك" الذي يشبه الأرضيات الخشبية بلونها البني الفاتح المميز قبل أن يخرِجوا بعض قطع الأثاث القديمة و ينثرونها في الغرفة بترتيب معين و أنهوا الأمر بوضع بضع صور عائلية لأشخاص لم يعرفهم لكي يبدو و كأنهم يسكنون تلك الشقة منذ أجل قديم، براعتهم أدهشت فريد للغاية و لكن ما فجر إعصار الدهشة بداخله هو التطابق الذي يصل حد المثالية في كل الموجودات، لو أنه لم يقف معهم أثناء تجهيز الغرفة و معالجتها لظن أنها نصف غرفة معرضة لمرآة تعكس كل تفاصيلها بدقة غير طبيعية، كلمة السر هي (Symmetry) أو التناظر و هي علميًا معروفة و لعل أفضل مثال لها هو الإنسان الذي يطابق نصفه الأيمن نصفه الأيسر تمامًا، كان الجميع يرتدون بذات بيضاء بخوذات تشبه بذّات مُرَبِي النحل أو رواد الفضاء و عندما انتهوا خلعوا الخوذات و بدأوا في تهنئة بعضهم البعض على عملهم الرائع، لاحظ أن أغلبهم من الأوروبيين إلا واحد أو اثنين،أنهى الجميع أعمالهم و انسحبوا بهدوء إلا شخصين وقفا على باب الشقة من الخارج و هما يواجهان الرواق، وقفتهما ذكرته بالحراس الشخصيين المفتولي العضلات حامين حِمَى النوادي الليلية و الفنادق الباهظة التكلفة. تجاهلهما و هو يتابع زعيمهم الذي خلع خوذته و نَحَّاهَا جانبًا وانهمك في خلع بذته قبل أن يتركها أرضًا بإهمال لا يتسق مع تناظر الغرفة، نسق حلته السوداء التي

ظهرت و أحكم ربط رباط عنقه الأحمر وهو يخرج من جيبه مسدسًا أسود اللون تسبقه قطعة كاتمة للصوت تحميه من فضول الأغراب، وببرود نظر لفريد و هو يقول : "يبدو أن المنظمة قد قررت التخلص منك"

لم يجب فريد وإنما تراجع للخلف وهو يتذكر الأسلحة التي حملها ذوي الأيدي الملطخة منذ قليل لترقد في السيارة، تراجع حتى التصق بالحائط وأغلق عينيه وهو يستمع لكلمات تأتيه بلغة إنجليزية محكمة: "ويبدو أيضًا أنهم قرروا ألا يكون رسولهم ضعيف"

"كل الرسل تعرضوا للابتلاء"

"يبدو أنك محظوظ، ستكون من الرسل الذين استشهدوا في سبيل إكمال مهمتهم"

"ولكن ...."

قاطعه الوسيم: "ولكن هي كلمة السر، كلمة لن تحتاجها طالما أنت على الطريق الصحيح، فقط تظهر ولكن إذا انحرفت عنه"

نظر الوسيم للخارج فَهَزَّ أحد المكلفين بالحراسة رأسه وهو يغلق الباب قبل أن يجذب الوسيم فريد من ذراعه وهو يخرج به إلى الخارج، بابتسامة لطيفة عاجله: "معذرة، أعلم أن الطقس بارد ولكن الغرفة ستتسخ بدمائك"

لم يبتسم فريد بل على العكس تمامًا أصابه برودة الطقس بقشعريرة حاول أن يداريها كيلا يبدو ضعيفًا، شعر بنسمة رقيقة من الهواء البارد تمر على وجهه كأنها تواسيه أو ترثيه، أغلق عينيه وهو يتذكر رحلته حتى الآن، رحلته التي قاربت على الانتهاء قبل أن يسمع صوت الرصاصة ويسقط من الشرفة دون أي مقدمات

(20)

لم يفهم الوسيم شيئًا و هو يسمع صوت رصاصتين من الخارج قبل أن يقفز فريد من النافذة ليتعلق في حافة الشرفة التي تخص الطابق السفلي، انقبضت عضلات يديه بقوة و رفع رأسه يتأمل الذهول المرسوم على وجه الوسيم قبل أن يقرر أن يتخلى عن الذهول هذه المرة و يستعيد رباطة جأشه بعض الشيء، برزت فوهة المسدس ودَوَّت رصاصتان مكتومتان من فوهته تطاردان جسد فريد المتعلق في حافة الشرفة السفلى إلا أن فريد بقوة جذب جسده ليلقيه بداخل الشرفة قبل أن تصيبه الرصاصتان، تبعثر الجليد نتاج اصطدام الرصاصات به و بدأ تبعثره كما لو أنه يحتج على زَجِّهِ في هذه المطاردة، التفت الوسيم إلى الباب المغلق و الذي سمع صوت رصاصتين تدويان عبره و وقف أمامه مترددًا، حاسة رجل الأمن بداخله تخبره ألا يفتحه و أن يقبع خلفه منتظرًا بينما فضوله الإنساني يضغط عليه لكي يتخذ خطوة جريئة و يفتحه رغم أن عقله يعلم أنها خطوة حمقاء، على الجانب الأخر من الباب و منذ عدة دقائق وقف رجلي الأمن المسؤولين عن حماية الباب ريثما ينتهي زعيمهم من مهمته و يتجهان لمهمة جديدة، مهمة نصها الأساسي القذارة.

تستقبل المنظمة مئات الراغبين في العمل لديها و تحت إمرتها فيخضعون جميعًا للمقابلات الشخصية و الاختبارات حتى تنتقي المنظمة من يصلحون للعمل بها أما الباقين فقد دلفوا إلى مقرها و رأوا وجوه مديريها و مديرى أقسامها لذا يجب التخلص منهم، يتم تعيينهم ضمن قوات ذوي الأيدي الملطخة و يخضعون لتدريب سريع لا يتخطى أيام، يتوجهوا لأداء مهمة بصحبة ثلاثة من القدامى، قائد و حارسي أمن من الطراز الأول، يعيدوا ترتيب مهمات المنظمة قبل أن يهبطوا للسيارة و يظل القائد و

الحارسين بالأعلى لوضع اللمسات الأخيرة أو لأداء مهمة إضافية قبل أن يحدث تفجير عن طريق الخطأ ليذهب كل الجُدد ضحيته و تنعيهم المنظمة في خبر لا يزيد عن ثلاثة أسطر في موقع مهجور على شبكة الإنترنت، حسنًا تحدث الحوادث في كل مكان في العالم فلا داعي لأن يظن أحد في المنظمة ظنٌ سيء، وقف الحارسان يتابعان الرواق الخالي قبل أن يظهر شخص يرتدي معطف أسود و يخفي ملامح وجهه بغطاء رأس يلقي الظلال على ملامحه فتندثر تحته، قبل أن يقررا ماذا سيفعلان وجد كلًا منهما رصاصة تأتيه في زيارة مفاجأة و قاتلة، سقطا أرضًا و علامات عدم الفهم على وجوههم، خلع حازم غطاء الرأس لتظهر ابتسامة النشوة و لمعة العينين التي يشعر بها كل صائد و هو يمارس مهمته اللذيذة، لم تعد تسبب له الألم الذي كانت تسببه في البداية، وقف أمام الباب يواجهه و هو يحمل مسدسه استعدادًا لخروج الرئيس الذي يقف خلف الباب من الجهة الأخرى، مسدسان مُشْهَرَانِ يفصل بينهما لوحٌ من الخشب و العديد من النوايا السيئة

أخيرًا قرر الوسيم أن يفتح الباب وبمجرد أن وضع يده على مقبض الباب شعر بحركة من خلفه فالتفت إلى الخلف في سرعة ليجد مزهرية تطير في الهواء متوجهة إلى رأسه، في ردة فعل سريعة رفع مسدسه وأطلق رصاصة هشمت المزهرية وهَشَّمَت معها أحلامها بكسر رأسه الصلب، بحث بعينيه عن فريد الذي وقف في منتصف الغرفة مبتسمًا وهو يقول: " الآن"

لم يفهم المقصود بكلمة فريد، للحظة تأمله قبل أن يشعر أن شيئًا ما صدمه من الخلف بقوة فسقط أرضًا وطار مسدسه ليبتعد عنه بضعة سنتيمترات كانت كافية بأن يصل لقدم فريد المبتسم، أدار رأسه ببطء فوجد حازم يقف مبتسمًا وهو يمسك مقبض الباب الذي فتحه بقوة ويقول بابتسامة سخرية: "هل صدمتك؟"

قبل أن يرد الوسيم وضعت رصاصة أطلقها فريد حدًا لحياته لينهي حياة أحد مديرى قسم ذوي الأيدي الملطخة على يدي فردان عاديان، أيقنا أنهما تورطا في لعبة أكبر منهما وقررا أن يضعا مبادئهما جانبًا ريثما ينتهيا من لعب اللعبة أو على الأقل تغيير قواعدها، بحثا في جيوبه حتى وجدا جهاز تحكم عن بعد يحوي ثلاثة أزرار سوداء وزر آخر أحمر ودون تفكير أمسك فريد به وضغط الزر الأحمر وهو يسأل ببراءة: "ترى ماذا يفعل هذا الزر؟"

دَوَّى الانفجار بعنف من أسفل العمارة ليجيب عن سؤال فريد الساذج قبل أن تتبدل ملامح وجهه وهو يسأل حازم الذي وضع يده على وجهه في يأس: "هل تعتقد أنني المسؤول؟"

جذب الجهاز من يده دون أن يجيبه وهو يضعه في جيب معطفه وينظر له شزرًا وهو يغلق سحاب المعطف ويمشي وهو يشير له أن يتبعه في صمت

مشي فريد خلف حازم وهو يفكر في خطة حازم البسيطة، صراع تقليدي ينتهي بهروب أحد الطرفين خوفًا من قوة الآخر وبطشه، غشاء مطاطي يتم تسخينه بالنار وطبع البصمات عليه قبل أن يلصق بواسطة غراء من نوع خاص ليصنع بصمات جديدة

دلفا إلى شقة مهجورة ليجدا ضحيتهما في انتظارهما قبل أن يبتسم له حازم مشجعًا فيتنهد الصعداء وهو يطلب منه البقاء هنا لاستقبال الأخرين وطمأنتهم فآخر مكان ستفكر المنظمة فيه هو نفس المكان، ابتسم له مشجعًا وهو يعطيه جهاز استقبال خاص من اختراعه، تأمله حازم لبرهة قبل أن ينهمك الضحية في شرح آليات عمله لحازم الذي ينصت باهتمام قبل أن يهز رأسه في إشارة لأنه فهم بالكامل، ربت على يد فريد وهما يخرجان من الغرفة متجهان إلى مهمتهما التالية، أن يسبقا المنظمة وأن ينقذا الضحايا قبل أن تصل لهم المنظمة

(21)

الولايات المتحدة الأمريكية

مدينة نيويورك – حي مانهاتن

مشى حازم و فريد بجوار حديقة سنترال بارك، أحد أشهر المعالم السياحية الموجودة في مدينة نيويورك و لكنهما تجاهلا هذه المعلومة تمامًا في سبيل تنفيذ مهمتهم، نظر فريد في الورقة التي يحملها و هو ينظر بعينيه سريعًا على عدة أبنية متجاورة قبل أن يشير لأحدهم،اتجه فريد و حازم إلى المبنى في خطوات سريعة و كلاهما يتحسس سلاحه الرابض داخل معطفه في صمت، صعدا بخطوات سريعة إلى المبنى و اتجها للمصعد، ضغط فريد الزر المخصص للدور المطلوب و انتظرا قليلًا ريثما توقف المصعد و فُتح بابه، خرجا ليواجها الشقة المطلوبة قبل أن يُشْهِر فريد سلاحه

***

صعد أحد مديرى المنظمة لنفس المبنى بعد عدة ساعات بهدف التأكد من إتمام المهمة، تحسس سلاحه و هو ينوِي قتل كل من يوجد بالأعلى حتى لو وجد فريد المُنْشِقّ عن المنظمة، فتح باب المصعد ببطء و هو يشهر مسدسه أمامه، رأته شقراء فصرخت و بابتسامة أخرج من جيبه بطاقة تعريفية له كأحد الفيدراليين فاطمئنت و إن أمرها أن تلزم شقتها و لا تخرج منها، وقف أمام باب الشقة المطلوبة و فتحه ببطء فلم يجده

موصدًا، تقدم ببطءٍ شديد فلم يجد أي شخص في بهو الاستقبال، دلف إلى الشقة يسبقه مسدسه و سرعان ما سمع صوتٌ خافت للغاية في المطبخ و بمجرد أن دلف إليه وضع يده على أنفه يقاوم الاشمئزاز الذي هاجمه عندما رأي مقلاة مليئة بالزيت المغلي موضوعة فوق الموقد، لم يثر هذا اشمئزازه قدر الجثة الموجودة أمامه و التي وضع وجهها في الزيت حتى اختفت ملامحه تمامًا و لم يعد يظهر سوى لحم مقلي، قاوم اشمئزازه للمرة الثانية و هو يحاول منع نفسه من التقيؤ و هو يمسك يد الجثة و يضع إبهامها على الجهاز الذي أعطاه الإشارة التي ينتظرها، هذا هو الشخص المطلوب، تركه سريعًا و هو يرسل إحداثيات المكان لذوي الأيدي الملطخة لكي يقوموا بتنظيف المكان و خرج سريعًا يتفحص وجهته التالية على الجهاز الخاص به

***

المملكة المغربية

مدينة القنيطرة – إقليم سيدي قاسم

شارع عادي يقف فيه العديد من الباعة الذين ينادون على بضائعهم بلغة محلية و يتفننون في إضفاء نوعًا من القافية لندائهم كي يجذب قدرًا أكبر من المشترين، مشى بسرعة يشق طريقه وسط السوق البدائي محاولًا تجنب الاحتكاك بأكبر قدر ممكن من الناس حتى وصل إلى وجهته، تأمل البيت القديم الذي تغلب عليه الشروخ و تأمله بشك، يكاد لا يصدق أن هذه هي وجهته، من غير المعقول تمامًا أن تهتم المنظمة بشخص يعيش هنا قبل أن يلمح بطرف عينه مبني جديد مطلي بلون أبيض فتطلع إليه و

هو يراجع خريطته الإلكترونية ليجد أن وجهته هي المبنى النظيف، هدأت شكوكه تمامًا و هو يتجه إليه في خطوات سريعة، عالج قفل البوابة المعدنية بقطعة سلك رفيعة يحملها معه قبل أن يسمع التكة المميزة لفتح الباب، صعد إلى الشقة المطلوبة و بمجرد أن فتحها وجد جثة بلا رأس تمامًا تنتظره و كأنها ترحب به ، تأكد من بصماتها و عندما صدق الجهاز إيجابًا اتجه إلى باقي أرجاء الشقة ليبحث عن الرأس و لكنه لم يجده، شعر بالانزعاج بسبب تقدمهم عليه بخطوة، ترك المكان سريعًا و هو يقرر أن يتوجه لوجهته التالية بسرعة

***

جمهورية غانا

مدينة تاكورادي – حي سيكوندي تاكورادي

حي ساحلي هادئ حتى يكاد يشعر أن صوت طرقات حذائه بمثابة جهاز إنذار ينبئ الموجودين بقدومه، حاول أن يبطئ كي يتخلص من تلك الطَرَقَات المزعجة و لكن حماسه لم يستطع أن ينفذ الأمر، قادته خطواته إلى ما يشبه الفيلا الصغيرة و التي تحيطها حديقة غَنَّاء رغم صغرها، قفز من على السور آملًا ألا يجد كلاب حراسة، يبدو أن الحظ قرر الوقوف بجانبه أخيرًا فلم يجد شيئًا، دار حول الفيلا في خطوات سريعة حتى وجد نافذة مفتوحة، صغيرة بعض الشيء و لكنه استطاع حشر نفسه فيها و الدخول إلى الفيلا دون إصدار أي أصوات أو أي ضوضاء، برغم الظلام المسيطر على جو الغرفة و لكن عينيه اعتادتا عليه سريعًا، مشي بخطوات بطيئة حتى تعثر في شيءٍ ما سقط أرضًا، جازف بإضاءة ضوء هاتفه

المحمول ليجد جثة فُرِمَ رأسها ضربًا بشيءٍ ثقيل حتى تحولت لعدة أجزاء لن يستطع جمعها، تعجب من سبب تشويه وجوه الجثث الذي يتبعه فريد و حازم و لكنه لم يجد سببًا يجيب أسئلته فتأكد من الجثة قبل أن يرحل سريعًا و هو يشعر أن الحظ تخلى عنه و خدعه هذه المرة

***

جمهورية السودان

ولاية نهر النيل – مدينة الدامر

المدينة التي تأثرت بحكم المجاذيب و تاريخهم و التي تتميز بوجود ضريح المجذوب لكن هذا لم يستطع إطفاء نار القلق التي تستعر في صدر عضو المنظمة و هو يتجه لمكان هادئ على حدود المدينة يتأمل بيتًا من دورٍ واحد يقف وحيدًا وسط الخلاء، يبدو أن صاحبه يحب الهدوء والوحدة ويكره الزحام والاختلاط. بدون أن يضيع المزيد من الوقت اتجه بخطوات سريعة تشبه العدو إلى البيت و دون أن يفكر دفع بوابته المعدنية الصغيرة مُجَازِفًا أن تكون حاضنة لتيار كهربي، لحسن حظه لم تكن و لكنه بهذه الطريقة شعر ببعض التشاؤم، كلما بدأت مهمته سهلة انتهت بخيبة أمل كبيرة، دلف إلى البوابة الرئيسية هذه المرة و لم يُضِع المزيد من الوقت في البحث عن باب سري أو نافذة منسية، ركل الباب الخشبي بقدمه فتحطم تحت قدميه و هو يدخل إلى الشقة شاهرًا سلاحه ليفاجأ بالحوائط بأكملها مصبوغة بالدماء و بقايا جثة تفجرت فلم يظل منها سوى بضع أشلاء متناثرة هنا وهناك، بقليل من الجهد وجد كف يد لم يطله

الانفجار، تأكد من شخصية الجثة قبل أن يرحل و هو يشعر بالغضب يسيطر على حقول الأمر في صدره ليدمرها

***

جزر المالديف

مدينة ماليه – جزيرة أدو المرجانية

رسى بالقارب بجوار شاطئ غير رسمي و تسلل منه تاركًا القارب في مكانه لربما يحتاجه، اخترقت أقدامه موجات الرمال واحدة تلو الأخرى في خطوات ثقيلة حتى وصل إلى طريق مرصوف ممهد يسمح له بأن يمشي بسهولة، ضرب قدميه في الأرض بقوة فبكت كميات من الرمال، مشى بهدوء كفاقدي الأمل، متهدل الجسد و زائغ النظرات، وصل لوجهته و دون أي حماس يُذكَر أو أمل يدفعه للتحرك بعيدًا في رحلته، دفع باب المكان ببطء و تأمله و هو فارغ، هذه المرة كانت وجهته غرفة سرية ملحقة بأحد الحانات المحلية، تأمل الحانة الفارغة قبل أن يمسك بيده الباب المتأرجح و كأنه مَلَّ الوحدة، صمت المكان تمامًا و دون اكتراث تحرك في سرعة غير عابئ بالكراسي الخشبية الملقاة أرضًا قبل أن يصل للباب الذي يرغب فيه، دخل إلى الغرفة التي كان بابها مفتوحًا كالعادة، تأمل الغرفة و هو يبحث بعينيه عن الجثة، هذه المرة فارقه الأمل في أن يسبقهما و لكنه لم يجدها و كنوع من أنواع الاستفزاز وجد الكف بأكمله فقط ينتظره فوق الفراش،احمر وجهه عضبًا بسبب الرسالة الساخرة التي تركاها له، أمسك الكف و كالعادة تأكد من الشخصية قبل أن يلقيه جانبًا بعدم اكتراث و هو يرحل من المكان بأكمله

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

محافظة زنجان – مدينة سلطانية

مدينة سلطانية عاصمة الدولة الإيلخانية و التي نشأت تحت حكم سلالة مغولية، تحرك بخطوات شَلَّهَا فقدان الأمل و أربكها التأخر المستمر، دلف لشارع جانبي مرصوف بحجر أسود كبير قديم الطراز، خطوات قليلة مشاها قبل أن يصل وجهته، دلف إلى مبني قديم مُغَبَّر، صعد درجات سلم مهشمة و يغلب عليها القِدَم قبل أن يصل لباب قديم إسلامي الطراز كبير الحجم، فتحه فلم يستجب له، أخرج من جيبه قطعة السلك فالعنف مع هذا الباب لن يجدي نفعًا، عالجه ببعض الصبر حتى فتحه و دخل منتظرًا المفاجأة التي جهزوها له، لم يعد في قلبه ذرة أمل أن يسبقهم و لا يستطيع أن يجازف بغير تتبع الطريق الذي حددته له المنظمة وألا يحيد عنه نهائيًا، للمفاجأة وجد البهو خاليًا من أي دماء أو أشلاء على غير العادة،ارتفع حاجباه دهشةً قبل أن يقرر البحث في باقي المكان أولًا، لم يجد أيَّ شيء و لكنه بمجرد أن اقترب من الحمام حتى اشتم رائحة حمضية حادة، كتم أنفاسه و هو يدفع باب الحمام بطرف مسدسه بحذر قبل أن يرى ما لم تحتمله معدته هذه المرة، تصاعدت عصارته الصفراوية فأجبرته على التقيؤ قبل أن يتطلع إلى المشهد الذي أثار تقززه ثانيةً، جثة مسجاة في حوض ملئ بحمض أكل معظمها فظهرت العضلات التي ألهبها الحمض و غادرت ملامحها البشرية بغير رجعة، وجد الذراع مسجى خارج حوض الاستحمام المليء بالحمض فأسرع إليه كاتمًا أنفاسه و هو يعرف النتيجة مسبقًا و لكن وجب الانتباه، تأكد من شخصية الجثة و هرع خارجًا كي لا يتقيأ في المكان مرة أخري

دولة فلسطين

مدينة نابلس – قرية بيت أمرين

المدينة التي شهدت خلافات بين السامريين والمسيحيين في القرنين الخامس و السادس الميلاديين و التي أدت إلى بروز عدد من الانتفاضات السامرية ضد الحكم البيزنطي، قطع شوارعها بخطوات سريعة متجهًا لهدف مَلَّ من تكرار فشله. متأملًا الجرارات الزراعية المتناثرة هنا و هناك بغير انتظام، وصل لبيت قديم عربي التكوين ففتح بابه و دخل، دون أن يُضَيِّعَ أي وقت و دون أن يزرع في قلبه أملًا جديدًا، تأمل الغرفة المظلمة قبل أن تزحف يده على الحائط باحثة عن زر الإضاءة. وجده و ضغط عليه لكن للأسف قوات الاحتلال الغاشم اغتصبت حق الفلسطينيين حتى في الضوء، لم ير شيئًا، فتح هاتفه و على الضوء القليل المنبعث منه وجد جثة راقدة أرضًا، هيأ له الظلام أنها تحركت حركة خافتة، تحرك بسرعة ليضع رأسه على صدرها لكن وجدها هامدة فاقدة الرغبة في الحياة، أمسك اليد دون أن يتبين ملامح الوجه جيدًا في الظلام و لكن جهازه أعطاه إشارة أن الأمور تسير على ما يرام و أنها الجثة المنشودة، ترك اليد تستكين أرضًا و قف ينفض الغبار عن حُلَّتِهِ الأنيقة و هو يتحرك للخارج متجهًا نحو الوجهة الأخيرة و التي سيتحدد فيها كل شيء إما أن يحيي الأمل من جديد أو يدفنه بلا رجعة

الجمهورية التركية

محافظة غازي عنتاب – مدينة عنتاب

المدينة التي كانت تعرف لدى العرب والسلاجقة والعثمانيين باسم عنتاب لكن البرلمان التركي أضاف كلمة غازي لاسم المدينة يوم 8 فبراير 1921 فأصبحت غازي عنتاب، مشى في شوارعها كالمهموم يحمل فوق كتفيه أطنانًا من خيبة الأمل و أطنانًا من الفشل، وصل لمبتغاه بغير حماس و صعد درج البناية يائسًا شاعرًا بالحزن يتنافس في قلبه مع الغضب طامعًا كلا منهما في أولوية السيطرة على نفسه، و بمجرد أن وصل أمام الباب شعر بحركة خافتة تأتي من داخل الشقة، توقف مكانه شاعرًا بالحيرة، هذه هي المرة الأولي التي يشعر فيها بنبض حياة داخل إحدي الأهداف التي يستهدفها، وقف يرهف السمع قبل أن ينتصب جسده ليستعيد هيبته كرجل أمن محترف، تحسس مسدسه بحرص و هو يسمع الحركة الخافتة للمرة الثانية، فتح الباب برفق فاستجاب له دون مقاومة تذكر، دخل بحرص و هو يسمع نقاش شخصين يأتي من داخل الغرفة، بهدوء لا يكاد يذكر مشى حتى وصل إلى باب الغرفة، تأكد من وجود شخصين أو أكثر بداخلها، استلَّ مسدسه و فتح باب الغرفة برفق فوجد جثة مشوهة تنتظر على فراش ضخم و أمامها يقف شخصان، انتظرهما منذ زمن، رفع سلاحه و هو يقول بغضب : "عشر محطات، يشاء القدر أن نلتقي في الأخيرة، نلتقي بعد أن ملأ الغضب قلبي تسع مرات، تسع خيبات أمل، تسع أزمات قادرة على إرباك أعتى الرجال و لكنها لم تربكني و لم تهد عزيمتي و إنما شحنت قلبي بالغضب و شحنت نفسي بالثورة، اذكرا لي سببًا واحدًا لا يجعلني أفجر رأسيكما الآن لأزين بدمائكما حوائط الغرفة"

التفت له حازم وفريد وقد ظهرت الدهشة على وجههما جَرَّاء هذه الزيارة غير المتوقعة، نظر حازم لفريد بغضب وقال: "أرأيت نتيجة تسكعك وكسلك؟"

احمر وجه فريد الذي لم يتصور أن يُعَنِّفَهُ صديق عمره بمثل هذه الطريقة ويحمل نتيجة خطأ لا دخل له به، سأله وهو لا يفهم سر هذ التحول: "ما بك يا حازم؟"

قاطعهما صوت رجل الأمن ساخرًا: "ربما تستطيعا استكمال هذا الحوار في الجنة"

تأملا فوهة مسدسه وأمره لهما بالاستسلام ووضع كلًا منهما سلاحه بعيدًا ورفعا أيديهما للأعلى، نظر حازم لفريد وهو يسأله: "هل لك أمنيات أخرى قبل أن تموت؟"

لم يفهم فريد كلماته وظهر الذهول في عينيه وهو يتأمل صديقه الذي هبطت يده وعلامات السخرية تظهر على ملامحه، مد يده لجيب داخلي وأخرج مسدسًا وجهه لفريد، شعر فريد ببرودة المسدس في منتصف جبهته وحازم يقول: "معذرة يا صديقي ولكنها زوجتي"

ابتسم فرد الأمن بسخرية وهو يضع مسدسه في جيبه ويتبادل مع حازم ابتسامة حملت معانٍ كثيرة

(22)

حملت عيني فريد تعبيرًا لو رآه عظماء الفن كبيكاسو أو فان جوخ لعجزوا أن يصوره ولو رآه العباقرة الذين يخبئهم التاريخ بين ضفتيه لأن أوانهم لم يأت بعد لن يستطيعوا أيضًا. هو شعور يظهر مرة واحدة فقط في العمر ويشعر به القلب مرة واحدة، تُكسر الروح ويشيخ القلب ويتيه الفكر، كل من جرب صدمته في أعز من يملك أو أكثر الأشخاص ثقةً سيعرف جيدًا تلك النظرة التي تلتمع فيها العينين بدموع تأبي أن تهبط لتغسل الوجنات وإحساسًا يظل يردد: "هذا لم يحدث، هذا لم يحدث"

هناك أسطورة قديمة تقول أنه في حال لم يتحرك أي شخص في نطاق حدث ما فإن الساعة ستعود للخلف لمدة عشر ثوانٍ لتصلح ما يمكن إصلاحه لكن شعور الشرخ الذي يشق قلبك طوليًا لا يجدي معه نفعًا أساطير أو خرافات، تأمل ابتسامة حازم قبل أن ينظر لرجل الأمن الذي خفض سلاحه وعينيه تلتمعان في استمتاع، شعر بالقشعريرة تغزو جسده مرة أخرى و لم يعرف هذه المرة هل بسبب شيخوخة القلب أم بسبب فوهة المسدس الباردة، هل بسبب خيانة صديقه أم بسبب الموت الآتِ لا محالة، شعور بالذهول اجتاح جسده بأكمله ليصيبه بقشعريرة من نوعٍ خاص، لأول مرة في حياته يستسلم أسيرًا لهجمات الدهشة و الذهول و يترك لها حاجباه ترفعهما كما تشاء و عينيه ترقرق الدمع فيهما كما ترغب، فكر أن يتحرك بسرعة ليبعد فوهة المسدس عن رأسه قبل أن يحاول جذبه من يده لكنه يعلم جيدًا أن حازم رجل أمنٍ بارعٍ، سابق و لكنه بارع، لذا جميع الأفكار التي سيفكر بها تدرب عليها حازم و تدرب على

تفاديها تدريبات قاسية، نظر مرة أخرى لرجل الأمن الذي جذب مقعدًا و جلس عليه واضعًا قدمًا فوق أخرى و هو ينظر لحازم قبل أن يقول له : "هيا"

نظر له حازم وهو يقول بشراسة لم يعهدها منه فريد ولم يتوقعها رجل الأمن: "ليس الآن!"

اعتدل رجل الأمن في جلسته وهو يسأله بالإنجليزية التي يستعملها الجميع في حواراتهم منذ بداية الكارثة: "ماذا تنتظر؟"

"لا أنتظر شيئًا ولكن لم يأن أوانه بعد"

"لِمَ؟؟"

"لا أعرف، الا تعلم أن الموت مقدر بمواعيد محددة يعرفها رب العباد وحده"

"ألا تعلم أنت أنني لا أؤمن بهذا الكلام؟"

"أعلم ولكنني أؤمن وأنا الذي أحمل المسدس"

أشار رجل الأمن بمسدسه هو الآخر وهو يقول: "أنا أيضًا أمتلك مسدسًا"

ابتسم حازم بسخرية وهو يسأله: "هل نحن في مزاد؟؟، أخبرتك أنني سأقتله حين يحين أوانه"

سأل رجل الأمن بنفاذ صبر: "ومتي يحين أوانه؟"

شعر رجل الأمن بفوهة مسدس تقبل رأسه من الخلف مع صوت أجش يقول: "بعد أوانك بزمن بعيد"

لم يرد رجل الأمن فبالطبع الجثث لا تمتلك القدرة على الرد أو الجدال هذا لأن رمزي الذي ظهر على باب الغرفة مبتسمًا قد أرسل رصاصته تستكين داخل تجويف رأس رجل الأمن الذي ترنح في مقعده قبل أن ينام رأسه على صدره نومة لا استيقاظ منها، للمرة الثانية تلوح نظرة عدم فهم في أعين فريد و هو ينظر لرمزي، الرجل الذي دبر له مكيدة انتهت بمسدس موجه إلى رأسه و الآن ينقذه من مكيدة أخرى بطلها مسدس آخر موجه إلى رأسه و كأن رؤوس العالم أبت جميعًا أن تحمل تلك المهمة فحملها رأسه، عَدَت عينيه سريعًا في رحلة بين نظرات حازم وابتسامته الساخرة التي تحولت لبسمة اطمئنان وبين عيني رمزي التي تحمل أسفًا لم يفهمه. كيف يطمأن حازم أمام الرجل الذي هدم خطته تمامًا وكيف يأسف رمزي أمام رجل يكاد يقتل آخر لماذا لا يوجهان مسدساتهم لبعضهم البعض ومتي تبدأ المعركة؟

شعر فريد برأسه يكاد ينفجر من كثرة الأسئلة فوضع يديه على جانبي رأسه وأغلق عينيه قبل أن يصيح بصوتٍ عالٍ: "كفى"

نظر له الرجلان بدهشة قبل أن يستغل الفرصة و عامل المفاجأة و يتحرك سريعًا ليختطف المسدس من يد حازم الذي بوغت فتأخر رد فعله قليلًا، أخذ فريد يتحرك في عصبية و هو يأمر رمزي أن يضع سلاحه أرضًا و يبتعد عنه و يأمر حازم أن يتحرك ليقف بجوار رمزي، تحرك حازم و هو يغمغم ببضع كلمات يحاول بها طمأنة قلبه الوجل لكن ثورة الغضب و عدم الفهم بداخله كانت أكبر، وقف حازم بجوار رمزي و أخذ يرجو فريد أن يسمح له ببضع كلمات يحيطه بها علمًا بما حدث، هدأ فريد بعض الشيء و إن كانت الثورة بداخله تحرقه و تعذبه ليبوح بها.أي ثورة في التاريخ تحتاج لأن تستمر كي تعيش، إذا طالها الهدوء أو الرتابة ماتت، بدأ

حازم كلماته بصوت خفيض كي لا يثير أعصاب فريد مرة أخرى : "رمزي هو عدوي اللدود و أحد أكثر الأشخاص الذين أكرههم في حياتي و زوجتي هي خطيبته و حبيبته السابقة لذا اضطررنا آسفين أن نتعاون و نضع يدينا في أيدي البعض كي نبدأ خطة الإطاحة بالمنظمة و خير من يعيننا في مهمتنا هو مدير سابق بأحد أقسام المنظمة ، في البداية كان رمزي خائف من أن يحدثني بنفسه كي لا أتذكر مشاكلي القديمة معه و يقودني الغباء و التسرع لفعلٍ نندم معه جميعًا فاضطر أن يبعث لي بفتاة حسناء اسمها مريم و نجحت بحيلة ما أن تكتسب ثقتي تمامًا قبل أن تعطيني ورقي كي أحرقه و قبل أن أحرقه رأيت فيه كلمات عرفت منها رمزي المختبئ بها، خطابًا قصيرًا من ثلاثة أسطر

((لا تـــدع الـغـبـــاء يــسـيـطـر عـلـيـك

دع خلافاتنا جانبًا ولنعمل من أجل نصرة الكوكب

اقتلني إن أردت ولكن بعد أن ننتهي من مهمتنا))

فهمت كلماته و هززت رأسي لمريم التي نقلت رسالتي مع الأوراق التي تسلمها في السيارة، أصدقك القول أن الأوراق لا قيمة لها كي نتقاتل من أجلها، هي بضع أوراق تخص عملي و تحمل بين طياتها أسرارًا لا أرغب في أن يطلع عليها غيري و لكننا استعملناها كوسيلة فقط، بدأت أتواصل مع رمزي على فترات بعيدة لكي أفهم منه كل الأمور حتى أيقنت أن زوجتي مع المنظمة و أنها تستخدمها كما استخدمت آلاف الضحايا الأبرياء كدافع لمزيد من الأبرياء أن ينخرطوا في مهماتها القذرة لقتل كل من سولت له نفسه أو أقنعه ذكائه أنه يستطيع إنقاذ هذا الكوكب، عسكريين و علماء و خبراء قُتِلُوا في رحلة المنظمة و لكنني و إياك استطعنا إنقاذ تسعة من

أهم المطلوبين من قِبَل المنظمة، كل ما كنا نفعله هو الإتيان بجثة من الشارع و تشويه وجهها، تزوير بصماتها و إرسال الشخص المنشود لبيتنا الآمن و أنت تعلم أن التسع أشخاص هناك الآن ينتظروننا و بصحبتهم مريم"

أنهى كلماته وهو ينظر لرمزي منتظرًا منه المزيد من التفسيرات، لكن رمزي خَيَّبَ أمله قائلًا: "بالضبط كما قال لك"

سأل بلعثمة: "ولك ... ولكنك كدت تقتلني أمام رجل المنظمة؟"

ابتسم حازم وهو يقول: "الأمر كله أن رمزي أخبرني أن المنظمة ستتصل بي وأنها ستبعث بأحد رجالها لو مات قبل أن ينجز مهماته ستبعث بغيره وهكذا كنا سنظل في دائرة مفرغة ندور كالثيران، الحل الوحيد كان في التواصل معه من خلف ظهرك لإقناعه أنني سأخونك من أجل زوجتي وأنت رأيت باقي الحدث"

أجاب فريد بغضب: "ولكنك كدت تقتلني !!"

"الحقيقة أن رمزي باشا كان من المفترض أن يتدخل في بداية الأمر ولكنه تأخر لا أعلم السبب لذا استمررت في المماطلة ريثما يأتِ هذا الغبي"

نظر حازم لفريد بابتسامة وهو يفتح له ذراعيه على اتساعهما مستعدًا لاحتضانه قبل أن يصفعه فريد بقوة على وجهه وهو يقول: "هيا بنا أيها الأوغاد"

مسح حازم الدماء عن فمه وهو يتبعهم في صمت شاعرًا أنه يستحق هذه الصفعة

(23)

دَوَّت صافرات الإنذار للمرة الثانية و صحبتها الأضواء الحمراء المتوهجة للدلالة على خطر. هذه المرة كان الخطر داهم و الأمر هام فلم يبعث مدير المنظمة بسكرتيرته، وقف وخرج من خلف مكتبه و قبل أن يخرج من الغرفة عاد خطوتان للخلف ليقف أمام مرآة و يضبط رابطة عنقه في سرعة قبل أن يخرج من الغرفة متجاهلًا تحية سكرتيرته الحسناء التي وقفت بسرعة عندما خرج. مشي في عدة أروقة حتى وصل للمصعد، وقف أمام المصعد و هو يضغط زر استدعائه و كأن المصعد يشعر بدوره بخطورة الأمر لم يستغرق أي وقت كي يلبي النداء. لحظات و كان مفتوحًا على مصراعيه، دلف لداخله وضغط الزر المنشود ووقف يصغي لموسيقاه الهادئة بلا حركة. لحظات و وصل لمراده. فُتح باب المصعد و كأنه يدعوه للخروج. خطا خطوة خارج المصعد و انتظر حتى أُغلق الباب و تحرك. أزعجه صوت صافرات الإنذار وأرهقته الأضواء الحمراء، أخرج هاتفه المحمول وبحث عن تطبيق يسمح له بالتحكم فيهما فساد الصمت وعادت الأضواء البيضاء تسيطر على المكان مرة أخري. تنفس بعمق وهو يغلق هاتفه ويضعه في جيبه. هذه المرة الأزمة أكبر. حازم و فريد قتلا كل المطلوبين و لكن أحد المسؤولين بالمنظمة شكك في الأمر و خصوصًا و أن الجثث مُشَوَّهَة و لا إثبات على موتها سوى تقارير مصحوبة بتصديق لجهاز قرأ بصماتهم، لكن هذا المسؤول يرى أن عملية تبديل أو تزوير البصمات عملية سهلة خصوصًا و أن مئات الأفلام السينمائية قد شرحت طريقتها لذا وجب التواصل معهما أو التحدث معهما لكن ما زاد الطين بلة هو قتل المندوب الخاص بالمنظمة و الآن المدير العام المسؤول

عن متابعة الأمر و الإشراف عليه لا يجيب الاتصالات التي تَرِدُهُ على هاتف مكتبه الخاص ولا يستجيب لجهاز الاستقبال الذي يحمله لذا وجد التحرك لمعرفة تقريره عن الحادث و خطة العمل الذي سيرغب في العمل بها بل ونوى مدير المنظمة أن يعاقبه لذا سيقود فريق العمل على الأرض و ها هي الفرصة تتاح له مرة أخرى لمواجهة حازم. أمسك مقبض الباب وحاول فتحه لكنه كان مغلقًا فأبى الاستجابة له. أمسك مسدسه و برصاصة واحدة أقنع القفل أن يستجيب له و فُتِح. دلف إلى الغرفة المُظْلِمَة و بَحَثَ عن زر الإضاءة وأضاءها وبحث بعينيه في الغرفة عن هدفه ولكنه لم يجده وإن تعلقت عيناه بشيء آخر لم يتوقع أن يراه ها هنا، شيء لم يتوقع أبدًا أن يراه في منظمته. أخرج هاتفه من جيبه دون أن يرفع عيناه عنه وهو يضغط الزر عدة مرات فتصرخ صافرات الإنذار مرة أخرى وتستعيد الأضواء الحمراء تألقها. وسط كل هذا الهرج والمرج يوجد رسم كبير يحتل أحد حوائط الغرفة لوجه تعبيري أصفر يشبه هؤلاء الرسوم التعبيرية الخاصة بوسائل التواصل الاجتماعي يبتسم في سخرية و كلمتان كُتبتا بإنجليزية صحيحة

(اللعبة مستمرة)

دلفوا إلى الشقة أخيرًا بعد طول عناء وسفر، تعلقت بهم تسع أزواج من العيون بلهفة وعدم تصديق بينما استقبلهم زوج فقط بالترحاب والفرح، هذا الزوج كان يخص مريم وبالطبع كان أحلاهم. تأمل حازم الجميع قبل أن يشير لفريد أن يجلس بينهم وبدأ في تعريف نفسه سريعًا لأن الوقت لن يسمح لهم بتضييع المزيد منه. بدأ كلماته بصوت هادئ : "مرحبًا، أنا حازم، مصري الجنسية كما سبق و أخبرتكم، وَظَّفَتْنِي المنظمة لقتل كل واحد فيكم على حدة مقابل تحرير زوجتي من قبضتهم، و لكن مبادئي لم تسمح لي بقتل الأبرياء حتى لو كان الثمن زوجتي، لذا كل شخص فيكم و أعني كل شخص مَدِيْن لي بحياته و لن يتوانى عن مساعدتي في استعادة زوجتي، هل كلامي واضح ومفهوم؟"

شعر البعض بالغضب من شدة و قسوة الكلمات الموجهة إليهم و خصوصًا أنها جاءت بصيغة الأمر وليس بالطلب أو التمني لكن حيواتهم بأكملها كانت ملك يديه في وقتٍ ما و هو اختار أن ينقذها لذا التزم الجميع الصمت واندلعت بعض الهمهمات لتنبئه بالإجابة التي ينتظرها، هز رأسه وابتسم و هو يشير لفريد ويُعَرِّفهُم به : "هذا صديقي الحميم فريد ورجلي الأول، مصري الجنسية هو الآخر ويساعدني في مهمتي، أثق به تمام الثقة وأريدكم أن تثقوا به بدوركم، كان يقود فريق يدعي كتيبة المحاربين تابع للمنظمة لكنه اختار أيضًا إنقاذكم و إنقاذ هذا الكوكب"

وقف فريد وهو ينظر للجمع بابتسامة تشجيع بادلوه إياها بلطف وسرعان ما جلس مكانه متيحًا الفرصة لحازم ليستكمل كلماته والذي بدوره أشار

لرمزي: "رمزي، مصري الجنسية، لا أثق فيه ولا أنصح أحدكم أن يثق بهذا الوغد، رمزي كان أحد أهم مديرى القطاعات الخاصة بالمنظمة ولكنه استطاع خداعهم وساهم بشكل كبير للغاية في إنقاذكم والحفاظ على حيواتكم"

لم يقف رمزي وإنما ابتسم بسخرية متأملًا النظرات التي ترمقه بعضها بدهشة و بغضها الآخر بحقد دفين لأن هذا الشخص و إن كان حليفهم يومًا إلا أنه كان العدو في أوقاتٍ فاتت، لن يتعاون البشر مع الثعبان أبدًا مهما كانت الغاية وإن التزم الأمر فسيتعامل مع بحذر وسينتظر خيانته في أي لحظة، انتهي حازم من كلماته وهو يجلس بجوارهم ويطلب من كلٍ منهم تعريف نفسه سريعًا لكي يعرف الجميع الفريق ويستطيعوا التعاون معه، تحرك أولًا في سرعة و كان شابًا نحيلًا تبدو عليه العصبية ذو شعر أشقر قصير وبدأ يُعَرِّفُ نفسه بأنه : "العالم بيتر مكلارين من إنجلترا، عالم مختص بالفيزياء وأحد أمهر العلماء الموجودين حاليًا وأصغرهم سنًا، أعمل في أكثر من مختبر ومعروف في الوسط العلمي بالعبقري المجنون"

أنهى كلماته بابتسامة وهو يجلس ليقف شخص آخر طويل القامة عريض البنيان، يمتلئ جسده بالعضلات وإن لم يكن كمحترفي كمال الأجسام وبدأ بتعريف نفسه"جون سايتال، أحد رجال القوات الخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، سبق وأن عملت ضمن قوات المارينز ومنذ فترة تم انتدابي لقسم شديد السرية خاص بتنفيذ المهمات شبه المستحيلة، أجيد الفنون القتالية واستخدام أكثر الأسلحة بمهارة"

جلس وعلي وجهه تعبيرًا بالحرج لأنه يشارك تجربته مع من يشعر أنهم أرقي منه في المستوي الفكري خاصة وأن من سبقه عالِم وهو لا يعرف في حياته سوى لغة الخشونة والقتال، تحرك شخص متوسط القامة يميل إلى

البدانة يظلل رأسه شعر أبيض ويبدو عربيًا للغاية: "سمير نصير، خبير استراتيجي مغربي، أحمل درجة الدكتوراة في وضع الخطط الهجومية والدفاعية الخاصة بالجيوش وأدير قسمًا في الجيش المغربي"

جلس مكانه دون أن يتحدث ولكن عينيه كانتا قلقتان خصوصًا وأنه باح بسر استراتيجي وهذا ينافي ما تربي عليه، وقف شخص أسمر البشرة وتوجه ليواجه الجميع: "جون أوبايا من دولة غانا، عسكري من الطراز الأول، أجيد تركيب وتفكيك القنابل وتصنيع القنابل من الطبيعة المحيطة وأعلم جيدًا لا يُشَقُ لي غبار في مجالي، أجيد عددًا من اللغات كما أجيد استخدام الأسلحة وقيادة المركبات"

جلس قبل أن يتقدم شخص آخر يمتاز ببشرة سمراء و إن غلبت على وجهه-ملامح الطيبة وبدأ يتحدث بإنجليزية غلبت عليها لكنة عربية : "إسماعيل البرهاني، سوداني الجنسية عربي الهوى، من صغري أهوى ألعاب الاستراتيجيات و تحريك الجيوش على الإنترنت ومنذ فترة ليست هينة بدأت بتحطيم العديد من الأرقام القياسية وهزيمة العديد من الجيوش الأقوى مني بإمكانيات قليلة لذا وجدت الولايات المتحدة الأمريكية يتصلون بي ويعرضوا عليَّ الانضمام لفريق عمل يكونوه حديثًا في وزارة الدفاع مسؤول عن وضع الاستراتيجيات القتالية ولكنني رفضت نصرًا لعروبتي، اعتبروني خبيرًا استراتيجيًا"

وقف شخص بدين أحمر الوجه ويعرق باستمرار ومرتبك وبدأ يتحدث: "أنطون مالاويان من جزر المالديف، برغم وزني الثقيل إلا أنني أمتلك عقلًا ذكيًا يستطيع التعامل مع الأزمات وخلق حلول سريعة ومبتكرة في سرعة وأجيد خلق وسائل هروب من الأشياء القليلة الموجودة في المحيط الموجود به، أرجو أن أكون ذو نفع لكم"

وقف شخص مرتبك ويبدو على ملابسه الهرج ذو شعر ثائر وأعين تكاد تزيغ جنونًا وبدأ يتلعثم: "رجب باروش، تـ تركي الجـ الجنسية، عالم مختـ مختص بتركيبة الذرات والتعـ امل معها، لا أحب الحديث الكثـ الكثير ولكنني سأبلي حسنًا مع بيتر ها هنـ ها هنا"

جلس بجوار بيتر الذي مد له يده ليصافحه، ابتسم رجب وهو يصافحه بدوره، وقف شخص مبتسم هادئ الملامح ونسق الملابس وبدأ يعرف بنفسه: "أحمد الطيب، أحد ثوار الثورة الفلسطينية وقائد إحدى الفرق الاستشهادية، لن أستطيع أن أبوح بمعلومات كثيرة لكنني مقاتل من الطراز الأول وكذلك أجيد استخدام الأسلحة القتالية القديمة كالقوس والسهم والخنجر وغيرهم"

أتي دور الأخير الذي كان كهلًا هادئ الملامح يرتدي نظارة طبية و أصلع الرأس تمامًا، منذ رآه الجميع و هم يشعرون أنه جدهم أو والدهم لكنه لم يتبادل كلمة واحدة مع أي شخص منذ حضوره، ينهمك أحيانًا في نقاش قاسٍ مع نفسه لائمًا إياها ومجادلها قبل أن ينتبه للموجودين حوله فيبتسم لهم ويصمت وقف أمام الجميع و هو يقول : "مصطفي أرهانيش، مخترع إيراني و أسف للغاية أن أخبركم أنني كنت أحد أسباب هذه الأزمة و أنني تعاونت مع المنظمة من قبل من أجل نشر هذا الوباء الذي أَلَمَّ بكل سكان الأرض و لكنني أبدًا لم أتصور فداحة ما فعلت إلا الآن فقط"

تعلقت به كل الأعين وانكتمت كل الأنفاس من جراء هذه المفاجأة

(25)

اعتدل الجميع في مقاعدهم للحظات والدهشة تسيطر عليهم جميعًا، آخر ما كانوا يتوقعوه أن أحد أسباب الأزمة التي تشغل كوكبًا بأكمله يجلس بينهم وكاد يكون سببًا في مقتلهم، انتصبت الأجساد وأرهفت الآذان السمع وخفتت دقات القلوب كي تنصت بدورها، تنحنح الكهل وهو يقول: "هل سمعتم من قبل عن الانتقال الآني؟"

***

عام 1969

الولايات المتحدة الأمريكية – سياتل – مكان غير معروف

وقف حشد من العلماء يتابعون بأعينهم صاحب الفكرة و المتحمس الأكبر لها و هو يمسك بيده الجهاز الذي سيضغط على الزر المخصص فيه فتتم التجربة، كانت تجربة سابقة لزمانهم بمراحل، و التجربة كانت تتم بمنتهى السرية، جهازان متماثلان كلًا منهما يحتوي على صندوق زجاجي أجوف أحدهما يقبع معهم بتلك الغرفة بينما الآخر يقبع في الغرفة المقابلة لهم، صمم أن يكونوا جميعًا هنا في الغرفة الأولي على أن يتحركوا للغرفة الثانية ليكتشفوا نتيجة تجربتهم جميعًا معًا، هل يخبئ لهم القدر أن تُحْفَرَ أسمائهم كأول من قام بتجارب الانتقال الآني أم يكونوا أول من فشل، في كلا الحالتين يكفيهم شرف المحاولة، بداخل الصندوق الزجاجي يقبع

صندوقًا آخر صغير الحجم خشبي ذا لون بني، ضغط الزر وهو يتابع الألياف الكهرومغناطيسية وهي تقوم بتفكيك ذرات الصندوق الخشبي وتدمر الأصل الخاص به قبل أن يختفي من أمامهم تمامًا، انحبست الأنفاس تمامًا وساد الصمت في الغرفة، لحظات مرت قبل أن يهتف الجميع فرحون بحماسة لا مثيل لها، الجزء الأول من التجربة نجح و استطاع جهازهم بالفعل في تفكيك ذرات الصندوق فالجهاز الأول يعمل بكل بساطة على القيام بعملية مسح لجميع الذرات المكونة للجسم ويحفظها على شكل شيفرة معلومات وفق الترتيب نفسه، ثم يقوم بتفكيك هذا الجسم وإتلافه ومن ثم يرسل شيفرة المعلومات إلى الجهاز الثاني الذي يقبع في غرفة تبعد عن تلك الغرفة بمسافة ستة أمتار، تلك الأمتار الست التي قطعها فريق العلماء بسرعة الصاروخ و هم يفتحون باب الغرفة بحذر ليجدوا الصندوق في انتظارهم، عملية انتقال آني مثالية، الجهاز الثاني ينتظرهم ليفتح لهم أبواب المجد، هذا الجهاز الذي يقوم بترجمة تلك الشيفرة ويعيد تشكيل نسخة مطابقة تمامًا للجسم الأصلي، بالاستعانة بمخزن يحتوي على جميع أنواع الذرات الموجودة على كوكب الأرض، فتح الصندوق الزجاجي وتناول الصندوق الخشبي بين يديه وهو يرفعه ليريه لهم، استطاعوا نقل كيان مادي في ثوانٍ معدودة دون أن يسببوا تلوثًا للبيئة في عملية ستوفر الملايين بل المليارات للعالم كما ستحافظ على الموارد الطبيعية كالبترول بمشتقاته، لم يتحمل الفرحة فبكى هو يحمل الصندوق بين يديه، الصندوق الذي يبدو له كأنه معكوس في مرآة، أداره ليتأكد من شيءٍ ما جال بخاطره قبل أن يترك الجهاز يسقط أرضًا و هو يسقط على ركبتيه و يبكي و يردد : "لقد فشلنا"

فبرغم نجاحه في إتمام تجربة الإنتقال الآني فإن الأمر قد فشل، تم تجميع ذرات الصندوق الخشبي معكوسة كما لو أنه موضوع أمام مرآة وبرغم نجاحهم في نقلها إلا أن هذا يعد فشلًا في إتمام عملية الانتقال الآني، ظهر اليأس على ملامح الجميع وهم مستمرين في محاولة تخفيف الأمور عنه رغم دموعه

***

عام 1993

الولايات المتحدة الأمريكية – ولاية نيويورك – مدينة ارمنوك

مقر شركة (IBM) لتصنيع وتطوير الحواسيب والبرمجيات

هذه المرة فريق من العلماء بقيادة العالم الأمريكي الشهير تشارلز بينيت الذي صمم هذه المرة على انتقاء فريق عمله بنفسه فاختار بعض العلماء الشهيرين القريبين منه بغض النظر عن جنسياتهم كما قام بإعادة تصميم وصناعة الجهاز بحيث كانت الحجرتان الزجاجيتان لا تبعدان عن بعضهما البعض هذه المرة سوى تسعين سنتيمترًا فقط، أعاد تصميم الجهاز وأشرف بنفسه على تفريغ الغرفات الزجاجية من الهواء قبل أن يضعوا بداخل الأولى قطعة معدنية ولأن القاعدة تنص على أن الوصول لنقطة من العلم تدفع لنقطة أخرى وآمال جديدة لاستكشاف المجهول، لذا فتم التوصيل بين الغرفتان الزجاجيتين بقناة من الألياف المحاطة بمجال مغناطيسي قوي جدًا، أمسك تشارلز بينيت بالذراع التي سيحركها من أجل إحداث ثورة في عوالم العلم و لكنه لم ينس فشل من سبقوه لذا

كان أشد حذرًا و هو يجذب الذراع، بعد عدة لحظات انتظر الجميع وبالتدريج بدأت ذرات قطعة الفضة تتفكك لتختفي تمامًا من الغرفة الزجاجية الأولي، دقت القلوب فرحًا ولكن أحدهم لم يريد أن يتحمس إلا بعد انتهاء التجربة، تحفزت الأجساد وبدأ الجميع يتعجلون إنهاء التجربة إلا أن قطعة الفضة كان لها رأيٌ آخر فأبت أن تنتقل، بعد مرور عشر دقائق كان القلق قد بدأ يتسرب من القلوب والقطعة المعدنية لم تظهر بعد، انتظر الجميع عشر دقائق أخرى عَلَّهَا تُبَدِّل رأيها وتظهر إلا أنها صممت على موقفها رافضة للظهور، بعد نصف ساعة تقريبًا يأس الجميع و بدأ بعض العلماء يتركون الغرفة، أخيرًا قررت القطعة المعدنية أن تظهر بعد مرور ساعة وست دقائق بشكل كامل وبرغم أنها انتقلت هذه المرة بشكل صحيح تمامًا إلا أن هذا العائق الزمني وقف دون تحقيقهم لنصرهم العلمي فلم تُكَلَّل هذه التجربة بالنجاح أيضًا

***

عام 1998

الولايات المتحدة الأمريكية – ولاية كاليفورنيا – مدينة باسادينا

مؤسسة كاليفورنيا للتكنولوجيا

هذه المرة قرر فريق العلماء في مؤسسة كاليفورنيا للتكنولوجيا خوض غِمَار نفس التجربة ولكن بطريقة جديدة فقرروا هذه المرة نقل فوتون والفوتون هو جسيم أولى عديم الشحنة والكتلة، وهو المكون الأساسي للضوء وكل الأشكال الأخرى للإشعاع الكهرومغناطيسي وينتقل بسرعة

الضوء، عَلَّ التجربة تكون أنجح من مثيلاتها التي أُجْرِيَت على الأجساد المادية، هذه المرة لم يستخدم فوتون واحد فقط في إجراء هذه التجربة بل تم استخدام ثلاث فوتونات وببساطة شديدة تم استخدام الأول ليكون الجسد المراد نقله بينما تم استخدام الثاني كوسيط بين الأول والأخير لنقل معلومات الأصلي ونقلها إلى الفوتون الثالث، بحيث يكون الفوتون الثالث نسخة طبق الأصل عن الفوتون الأصلي و كان رفيقهم في هذه التجربة مبدأ عدم اليقين لـ (هايزنبيرج) والذي ينص على أنه لا يمكنك أن تعرف بطريقة متزامنة مكان وسرعة جسمٍ ما

بعد سنوات طويلة من الدراسات والأبحاث تمكن العلماء عام 2002 من نقل أكثر من فوتون بنفس الطريقة، وتمت التجربة على شعاع ليزر (والذي يتكون من ملايين الفوتونات) وتم نقله آنيًا.

بعد عدة سنوات وتحديدًا في عام 2006 قام فريق العلماء في مؤسسة"Neil's Bohr" الدنماركية بإجراء التجربة على خليط من الفوتونات والذرات، حيث تمكنوا من نقل معلومات مخزنة على شعاع من الليزر الى سحابة من الذرات عبر مسافة 50 سم وكانت هذه المرة الأولى التي تتم فيها عملية النقل بين الضوء والمادة

***

أنهى الكهل رحلته عبر الزمن بسؤال مهم كانوا يفكرون به جميعًا: "ولكن أتوجد آلية لنقل الجسد البشري المحتوي على أكثر من 28 مليون خلية؟ بذات الترتيب والتنسيق الأصلي؟"

وقف العالم الإنجليزي النحيل وعينيه تلتمعان حماسًا ليسأل سؤالًا آخر أثار حماس الجميع: "وفي حال تحقق هذا الحلم، ما مصير الجسد الأصلي؟؟، وهل ستوجد الذاكرة بالجسد الأخر الذي سيتم الانتقال إليه؟"

تنبه الجميع لسؤال مهم أيضًا: "هل عملية التخلص من الجسم الأول تُعَدُّ جريمة قتل، خصوصًا وأنها تخلص من جسد بلا ذكريات"

استكمل الكهل كلامه بصيغة علمية غلبت عليها اللغة التقريرية المملة : "و بالتالي فنظريًا تحقيق هذا الحلم أخيرًا متاح ولا وجود لأيِّ عوائق أمام الإنسان لتحقيق حلم الانتقال الأني الذي سيوفر مئات الساعات من عمر الإنسان و التي يقضيها ترحالًا في وسائل المواصلات المختلفة، في لحظة واحدة تنتقل من مكان لآخر قاطعًا آلاف الكيلومترات دون تضييع وقت ودون عناء أو مجهود، ما الذي يمنع استخلاص معلومات الكائن الحي، حتى أصغر ذرة من الذرات المكونة لخلاياه بما تحويه من إنزيمات وتفاعلات وترتيبها الدقيق، ومن ثَمَّ إرسالها؟، مستغلين ظاهرة التشابك الكمي هذه، ومن ثم إعادة تركيب الكائن على الجهة الأخرى المقابلة"

سأله حازم بتركيز: "فعلًا ما المانع، فبالعكس هذه الطريقة ستوفر الوقت والجهد كما أنها ستحمينا من التلوث وستنهي مشكلة العوادم والتي تسبب أزمات حادة في العالم بأكمله كماستنتهي أزمات البترول ومشتقاته؟"

ابتسم الكهل و هو يجيبه : "أول المُعَوِّقَات التقنية متعلق بكمية البيانات التي نحتاجها لنصِفَ كائنًا إنسانيًا بدقة، إذ أن متوسط عدد الذرات التي يحتويها جسم إنسان يزن 70 كيلوجرامًا، هو عشرة مرفوعة إلى القوة 27 فلو قَدَّرْنَا أن كل ذرة منها تحتاج إلى مائتي بِت لتشفير معلوماتها الكاملة مع

ملاحظة أن هذا التقرير بالغ المرونة للغاية وبحساب الأمر سنجد أن كمية المعلومات التي لا بد من تسجيلها وإرسالها لإعادة بناء هذا الإنسان هي مائتي ألف يوتابايت والذي يساوي ببساطة ألف تريليون جيجابايت، وهذا الرقم المريع يمثل كمية بيانات هي أضعاف أضعاف كمية البيانات التي أنتجها الإنسان منذ بدء الحضارة إلى يومنا هذا، ولا نستطيع حاليًا حتى التفكير في طريقة لتخزينها ناهيك عن إرسالها وبسرعة"

أنهى كلماته وهو ينشج من شدة التحمس بينما العالم الإنجليزي والذي يبدو أنه الوحيد الذي فهم كلماته نظر للجميع وهو يعيد شرح محاضرته ببضع كلمات بسيطة: "ببساطة شديدة الأمر مستحيل"

نظر له العالم وهو يهز رأسه: "لا مستحيل مع المنظمة"

مرة أخرى تعلقت به الأعين ولم يتحدث أحد إلا رمزي الذي بدا وكأنه بدأ يشعر بالاختناق جراء كل تلك المصطلحات التي يسمعها للمرة الأولى: "من فضلك حاول أن تختصر الموضوع أو أن تطرحه بشكل أبسط هذه المرة"

ابتسم الكهل رغم حدة الكلمات التي طرح بها رمزي رجائه وهو يقول: "ببساطة شديدة كانت الفكرة في إقامة مجال ضخم من الأشعة الكهرومغناطيسية حول الكوكب بأكمله وذلك عن طريق توصيل مئات الأقمار الصناعية بعضها البعض بنوعٍ خاص من الأشعة الغرض منها تسليط حقل كهرومغناطيسي ذو شدة عالية ومن ثَمَّ تطبيق الأمر ولكن في هذه الحالة كان المُراد هو نقل العديد من البشر من أماكنهم عدة أمتار أو حتى عدة كيلومترات ولكن للأسف الأمر لم يمر على خير ما يرام وبالتالي تفككت الأجساد ولم تجد الذكريات ما تسكنه فحدث ما حدث"

وقف حازم وهو يقول بغضب: "فكرتك رائعة لكن تنفيذها صعب للغاية وبفرض توافر التنفيذ فأنا متأكد أن المنظمة لا تمتلك مئات الأقمار الصناعية كي تتم مهمتها وأين كانت دول العالم من هذه التجربة؟"

وقف رمزي وهو يجيب بدلًا من الكهل: "بالفعل المنظمة لا تمتلك مئات الأقمار الصناعية"

أجابه حازم: "أشكرك"

استدرك رمزي: "بل تمتلك آلاف الأقمار الصناعية"

جَزَّ حازم على أسنانه وهو يقول بِغِلّ: "أكرهك"

تجاهله رمزي وهو يقول: "وأي دول تتحدث عنها يا صديقي، المنظمة أقوى من أي دولة في العالم ولها ميزانية ضخمة تفوق ميزانيات الدول ولها علماء يفكرون وفرق بحثية تطبق وتنفذ وموجودة منذ زمن ومن ضمن أعضاء المجلس الإدارى للمنظمة مئات من رؤساء الدول وملوكها وأمرائها وآلاف المشاهير والأغنياء ولكن المنظمة تنتقي أعضائها بسرية مطلقة ورغم وجودها واستمراريتها لآلاف السنين إلا أنها لم تختار أن تظهر إلا الآن فقطط لتحكم سيطرتها على العالم"

سأله فريد بقلق: "ماذا تقصد؟"

أجاب رمزي: "هذه التجربة كل لحظة فيها كانت مقصودة وبترتيب معين، ما نحن فيه الآن دليل نجاح تجربة المنظمة وليس فشلها"

(26)

وقف حازم في منتصف الغرفة و هو يضمهم حوله ليتجمعوا على شكل دائرة هو مركزها، بصوتٍ هادئٍ بدأ حديثه : "السيد أرهانيش سيكون مسؤولًا عن الفريق الأول المسؤول عن محاولة اختراق الشبكة التي تضم الأقمار الصناعية و تسيطر على الأرض عن طريق شبكة الأشعة الكهرومغناطيسية و تدميرها للأبد وكذلك لأن السيد مصطفي يعرف جيدًا ديناميكية عمل الجهاز والشبكة فسيصبح مسؤولًا بصحبة بيتر ورجب أن يصنعا لنا جهازًا مضادًا ذا فائدة ثنائية، أريد جهازًا يكبح تلك الأشعة في حال وصولها إلى الأرض ثانية و أريده أيضًا أن يمنع أي شبكة اتصال بين تلك الأقمار و بعضها البعض أما مسألة عودة الذكريات لأجسادها مرة أخرى فسنتولاها مرة أخرى بعد سقوط المنظمة و لن نترك ذاكرةً تائهة إلا بعد أن نهديها إلى جسدها ثانية، سيد أرهانيش ودكتور بيتر ودكتور باروش ... هل لدى أحدكم أي اعتراض على ما قلت؟"

أجابه بيتر: "هذا الجهاز الذي تطلبه سيكون جهازًا ضخمًا وسيحتاج إمكانيات لا نمتلكها، أجهزة ومعدات وغيرها من الأشياء التي تفوق حجم إمكانياتنا لذا سيكون التنفيذ النظري سهل للغاية، سندرس نظرياتنا ونضع معادلاتنا ولكن كي تراه على أرض الواقع يجب أن نكون في مكانٍ آخر بإمكانياتٍ أخري"

فكر حازم قليلًا قبل أن يقول بابتسامة من يملك زمام الأمور: "رجاءً يا دكتور اكتبوا طلباتكم في ورقة وأعطوها لي وأنا أعدك بمجرد سقوط المنظمة سأتيح لك كل ما تريد من أجل أن تصنعوا جهازًا يخلصنا من هذا العناء ولكن قبل أن نخترع ترياقًا للسم يجب أن نقطع رأس الحية"

هز بيتر رأسه قبل أن يمشي بصحبة الكهل والمتلعثم ويمسكوا بقطعة من الورق وقلم وينهمكوا في جدال علمي عميق وأخذوا يسجلوا متطلباتهم والأشياء التي يحتاجونها كي يصنعوا جهازهم الذي يعتبر الآن أمل الأرض الوحيد بينما نظر حازم للباقين قبل أن يقول: "رمزي هل تمتلك الخرائط التي وعدتني بها؟"

هز رمزي رأسه سريعًا و هو يُخرِج من طيات حقيبة كان يحملها بيده خريطتان إحداهما للمنظمة و المكان الذي يحيط بها و الأخرى تحوي وصفًا دقيقًا للمنظمة من الداخل، جميع المداخل والمخارج والسلالم وفتحات التهوية كما تحوي وصفًا خاصًا للقبو بكامل تفاصيله، كذلك تحوي وصفًا دقيقًا لأجهزة الإنذار التي تحمي المكان، أمسكها حازم و نظرة شكر تلوح في عينيه قبل أن يفردها على طاولة قريبة وهو يشير إلى سمير، إسماعيل وأنطون وبصوتٍ هادئ خلا من لهجة أمر قال : "أريد منكم أن تعكفوا على دراسة مكثفة لهذه الخرائط و أريد أن أعرف على الأقل عشر طرق للدخول إلى المنظمة و الخروج منها في أسرع وقت، أريد أن أعرف كيف أخترق تلك الأجهزة دون أن تنذرهم، ما هي أفضل المواعيد التي يجب أن ندخل فيها، و إذا تأزمت الأمور ما هو أفضل مخرج نهرب منه، أريد كل هذه المعلومات و في أسرع وقت ممكن، هل نستطيع؟"

ابتلع سمير نصير ريقه بصوتٍ عالٍ يدل على توتره: "نحتاج أسبوعًا على الأقل لكي نأتي لك بهذه المعلومات، الأمر صعب خصوصًا وأننا نري هذه الخرائط على الورق فقط ولم تُتَح لنا زيارة المكان ولو مرة كي نفهم ديناميكية عملنا"

نظر إلى زميليه فوجدهما يهزان رأسهما إيجابًا وأشباح التوتر تحوم حول رؤوسهم، ابتسم حازم وهو يقول: "لا نملك أسبوع يا سيدي، أقصي ما نستطيع أن نمنحكم من الوقت سيكون يومًا"

نظر في ساعته وهو يقول: "الساعة الآن السادسة صباحًا، أريد من الكل توحيد ساعاته لكي نستطيع أن نتواصل بلا أيّ مشكلات زمنية"

نظر مرة أخرى إلى السيد سمير نصير وبابتسامة أخبره: "سنتحرك غدًا في السادسة صباحًا كي نصل إلى المنظمة في المساء وسيتم الاقتحام في الس ...."

قاطعه رمزي بنظرة لوم قائلًا: "سيتم الاقتحام مساءًا، لم نحدد الساعة بعد"

ابتسم سمير نصير وهو يشير إلى رمزي ويقول له: "أنت ذكي جدًا"

قبل أن يوجه نظراته لحازم وتظهر علامات الجدية على وجهه وهو يقول: "حسنًا سنقدم لك كل المعلومات التي ستفيدك بأمر الله تعالي غدًا صباحًا"

هز حازم رأسه وهو يتحاشى النظر لعيون رمزي التي تكاد تحرقه بنار اللوم عقابًا له على ذلة لسانه، نظر حازم للباقين جون سايتال، جون أوبايا وأحمد الطيب وهو يبتسم قبل أن يقول: "لن أستطيع أن أقول لكم أيَّ شيء ستتحركون معنا صباحًا وستعرفون الخطة في مساء الغد، استعدوا وسنعمل على أن يصحب كل منكم ما يريد من أسلحة، الله معنا جميعًا لأنه يعلم أننا ننوي خدمة الكوكب وإنقاذه"

ابتسم جون سايتال وهو يقول: "حسنًا ماذا سنفعل حتى الغد؟"

حاول حازم أن تكون كلماته القادمة رقيقة: "لا نعرف هل سنعود بالغد جميعًا أم لا لكننا نعلم جيدًا أننا سننجح غدًا لذا من فضلكم احرصوا على القيام بأي شيء يضمن نجاحنا بالغد"

ابتسم الجميع وهم يشعرون بالحماس قبل أن ينتحوا جانبًا وكل منهم يتدرب على ما يهواه ويراقب الآخرين في محاولة لتعلم مهارة جديدة علها تنقذه في يومٍ آتٍ قريبًا"

وقف حازم أمام فريد ورمزي، لم يعد سواهم ومريم التي فهمت لحظة الصمت التي سادت فذهبت تشرف على الفرق الثلاثة وترى ما ينقصهم، تخلى حازم عن موقفه في الصمود وبدا ضعيفًا وعينيه تدمعان وهو يقول لرمزي وفريد: "حسنًا، سأعترف اعترافًا لا أريد أن أعيش بدون زوجتي ولا أريد أن أموت وأتركها لقسوة العالم لذا يلزمني منكما وعدُ شرف"

هز فريد رأسه بينما قال رمزي: "أيَّ شيءٍ ترغب فيه"

"أريد أن تقتلاني لو كانت قد ماتت، لا أريد الحياة بدونها، أنا أضعف من أن أعيش دونها وأضعف من أن أموت لألحق بها"

هز فريد رأسه بتأثر بينما لوى رمزي شفتيه امتعاضًا وهو يقول: "ضعيف"

سمع الجميع صوت طرقات خفيفة على الباب فانتبه الجميع، من المفترض تمامًا أن هذه الشقة مقر سري لا يعرفه أحد، أشار حازم للجميع أن يدخلوا إلى غرفة جانبية ليختبئوا ريثما يفتح الباب، تأكد من مسدسه الذي يختبئ خلف ظهره و هو يفتح الباب ببطء بعدما تأكد أنه يقف وحيدًا ليجد طفلًا لا يتجاوز العشر سنوات يقف على الباب مبتسمًا، إنه يعرف هذا الطفل ويعرف هذا الموقف وقبل أن يتذكر أيَّ شيء فوجئ بالطفل يخرج بخاخة صغيرة و يرش قليلًا مما بها على وجهه وهو يبتسم، هنا فقد وعيه وسقط أرضًا تحت قدمي الطفل، سمع الجميع صوت الارتطام فخرج رمزي بحرص ليجد باب الشقة مفتوحًا ولا أثر لحازم على الإطلاق، خرج ينظر في الردهة ولكنها كانت خاوية تمامًا

(27)

فتح حازم عينيه ببطء وهو لا يدري مكانه، شعر بالبرد يتسلل إلى جسده في محاولة لتجميد خلاياه أو النيل من الدفء الساري في جسده فاعتدل يتأمل المكان المُلقَى به، زقاق جانبي بين بنايتين ضخمتين تبدوان كما لو أنه تم نحت الشارع وسطهما، تأمل الحجر الأحمر المؤسِّس لإحداهما قبل أن يتجول بعينيه على الأخرى ذات الطراز الأحدث، حاول أن يتذكر أين كان ولكن آخر شيء يتذكره هو تابع الملك الذي اختطفه من الشقة، فجأة اتسعت عيناه وغمامة عدم التركيز تنحسر عن ذهنه وتشرق شمس الاهتمام في رأسه، الشقة والخطة التي يدبرونها، وقف وقاوم ترنحه وهو يتحرك بقدمين لم تصل لهما أوامر المخ جَلِيَّةً بعد ولكنهما تطيعان صاحبهما الذي يجبرهما على الحراك، وصل إلى بداية الزقاق ووقف يتأمل المكان من حوله قبل أن ينتبه لشيءٍ مهم، هذه البناية الموجودة أمامه مباشرة هي البناية التي يقصدها، تحرك ليعبر الطريق ولكن سيارة مسرعة كادت تدهسه ولدهشة قائدها لم يهتم حازم بما حدث ولكنه أسرع ليعبر باب البناية وهو يتقافز على درجات السلم وقبل أن يطرق الباب فُتح باب الشقة ووجد فريد ورمزي ينظران له و علامات القلق تحتل مساحات ضخمة من ملامحهما، سأله فريد في سرعة : "أين كنت؟"

ظهرت الحيرة في عيني حازم وهو يقول: "هل ستصدقني أنني لا أعرف أين كنت؟"

انتقلت عدوى الحيرة من حازم إلى رمزي وهو يسأله: "ماذا تقصد أنك لا تعرف أين كنت؟، ماذا حدث؟"

حاول حازم استدعاء آلهة التركيز وهو يجيبه ببطء سامحًا للكلمات أن تختمر في عقله أولًا قبل أن تخرج من فمه: "سمعت طرقات على الباب فأشرت للجميع أن يدخلوا إلى الغرف ..."

قاطعه رمزي بنفاذ صبر: "حازم!، كلنا كنا هُنا معك، أقصد بعدما دخلنا إلى الغرفة؟"

صمت حازم للحظة كأنه يتذكر: "وجدت فتىً صغيرًا لا يتجاوز العشر سنوات، أسمر البشرة مجعد الشعر يبتسم لي بشدة قبل أن يرش في وجهي نوعًا من أنواع المخدرات سريعة المفعول فسقطت أرضًا وهذا آخر ما أتذكره"

حك رمزي رأسه وهو يقول: "خرجت لأرى ما حدث بعدما سمعت صوت ارتطام جسدك بحوالي ثلاثون ثانية ولكنني لم أجد جسدك ولم أجد أيَّ شخص في الرواق، كما هبطنا أنا وفريد على الدرج ولكننا لم نجد أي شخص؟"

ظهر الاهتمام على وجه حازم وهو يسأله: "ماذا تقصد؟"

أجابه فريد: "يقصد أن الفتى لم يكن بمفرده"

ابتسم حازم وهو يهز رأسه نفيًا وينظر لرمزي وعينيه تلمعان وقد فهم مقصده: "لا، لا يقصد رمزي هذا"

سأل فريد بحيرة: "ماذا يقصد إذًا؟"

"أنا لم أغادر البناية !!"

***

ظهرت علامات الدهشة على وجه فريد وهو يتجول بعينيه بين وجه حازم ورمزي، لعن غبائه قبل أن يدرك أن غبائه ليس السبب في غياب هذا الاستنتاج عن عقله وإنما السبب هو أنهما تربيا تربية عسكرية وتعلما كيف يفكران بطريقة مختلفة بعض الشيء، قرر فريد أن يكسر حاجز الصمت: "إذن سنبحث في البناية عمن اختطف حازم وسنعرف منه لِم اختطفه"

أجابه حازم: "لا داعٍ لهذا التفتيش كي نعرف من اختطفني، أعرف جيدًا أنه الملك ولكنني لا أعلم لِمَ؟"

فكر رمزي لوهلة قبل أن يقول: "ربما استغل فقدانك للوعي لكي يزرع في جسدك رقاقة إلكترونية موصلة بالأقمار الصناعية لكي يتتبع مكانك؟"

أجابه فريد في تهكم: "يبدو أن أحدهم يكثر من مشاهدة الأفلام الأجنبية؟"

ابتسم رمزي بسخرية: "هذا صحيح ولأنه يُكثر من مشاهدة تلك الأفلام أصبحت قوة ملاحظته ضعيفة لأن هذه التقنية مطبقة منذ عدة سنوات"

احمر وجه فريد لسببين أولهما اأنه لم يستطع أن يرد على تهكم رمزي بعد أن أجهض سخريته والآخر لأنه فعلًا يجهل تفعيل هذه التقنية، نظر رمزي إلى حازم وهو يأمره: "اخلع ملابسك"

بدأ حازم في خلع ملابسه بالكامل إلى أن وقف بسرواله الداخلي أما رمزي الذي دار حوله بحثًا عن أيِّ شِقٍ في جلده يعرف منه إن كان أحدهم دسَّ شيئًا في جسد حازم ولكنه لم يجد أيَّ شيء فأشار لحازم الذي بدأ يرتدي ملابسه قبل أن يقول: "إما أن نبدأ في تفتيش هذه البناية أو نبدأ في التجهيز لهذه المهمة"

أجابه رمزي: "هنالك مفاجأة لك"

ظهرت الحيرة على وجه حازم فأجابه رمزي: "هناك مخبأ سري تابع للمنظمة قريبٌ منا، هل تريد أن نذهب لنختار بعض الأسلحة؟"

سأله حازم: "والحراسة المعينة عليه؟"

ابتسم رمزي وهو يخبره أنه أحد القلائل الذين يعرفون هذا المكان وأن المنظمة بالتأكيد لم تستطع أن تغير المكان، ابتسم فريد وهو يقول: "هل تشعرون بالنشوة، سندمر المنظمة بأسلحتها"

***

ثلاث متسللين يمشون ببطء خلف بعضهم البعض و برغم تسللهم و هدوء خطواتهم إلا أن السرعة كانت رفيقتهم، كانوا يتحركون بسرعة رغم حِمْلِهِمُ الثقيل وعندما وصلوا إلى وجهتهم دخلوا إليها في سرعة، قطعوا درجات السلم في خفة وهم يصلون للشقة المطلوبة، دخلوا فوجدوا مريم تستعد لإطلاق النار وعندما اطمأنت إليهم وضعت سلاحها جانبًا وهي تنظر للأجولة السوداء الثلاثة التي يحملونها، بدأوا يُخْرِجُونَ محتويات الأجولة أمام أعين التمعت حماسًا وأعين ارتعبت خوفًا، عشرات الأسلحة التي ملأت الأجوْلة تراصت بجوار بعضها البعض على المنضدة وتحت كلًا منها ذخيرته الخاصة

تقدم رجال الأمن الثلاث و بدأوا في تفحص الأسلحة ببطء وكلًا منهم تنتابه الحيرة وهو يحاول أن يختر نصيبه من هذه الغنيمة المميتة، لوهلة شعر فريد أن ملائكة الموت تطوف حولهم وحول الأسلحة التي سيختارها رجال الأمن لينهوا بها حيوات عدة ستواجههم، انتقي كلًا منهم سلاحه وبعد أن

انتهوا دلف كُلٌّ منهم إلى غرفة ليرتدوا زيًا موحدًا أسود اللون محاط ببعض الدروع الخفية التي ستحمي المناطق الحيوية من أجسادهم و لَفَّ كلا منهم على خصره أسلحته و ذخائره و أصبحوا جاهزين إلا أحمد الطيب الذي خرج من غرفته لا يحمل أيَّ أسلحة ولا يرتدي أي أزياء، وعلامات اليأس تبدو على وجهه، توقف حازم عن ارتداء زيه و هو يسأله : "لماذا لم ترتدي ملابسك ولماذا لم تحمل أسلحتك يا أحمد؟"

أجابه الطيب بإيمان شديد: "أنا من أشد المؤمنين بالقدر والمكتوب، تاريخ موتي مكتوب عند رب العالمين ولن يمنعني من الموت دروع العالم بأكملها فلم سأثقل حملي وأختبئ خلف الدروع وأُثقِلُ حركتي وأنا أعلم جيدًا أنه عندما يحين أجلي سأموت"

هز حازم رأسه وهو يقول: "ونعم بالله، ولكن ألا ينبغي أن تزيد من الحرص قليلًا؟"

هز الطيب رأسه وهو يقول: "واجهنا أعداء أشد بصدور عارية فلم سنخاف؟"

ابتسم سايتال في سخرية ولكنه لم يعقب فسأله رمزي الذي انتهي من ارتداء ملابسه: "والأسلحة؟"

"تعودت منذ صغري على أسلحة معينة ولم أستطيع أن أتأقلم على هذه الأسلحة؟"

ابتسم حازم وهو يتجه لجوال تجاهله منذ البداية وأعطاه لأحمد الذي فتحه قبل أن تلمع عيناه بشدة وهو يخرج منه سيفًا طويلًا يرقد بداخل جراب مصنوع له خصيصًا مزود بحامل ارتداه على كتفه ليرقد خلف

ظهره مستعدًا لبدء القتال وأخرج عدة خناجر وضعها في ملابسه في أماكن منفرقة بين جسده وظهره وأقدامه وبعض القنابل اليدوية التي أحاط بها خصره وهو يقول: "الآن أصبح الموضوع جديًا"

تأمل حازم الثلاثة عسكريين وتأكد من تمام جاهزيتهم وهو يربت على كتف رمزي ويقول: "هل الطائرة على سطح المنزل؟"

هز رمزي رأسه وهو يقول: "أتيت بها منذ فترة وتجاهلتها تمامًا لأنني كنت أعرف أن وقتها لم يحن بعد"

ابتسم حازم رغمًا عنه لأن رمزي مهتم جدًا بالتفاصيل الصغيرة وهذا هو سر النجاح، ابتسم حازم للجميع وهو يقول: "هيا على بركة الله"

وقف الستة أمام المبنى الذي يقصدونه في نهاية الأمر، ملابسهم مليئة بالغبار و ملامحهم مليئة بالإرهاق، المشي متعب فما بالك بمشي الصحراء وسبر أغوار رمالها، يقع مقر المنظمة في مكان مهجور تمامًا لا سبيل للوصول له إلا بالطيران، لكن حازم ورفاقه كسرا هذه القاعدة، وصلوا لمكان يبعد عن البناية بعدة كيلومترات، نفس الطائرة المروحية التي هرب بها حازم من المنظمة قبل أن يتحد مع حازم في سبيل إنهاء أزمة الكوكب هي الطائرة التي هبطت بهم لتثير عاصفة ترابية كانت لتلفت نظر المنظمة لو أنهم اقتربوا منها وبالطبع الهبوط على سطح المنظمة أمر مستحيل تمامًا لأنه يحتاج عدة تصاريح رسمية وبالطبع مشوا عدة كيلومترات في الصحراء حتى نال الإجهاد منهم و لكن الشعور بالتعب و الإجهاد والإحباط في هذه المرحلة تعتبر أحاسيس مرهفة لا مكان لها وسط هذه المعركة، كل واحد من الستة فكر في نفس الشيء تقريبًا في هذه اللحظة، لربما تكون النهاية قادمة ولكنها لن تقتنص مني حياتي قبل أن أجاهدها لتحقيق حلمي لذا نفض كلًا منهم اليأس وسط الغبار الذي نفضوه عن ثيابهم قبل أن ينظروا لحازم الذي أخذ يفكر لبرهة قبل أن تلمع عيناه وهو يقول : "سننقسم ثلاث فرق كما قلنا من قبل، رمزي مع جون سايتال و فريد مع جون أوبايا وأحمد الطيب معي وسيتم الاقتحام الآن"

سأله فريد: "وما هي خطة الاقتحام؟"

لمعت عينا حازم بفخر وهو يشرح الخطة لهم"

***

كانت الأجواء هادئة تمامًا في الفترة الأخيرة لدرجة أن رجال أمن المنظمة كانوا يشعرون بملل لا مثيل له ولأن قوانين المنظمة تمنع ترك مكان الخدمة لأي سبب من الأسباب و تعاقب عليه بالموت فورًا فإن رجال الأمن التزموا أماكنهم و هم يحاربون هجمات الملل وموجات النعاس دون أي مجهود يذكر، كل ما يفعلونه في الفترة الأخيرة هو استقبال العاملين في المنظمة من أجل القيام بالإجراءات المعتادة من تفتيش وتحقق من شخصية وهم قادمون من المجمع السكني الخاص بهم والذي يقع على بعد عدة أمتار من المنظمة ويفعلون مثله أثناء الخروج لذلك كان صوت انفجار القنبلة عند البوابة رقم (1) صوتًا غير معتاد فانتفضت الأجساد وانتبهت الحواس على غير العادة، لم يستطع أيهم ترك مكانه لكن فرقة المتجولين الخاصة بالأمن داخل المنظمة تحركت في سرعة إلى البوابة الأولى لتراقب الانفجار الذي ترك نيرانًا مشتعلة ورجل أمن مقتول وعاصفة غبارية كادت تهدأ قبل أن يدوي الانفجار الثاني عند البوابة رقم (2) أسرع الجميع إليها فورًا دونما أيَّ تأخير قبل أن يجدوا المثل تمامًا بلا أي تغيير، جثة رجل أمن بوغت فقُتل ونيران مشتعلة تكاد تأكلهم أكلًا وعاصفة رملية تحذرهم من الاقتراب وإلا دفنوا أحياءً، الانفجار التالي كما توقع الجميع كان في البوابة رقم (3) يبدو أن سلسلة الانفجارات تلك ستستمر حتى تنتهي عند البوابة رقم (10) و هي البوابة الأخيرة و الأهم لذا تجاهل الجميع البوابة الثالثة لأنهم عرفوا الموجود هناك و هرعوا جميعًا للبوابة الرابعة ليقتربوا منها في بطء خوفًا من الانفجار الذي دَوَّى فعلًا و لكن عند البوابة الخامسة، توقف المسؤول عن رجال الأمن مفكرًا قبل أن يقسم فريقه إلى قسمين هرع القسم الأول إلى البوابة السادسة بحثًا عن انفجار جديد بينما وقف القسم الآخر يراقب البوابة الرابعة بحثًا عن انفجار تأخر ولكن الانفجار أتاهم من البوابة التاسعة هذه المرة،

بدأ الفريق المهاجر للبوابة التاسعة في محاولة الاتصال بالمسؤول بحثًا عن أوامر جديدة ينفذونها وفي نفس التوقيت تمامًا كان فريق آخر من رجال الأمن يصل إلى البوابة العاشرة بحثًا عن قنابل جديدة أمام هذه البوابة الهامة ولكنهم مشطوا المكان جيدًا أمام أعين فرد الأمن المسؤول عن حمايتها قبل أن يخرج المسؤول عنهم وسط صيحاته الآمرة لهم بإعادة التمشيط تصريحًا خاص بكبار المسؤولين، حاول رجل الأمن أن يأخذه منه ليتأكد إلا أن نظرة حادة من حامله أعادته مكانه قبل أن تدوي صفارة صغيرة في جهاز الإرسال اللاسلكي الذي يحمله و تنبعث منه كلمات غير مفهومة مصحوبة بشوشرة إلكترونية، سمعها المسؤول قبل أن ينعقد حاجباه لوهلة وهو يقول : "متي؟، سآتي حالًا بأقصى سرعة"

عدا تجاه البوابة فلم يجد حارس الأمن بُدًا من فتحها أمامهم وهم يدخلون إلى البوابة العاشرة ورجل الأمن يكاد قلبه ينخلع خوفًا من الانفجار القادم وبمجرد أن دلفوا إلى المكان حتى خلع المسؤول قناعه عن وجهه وهو ينظر بعينيه الخضراوتين ويأمر العشر رجال الذين يتبعونه أن يبحثوا في المكان بأكمله عن المتسللين الذين استغلوا الفوضى لدخول المكان

***

عند البوابة الأولي وعندما هدأت العاصفة الترابية ووقف رجال الأمن يحرسون المكان ظهر رمزي وهو يقود فريق من الملثمين المدججين بالسلاح من خلفه ويتحركون بخطوات هادئة والثقة تتقافز من أعينهم وقفوا أمام المكان يتأملون الخراب الذي حل به وجثة رجل الأمن التي غطاها بعض الموجودين قبل أن ينظر لرجل الأمن الذي أخذ يتأمله في شراسة وكأنه

المسؤول عما يحدث قبل أن يسأله رمزي ببساطة: "أين المسؤول ها هنا يا فتى؟"

أشار له على شخص ضئيل الحجم لكنه مفتول العضلات يبدو الذكاء جليًا في عينيه، مشى رمزي إليه في خطوات هادئة وهو يخرج بطاقة إلكترونية من جيبه ويعرفه بنفسه: "رمزي، أحد مديرى المنظمة"

تأمل الرجل البطاقة لوهلة قبل أن يعطيها لرمزي وهو يسأله: "و...."

ابتسم رمزي وهو يسأله: "نريد الدخول ولأنك المسؤول لم نريد أن نتخطى صلاحياتك وفضلنا اللجوء للرجل المسؤول أولًا"

أطربته كلمات رمزي التي داعبت غرور المسؤول بداخله فلم يكلف نفسه عناء التأكد من البطاقة وإن كانت سليمة ولكنها بكل بساطة كانت ستخبره أنه أمام أحد أكبر المطلوبين من قبل المنظمة وأشار لرجال الأمن بالسماح لهم بالعبور، دلف رمزي ورفاقه إلى المنظمة وخلعوا أقنعتهم وهم يبتسمون ابتسامات ثقة قبل أن ينقسموا ثلاث فرق وكلٌ منهم يتحرك لوجهته بدون كلمات

***

بدأ حازم شرح خطته: "سنفعل العديد من الانفجارات بترتيب عشوائي كي نجذب أنظارهم إلى أن هناك شيئًا ما خاطئ يحدث"

سأله فريد: "ولكن تلك الانفجارات ستعلمهم بالقطع أن هناك شخص يحاول الدخول إلى المنظمة"

ابتسم حازم وهو يقول: "هدفنا جذب الأنظار كلها إلى البوابات، نريد رجال الأمن بأكملهم يتمركزون أمام البوابات في انتظارنا"

سأل فريد مرة أخري: "وكيف سندخل حينها؟"

ابتسم حازم وهو ينظر لفريد: "سندخل من البوابة وبالطريقة الشرعية، ببطاقة رمزي الخاصة بالمنظمة، بطاقة ممغنطة من طراز لم يطرح في الأسواق بعد، سندخل من أمام أعينهم وتحت أنوفهم وبهذه الطريقة لن نكون محلًا لأي شك من أي نوع"

أجابه رمزي: "ولكن بطاقتي موقوفة وإذا تم التأكد منها سيتم القبض علينا جميعًا"

ابتسم حازم وهو يقول: "لا تقلق، في خضم هذه الفوضى لن يتم التأكد من شيء على الإطلاق"

أنهى كلماته وهو ينظر لأحمد الطيب ويقول له: "مهمتك هي زرع هذه القنابل وتفجيرها في الأوقات التي سأخبرك بها"

تحسس رمزي بطاقته وقلبه يرتجف خوفًا من الخطة المجنونة التي وضعها حازم

(29)

رآهم فابتسم

***

بمجرد أن دلفوا إلى المنظمة حتى انقسموا بترتيب معين درسوه جيدًا كيلا يضيعوا الوقت في النقاش بداخل هدفهم، رحل رمزي وشريكه إلى غرف المديرين ببساطة وصعدوا إلى السلم الذي يصل إلى غرف المديرين في بطء وقدماه تلتهمان الدرجة تلو الأخرى، توقف أمام رجل أمن يعرفه جيدًا، فكر أن يتوقف ببطء ويستدير ليرحل لكن هذا التصرف كان سيلفت الأنظار إليه فابتسم وهو يتنفس بعمق قبل أن يستدعي روح المرح لتلبسه وهو يصل إلى رجل الأمن بابتسامة تفنن في رسمها إلا أنها لم تشفع له أمام تجهم الحارس الذي أشار له بيده ليتوقف وهو يطلب تصريح المرور. هذه الدرج ينتهي بباب معدني يفضي إلى صالة واسعة بها العديد من الغرف الخاصة بالمديرين أما هدفهم و هو غرفة المدير الأكبر فهي في الطوابق العليا، توقف أمام رجل الأمن و هو يمسك ببطاقته لكي يراها رجل الأمن وحاول أن يستردها إلا أن رجل الأمن مد يده في إشارة لطلبها، لم يجد رمزي بدًا من إعطائها له، اقترب رجل الأمن من جهاز فحص البطائق و عرف رمزي أنها لحظات فقط وينكشف أمره بالكامل

***

تحرك حازم وأحمد الطيب إلى وجهتهم بسرعة وحازم يستدل بذاكرته راجيًا إياها ألا تخونه، لم يتواجد حازم هنا من قبل ولكنه يعرف جيدًا أن

كلمة السر في مروره ببساطة هي أن يكون واثقًا من حركاته، ألا يفكر مرتين أمام أي طريق يسلكه، ألا يُظهر ولو للحظة أنه يخوض هذه الدروب للمرة الأولي لذا تحرك في طريقه إلى القبو بثقة مبتسمًا للأشخاص الذين يقابلهم كيلا يترك لهم فرصة للتساؤل عمن يكون!

وصل لمبتغاه في نهاية هذه الردهة يظهر الباب الذي يليه سلم هابط للأسفل يقوده لباب القبو والذي سيجد فيه مصعدًا سريًا يقوده إلى الطابق الخاص بمكاتب المديرين مباشرةً، هذا المصعد الذي صنع خصيصًا لحالات الطوارئ إذا حدث هجوم على المنظمة ولكن لسخرية القدر الآن سيستخدمه حازم على العكس تمامًا، سيستخدمه للوصول إليهم، وصل حازم إلى الباب ونظر لأحمد الطيب برفق وهو يبتسم قبل أن يضع يديه على المقبض ويحاول فتحه إلا أن الباب أبي أن يستجيب لرغباته ورفض أن يُفتح رفضًا باتًا، حاول حازم مرة تلو الأخرى وهو يحاول ألا يثير أي ضوضاء فلم يستطع، أخرج الطيب من جيبه نصلًا حادًا رفيعًا واستأذنه أن يحاول، أدخل طرف النصل في القفل المعدني الخاص بالمقبض، دعيا الله أن يسمعهما صوت التكة الخاصة بفتح القفل و لكن بدلًا منها سمعًا صوتًا غليظًا يقول : "أنت، ماذا تفعل هناك؟"

هنا توقفت القلوب عن النبض وصرخت في فزع

***

بينما كان هدف فريد ومرافقه واضحًا إلا أن فريد كعادته فقد ثقته بنفسه وأخذ يتعرق وهو يتنفس بعمق لافتًا نظر الجميع بسبب ارتباكه وللأسف ولأن المصائب لا تأتي فرادى فقد نسي الطريق الخاص به، وقف أمام الحائط مُغلِقًا عينيه محاولًا استدعاء التركيز و حاول أن يتذكر إلا أن

نظرات الريبة والشك حاصرته وأطبقت على صدره فزادت من صعوبات تنفسه، اضطر أن يسير بلا هدى راجيًا الله أن يصيب في اختياراته وأن يقف الحظ بجواره هذه المرة، مشى حتى وصل لنهاية الطريق الذي فاجأه وكأنه يزيد حيرته حيرة فتفرع لطريقين أحدهما أيسر والآخر أيمن ووقف أمامهم حائرًا قبل أن يتخذ قراره بسرعة راجيًا الله ألا يخطئ فتوجه يمينًا فإن في اليمين بركة، خطا في الردهة بسرعة ولكن ما لفت انتباههما أن صوت خطواتهما يتردد وسط الهدوء المحيط بهما، قادتهما الردهة إلى أخرى مليئة بالأبواب المغلقة و التي تظهر أقفالها الضخمة حراسًا عليها، و قادته الردهة إلى أخرى تنتهي يسارًا خاضها بثقة قبل أن يجد نفسه أمام حارسان يبتسمان و كأنهما ينتظرانه ليضعوا حدًا لمهمته، نظر لمرافقه وابتلع كلًا منهما ريقه بصعوبة وهما يرفعان أيديهما للأعلى وكأنهما يستسلمان

***

قبل أن يضع البطاقة الخاصة برمزي أمام الجهاز لقراءة كودها الإلكتروني ووضع حدًا لهذه المغامرة قبل أن تبدأ سمعوا جميعًا صوتًا قويًا من خلف رمزي الذي نظر بدهشة ليجد جون سايتال يسعل بعنف و يكاد يفقد توازنه على السلم، تحرك رمزي ورجل الأمن في سرعة وهما يحاولان أن يمسكا به وقبل أن يفهم رمزي ما يحدث كان جون سايتال يترك جسده الثقيل المليء بالعضلات يسقط بين يدي رجل الأمن الذي أحاط به يمنعه من السقوط على درجات السلم خوفًا من إصابته لم يدر رمزي ما به قبل أن يشعر بسايتال يغمز له بعينيه، لم يفهم رمزي الغرض من إشارته فبحث بعينيه حتى وجد قصد سايتال يبدو جليًا أمام عينيه، استغل سايتال تركيز الحارس في رفع جسده الثقيل وتسلل بخفة إلى جيبه

منتشلًا بطاقة حارس الأمن وهو يقذف بها إلى رمزي تاركًا جسده يجذب حارس الأمن الذي انقبضت عضلاته في عنف محاولًا السيطرة على هذا الجسد القوي، أسرع رمزي واضعًا البطاقة أمام الجهاز الإلكتروني الذي أصدر صافرة مطمئنة تشبه زفرة الارتياح التي جاش بها صدر رمزي وهو يبتسم قبل أن يضيء الجهاز باللون الأخضر كاتبًا كلمة (مرخص)، أسرع رمزي متظاهرًا بمعاونة الحارس وهو يضع البطاقة بين أصابع سايتال الذي وضعها في جيب رجل الأمن برفق قبل أن يعتدل وهو يشكر رجل الأمن الذي نظر له بدهشة متعجبًا من نوبة السعال و فقدان الوعي التي هاجمته فجأة وتركته فجأة سليمًا معافى كأن لم تكن، ذهب رجل الأمن إلى الجهاز مستعدًا لوضع البطاقة ليفحصها قبل أن يجد الجهاز آمنًا مصرحًا لرمزي بالذهاب، توقف للحظة يتذكر متى وضع البطاقة أمام الجهاز ومتى فحصها قبل أن يمط شفتيه ببطء وهو يعطي رمزي بطاقته ويأذن له بالرحيل، ابتسم رمزي وربت على كتف سايتال مشجعًا وهما يرحلان مبتسمان وقلوبهم تزفر ارتياحًا.

***

توقف حازم و هو ينظر لهذا الذي يناديه محاولًا التظاهر بالثقة قبل أن يجد رجل أمن متجهم الملامح يبدو على وجهه الغضب، تظاهر الطبيب بأنه يربط رباط حذائه وهو يخفي النصل الرفيع في جوربه بحرص كي لا يخدش قدمه قبل أن يقف وهو ينفض الغبار عن ركبتيه اللتان اتصلتا بالأرض في لقاء سريع لم يكتب له النجاح وهو يبتسم بدوره رغم رقصة الخوف التي تمارسها قلوبهما بداخل صدورهم حامدين الله على وجود القفص الصدري الذي منع قلوبهم من الركض خوفًا، اقترب منهما

الحارس وهو يضيق عينيه برفق متأملًا إياهما قبل أن يقول مرة أخرى : "سألتكما، ماذا تفعلان هنا؟"

أنهى كلماته وهو يرفع سلاحه ليصوبه لصدر حازم الذي حاول أن يجد كلماته التي اختنقت ذعرًا بداخل حنجرته، صمت قليلًا متأملًا الحارس الذي يمشي ببطء وهو يرفع سلاحه متقدمًا نحوهم قبل أن يقول: "سنهبط إلى القبو!"

نظر له الطبيب بدهشة باحثًا عن سبب مقنع يجعل حازم يبوح له بسرهم قبل أن يضم يديه خلف ظهره وهو يقبض على خنجره بحرص وهو يتلو بعض آيات القرآن سرًا قبل أن يقف حارس الأمن ويضع يده في جيبه وهو يحافظ على سلاحه النصف آلي مرفوعًا بالأخرى وهو يخرج نظارة طبية من جيبه يضعها على وجهه لتتبدل ملامح وجهه وهو يبتسم بارتباك معتذرًا: "عذرًا، ظننتكما من أفراد الأمن وكنت أمزح معكما"

ابتسم حازم وهو يحاول ألا يظهر فرحًا بالأمر وهو يقول: "ليس الأمر هامًا"

استدار الحارس وهو يتمنى لهما حظًا سعيدًا قبل أن يوقفه حازم وهو يقول: "هل لك أن تفتح لنا الباب لأن بطاقتنا لا تعمل، يبدو أن بها عطلًا ما"

وكتعويض عما سببه لهما الحارس ابتسم وهو يفتح لهما الباب مستخدمًا بطاقته وهو يرحل مبتسمًا. أغلق حازم الباب خلفه هو والطبيب وزفر بعمق وهو يكاد لا يصدق أن الأمر انتهى على خير

***

رفع فريد وأوبايا أيديهما للأعلى في استسلام، في العادة لا يستسلم أوبايا وسيحرص على القتال حتى لو كلفه الأمر حياته ولكنه بوغت بردة فعل قائده فظن أنها خطة ما يخطط لها فريد، الأمر الذي لم يعرفه هو أن فريد يكاد يبكي ذعرًا لأنه شعر باقتراب الفشل، نظر لهما الجنديان قبل أن يبتسما وهما يحاولان منع أنفسهما من الضحك لكن الضحك سلطان أقوى من أقسى المواقف، قهقها في عنف وهما يخرجان سُحبًا من الدخان من أفواههم تلف ضحكاتهم وتتصاعد معها للأعلى، فهم أوبايا الأمر فتوقف وهو ينزل يديه ويلكز فريد كي يقف وهو يبتسم بارتباك ولا يفهم ما الذي يحدث، أقترب أوبايا منهما وهو يخرج علبة من السجائر من جيبه ويعطي كلًا منهما سيجارة ويشعل ثالثة لنفسه، وقف يتبادل معهما بضع كلمات سريعة قبل أن يشكرهما ويمشي بخطوات سريعة وهو يجذب فريد من يده بعنف وعلامات الغضب ترتسم على وجهه وهو يقول : "هؤلاء هربا إلى هنا لتدخين بعض السجائر والتي يبدو أن تدخينها داخل المنظمة أمر غير شرعي بينما أنت أيها الزعيم القوي قد أخطأت، وجهتنا هي في الجهة اليسرى، هيا بنا"

تنفس فريد بعمق وهو يحمد الله أن الأمر مر بسلام

***

نظر أمامه في الجهاز الذي تنقل له كل الكاميرات المزروعة في كامل أنحاء المنظمة ما تشاهده، راقب ثلاث شاشات وهو يبتسم وينفث دخان سيجاره بعيدًا وقد وجد ضالته، رآهم فابتسم

***

دخل رمزي إلى الغرفة التي يبتغيها لكنه بعد دقائق خرج منكس الرأس هو وجون سايتال وكلًا منهما مُصَوَّب إلى رأسه مسدسًا ثقيلًا من عيار خاص قبل أن يركعوا على ركبتهما ويشعر رمزي بضربة قوية على مؤخرة عنقه فقد على إثرها الوعي

بينما حازم الذي هبط السلم ليفتح باب القبو فيجد مجموعة حراس يبتسمون له بشدة قبل أن يرى أحدهم يضغط الزناد، أغلق عينيه تلقائيًا منتظرًا الألم قبل أن يفتحهما ليرى أحمد الطيب وقد زينت منتصف رأسه رصاصة غادرة وهو يسقط بجواره فاقدًا لحياته قبل أن يضع أحدهم غطاء رأس يغلق عن حازم به منافذ الإضاءة وهو يشعر بهم يربطون يديه وقدميه بقوة ولم يدر إلا وهو يحمل إلى وِجْهَةٍ مجهولة

فريد قبل أن يصل لوجهته سمع صوتًا مكتومًا لم يفهمه ولم يعرف مصدره وقبل أن يفهم وجد أوبايا يسقط أرضًا والدماء تنزف من عنقه بشدة وقد فارق أيَّ أثرٍ للحياة عينيه قبل أن يجد ضوءًا أحمر يعرفه جيدًا، هناك قناص يبحث عن قلبه، تابع الضوء الأحمر بعينيه وهو يتوقف عند قلبه، انتظر الرصاصة والتي أتى بدلًا منها من أمسكه بإحكام وهو يغطي عينيه برابطة عنق ويربط يديه وأقدامه ببعضهما البعض، لم يقاوم فريد فهو يعلم جيدًا أن لا مفر ولا مناص

(30)

فتح رمزي عينيه ببطء ورأسه يشكو الألم إثر الصدمة التي تعرض لها، تأمل بعينين قاومتا الضوء الذي أغشاهما الموجودات من حوله، كانت غرفة خالية تمامًا إلا من ثلاث مقاعد ومنضدة، الثلاث مقاعد كان هو مربوط في إحداها بينما جسدان لرجلان آخران مربوط كلًا منهما في مقعد، عرف تكويناتهم البدنية فألفهم، حازم عن يمينه وفريد عن يساره بينما يتوسطهما هو مواجهًا المنضدة المعدنية الفارغة، كان حازم لا يزال يحتفظ على رأسه بغطاء أسود يغطي وجهه عن العالم بينما فريد معصوب العينين برابطة عنق رجالية، فكر قليلًا هل من الأفضل أن يحادثهما أم أنهما فاقدي الوعي، انتهى من التفكير مستقرًا على ضرورة الاطمئنان عليهما فبدأ بحازم سائلًا إياه برفق : "حازم، هل أنت بخير؟"

اعتدل رأس حازم الذي كاد ينكب على صدره من فرط الهدوء قبل أن يسمع صوت رمزي وكلماته المتسائلة، كانت الكلمات تصل له بصوتٍ خفيض نظرًا لاحتلال هذا الغطاء لرأسه لكنه سمعها جيدًا وفهمها وأدرك جيدًا أن رمزي في قبضتهم هو الآخر فسقط قلبه يائسًا فاقد الأمل وهو يجيبه: "نعم، إذا أنت أيضًا قد سقطت في قبضتهم"

أجابه رمزي وهو ينظر للأرض خجلًا: "أجل يا صديقي"

لم ير ملامح وجه حازم ولكنه خمن أن اليأس وقلة الحيلة يتصارعان حول أولوية الظهور الآن لكن بعد عدة لحظات من الصمت القاتل تحدث حازم بصوت حاول أن يجعله شجاعًا: "إذًا الأمل في فريد"

صمت رمزي للحظة وهو يتأمل فريد المعصوبة عينيه بجواره وهو يسأل نفسه هل يخبر حازم بأسره هو الآخر أم يترك له القليل من الأمل عَلَّهُم كانوا ذوي فائدة له قبل أن يوأد فريد أحلامه وتساؤلاته وهو يقول: "لا، لا أمل مع فريد"

رفع حازم كتفيه وهو يتنهد ويقول: "توقعت هذا ولكني كذبت قلبي، أعتقد أنني أردت أن أثمل بقليل من الأمل، حسنًا هل نستطيع أن نقول الأمل كان في العسكريين اللذان صاحبوكما، لأن أحمد الطيب – رحمه الله – قد اغتالوه برصاصة آثمة"

أجاب رمزي بدوره: "حسنًا سأستطيع أن أؤكد لكما أن جون أوبايا قد لحق به"

صمت رمزي محاولًا أن يتذكر قبل أن يقول: "آسفًا لن أستطيع أن أؤكد مصير سايتال لأنني فقدت الوعي قبل أن أطمئن عليه ولكن دعنا نؤكد أنه لحق بزملائه"

لحظات الصمت قررت فرض سيطرتها على المكان الذي خلا من أي صوت سوى صوت تنفس حازم الثقيل بسبب هذا الغطاء الذي يحيط برأسه ليخفيها عن العالم، قليل من الصمت بعد فلم يحن أوان الكلمات، قطع حازم هذا الصمت وهو يقول: "كانوا في انتظارنا، أحدهم خائن وسرب لهم خطتنا"

أجاب رمزي في سرعة والتوتر يبدو جليًا على كلماته: "أرجو ألا يكون أحد الخبراء الاستراتيجيين أو العلماء الموجودين بصحبة مريم"

وكأن حازم لم يسمعه أو كأنه يفكر بصوت عالٍ: "أحدهم كان خائنًا، ترى من هو الخائن؟"

فُتح باب الغرفة في اللحظة التي أنهى فيها حازم كلماته فرفع رأسه في سرعة محاولًا أن يخترق غياهب الظلمات باحثًا عن سبيل لرؤية القادم بينما تجمد فريد ذعرًا ورعشات صغيرة غير ملحوظة تنتاب جسده بين الحين والآخر، رفع رمزي رأسه وهو يتأمل الشخص الذي وقف على الباب يبتسم بسخرية، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول بصوت خافت: "حازم، أخشى أن أخبرك بهذا لكني عرفت من هو الخائن"

***

ابتسم جون سايتال بسخرية وهو يتأمل حازم الذي انتفض جسده عندما سمع صوته يقول: "مرحبًا، هل افتقدتموني أيها الأوغاد؟"

أجاب حازم بغضب وهو يقول: "سايتال؟"

رفع سايتال الغطاء عن رأسه، أغلق حازم عينيه لبعض الوقت كي تتأقلما مع اختلاف درجة الإضاءة قبل أن يفتحهما في بطء وهو يتأمل وجه سايتال وهو يقول بسخرية: "أعتقد أن هذا رد عن سؤالك"

تأمله حازم بغضب ووجهه يحمر نتيجة اعتمار الغضب في صدره وهو يصرخ به: "تتعاون مع المنظمة الآن؟؟، أليست تلك المنظمة هي التي طالبت برأسك وأنا من أعطاك الفرصة لتتنفس مرة أخرى أيها الأبله؟، سيقتلونك بمجرد أن ينتهوا منا"

قهقه سايتال في عنف حتى دمعت عيناه وهو يقول: "هل ما زلت تعتقد حقًا أنني جون سايتال، الجندي المقاتل الأمريكي؟"

سأله رمزي: "ماذا تقصد؟"

أخرج الرجل من جيبه الداخلي بطاقة إلكترونية خاصة بالمنظمة وهو يقول: "ديفيد فيتشر، أحد رجال الأمن بالمنظمة وأحد أهم مقاتليها"

سمع الجميع صوت نهنهة خافتة تصدر عن فريد الذي رمقه رمزي بنظرة اشمئزاز من ضعفه قبل أن يقول لديفيد مرة أخري: "إذًا كنت تخدعنا؟"

اتسعت عينا ديفيد بشدة وهو يسأله بسخرية: "هل تسأل؟"

قبل أن يجيبه رمزي وجه له ديفيد لكمة قوية على صدغه، شعر رمزي بالألم يجتاح جوانبه وهو يشعر بمرارة الدماء في فمه وقبل أن يجيب وجد إجابة ساخرة من رمزي: "ماذا تعتقد الآن؟"

وقبل أن يجيبه رمزي تحرك ديفيد وجذب رابطة العنق من على عيني فريد الذي ظهرت عيناه باكيتان، نظر له ديفيد باشمئزاز بدوره قبل أن يبصق في وجهه ويلقي رابطة العنق عليه، ظهرت علامات الخوف على رمزي وهو يبتعد بجسده من رابطة العنق قبل أن يشير ديفيد إليه وهو يقول بسخرية غاضبة: "كنت تريد أن تقتحم المنظمة وتسيطر عليها بهذا !!"

أدار فريد وجهه للجهة الأخرى وهو يبكي في صمت وجسده يرتجف قبل أن يسمعوا جميعًا صوت طرقات على الباب، أمر ديفيد الموجود بالخارج أن يدخل، فُتح الباب ودخل شخصان مفتولي العضلات ومن خلفهم رجل نحيل الجسد يبدو عليه الضعف، بمجرد أن رآه رمزي حتى ارتجف بعنف بالغ وهو يقول: "يا إلهي"

لاحظ حازم ارتجافة رمزي التي إن دلت على شيء فتدل على الهول الذي رآه رمزي، حاول أن يتبين الأمر لكنه لم يرى سوى شخص يشبه مرضى

السل يرتجف وتبدو عليه العصبية، لو أن هناك سببًا واحدًا للخوف من هذا الضعيف سيكون الخوف من أن يموت هنا أمامهم لكن نظرة تساؤل منه جعلت رمزي يرتجف وهو يحاول التماسك وهو يقول: "إنه ... إنه الفنان"

تساءل حازم بعدم فهم: "من؟"

أجابه ديفيد وهو يبتسم: "رون أرماندو ... الشهير بالفنان، أحد أهم فناني التعذيب حول العالم وأحد المبتكرين القلائل الذين يستطيعوا ابتكار وسائل تعذيب مضمونة نتائجها مائة بالمائة"

أجاب حازم بدهشة: "هذا!"

رفع ديفيد كتفيه للأعلى وهو يقول: "يبدو أنك لا تصدق ... حسنًا هيا نثبت له يا فنان"

تحرك الرجلان الضخمان إلى رمزي يفكون وثاقه ليجروه أرضًا وهو يحاول المقاومة لكنه يبدو كدمية بين يد عملاقين قبل أن يحكموا ربطه على المنضدة وهم يخلعون ملابسه حتى أصبح جسده عاريًا بالكامل، فتح الفنان حقيبته وهو يخرج منها أدواته، تأمل حازم الحقيبة وهو يرى السكاكين المختلفة والمشارط والخطافات التي تراصت بجوار بعضها البعض قبل أن يمسك الفنان بمشرط خاص به يتأمله للحظات قبل أن يتجه لجسد رمزي ويبدأ الفنان في رسم لوحته الفنية باستمتاع

***

لم يستهلك الفنان الكثير من الوقت قبل أن يترك رمزي الذي ينشج بعنف محاولًا إخفاء ألمه وعدم البوح به في محاولة لاستفزازه، كان جسده ينزف

من جروح كثيرة تناثرت هنا وهناك بينما بضع أظافره تركته راحلة إلى مكان آخر. بضع مناطق حساسة في جسده تعلقت بها مشابك حديدية ذات أطراف حادة في عنف بينما كان لسانه قد زارته الكهرباء عدة مرات، تناول رمزي وجبة تعذيب من عيار خاص وثقيل. الملفت للنظر كان في استمتاع الفنان الذي كان يبدو وكأنه يرسم أو يؤلف مقطوعة موسيقية سارحًا في ملكوت من صناعة خياله سابحًا في بحار متعة لا يراها غيره، يَئِنُّ رمزي ويبكي فريد ويبحث حازم عن سبيل للفرار من هذ الجحيم، صحيح أن رمزي لم يَبُح بعد بسر واحد لكن يبدو أن النهاية قريبة. البشر كالقلوب كُلٌّ له طاقة تنتهي بعد قليل من الوقت ليتحول بعدها للنقيض تمامًا. فريد كان يبكي بعنف لدرجة أن حازم تمنى لو يقتله الفنان ليستطيعا التركيز كل في واد. الفنان في استمتاعه وحازم في بحثه. كان الفنان يستريح الآن تاركًا المشابك الحديدية تنهش جسد رمزي ريثما يتنفس بعمق لقليل من الوقت، كان ينشج وكأنه يبذل مجهودًا مثله مثل الفنان الذي ينتهي من فنه ناشجًا يعب الأكسجين كأنه كان يركض في الصحراء، المثير أن رمزي رفض أن يكمل متعته و يتألم أمامه مما جعل الفنان يكشف عن بعض خدعه التي لا مجال لذكرها هنا و التي سببت الدهشة لحازم لأنه لم يكن يدرِ أن هناك من يستطيع أن يتحمل مثل هذا العذاب، وقف الفنان وهو يتناول معداته من جديد وبمجرد أن أعمل أحدها في جسد رمزي حتى فقد تماسكه وصرخ بكلمة واحدة حملت رجاء جسد معذب ولم يعد يحتمل : "يا رب"

و كأن الله استجاب لدعائه في الحال سمع الجميع صوت صرخات و طلقات رصاص يتردد بالخارج لوهلة قبل أن يصمت الجميع، فجأة سمع الجميع صوت طرقات و كأن أحدهم يحاول اقتحام الباب لكن قوته أقل

من أن تفتح بابًا معدنيًا كهذا، تراجع الفنان للخلف و هو يحمل مشرطه مختبئًا خلف حازم الذي رمقه بسخرية قبل أن يسمعون الطرقة القوية الأولى متأملين الانبعاج التي سببته، سبب هذا الانبعاج شيء يتمتع بقوة خارقة، ضربتين أخرتين وطار الباب من مكانه غير متحمل لتلك القوة قبل أن يظهر على الباب جسدًا يغلب عليه اللون الرمادي الباهت يشبه تكوينه الخارجي تكوين الإنسان، تتناثر في رأسه الكبير بضعة شعيرات تكاد تعد طويلة و لكن قلتها مع كبر حجم الرأس يعطوك انطباعًا أنك تراقب شيطانًا فقد شعره ، أحدب، طويل القامة و قصير القدمين، له عينان بلا حدقات ينبعث منها الشر ليرجف أشجع القلوب بينما وجهه ملطخ بأوساخ لا يعرف كنهها، ضلوعه تخترق لحمه لترسم لوحة مرعبة على صدره بينما غطي عورته بقطعة قماش بالٍ تكشف أكثر مما تستر، كانوا يتأملون مسخًا خارق القوي يقف على الباب زائرًا بعنف ومنخاريه ينفثان الهواء بغضبٍ عارم لا مثيل له، نظر رمزي بأعين قتلها الألم إليه قبل أن ينظر إلى حازم في استجداء وهو يراقب المسخ يقترب منه ولعابه يسيل عن أنيابه بِشَرَه وزئيره الحاد يُصِمُّ الآذان صَمًّا، أغلق حازم عينيه محاولًا ألا يرى ما يحدث لكن أيديه المقيدة منعته من صم أذنه عن صرخة صديقه التي خالطها الزئير القبيح

(31)

زئير حاد من فم مليء بالأنياب الحادة، بخار قذر يتصاعد من منخارين تجمد عليهما المخاط، صوت بشع يأتي من صوت احتكاك أظافر أقدامه المتسخة بالأرضية، صوت قرقرة ينبع من حنجرته رغم سكوته، عضلاته ترتعش كأن ماسًا كهربائيًا يعبث فيها و يهز رأسه في عنف كأن آلاف الشياطين تسكنها وهو يحاول طردها، يقف غاضبًا في منتصف الحجرة يتأمل رمزي المربوط في المنضدة وجسده ملئ بالدماء، يغلق عينيه وهو يخرج لسانًا قذرًا يلعق به شفتيه الرفيعتين، حازم يحاول أن يفك قيده بصعوبة محاولًا إنقاذ رمزي قبل أن ينهشه هذا المسخ الطليق بينما يَئِنُّ فريد بقوة مزعجًا المسخ الذي مشى إليه و توقف أمامه وهو يقرب وجهه من وجه فريد، شم فريد رائحة فم المسخ العطنة ورائحة اللحم المتعفن على وجهه، رائحة العرق المتراكمة على جسده دون غسيله زكمت أنفاسه فأدار وجهه للجهة الأخرى محاولًا كتم دموعه لكن المسخ مد يده و أمسك بوجه فريد، أدار وجهه و لم يحاول فريد أن يقاومه كيلا يجرح وجهه بأظافره القذرة فالله وحده يعلم ما نوع المرض الذي سيسببه له المسخ لو جرحه، صرخ المسخ في وجه فريد بشدة، كاتمًا أنفاسه ودموعه ووائدًا أي نوع من أنواع المقاومة بداخله صمت فريد قبل أن يقرر أنه لا داع لبقائه واعيًا فترك وعيه ينسحب ليسقط رأسه على صدره فاقدًا للوعي، تأمله المسخ للحظات قبل أن يتركه ويتحرك تجاه رمزي، يمد يده ليعبث في الدماء التي تغطي جسده، يمتليء إصبعه بالدماء فيقربه من فمه لاعقًا إياه وهو يقرقر في سعادة، نظر حازم للفنان وهو يرجوه أن يفك قيده، لم يجد الفنان بدًا من الأمر فاستعمل المشرط الموجود في يده ليفك سراح

يمناه قبل أن يتبعها بيسراه، دلك حازم يديه ليبعث الدماء مرة أخرى عبر عروقه التي ضغط عليها القيد ليسبب له كدمات زرقاء فيهما، وقف حازم وهو يتأمل الفنان الذي بدا جسده صغيرًا مرتعشًا أمامه وبدت عينيه كأنما تفيض بالفزع بعد أن كانت أمطار النشوة تهطل فيهما، أشار له بيده أنه يريد المشرط لكي يحرر رمزي و يقاوم المسخ الذي وقف يتأملهم بوجه مائل جهة اليسار و لسان يتلاعب في الهواء ليزيد من رهبته وأعين تفيض جنونًا، أخفى الفنان المشرط خلف ظهره و هو يبتعد بخطوات بطيئة عن حازم الذي تعجب من ردة فعله، همس له بغضب : "أريد أن أحرر رمزي و أقتل هذا المسخ"

تردد الفنان للحظات قبل أن يمد يده بأيدي مرتعشة وهو يعطي حازم المشرط الذي تناوله برفق وهو يعطي الفنان ظهره ويسأله: "أخيرًا بدأت تفعل الصواب، هل تعلم ما هو الخطأ الأول الذي ارتكبته اليوم؟"

سأله الفنان: "إعطائك المشرط؟"

نظر له حازم بطرف عينه وهو يبتسم بسخرية: "هذا كان خطأك الثالث، خطأك الأول كان أنك بدأت الاستجواب برمزي الذي فضل الموت على أن ينطق بكلمة، خطأكم الثاني كان بمهاجمة المنزل الذي أعطاكم جون سايتال عنوانه لأنه بمجرد فتح الباب ستنفجر البناية بأكملها، بمجرد أن تحركنا ورحلنا تحركت مريم بصحبة العلماء لمكان آمن لا يعرفه سوى رمزي وأنا فقط، حتى فريد لا يعرفه وتم زرع مجموعة من القنابل والمتفجرات تنتظر فقط أن يفتح أحدهم باب الشقة لتنفجر البناية بأكملها أما خطأك الثالث ...."

لم ينهي حازم كلمته وهو يستدير ليواجه الفنان بيده الممدودة بالمشرط وهو يبتسم ويقول له: "هذا ...."

لم يفهم الفنان ما حدث و لكنه تحسس عنقه الذي شقه المشرط بيده و هو يرى الدماء تسيل منه بقوة، تحشرج صوته و هو يحاول أن يقول شيئًا إلا أن حازم لم يهتم ولم ينتظر أن يسمع كلماته الأخيرة وإنما أمسكه من ياقة معطفه الأبيض الذي تلوثت بالدماء وهو يحمله بقوة ويلقيه بالقرب من المسخ الذي اقترب من رمزي مخرجًا لسانه مستعدًا للعق دمائه متجاهلًا صرخات رمزي التي ملأت الغرفة قبل أن يشعر بجسد الفنان الذي يقترب منه فيبتعد في خطوات سريعة قبل أن يرى جثة الفنان و الدماء التي تسيل منها، اقترب منه يشتمه وهو يلعق الدماء التي ملأت الأرض حول الجثة في بركة حمراء قانية، تحرك حازم بحرص وهو يقترب من رمزي الذي ركع المسخ بجواره يلتهم جثة الفنان في نهم قبل أن يشعر بخطوات رمزي فينظر له و هو يبعد الجثة عنه زائرًا في عنف خائفًا من أن يشاركه طعامه إلا أن حازم تحرك وبيده المسلحة بالمشرط بدأ بفك رباط رمزي الذي قاوم جروحه وآلامه وانتفض ضد الدوار الذي يداهمه وهو يحرك نفسه منتظرًا أن يتم حازم مهمته ليتحرك قافزًا رغم الألم عن المنضدة مبتعدًا عن المنضدة إلى حيث ألقى الفنان ملابسه مرتديًا إياها ضاغطًا على أسنانه كاتمًا ألم زحف في جسده يعيث بها فسادًا، أفاق حازم فريد وقبل أن يحرره عَنَّفَهُ على ضعفه و قلة حيلته، تحمل فريد كلماته وهو يدلك جسده بعد التحرر وهو يقف ناظرًا للمسخ الذي يلتهم جثة لا ملامح لها قبل أن يسأل حازم : "أهذا رمزي؟"

هز حازم رأسه نفيًا و هو يشير لرمزي الذي بدل ملابسه و جلس على الأرض في ضعف، تحركا إليه في سرعة و هما يحملانه محاولين ترك الغرفة

قبل أن يتحرك المسخ الذي خذل شجاعتهم و أعلن انتهائه من الطعام قبل أن يقف ليسد مدخل الغرفة عليهم و هو يصرخ صرخة جديدة لم يسمعونها منه من قبل، نظر فريد لحازم نظرة يستنجد بها شجاعته، رفع رمزي رأسه يتأمل الموقف، لم يفهم أيهم ماهية هذه الصرخة قبل أن يسمعوا عشرات الأصوات تتردد من هنا و هنا، لحظات و ظهر حوالي عشر مسوخ أو يزيد على باب الغرفة، حسنًا الآن فهم الجميع ماهية الصرخة، كان المسخ ينبه أقرانه بوجود المزيد من اللحم لإطعامهم و سد جوعهم، تأملوا المسوخ التي تقف على باب الغرفة لتزأر في عنف و هي تتأملهم و أعينها تفيض جنونًا وحشيًا

***

وقف المسوخ على باب الغرفة يزأرون في وحشية ونظرات عيونهم تعكس مشاهد من مستقبل حازم وفريد ورمزي الذي كاد ينتهي بين أسنان هذه المسوخ، توقف حازم وفريد وهما يحملان رمزي الذي رفع رأسه بضعف يتأمل ما يبدو وكأنه آخر لحظاتهم سويًا، قال بصوت خافت متأملًا المسوخ: "حازم، كنت خير رفيق في هذه الرحلة، أشكرك ولتعلم أنني سأموت راضيًا عنك أما هذا الوغد في الجهة الأخرى فهو أضعف من رأيت طوال حياتي"

لم يستطع فريد أن يرد على هذه الإهانة لأنه على يقين تام بأنه يستحق أكثر منها فقد كان مثالًا يحتذي به في الضعف والخنوع وقدوة حسنة لكل الضعفاء في هذه الرحلة، حاول أن يفعل شيئًا حسنًا ينهي به حياته فترك رمزي وهو يتقدم نحو المسوخ التي بدأت في تأمله، وقف أمامها صارخًا بصوت حاول أن يكون شجاعًا: "إذا أردتم أن تمروا فليكن على جثتي"

قهقه حازم بشدة وهو يجذبه من ذراعه ويقول له: "الآن ليس الوقت المناسب لكي تتظاهر بالبطولة، يجب أن نتحد لكي نستطيع الفرار من هنا، فثلاثة عقول تفكر أفضل من عقلان"

نظر فريد للمسوخ وهو يتراجع للخلف قبل أن يسمع صوت رمزي الضعيف مليءٌ بالسخرية: "ألن تعتذر لهم؟"

ابتسم له بصمت و هو يتراجع ليحمله مرة أخري، وقفوا أمام المسوخ التي صمتت إلا أن صوت قرقرة مقرفة تنبع من أعماقهم، فجأة صمت صوت القرقرة تمامًا، ساد الصمت الغرفة بأكملها إلا من صوت تنفس ثقيل من رمزي المصاب، انقسم المسوخ قسمين مكونين ممرًا بينهم يسمح لشخص ضئيل بالمرور من بينهم، نظر الثلاثة لبعضهم البعض خوفًا من التقدم لعلها تكون خدعة من المسوخ خصوصًا و أن فريد يعلم جيدًا حجم وحشيتها و قوتها، لم يتحرك أيهم و لكنهم رأوا حركة خافتة تأتي من خلف المسوخ، ركز الجميع أبصارهم بذلك الشخص الذي تحرك في خفة ممسكًا بجهاز في يده، قبل أن يرفع عينيه ليتأملهم، شعر قصير ناعم وبنية قوية رغم قصره، ملامح آسيوية ووجه ضحوك بشوش، ترك فريد رمزي وهو يسرع إليه في سرعة ليحتضنه أمام أعين حازم و رمزي الذي امتلأت بالتساؤلات قبل أن ينظر لهم فريد وابتسامته تفوق حجم تساؤلاتهما و هو يقول بفرح بالغ : "شينزو ... محارب المسوخ الذي أخبرتكم عنه"

أجاب رمزي: "يبدو لي مرافقًا للمسوخ أكثر منه محاربًا إياها"

ابتسم شينزو وهو يستمع لكلمات رمزي، بالطبع كان حوار الجميع يدور باللغة الإنجليزية منذ بدء هذه الأزمة قبل أن يجيبه شينزو: "هل أنت حازم؟"

رد رمزي بسرعة: "لا بالطبع حمدًا لله، هذا هو حازم"

مشيرًا إلى حازم الذي حياه بيده الحرة: "مرحبًا شينزو، كما ترى أنا حازم"

أجابهم رمزي بسرعة: "يبدو فعلًا اننا لا نقف في وسط المنظمة وسط عشرات المسوخ التي ستأكلنا أحياء الآن، هذا بالفعل المكان الأمثل للتعارف"

ابتسم شينزو وهو يقول: "لو أنك تخاف المسوخ فالمسوخ لن تتحرك إلا بأمري أنا فقط، أما بخصوص المنظمة فأعتقد أنك تسمع الصرخات، المسوخ تقوم بعملها في الانتقام منهم وتصفيتهم في الوقت الذي نتحدث فيه"

اعتدل رمزي سائلًا: "لن تتحرك إلا بأمرك؟"

ابتسم شينزو للمرة الثانية : "في خضم رحلتي لمقاومة المسوخ اكتشفت أن المسوخ نفسها لا تتحرك إلا بأوامر تأتي من قائدها، المشكلة الأكبر كانت في أنهم برغم كونهم كائنات حية إلا أنهم يتصرفون طبقًا للأوامر كالآليين، هنا بدأت بالتفكير في هذا السر، إلى أن تفتق ذهن أحد المصاحبين لي في خطف إحدى الجثث لتشريحها و بالفعل وجدنا شريحة مرتبطة بجهازها العصبي منها تتلقي أوامرها و منها تنفذها بدون أدني تفكير، وجب هنا التوقف للحظات بحثًا عن المصدر الذي تتلقي منه تلك المسوخ أوامرها وتنفذها وبالفعل بعد مجهود وصراع اكتشفنا أن هناك قيادات بشرية خلف مشروع المسوخ، بشر كالمسوخ لكنهم ممتلئون بوعود من المنظمة لإصلاح الأمر ريثما تنتهي الأزمة، هؤلاء يمتلكون حسابات مصرفية في بنوك سويسرا مليئة بالدولارات، تنفذ أوامر المنظمة بعد صبغها بالصبغة المطلوبة لتحريك هذه العقول المغيبة تحت شعار هذا هو الصالح العام،

بدأت البحث حتى وجدت أحدهم واستطعت قتله بعد أن خسرت أحد أفضل رجالي ولكنني انتصرت وفزت بهذا"

أشار للجهاز الذي يمسكه في يده وهو يستكمل حديثه: "هذا الجهاز ببساطة هو سر التعامل مع هذه المسوخ، كما ترى فالشاشة بها نقاط صفراء ونقاط حمراء وكما ترى أيضًا النقاط الصفراء أكثر بكثير من الحمراء، هذه النقاط الصفراء هي المسوخ وأماكن تواجدها على الخريطة أما النقاط الحمراء فهي زعماء المسوخ وبدأ فريقي بالفعل في تصفيتهم، تستطيع عن طريق هذا الزر أن تحدد العدد المطلوب من المسوخ لتنفيذ الأمر ومن هذا الزر تختارهم جميعًا لإعطائهم أمرًا حتى لو كان النوم أو صراع بعضهم البعض"

ابتسم حازم ولكن رمزي المتشكك سأل سؤالًا آخرًا: "كيف عرفت أننا هنا؟ ولماذا تنقذنا؟"

أجابه شينزو: "غرور المنظمة هو السبب، بمجرد أن تم القبض عليكم تم إذاعة بيان عاجل على جميع الشبكات التليفزيونية بصوركم وأنكم ثلاثة إرهابيين حاولوا اقتحام المنظمة من أجل إسقاطها للقضاء على مخططهم في مساعدة البشر في استرداد ذكرياتهم، أنتم بالخارج أكثر ثلاثة أشخاص مطلوبين ومكروهين على الإطلاق لذا إذا تم الأمر بخير وخرجتم احرصوا على تجنب الناس لبعض الوقت ريثما تُكْتَشَفُ الحقيقة والآن هيا فسنخرج من هنا بمساعدة المسوخ"

بمجرد أن أنهى كلماته حتى شعر بالجهاز ترتفع درجة حرارته في يده لدرجة أنه اضطر لتركه يسقط أرضًا وهو ينظر للثلاثي بنظرة فزع قبل أن يتردد صوت في الإذاعة الداخلية الخاصة بالمنظمة

((شينزو ورمزي وحازم وفريد يريدون الهرب بصحبة المسوخ، حسنًا هذا خبر جديد سيذهب للتلفاز كي يعرف العالم بأكمله أنكم المسؤولين عن المسوخ، الآن حان وقت التخلص من المسوخ كلها، ونصيحة حاولوا الهرب لأن فرقة ضخمة من رجال الأمن تتجه نحوكم الآن لتتخلص منكم، استعدنا السيطرة على المنظمة مرة أخرى وسنسيطر على العالم قريبًا، مع السلامة أيها الفشلة))

أنهى الصوت كلماته قبل أن تنفجر رؤوس المسوخ بشدة لتتناثر دماؤها القذرة على وجوههم، لحظات صمت مرت وهم يتبادلون نظرات اليأس قبل أن يروا ما حذرهم منه الصوت، العشرات من أفراد الأمن المدججين بالسلاح يأتون من كل حدب وصوب، مئات رجال الأمن يحاصرونهم بحثًا عن هدف واحد يبدو أنه اقترب للغاية، تراجعوا وهم يعرفون جيدًا أن النهاية قد حانت

(32)

في البداية كان السهم الذي اخترق رأس أحد المسؤولين عن تجمعات رجال الأمن أو قائد لأحد الكتائب الصغيرة التي تهاجمهم، سهم معدني ذو صناعة خاصة اخترق رأس القائد الذي ترنح للحظات محاولًا فهم ما الذي حدث قبل أن يخبره ملاك الموت أن أوانه قد آن ولا وقت للمزيد من التساؤلات فرحل معه صاغرًا دون نقاش، تبعه عدة أسهم تعرف طريقها جيدًا وكأن ملاك الموت نقش اسم كل ضحية فوق السهم الخاص بها فذهب يعرف طريقه ليصيب هدفه دون نقاش أو تردد، ثورة الأسهم حدثت في أقل من ثلاثين ثانية وتبعها موجة أخرى من الرماح الخشبية الضخمة التي شاركت بدورها في اختراق الجذوع والصدور وبقرت البطون وحطمت الرؤوس تحطيمًا، وقبل أن تبدأ موجة جديدة من الأسلحة البدائية جذب حازم فريد وشينزو بقوة لكي يستيقظوا من ذهولهم الذي سيطر على العقول فأوقفها وعلى الأعين فجحظت متابعة ما يحدث، حازم الوحيد الذي كان رد فعله أسرع منهم فحمل رمزي وهو يدلف إلى الغرفة التي كانوا بها من قبل، تبعه فريد وشينزو محاولين ألا يتعثروا في جثث المسوخ التي ملأت الأرض دون رؤوس، دخل شينزو وفريد إلى الغرفة ليجدا أن حازم يعطيهما رمزي الذي خارت قواه نتيجة مقاومته لتعبه و آلامه ليحملاه بينما خرج إلى الخارج كي يبدأ في جذب جثث المسوخ لداخل الغرفة، راوغ سهم طائش وابتعد عن رمحٍ غادر و هو يجذب جثة المسخ الأخيرة إلى الداخل، صوت طلقات الرصاص بدأ يتزايد و هذا يعني أن الجنود و رجال الأمن تخلصوا من عامل المفاجأة وانتهوا منه، لا يملك حازم المزيد من الوقت لذا بمجرد أن اطمأن إلى أن آخر جثة قد دخلت إلى

الغرفة تركها أرضًا و عدا من فوره إلى الباب المنبعج و حاول أن يضعه مكانه، كان الباب من الحديد ثقيل الوزن و ضخم للغاية لذا عاني من حمله وهو يترنح بشدة بسبب ثقله قبل أن يمد له شينزو يد العون فيضعون الباب مكانه ويظل حازم ممسكًا به ويشير لشينزو أن يأتيه بالمنضدة التي تتسلم دورها كخط دفاع ثانٍ لتمسك بالباب محافظة على ثباته بينما بدأ حازم بمساعدة شينزو في وضع الجثث فوق المنضدة كلأ منها فوق الأخرى ليصنعا خط دفاعي يحميهم من المعركة التي تحدث بالخارج، تركا الأمر وهما يرجعان ليجلسا أرضًا جوار فريد المستسلم ورمزي الذي فقد وعيه وفَضَّلَ حازم تركه مغشيًا عليه كي يرتاح قليلًا، بالخارج كانت المعركة محتدمة حيث بدأت بمجرد أن انتهت الرماح من قتل المزيد من الجنود فداروا على أعقابهم ليروا مهاجميهم ففوجئوا بعدد من الأطفال ولكنهم كالشياطين، لا يكفوا عن الحركة وهو يطلقون المزيد من الأسهم والمزيد والمزيد من الرماح، يبدو أن ذخيرتهم من الأسلحة البدائية لا تنفذ، احتاج الأمر رصاصة واحدة فقط لتخرجهم من حالة الذهول التي غرقوا بها فانطلقت الأيدي من فورها تأمر الأصابع بالضغط على الزناد الخاص بكل سلاح، وانطلقت الرصاصات تحصد أرواحًا والأسهم تحصد أرواحًا أخرى ومن بين هؤلاء وهؤلاء شعر الجنود بالغدر فجأة وانتبهوا أنهم أعطوا انتباههم بالكامل لهؤلاء الأطفال الذي توقفوا عن القتال مختبئين خلف كل ما يصلح كمخبأ يختبئون به من عذر الرصاصات التي لا ترحم ولكن الجنود أهملوا شيئًا واحدًا فقط، من الذي يؤمن ظهورهم التفتوا للخلف ببطء فرأوا مجموعة من البدائيين عاريو الصدور يقفون بابتسامة و كلًا منهم يمسك سيفًا إلا أحدهم يمسك دلوًا مليء بالبنزين الذي ألقاه عاليًا قبل أن يسرع أحدهم و يمسك بسلاح ينفث النار من مقدمته ليشتعل البنزين في الهواء قبل أن يهبط عليهم نارًا

تحرقهم قبل أن تشوي أجسادهم، و قبل أن يفيقوا اعتملت السيوف في أجسادهم تشقها شقًا بينما عادت موجات الرماح و الأسهم من الخلف فأصبح الجنود يتساقطون واحدًا تلو الآخر ولم يبقى سوى مجموعة قليلة قررت أن تهاجم بمنطقية فشكلوا شكل دائرة وتجاورت ظهورهم لكي يغطوا كل الجهات ولكن هذا كان قبل أن تنفجر بهم قنبلة بدائية لتتناثر أشلائهم بين هنا وهناك، انتهى الجنود تمامًا وانتهى معهم جزء كبير من الجيش البدائي قبل أن يشير القائد الخاص بهم إلى مجموعة منهم لترحل لتستكمل مهمتها في إخلاء المنظمة وقتل كل ما يمكن قتله الآن قبل أن يقف أمام الباب وهو يطرقه برفق وينادي بصوت هادئ : "حازم"

وقف حازم منتظرًا أن تتكرر الطرقة بنفس النمط و أن يسمع اسمه مرة أخرى قبل أن يجذب شينزو من يده و هو يمسك المنضدة أمامه و يحركونها و هي تحمل الجثث إلى ركن بعيد قبل أن يقرر الباب أن يسقط أرضًا ليثير ثورة من غبار متطاير انتهى ليجدوا رجل أسود البشرة مغطى بالدماء و كتفه تزينه رصاصة تسيل من ثقبها الدماء ولكنه يبتسم، هرع حازم إليه وهو يصافحه بهدوء ويفحص جرحه سريعًا قبل أن ينظر للأعين الذاهلة التي انضم لها رمزي الذي أزعجه صوت الباب الذي سقط ليقرر أن يصحو، نظر حازم لهم و هو يبتسم و يقول : "سادتي الكرام ... أعرفكم بالملك"

***

منذ يوم واحد

سمع الجميع صوت طرقات خفيفة على الباب فانتبه الجميع، من المفترض تمامًا أن هذه الشقة مقر سري لا يعرفه أحد، أشار حازم للجميع

أن يدخلوا إلى غرفة جانبية ليختبئوا ريثما يفتح الباب، تأكد من مسدسه الذي يختبئ خلف ظهره وهو يفتح الباب ببطء بعدما تأكد أنه يقف وحيدًا ليجد طفلًا لا يتجاوز العشر سنوات يقف على الباب مبتسمًا، إنه يعرف هذا الطفل ويعرف هذا الموقف و قبل أن يتذكر أي شيء فوجئ بالطفل يخرج بخاخة صغيرة ويرش قليلًا مما بها على وجهه وهو يبتسم، هنا فقد وعيه وسقط أرضًا تحت قدمي الطفل، سمع الجميع صوت الارتطام فخرج رمزي بحرص ليجد باب الشقة مفتوحًا ولا أثر لحازم على الإطلاق، خرج ينظر في الردهة ولكنها كانت خاوية تمامًا

فتح حازم عينيه بعد أن أنهى التظاهر بفقدان الوعي ونظر للرجلان اللذان حملاه بسرعة ليخفوه في شقة قريبة للغاية من الشقة التي يختبئون بها قبل أن يفتحوا له النافذة ليهبط على سلم النجاة في سرعة ليجد نفسه يقف خلف البناية وفي انتظاره سيارة ركبها بسرعة وأخذ يتأمل الطريق الذي تتغير ملامحه من حوله قبل أن تقف أمام بناية قريبة، هبط من السيارة وتوجه بمفرده سابقًا مرافقيه إلى مدخل البناية يتحرك بخطوات شخص يعرف جيدًا أين يذهب ولمن أتي، صعد درجات السلم في سرعة متقافزًا حتى وصل للباب الذي يبتغيه وقف أمامه وقبل أن يطرق الباب فُتح، دخل إلى الشقة يتأملها قبل أن تجد عينيه ضالتها، وقف الملك أمامه مبتسمًا في هذه الشقة التي يعتبرها بيت آمن وأحد أهم مخازن السلاح الخاص به، ابتسم للملك وهو يعانقه بشدة قبل أن يجلس بجواره على أريكة قديمة، بدأ حازم يقص خطته على الملك الذي بدت عليه علامات الاهتمام وهو يسمعه دون أن يقاطعه قبل أن يسأله : "هل انتهيت؟"

هز حازم رأسه إيجابًا قبل أن يسأله الملك مرة أخري: "حسنًا، هل لي في تعقيب صغير؟"

أجابه حازم: "بالطبع"

"يبدو أن خطتك محكمة للغاية ويبدو أنك خططت لها جيدًا، لماذا تحتاجني؟"

"وجود خط دفاع سري سيجعلني أشعر بالاطمئنان، لا أستطيع أن أتحلى بالجرأة في هجومي سوى بعلمي أن هناك من يدافع خلفي"

حَكَّ الملك ذقنه وهو يفكر قليلًا قبل أن يقول: "حسنًا، هي وجهة نظر صحيحة بالفعل ولكن أنت تعلم جيدًا أنني سأخسر الكثير من الرجال والكثير من الأسلحة في هذه المعركة وهي ليست معركتي، مازلنا غير مستعدين بعد لخوض تلك المعركة"

ابتسم حازم بقلق وهو يقول: "ونحن أيضًا غير مستعدين لخوض مثل تلك المعركة ولكننا مؤمنين أن الجرأة والإصرار لهم ثِقَل كبير للغاية في كفة الميزان الخاصة بنا، كما أن تعاوننا واتحاد أيدينا سيضفي دفعة معنوية ومادية قوية لنا ولكم، يجب أن نخاطر إذا أردنا الخلاص"

كرر الملك كلماته في صوت خافت: "المخاطرة من أجل الخلاص"

هز حازم رأسه إيجابًا قبل أن يسأله الملك: "لكن كما أخبرتك سنخسر الكثير من الرجال وسننهك جدًا هذا بخلاف خسارتنا للعديد من الأسلحة، ولكن الأهم هي الصدمة النفسية السلبية التي سيتعرض لها الرجال جراء تساقط زملائهم أمامهم وجراء ملاحظة فرق القوة بيننا وبينهم"

ابتسم حازم وهو يقول: "ولكن في حال نجاحنا ستكون مكافئتك ومكافئتهم عظيمة للغاية"

انتبه الملك وتأمل عيني حازم المليئتين بالحماس وهو يسأله: "مكافأتنا؟"

"هل حلمت يومًا أن تدير المنظمة لكي تعيد للكوكب سلامه واستقراره؟"

"أدير المنظمة؟"

"ستصبح البطل العالمي الذي خَلَّصَ المنظمة من أيدي الطغاة ورد للعالم كله ذكرياته كما عاد بالكوكب لتوازنه الطبيعي قبل أن يهدم أسطورة المنظمة ثانية، هل تتخيل مدى السلطة والشعبية التي ستعيش بهم؟ هل تتخيل مدى البطولة التي ستصف بها أنت ورجالك؟"

فكر الملك للحظة قبل أن يمد يده ليصافح حازم: "حسنًا، أنا مشارك"

صافحه حازم بحماس وهو يقول له: "حسنًا فعلت، سأخبرك الآن المطلوب منك"

(33)

صافح الملك المجموعة باهتمام و هو يتأمل جروح رمزي ومقاومته التي بدأت تنسحب سامحة للألم أن يتعاظم في غيابها ليسيطر على جسده ناهشًا إياه مسببًا له آلام كادت تذهب بعقله، هذا الرجل احتمل أكثر مما ينبغي ولو أننا في زمن غير هذا لصار رمزي أحد الأبطال الذين سيتغنى بهم الشعراء وستتصدر صورهم الصحف ونشرات الأخبار ولكننا صرنا في زمن لا مكان فيه إلا للمسؤولين على الصفحات الأولي وشاشات التلفاز وأغاني الشعراء، تأمله الملك قبل أن يخرج خارج الغرفة ويصرخ بصوت جهوري مناديًا أحد رجاله الذي أتى سريعًا فاحصًا جرح كتفه قبل أن يمد يده في حقيبة يحملها مخرجًا عدة أدوات طبية خاصة بالإسعافات الأولية قبل أن يشير له الملك تجاه رمزي الذي كاد ينهار أرضًا، أسرع التابع ليمسك بالمنضدة المقلوبة بمساعدة شينزو وهو يضعها مكانها، كان صوت الصرخات البعيدة يأتيهم ليثير بهم حماسًا لا ينتهي وفضولًا يكاد ينهشهم طلبًا للمعرفة وبالطبع لا مانع من بضع طلقات رصاص هنا أو هنا، أسجي جسد رمزي فوق المنضدة قبل أن يخرج عدته مرة أخرى ويبدأ في العمل بمهارة وثقة وأيدي تتحرك بخفة تعرف جيدًا أين ستذهب وما هي مهمتها، تركه الرجال بصحبة الطبيب وترك آخران يحرسان الغرفة واصطحب معه حازم وفريد وشينزو، كانوا يتجولون في طرقات المؤسسة كأنهم يتجولون في منازلهم فمن يراهم ربما سيقول أنهم أحكموا السيطرة على المنظمة بالكامل ولن يعتقد أن المعركة لا تزال قائمة، أخيرًا شعر الجميع بالهدوء التام، صعد الجميع درجات سلم قبل أن يصلوا للمصعد الذي حاول رمزي أن يصعد به قبل أن تفشل مهمته، دلفوا إلى المصعد و اختاروا الدور الخاص بالإدارة، كانت الخطة منذ البداية تهدف لقتل

مجموعة المديرين لأنهم أهم عنصر في القضاء على المنظمة، إذا أردت قتل أيَّ كائن فعليك بالرأس وإذا أردت قتل وطن فعليك بالشباب لأنهم رأس الوطن وعقله المفكر، لذا قرروا منذ البداية أن بداية النهاية هي سقوط رؤوس المنظمة وبالتالي سيصير الأمر سهلًا لأن من تعود على تلقي الأوامر وتنفيذها لن يستطيع أن يفكر وحده وهذه كانت سياسة المنظمة منذ البداية، يجب أن تصدر الأوامر منهم ومنهم فقط ولا مجال للتفكير خصوصًا من المتبوعين وهذه السياسة عيوبها أكثر من مميزاتها ولكنها على الأقل تضمن أن تقل نسبة الخطأ البشري، قرروا منذ البداية أن يقطعوا رأس الثعبان وليتركوا الجسد ينتفض ويتلوى كما يرغب ففي النهاية سيحتضر، صعدوا إلى الطابق الأعلى وبمجرد أن فُتح باب المصعد وجدوا مجموعة من الجثث متناثرة هنا وهنا وتنتمي لكلا الفريقين ولكن جثث أعضاء المنظمة كانت مقتولة بوحشية، رمح يخترق منطقة البطن فيثير غثيان أمعائها فتحاول الهروب منها أو سهم فجر رأسًا أو كسر جمجمة، بالطبع لا مانع من بضع أشلاء متناثرة بفعل السيوف الحادة ولكن ما أثار انتباههم هو تسمر الملك مكانه و هو يتأمل إحدى الجثث التي تخص أحد الصبية الذين لم يتجاوز عمرهم الخامسة عشر عامًا والذي سقطت جثته بجوار أحد الحوائط ويبدو أنه كان يقاوم حين أتته رصاصة غادرة ليلتصق بالجدار وينحسر من عليه ليسقط أرضًا، خط الدماء الذي يتهاوى من أعلى إلى أسفل يشير لانزلاقه عن الجدار، تحرك الملك ببطء شديد وهو يتجه إلى الجثة ويركع أمامها وهو يمسك يد الجثة دون أن تظهر أي دموع في عينيه، هذا رجل يبكي بقلبه ويحزن في أعماقه لكن ظاهره كالجبل لا تهزه أي رياح حزن، أمسك يد الجثة وهو يرقبها من فمه ويقبلها في حنان واحترام لا حدود لها قبل أن يمد يده ليغلق أعين الجثة الشاخصة وهو يتحرك لينظر لحازم وفريد وشينزو ويقول : "جاك ... ابني الوحيد"

حاول الجميع تعزيته لكنه هز رأسه دون تأثر وهو يقودهم إلى الغرف الداخلية متتبعًا أثر رجاله وجثث أعضاء المنظمة. الأمر المثير كان في ثقة المنظمة التي فاقت الحدود لدرجة أنها تركت المبنى دون حماية تليق بهم، لم يكونوا يتخيلون أن هذا سيحدث، اعتقدوا أنهم آلهة وأنهم فوق مستوى البشر لكن هذا هو الخطأ الذي يخطئه المغرور دائمًا، عليه أن يعرف أنه مهما بلغت شهرته ونجاحه فهو بشر في النهاية وربما كان تابعوه أكثر ذكاءً وحكمة منه وعليه أن يحترم هذا، لذا كانت المقاومة ضعيفة. أغلب هؤلاء كانوا موظفين إداريين، وجد ثنائي مصاب من رجاله يقف أمام باب أحد الغرف، اقترب منهم وبانجليزية سليمة سألهم : "أين الباقين؟"

أجابه أحدهم: "مات منا ما يقارب المائة وتبقى حوالي الخمسون نصفهم أو يزيد مصابين لكن الخبر الجيد، المنظمة الآن في قبضتنا"

شد الملك على قبضته وهو يفتح باب الغرفة ليتأمل رجاله الذين أسروا ما يقارب الثلاثمائة عامل ومدير وإدارى وبعض رجال الأمن. تأملوا وجوههم جميعًا قبل أن يقرروا أنهم بحاجة لرمزي، هرع فريد من الغرفة ولم تمر سوى حوالي ربع الساعة حتى كان رمزي يقف بجوارهم وقد ضمدت جروحه وساعدته مسكنات الألم على التماسك قليلًا فبدا في خير حال، وقف رمزي أمامهم يستند إلى حازم وهو ينظر إليهم ويقول : "كل هؤلاء عمال أو إداريين، لا وجود لشخص مسؤول واحد، يبدو أن جميع المسؤولين قد لاذوا بالفرار ولكن هذه الخزانة هناك تحوي الصندوق الأسود الخاص بالمنظمة، جميع تعاملاتهم وجميع أسماء الأعضاء الدائمين الذين سنبحث عنهم لنصفيهم واحدًا تلو الآخر"

مشى ببطء حتى وصل للخزانة متأملًا زملائه السابقين وهم مقيدون كالخراف ومكممي الأفواه، تتسع الأعين هلعًا وتهتز الرؤوس خوفًا ولكنه لم يهتم، وصل للخزانة وبأيدٍ محترفة فتحها ببطء ليطالع صندوقًا أسودًا بالفعل ووريقة صغيرة بجواره، أمسك بالورقة وهو يجذبها ليقرأ غير منتبه للسلك الرفيع للغاية الذي قطعه فظهر على شاشة الصندوق عداد صغير بدأ يعد تنازليًا

01:00

00:59

00:58

نظر للورقة في سرعة ليجد رسالة ساخرة تركوها له: "هل تعتقد حقًا أنك أقوى من المنظمة"

00:50

00:49

نظر رمزي للجميع بهلع قبل أن يسرع قدر إمكانه وهو يعدو متحملًا آلامه يجذبهم من أيديهم للخارج دون أن يفهموا شيئًا إلا أن نظرة من حازم للخزانة أعطته فكرة فجذب الملك من يده وخرجوا جميعًا ليضغطوا زر استدعاء المصعد الذي فُتح في يسر وسهولة مخالفًا توقعاتهم، دخلوا جميعًا إلى المصعد وحشروا أجسادهم

00:40

00:39

أشار الملك لقواته أن تترك الغرفة وترحل وبدأ بالفعل التابعين يساندون جرحاهم ويتحاملون على آلامهم وهم يهرعون ليهبطوا درجات السلم في سرعة

00:30

00:29

قبل أن يضغط رمزي زر المصعد أمسك حازم بيده وهو يمنعه صارخًا: "هؤلاء الأسرى لا ذنب لهم"

00:20

00:19

أمسك الملك يده بعنف واشتعلت نيران الغضب في عينيه وهو يزأر بصوتٍ أجش: "ثأر ابني"

00:15

00:14

ترك حازم يد رمزي تضغط الزر وهو يتأمل أعين إحدى الضحايا التي اتسعت عيناها في رعب وهي تبكي، أدار وجهه للجهة الأخرى وهو يحاول طرد هذا المشهد الذي سيطارده طوال أيامه القادمة، بدأ المصعد رحلته هابطًا للدور السفلي

00:01

00:00

مخالفًا كل التوقعات جاء الانفجار محدودًا، لم يدمر سوى طابق الإدارة فقط وكأن الهدف منه محو كل شيء قابل للتحقيق بأمره أو لاستخراج المعلومات، أجهزة الحاسب والأوراق الرسمية، التقارير والمكاتب، كل شيء يمكن استجوابه وكل شخص يمكن استجوابه قد انتهى أمره تمامًا بهذا الانفجار، الآن أصبحت المؤسسة في قبضتهم ولكن بلا رأس فالرأس فر هاربًا للخارج

***

حاول حازم أن يتجاهل الآلام النفسية التي يشعر بها و حرص على عدم إغلاق عينيه كي لا تطارده صورة المرأة الفزعة التي هزت رأسها برعب وعينها تستجد كل معاني الإنسانية بداخله، الإنسانية التي ماتت لحظة ضغط رمزي للزر الخاص بالمصعد، تغلب على دموعه وقاوم أفكاره السلبية وهو ينظر لرمزي الذي فهم أفكاره فشعر بالخجل يجتاح أعماقه، أدار وجهه للجهة الأخرى يتأمل فريد الذي امتلأت عينيه بالأسى وهو يتابع نظرات صديق عمره القديم التي امتلأت حزنًا حتى فاض الحزن منها ليغرق قلبه بين أمواجه العالية، سأل حازم رمزي بصوت حزين خافت : "أريد منك شيئان الآن ، ابحث عن المعامل ومخازن الأدوات العلمية الموجودة في المنظمة لكي نستطيع أن نجمع الأشياء المطلوبة واتركني بمفردي قليلًا، أريد أن أظل بمفردي لبعض الوقت"

هز حازم رأسه وهو يقول: "سأتركك بمفردك ولكن يجب أن تعلم أنني خاطبت مريم والعلماء وهم في طريقهم إلى هنا، سيساعدون الملك في مهمته ها هنا، أرى أن وجودهم في المكان الذي بدأ منه الوباء سيكون جيدًا خصوصًا وأنهم سيستعملون كل التقنيات والتكنولوجيا التي توصل

لها علماء المنظمة وتعانوا بها على خلق هذه الأزمة، ومن حيث الداء يُخلق الدواء"

هز حازم رأسه ولكن ذبول عينيه وانطفاء الأمل فيهما أخبر رمزي أنه لم يسمعه وإن ترك له زمام الأمور، احترم رمزي حزن صديقه وتركه بمفرده متوجهًا مع الملك الذي جلس يحاور فريد في انهماك حزين، وقف رمزي بجوارهما قبل أن يقول لهما: "حسنًا يجب أن نبدأ التحرك بخطوات سريعة في البحث عن زوجة حازم فهي الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يخرجه من تلك الحالة"

نظرا تجاه حازم منكس الرأس دامع العينين، يتذكر نظرة الاستنجاد التي تجاهلها في عيني المرأة، لم يشعر أنه وحش من قبل، رغم كل القتلى الذين صاد ذكرياتهم في الفترة الماضية إلا أن هذا الشعور جديد عليه، فقدان الإنسانية وتحجر القلب، تجاهل المحتاج والتغاضي عن نجدة الغير خصوصًا وأن هؤلاء برغم انتمائهم إلى كيان قذر مثل المنظمة إلا أنهم في النهاية يظلوا بشرًا لم يمسكوا سلاحًا ولم يزهقوا روحًا، خلافهم مع القيادات وليس مع العامة، غريق في بحر أحزانه متشبثًا بطوف أفكاره كي لا تغمره أمواج الاكتئاب يفكر وحيدًا، لم يمر الكثير من الوقت قبل أن يسمع الجميع صوت صرخة فرحة من رمزي الذي يمسك بجهاز تحكم في يده وهو يقول : "خبر سار، الغجر يحاربون رجال الأمن بالخارج وأوشكوا على الانتهاء"

سأله فريد باهتمام: "من كاد ينتهي؟"

أجاب رمزي: "الطرفان في صراعٍ ضارٍ، سيخرجان منه منهكي القوي قريبون من الانقراض"

ابتسم الملك وهو يقول: "هذا خبر جيد للغاية"

تأملوا حازم الذي يتابعهم بأعين منتبهة وذهن غائب في صحراء الأفكار، وصلت المروحية التي تُقِلُ طاقم العلماء مع مريم ودلفوا إلى المنظمة يتأملون الخراب الموجود نتاج المعركة قبل أن يتحركوا خلف رمزي وهم يحملون جهازًا ضخمًا وبعض أجهزة الحواسب المحمولة والألواح الإلكترونية، توجه الكهل إلى حازم وهو يخبره بابتسامة: "ينقصنا بعض المعدات التي بالتأكيد سنجدها هنا وبمجرد أن ننتهي سنخبرك كي تكون صاحب إشارة الخلاص"

اقترب منه رمزي وهو يخبره بهدوء: "هيا يجب أن تظهر مع الملك في البث المباشر كي تعلنان للعالم انتهاء الأزمة"

ابتسم حازم وهو يتحرك ببطء قبل أن يمسك به رمزي فيقف، نظر له رمزي بهدوء وأخبره بصوت ينضح بالثقة: "سنجدها، أعدك"

(34)

شعب الكوكب الكريم نعلنها اليوم صريحة لنريح بها مليارات القلوب حول العالم، سيطرنا على المنظمة التي سببت هذا الوباء للكوكب، منظمة استغلت نفوذها وقوتها في تعاستكم، منظمة استخدمت التقدم والتكنولوجيا من أجل قتل القلوب في تجربة علمية أقل ما توصف به هو البشاعة ولكن لأن الله يحبكم ولأن مازالت بعض القلوب تحيا من أجل راحة أخرى، بُعث لكم بعض الملائكة، حازم وفريد ورمزي رجال بعثوا من قلب الشرق الأوسط، من قلب الحضارة، فراعنة العصر الحديث الذين حملوا قلوبهم وأرواحهم على أيديهم وحاربوا من أجلكم وشينزو من كوكب اليابان الشقيق الذي حارب مسوخًا لو رأيتموها لابيضت رؤوسكم ووقفت قلوبكم، أما أنا فستروني من هنا كثيرًا لكي أطمئن قلوبكم، أنا الملك المسؤول منذ تلك اللحظة عن سلامتكم، معنا فريق من العلماء جاهز الآن لعكس نتاج التجربة لذا يجب أن تسمعوا جيدًا الأوامر التالية وأن تحرصوا على تنفيذها

أولًا: جميع الذكريات ستعود مرة أخرى إلى أجسادها طالما كان الجسد سليمًا معافى لم يُصَب إصابة خطيرة تؤدي للوفاة

ثانيًا: جميع الأجساد المصابة ستتيه ذكرياتها في العدم وستصعد أرواحها إلى بارئها في عودة لنظام الكون الطبيعي

ثالثًا: جميع الصيادين سيفقدون قواهم والذكريات التي يحملونها بداخلهم ستعود لأصحابها

رابعًا: عليكم الانتقام من جميع الحمقى التابعين للمنظمة لأنهم سبب في شقائكم وعذابكم

خامسًا: سيقوم حازم بإبطال عمل التجربة على الهواء مباشرة في لحظة سيسجلها التاريخ وسيذكر المنقذ حازم، صائد الذكريات

سادسًا: صلوا من أجلنا وتقربوا إلى الله، نحن في أمس الحاجة إلى دعائكم

أنهى الملك كلماته وهو يبتسم رغمًا عن حزن قلبه المعصور على فقد ابنه، جذب حازم من يده كأنه يستمد منه القوة كي لا ينهار حزنًا و مشوا إلى منطقة المعامل ودلفوا إلى العلماء الذين أنهوا صناعة الجهاز تمامًا، أعطى أحدهم حازم لوحًا رقميًا وهو يشير لزر أحمر ظهر عليه وتحته أرقام تتناقص : "ستحتاج أن تضغط الزر مرة كي تعكس أثر التجربة و تعيد الذكريات لأصحابها و أن تنتظر مرة أخرى بعد ضغط الزر حتى تظهر الأرقام مرة أخرى لتضغطه ثانية كي تصنع شبكة أشعة كهرومغناطيسية مقاومة ستغطي سماء الكوكب كي تحمينا من تكرار هذا الأمر"

هز حازم رأسه وهو يتأمل الرقم المكتوب، حسنًا يملك من الوقت حوالي الساعة وهو الوقت الذي حدده له رمزي كي يكتشف شفرة باب الزنازين الموصد بقفل معدني كي يبحث عن زوجته بداخله. قلبه يخبره أنها بالداخل وأنها بخير ولكنه لا يستطيع الانتظار حتى يجدها، قلبه يكاد يخترق صدره ليذهب وحيدًا في رحلة بحث عن روحه التي تسكنه. دلف إلى غرفة جانبية ووضع اللوح الإلكتروني على المنضدة و ترك عينيه تفرغ شحنة من الحزن وترك سُحُبَ الدمع تهطل أمطارًا غزيرة، ترك كل المشاعر السلبية الموجودة بداخله تخرج قبل أن يفتح الباب. نظر للوح الإلكتروني فوجد خمسة عشر دقيقة تبقت على ضغط زر الجهاز على الهواء

مباشرة، وقف رمزي على باب الغرفة يتأمله هو يمسح عينيه قبل أن يقول له : "توصلنا لشفرة الأبواب، هل تريد أن تكون موجودًا لحظة فتح الأبواب؟"

أعطاه رمزي الجهاز وهو يقول: "أريد أن يقوم فريد بالقيام بهذه المهمة"

***

وقف رمزي وبجواره حازم يتأملان الزنزانة الإلكترونية التي على وشك أن تفتح، كان قلب حازم ينبض بقوة وخوف، لقد هزم منظمة عالمية بمفرده، قاتل كما لم يقاتل من قبل، قتل العديد من أجل الوصول إليها وهو على استعداد أن يموت لو اقتضى الأمر فقط ليعيش في قلبها، فقط ليشعر بروحها تفيض بالمرح مرة أخرى، ليرى عينيها تلمعان بلمعة الحياة، فُتح الباب ووقف الجميع ينظرون لحازم الذي ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقترب من الباب بخطوات بطيئة للغاية، أمسك الباب المعدني وهو يمشي إلى الغرفة حين رآها، وسط عشرات المقيدين إلى الحائط رآها، بعيدة عنه مقيدة للحائط بوجهها ولا يواجهه إلا ظهرها لكنه يعرفها، من وسط المليارات يعرفها لأنه يراها بقلبه وليس بعينيه، حاول أن يركض أو أن يطير أو يسرع ليضمها ويفك قيدها لكن قلبه سَمَّرَهُ مكانه، لا يستطيع التحرك و لا يستطيع الركض إليها، الحب وحده قادر أن يشل أعظم الرجال في تلك المواقف، مشي إليها ببطء و هو ينادي عليها، شعر بحركة خافتة منها فمشي بغير هدى، أعمى العينين مبصر القلب، يتحرك بروحه لا بجسده، روحه التي تركت جسده لتهرع إليها تضمها، تمني لو يضمها فعلًا، أن يعيد ضلعه إلى صدره ثانية، أثمال بالية تغطي جسدًا طالما كان الأمان بالنسبة له وشعر هائج يثور حول رأس منكس تعبًا، مشى إليها وهو يحاول أن يفك القيود المعدنية التي تربطها في الحائط، ساعده رمزي فحملها حازم برفق

منتبهًا لبطنها المنتفخ رغم كل ما قاسته وعانته، الإرهاق يغزو وجهها، أسجى جسدها أرضًا فنظرت له نظرة خاصة غَزَت قلبه لتحيي به مشاعر نسيها وسط الصيد والذكريات التائهة، نبض باسمها وصرخ بحبها، وضع جسدها أرضًا وأخفى ملامح أنوثتها التي فشل الثوب البالي في سترها بمعطف أعطاه إياه رمزي، نظرت له وبصوت مرتجف قالت شيئًا لم يسمعه، اقترب منها فقبلته في وجنته بضعف وهي تبتسم وتسأله : "هل أنت مستعد لاستقبال ولي العهد؟"

ارتجف قلبه وفرت الكلمات من على لسانه فرارًا فلم يجد ما يجيبها به إلا اقترابه من رأسها وتقبيلها بهدوء، لم يعرف ما عليه فعله لكنها طمأنته بنظرة من عينيها، دقائق تقترب من نصف الساعة مرت قبل أن يسمع صوت صرخات ابنه الصغير، حمله بين يديه متجاهلًا الدماء التي تغطيه وهو يضمه برفق إليه، نظرة مرهقة من عيني زوجته قبل أن تنام مودعة مشاكل العالم كلها في سبات عميق طلبًا لراحة افتقدتها، ضَمَّهَا إليه وهو ينظر لرمزي بأعين دامعة، هَزَّ رمزي رأسه مشجعًا وهو يكاد يخرج من الغرفة، في هذه اللحظة دخل فريد يحمل خبرًا سعيدًا : "نجحت التجربة"

نظر له رمزي وهو يقول بسعادة: "حمدًا لله، هل عادت كل الذكريات لأجسادها؟"

أجابه فريد: "حسب تأكيدات العلماء: "خلال ساعات بسيطة سيكون العالم قد عاد كما كان، بالطبع ما يزال هناك إجراءات كثيرة وخطط كبيرة سنناشد مجلس الأمن والأمم المتحدة للتحرك"

قبل أن ينهي كلماته جاءهم صوت مدير المنظمة من خلال وحدة الإذاعة الداخلية

((حسنًا، أستطيع بكل روح رياضية أن أهنئكم على الفوز بهذه المعركة ولكن الحرب لم تنتهي

سنلتقي في جولة أخرى وسيكون النصر لنا، المنظمة كيان لا يسقط وسترون عاقبة الأمر

أتمنى فقط حين ننتهي أن تتمتعون بنفس الروح الرياضية وتهنئوننا على النجاح في النهاية

ولتعلموا جيدًا أن الأمر لم ينتهي إلى هذا الحد، استعدوا فالجولة الثانية على وشك البداية))

تمت بحمد الله

شكر خاص

- الكاتب الجميل / محمد على علي

لا توجد كلمات شكر تكفي ما يعتمر في قلبي لك

شكرًا من القلب

- الأعزاء

(آية عبد الصمد، محمد الحويف، محمد مسلم)

دعمتموني وساندتموني وحين أسأت انتقدتموني

إليكم هذا الشكر عله يكفي ولو جزء ضئيل من تعبكم معي

شكر خاص

لمن جعلهم الله رزقًا لي هذا العام

إلي رزقي عام 2015

شكرًا لأنكم هنا

الفنان الجميل / أحمد الجارحي -- د / محمد شادي -- د / سالي يونس -- إيمي خضر -- ميرا عبد الله -- عبد الرحمن جاويش -- أحمد عاطف -- رنا أشرف -- رجاء مجدي -- عبد الله عادل -- عبد الرحمن حجاج -- رشا محمود -- محمود بكري -- سلمي شمس الدين -- مي العمروسي -- محمود إمام -- نسمة الجمل -- غفران عبد الحليم -- هدير مختار -- منار توفيق -- حسن البخاري -- مي عادل-- دعاء محمد -- أحمد أسامة -- وليد الفقي -- ساهر البحيري -- رامي أحمد -- ميسون خالد -- شريف عبد الهادي -- محمد نجيب عبد الله -- محمد عبد القوي مصيلحي .

الكاتب فى سطور

محمد عصمت عبد الحميد ... روائي شاب من مواليد دمياط ... 1988 شارك من قبل في الكتاب المجمع شيزوفرينيا الحب ... شارك في كتاب (الثائرون) العدد الثالث من اصدارات جمعية ادب الخيال العلمي ... شارك في كتاب (المنتصرون) العدد الرابع من اصدارات جمعية ادب الخيال العلمي ...ولي لجمعية أدب الخيال العلمي حصل علي المركز الثاني في المسابقة قصة (الاختيار الخاطئ)

صدر للكاتب

رواية (الممسوس) في معرض الكتاب 2014

رواية (التعويذة الخاطئة) 2014

رواية (ذاتوي) 2015

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/mohammedesmaat

صائد الذكريات

شعر بشيءٍ ما يحدث، عضلاته تتصلب و جسده يتشنج بعنف، آلمه جسده للحظات و لكن الألم ضاع بين غياهب النشوة التي شعر بها، شعر كما لو أن هناك شذى يتسلل من مخه ليتسرب لكامل جسده، يحتل كل خلية في جسده مُحِيْلًا إياها لقشعريرة لذة منفصلة عن شقيقاتها، شعر كما لو أنه يجرب نوعًا جديدًا من المخدرات،امتلأت جبهته بالعرق البارد و أطلق آهة عميقة قبل أن يعتدل و عينيه تلتمعان في قوة خالصة، كما لو كان أمسك سلكًا كهربائيًا عاريًا و لكنه صعق بالبهجة و النشوة، شعر بالذكريات تتسلل لتملأ عقله و الأحاسيس تتسلل إلى قلبه لتختبئ خلف أحاسيسه الشخصية، للمرة الأولي يشعر كما لو أن بداخله عدة أشخاص، جسده يحتوي على عدة ذاكرات ، لقد صاد ذكرياتهما و يشعر بهما بداخله، أغلق عينيه في نشوة بالغة و هو يشعر بالقوة النابعة عن كثرة عدد الذكريات بجسده، ابتسم لاكتشافه نبع قوة لم يعرفه غيره، أو هكذا تخيل ..!

تصميم الغلاف : أسامة علام





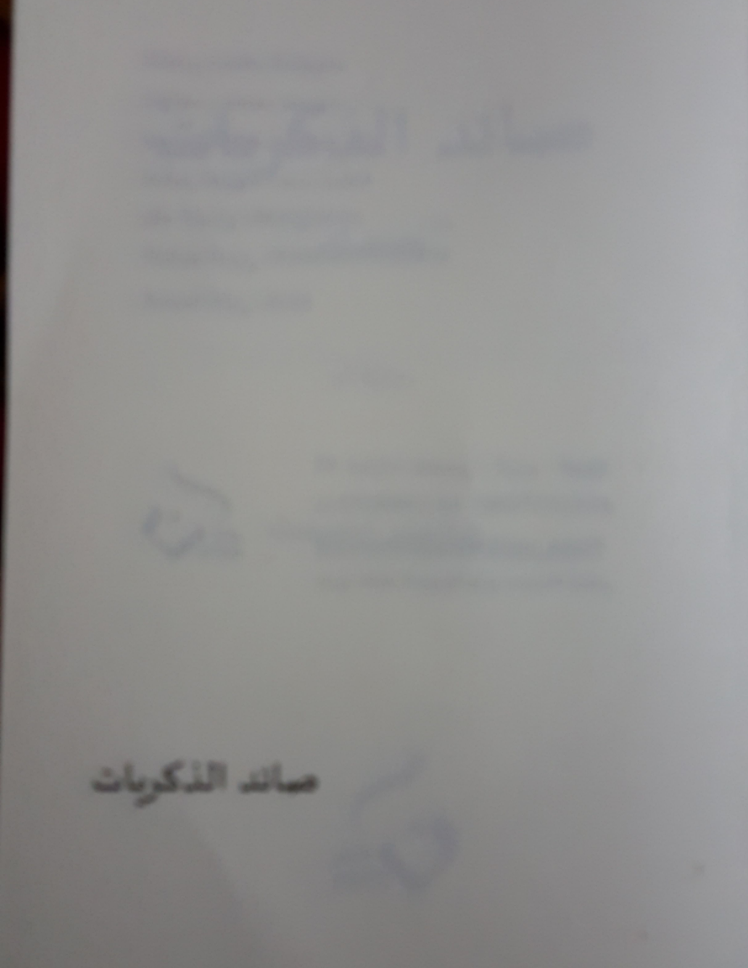
الطبعة 4

رواية

محمد عصمت

صائد الذكريات





صائد الذكريات

الكتاب : صائد الذكريات

المؤلف : محمد عصمت

تصميم الغلاف : أسامة علام

تدقيق لغوي : أحمد أسامة

رقم الإيداع : 2015/23049

الترقيم الدولي : 9-046-778-977-978

الطبعة الأولى : 2016



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

صائد الذكريات

"حصاد"

رواية لـ

محمد عصمت



إهداء

إلى كل روح تاهت في عالم غائم بحثًا عن الحقائق

إهداء خاص

- شريكة عمري

لولاكِ ما كنت

للأسف لم يخلق الله كلمات تكفي كي أعَبّرَ لكِ عن حبي وامتناني وشكري

أحبك

***

- أبي وأمي

شكرًا وحدها لا تكفي

لم أكن خير ابن ولكن الحب الذي يسكن قلبي لكما يغفر لي تقصيري

(1)

فتح عينيه ببطء وطفق يتأمل السقف المطلي باللون الأبيض، شعر بشعور غريب ينتابه للمرة الأولى، تجاهل كل شيء وهو يتثاءب بقوة ويزيل الغطاء عن جسده ويلقيه بإهمال بجوار الفراش، وقف يُمَطِّي جسده بقوة قبل أن يسأل نفسه سؤالًا مهمًا: لماذا يبدو المكان غريبًا؟

تأمل المكان من حوله ليجد نفسه في غرفة نوم متوسطة الحجم، بها خزانة ملابس عملية بُنِّيَةِ اللون و شباك مغلق تغطيه ستائر حريرة الملمس بيضاء اللون، حاول تَذَكُّر هذه الغرفة إلا أن الذكريات كانت أشبه بالماء فتسربت من بين يديه مرة تلو الأخرى، بدأ يشعر بالانزعاج من فكرة جهله بالمكان الذي استيقظ به، عاد إلى فراشه و جلس على طرفه مفكرًا و علامات القلق تغزو ملامحه، فكر في البحث تحت الوسادة أو في أدراج الكومود الصغير الذي يقف بجوار الفراش، مد يده يتحسس ما تحت الوسادة إلى أن اصطدمت يده بشيءٍ صلب، أمسكه جيدًا و أخرجه من تحتها ليجده هاتف محمول حديث الطراز، عبث فيه بأصابعه لبرهة قبل أن يكتشف أنه لا يلتقط أيَّ شبكة، عله عطل طارئ أصاب الشبكة. ألقاه جانبًا و استكمل بحثه فوجد شريط دواء مجهول بالنسبة له لكن ينقصه ثلاث حبات، ألقاه بإهمال و قد تملكه تساؤل ضخم : من هو؟!

حاول أن يتذكر اسمه أو عمله أو أيَّ شيء عن حياته السابقة إلا أن لم يجد شيئًا، كان كمن يبحث عن الماء في صحراء قاحلة، مد يده يتحسس رأسه بحرص عله يجد صدمة أو غيرها فربما فقد ذاكرته جراء صدمة أو ضربة لكنه لم يجد شيئًا، فاجأه رأسه الصحيح كما فاجأته ذاكرته

الغائبة. هناك إطار صور بلاستيكي ساقط أرضًا بجوار الكومود. أمسكه و نظر فيه فطالعه وجه رجل أشقر وسيم الملامح يبتسم بثقة مَن مَلَك الكون. تحسس وجهه ليتأكد أنه هو من يطالعه في الصورة. تقريبًا هي نفس الملامح و إن كان يحتاج لمرآة ليتأكد. وضع الصورة و حرص على ألا تسقط مرة أخرى و هو يمسك رأسه بين يديه و يحاول جاهدًا التذكر: من هو؟ أين هو؟ ماذا يفعل هنا؟

كمن يصطاد الأسماك في البحر الميت، لا شيء يهز خيطه منبهًا إياه بالعثور على مبتغاه. زحف بإصبعه مرة أخرى على رأسه باحثًا عن جرح قديم أو حديث. صدمة. كدمة أو نتوء و تورم لكنه لم يجد شيئًا. نظر للحل الأخير الذي تركه للنهاية و هو يبتلع ريقه بصعوبة. الباب المغلق. أمسك مقبضه بحرص و حاول أن يتمتم بأي شيء ديني يؤمنه و لكنه حتى لا يستطيع تذكر دينه. أزعجه الأمر بشكل لا يصدق. فتحه و نظر ببطء إلى الخارج فوجد نفسه يطالع صالة فسيحة واسعة تتوسطها منضدة غربية الطراز يتراص حولها بضع كراسي مرصوصة متجاورة بشكل جيد ينم على أن هناك لمسة أنثوية في هذا المنزل. هذا ما كان يخشاه. أن يكون له شريكًا في هذا المكان المجهول بالنسبة له. قرر بينه و بين نفسه أن يتظاهر بأن الأمور كلها بخير في حال ظهور أي شخص آخر. تجول ببطء في الصالة ليجد بابًا مفتوحًا بينها و بين ما يشبه حجرة الجلوس. غرفة صغيرة بها شاشة تلفاز ضخمة الحجم و أمامها تقبع أريكة جلدية وثيرة تبدو مريحة و يتراص عليها جهازي تحكم يبدو أن أحدهما خاص بالشاشة و لكنه لا يعرف كنه الاخر و لم يهتم به. لديه مشكلة أكبر من معرفة ماهية الجهاز. يجب أن يعرف ماهيته أولًا !!

هناك بابان آخران في الصالة. مشي حتى وصل لأقربهما و فتحه بهدوء يطالع ما خلفه فوجده سلم حلزوني الشكل يهبط لدور سفلي. حسنًا تلك المعلومة مهمة لأنها أول معلومة يتاكد منها منذ استيقاظه. أغلق الباب و أرجأ فكرة اكتشاف الدور السفلي لوقت آخر.اتجه للباب الآخر و فتحه فوجد خلفه حمام أبيض اللون تغطي أرضيته ألواح البورسلين اللامع. في ركنه البعيد يتلألأ حوض استحمام مستدير الشكل.اقترب منه ليتأمله فوجده من طراز فخم للغاية. به أنظمة لضخ الفقاعات و ملح الاستحمام و غيرها من الأشياء التي تحول عملية الاستحمام الروتينية لعملية مبهجة و ممتعة. لمح لوح تحكم إلكتروني يتحكم في درجة حرارة الماء و درجة حرارة الجو و غيرها من الرفاهيات، وضعه جانبًا و هو يتأمل باقي الحمام بنظرات سريعة قبل أن يقف بعينيه عند خزانة ضخمة تراصت فيها أنواع مختلفة من مستحضرات التجميل و الأدوية و المنظفات التي لا يعلمها. تساءل عن مُسَبِّبَة تلك اللمسة الأنثوية على المكان، من تكون و أين هي؟

هل خرجت لتقضي حاجة ما أم أنها نائمة في مكانٍ ما لم يكتشفه بعد؟، هل هي مجرد خادمة تأتي فقط للتنظيف؟

أسئلة بلا إجابات ملأت صدره حتى كاد يختنق فضولًا ... تلفت حوله في عصبية قبل أن يمسك الزجاجة الأقرب إليه ويلقيها بعنف أرضًا، مراقبًا سائلها الذي يتدفق منها كتدفق الأمان من قلبه قبل أن ينظر لانعكاسه في المرآة ويتساءل بصوتٍ عالٍ: "من أنا؟؟"

***

غرق في بحر النعاس العميق و ود لو لا يستيقظ مجددًا، ذبابة مملة صممت على مخالفته الرأي و أخذت تطير من حوله لتمس وجنته و جبهته

لمسات ناعمة تثير حنقه و تدفعه لحك وجهه.هشها بعيدًا و عادت يده لتنام مرة أخرى فوق بطنه المنتفخ لكنها أبت أن تتركه و شأنه. عادت لتلامسه مرة أخرى وهذه المرة أعلنت احتجاجها الرسمي بأزيز خافت مزعج. تجاهلها تمامًا. شعرت بالحنق. تحت أنفه مشت مسببة له عطسة قوية. شعر بصوته أجش و مختلف عما اعتاد أن يسمع و لكنه اعتقد أن السبب هو طول فترة نومه. تحالفت أشعة الشمس مع الذبابة في مؤامرة كونية ضده ليستيقظ. فتح عينيه ببطء ليجد قرص الشمس يطالعه في تحدٍ فأغلق عينيه مرة أخرى و هو يبحث عن شيءٍ ما يحمي عينيه. شعر بشيء طري القوام ناعم الملمس ففتح عينيه ليرى ماهيته، وجدها قبعة رعاة بقر بنية اللون أمريكية الطراز، وضعها على رأسه دون أن يسأل عن مالكها. هكذا تعود و هذا قانونه . كل الأشياء ملكه حتى تثبت ملكيتها لشخصٍ آخر وكم من أشياء انضمت إلى حوزته كغنائم هذا القانون، أمال مقدمتها قليلًا لتحمي عينيه شر الشمس الحامية وأغلق عينيه مرة أخرى لكن شيئًا ما جعله يفتح عينيه بفزع متجاهلًا أشعة الشمس الحارقة. انتفض واقفًا فجأة غير عابئ بالآلام التي انتابت جسده بفعل حركته المفاجئة وهو يتلفت حوله، الصحراء التي تحاصره من كل مكان؟، شعر بالفزع وهو يتساءل أين هو؟؟ حاول استجواب ذاكرته ولكنه لم يجد منها سوى أسئلة بلا إجابات، شعر بألم في ظهره فنظر خلفه ليجد أنه كان نائمًا على إحدى نباتات الصبار، لابد أن أحد أشواكها هاجر جذعها ليستقر في ظهره لكن هذا ليس بالأمر الأهم الآن، المهم هو معرفة ما هذه الملابس التي يرتديها، قميصًا من القماش الأحمر الذي تتوسده مربعات زرقاء اللون وبنطالًا من الجينز الأزرق ينتهي وسطه بحمالتين ترتفعان لتستندا على كتفيه، هل استغلت الصحراء نومه لتحتل العالم؟

شعر بحركة خافتة تأتي من خلف الصبارة، نظر بحذر ليجد خنزيرًا صغيرًا يقبع في مرح.ابتعد في هدوء و هو يخشي أن يراه لكن السيف سبق العزل. رآه الخنزير و أصدر صياحه الشهير بالقباع في سعادة و هو يقترب منه. لا مجال للهرب هاهنا فالصحراء من أمامك و الخنزير من خلفك. وقف ينظر له و هو يقترب منه ببطء. هبط على ركبتيه أمامه و هو ينظر له بفضول. تلك المرة الأولي التي يرى فيها أحد هذه الكائنات. شعر بثقل في جيب بنطاله الأيسر فمد يده ليرى ما به فوجدها تفاحة حمراء طازجة. مسحها في ملابسه و هم بأكلها لكن نظرة استجداء لمعت في عينيه الواسعتين. قضم التفاحة ليقسمها قسمين. تناول أحدهما و أعطاه النصف الآخر و هو يراقبه يأكل في سعادة. تركه و مشي باتجاه قرص الشمس في حماس لكن الخنوص قبع بقوة فالتفت له. مشي الخنوص في الجهة المقابلة ببطء ففهم ما يريد و ابتسم لذكاء هذا الصغير. تبعه فتباطأ حتى سبقه و مشيا بخطوات واسعة ينشدان أيَّ أثر لأي حياة. دقائق مرت قبل أن يجد كوخ صغير يظهر من بعيد.ابتسم له بسعادة و هو يسرع الخطي تجاه الكوخ. كوخ خشبي صغير يقف وحيدًا يلتف حوله سياج صغير يحمي عنزتان و جدي و بضع دجاجات و ديك من الفرار. تفحص سياجه برفق فوجد باب صغير مغلق بقطعة من سلك نحاسي قديم. فتح الباب و دلف و هو يتابع الحيوانات التي لم يلفت نظرها وجوده و كأنها تربت معه. وقف أمام باب الكوخ حائرًا هل يطرقه أم يفتحه و يدخل. لم تَطُل حيرته. شعر بباب الكوخ يُفتح فرسم ابتسامة سعادة على وجهه قبل أن تطالعه فوهة بندقية قديمة الطراز. تحولت ابتسامة السعادة لنظرة فزع. نظر لمن يحملها فوجده عجوزًا لاتيني الشكل. طويل الشعر أبيضه ذو جسد ممتلئ و يرتدي ملابس تقترب جدًا من ملابسه. لكن أكثر ما أثار فزعه هي نظرة

الجنون التي تتراقص في عيني العجوز، نظرة من فقد عقله أو من كاد يفقده، سأله العجوز بفزع : "من أنا؟؟"

"أنا لم أقصد أن أقتحم المنزل، كنت أرغب في بعض المساعدة"

سأل العجوز مرة أخرى وإن كان اليأس بدأ يفرض سيطرته على نبرات صوته: "من أنا؟؟"

"لا أدري، حقيقة لا أدري من أنت، بل والأدهى لا أدري من أنا؟"

بعد أن انتهي من كلماته فوجئ بأنه يتحدث لغة جديدة عليه، لم يسمع هذه اللغة من قبل ولكن الملفت للنظر أنه يتحدثها ويفهمها بطلاقة كما لو كانت لغته الأم، لا يشعر بأي تلعثم في لكنتها ولا يشعر أن لسانه غريبًا عليها، كما أن سؤال الرجل غريب ومثير للدهشة، نظر للرجل الذي كاد يبكي، مد يده ببطء ليمسك فوهة البندقية وهو يهبط بها لتشير أرضًا، ساعده استسلام العجوز وعدم رغبته في المقاومة وهو يسأله: "ألا تعرفني؟ ولا تعرف نفسك؟"

هز رأسه نفيًا وهو يقول: "هل نحن مرضى؟"

مَطَّ العجوز شفتيه وهو يمسك البندقية بجواره ليقول: "أعتقد هذا"

سمعا صوت هدير محركات طائرة يقترب منهما للغاية فرفع العجوز بندقيته مرة أخرى ليصوبها نحو السماء، سأله بسخرية: "هل تنوي إسقاط الطائرة بقطعة الخردة هذه؟"

وَجَّهَ العجوز فوهة البندقية نحو جبهته وبمجرد أن لمس المعدن البارد وجهه حتى ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول: "أرجو أن تصوب نحو السماء كي لا تمر الطائرة"

عاد العجوز ليصوب البندقية نحو السماء التي ظهرت فيها طائرة حمراء صغيرة الحجم من تلك الطائرات التي تستخدم لري المحصولات أو لرش المبيدات ولكنها هذه المرة كانت تحلق بقرب شديد وبابها السفلي مفتوح لتمطر منه منشورات ورقية مكتوبة بخط منمق. وقفا يتأملان الطائرة حتى ابتعدت عنهما قبل أن ينحني كلا منهما ليلتقط إحدى هذه المنشورات ويقرأها بصمت. لحظة مرت حتى انتهي كلًا منهما من قراءة منشوره. نظر كلًا منهما للآخر في عينيه ينتظر منه تكذيبًا لم يجده، وتراقصت آلهة الفزع في عينيهما

(2)

طبقًا لآخر المعلومات التي تطفو في ذهنه لم يكُ أشقر من قبل، و لم يمتلك هذا الجسد الرياضي، تأمل الوجه الوسيم الذي يطالعه من المرآة، لولا نظرة البلاهة المصاحبة لبوادر تخلف عقلي المرسومة على الوجه المُطالع له لأقسم أنه ينظر لشخص آخر، رفع يده ليتحسس شعره الأشقر الناعم الذي ينام فوق رأسه كتاج ذهبي يعلن تتويجه ملكًا على عرش الوسامة، تأمل العينين الزرقاوتين الذي يلتمع فيهما عدم الفهم و الفك المفتوح ببلاهة تؤطره شفتان أقرب لشفاه الإناث و ذقن ناعم، لا لحية شقراء و لا سوالف مشعثة، كأنه سكن في جسدٍ من شمع، تأمل الرقبة الطويلة التي تعتلي جسدًا مليء بالعضلات المصقولة، جسدًا تقريبًا خالي من الدهون، مشي بيده فوق العضلات و هو يشعر بملمسها قبل أن يغالبه شعور بالغثيان و هو يفكر أنه يلمس جسد رجل آخر، هز رأسه بعنف طاردًا الفكرة المثيرة للقرف عن رأسه المُتخَم بالأسئلة، أغلق باب الخزانة و هو يتأمل بعينيه باقي الحمام حتى لمح مبتغاه، رداء أبيض ناعم الملمس مُعَلَّق خلف مشجب الباب، خلع بنطاله و ولج عاريًا إلى حوض الاستحمام عَلَّ الماء الدافئ يعيد له ذكري مفقودة أو يجيبه عن تساؤل مطروح، أمسك اللوح الإلكتروني و سمح للماء الدافئ أن يتسلل ليملأ الحوض، ضغطة زر أخرى فتحت الباب أمام ملح الحمام و الرغوة و العديد من الأشياء التي لا عرف كنهها و لكنه شعر بها تشتبك مع الإرهاق و الألم في معركة ضارية بحوها بانتصار ساحق، ترك عقله يبحث عن إجابات يتمناها و لكن الأمر ان أصعب وسط هذه الحالة من الاسترخاء، شعر بالألم يدق رأسه حذرًا إياه من التمادي في التفكير أكثر من هذا، خرج من الحوض و هو

يتناول المنشفة و يجفف جسده بلا اكتراث لقطرات الماء التي تتساقط منه أرضًا. تأمل جسده المبلل و هو يرتدي الرداء و يخرج من الحمام. وضع المنشفة على ظهر أحد الكراسي و تركها لتجف. مشي ببطء إلى الأريكة و جلس عليها و ترك جسده يغوص بها قليلًا. اعتدل ليجذب طاولة القهوة القصيرة و هو يضعها أمامه. استراح مرة أخرى و ترك الأريكة تلتهم جزءًا من جسده و هو يرفع قدميه ليضعهما على المنضدة. وجد جهازي التحكم بجواره أمسك الذي يجهل استخدامه و ضغط عليه ليجد موجات من الهواء البارد تتسلل من بين شفرات المكيف بينما بالاخر فتح الشاشة الكبيرة. وجد مذيعًا مرتبكًا يمسك بورقة يقرأ منها بيانًا. علامة كتم الصوت الموجودة في ركن الشاشة لفتت انتباهه فضغط زر الصوت ليملأ صوت المذيع فراغ الغرفة وهو ينقل كلماته للمشاهدين بصوتٍ مرتجف

***

شعب كوكبنا الكريم

في ظاهرة غريبة. تحدث للمرة الأولي في تاريخ كوكبنا العريق فقد جميع سكان الكوكب وعيهم يوم الثلاثاء الثاني عشر من مايو في تمام الساعة السابعة و ثمان دقائق حسب توقيت جرينتش. عندما أفاق الجميع فوجئ كُلٌّ منهم أن ذكرياته لا تسكن عقله و إنما رحلت لتسكن عقلًا آخر . هذه العملية تمت بعشوائية تامة. لا قواعد مفهومة. لا أسس منطقية. تشير الإحصاءات الأولية أن حوالي 80 % من سكان الكوكب تعرضوا لهذا الأمر الغير مفهوم و بناءً عليه تم اجتماع هام للغاية في هيئة الأمم المتحدة بحضور كافة أعضائها و بعد سلسلة من الاجتماعات تمت فيها العديد من المناقشات تقرر التالي :

1- تشكيل هيئة علمية من العلماء المخضرمين في كافة المجالات التي تتعلق بالأمر وتوفير لهم كافة سبل الراحة وتوفير كافة مطالبهم المادية

هذا وقد تم الوصول للتشكيل النهائي للفريق العلمي القائم على مناقشة وحل هذه الأزمة وتم تعيين فريق تابع للأمم المتحدة ليلبي لهم كافة متطلباتهم المادية والمعنوية مع الحرص على عملهم بكافة طاقاتهم وبذل الجهد والعرق من أجل الخروج من تلك الأزمة وعودة الاستقرار والأمن للكوكب

2 - فتح الحدود بين كافة الدول وبعضها وإيقاف التعامل بجوازات السفر وتأشيرات الدخول

لأن الذكريات تبدلت بعشوائية تامة وتسهيلًا على المواطنين تقرر بالاتفاق مع رؤساء الدول ووزراء خارجيتها فتح كافة الحدود بين الدول وبعضها والحرص على إلغاء التأشيرات وجوازات السفر

3 - بدء العمل على تسجيل الكشوفات الخاصة بالأجساد والذكريات على خلاف لتسهيل مهمة البحث عنهم، جدير بالذكر أن الذاكرة يتم التعرف عليها من خلالها بينما الأجساد يتم التعرف عليها طبقًا لقاعدة بيانات الحمض النووي عن طريق البصمات أو تحاليل الـ (DNA)

مع مراعاة أن تسجيل البيانات وإجراء الكشف الطبي لمعرفة لمن ينتمي الجسد وتحديد مكان الجسد المرغوب ستتم في كافة السفارات ووزارات الخارجية. رجاءً سيداتي وساداتي لا تتأخروا في إجراء الكشف الطبي والحرص على مساعدة أطبائنا وممرضاتنا لانهم يعملون من أجل انتهاء الأزمة

4 - توفير رحلات سفر برية وبحرية وجوية بالمجان لكل من يبحث عن ذكرياته أو جسده بشرط أن يجد كُلًا منهما في الكشف الخاص به

تقرر الاتفاق مع شركات الطيران والمطارات ومحطات القطارات الدولية والمواصلات البرية كالأتوبيسات وسيارات الأجرة والوسائل البحرية كالسفن العملاقة وناقلات الجنود على التعامل مع الأمر ووضعه في قائمة الأولويات كضرورة قصوى

5 - شطب كافة الأجساد والذكريات التي يجدها أصحابها من السجلات وانتهاء فرصة السفر بلا تصاريح أو جوازات سفر بالنسبة لهم

بمجرد أن تستقر ذكرياتك في جسدك يتم شطب الاسم والجسد من كافة السجلات كما تفقد مزية السفر عبر الحدود بدون تكاليف أو تأشيرات وعودة العمل بجواز السفر الخاص بك ومن يخالف هذا القانون يعتبر معطلًا لسياسات الأمم المتحدة في العمل على انتهاء الأزمة ويتعرض للمحاكمة

6 - الحرص على تجميع الأجساد الملقاة بالشوارع والاحتفاظ بها في ظروف خاصة تمنع تحللها ريثما يهتدي العلماء لطريقة لإعادة الذكريات بداخلها

كل من يجد جسدًا مُلقَى بلا ذاكرة مهما كانت حالته الصحية عليه أن يحرص على تسليمه لأقرب مشفي أو سفارة وسيتم العمل على الحفاظ على هذا الجسد بطرق ومعالجات تحافظ عليه ريثما يتم التوصل لذكرياته وإسكانها داخله مرة أخري

7 - تهيب قوات الأمن الخاصة والتي تم تجميعها من كامل القوي الخاصة من جميع دول العالم بالمواطنين البعد عن المشاكل والجدل وفي حالة تعرضك لأي مشكلة من فضلك توجه لأقرب جندي قوات خاصة

برجاء عدم مواجهة الأزمات والمشاكل ببطولة. نحترم هذا ونقدره ولكن جنودنا تدربوا طويلًا على طرق حل الأزمات للخروج منها بأقل خسائر ممكنة. نحن في الشوارع لخدمتك فلا تبخل علينا بطلب المساعدة

8 - توجه لأقرب سفارة وأخضِع نفسك لاختبارات تحديد الجسد والذاكرة حرصًا على تسهيل الأمر

كل من يتأخر أو يتهرب من تسليم نفسه ليخضع للكشف الطبي حول العالم مهما كانت ديانته، جنسيته، لونه أو عرقه يعتبر خائنًا لهذا الكوكب ولكافة شعبه، برجاء التوجه للمكان الأقرب وإجراء الفحص الطبي بلا إثارة أي مشكلات

9 - بدأ العمل بهذا القرار وتعميمه بإذاعته عبر شاشات التلفاز العالمي بجميع اللغات وطبعه في أوراق ومنشورات وقذفها من الطائرات وتوزيعها في كافة وسائل المواصلات والحرص على وصولها ليد كل مواطني الأرض

إلى هنا ينتهي منشورنا وبرجاء التعاون للوصول لحل لتلك الأزمة بأقصى سرعة ممكنة

شكرًا لتعاونكم

المستشار / كيم يانج باو

أمين عام هيئة الأمم المتحدة

(3)

أغلق التلفاز عقب سماع البيان وهو يفتح فاه بدهشة من لا يصدق، تبادل ذكريات؟

فكرة لطالما هاجمت مخيلات كُتَّاب الروايات و صُنَّاع الأفلام و لكنه لم يتوقع حقًا أن تحدث لشخص يعرفه أو أن تحدث له ناهيك عن أنها حدثت لثلاثة أرباع سكان الكوكب. فكرة مرعبة حقًا و مجرد تخيلها يجعل القلب يدق بعنف. ابتلع ريقه بصعوبة و هو يفكر هل يعني هذا أن ذكرياته في هذا الجسد أم أنه من الربع المحظوظ. ابتسم عندما تخيل لو أنه كان فقيرًا أو قبيحًا و حالفه الحظ فسكنت ذكرياته التائهة في هذا الجسد الرشيق وسط هذا الثراء الفاحش و ابتسم أكثر عندما تخيل لو أن ذاكرة رئيس جمهورية أو أمير إمارة قد سكنت جسد فقير معدم من شعوبهم التي نهبوا خيرها فتركوها جرداء تصرخ بجوعها. ابتسم لمجرد الفكرة قبل أن يقوم من مكانه مقررًا عدم الذهاب لأي سفارات و ليحدث ما يحدث فإما أن يتذكر من هو و يتصرف بناءً على هذا و إما يأتون للقبض عليه تاركينه يشبع من ملذات الثراء و الرفاهية التي يراها ها هنا. قام يمشي متبخترًا في الشقة متجهًا للباب الذي يقوده للسلم المؤدي للدور السفلي. صمم اكتشاف المكان طالما قرر أن يعيش به لفترة. للمرة الأولى يشعر أن الأمر لا يزعجه و أن النسيان نعمة!

ربما تذكر و كان من الفقراء فلماذا يضيع على نفسه فرصة العوم وسط أمواج السعادة. فتح الباب و هبط درجات السلم في بطء متأملًا الصالة الفسيحة التي يفضي إليها السلم الرخامي. هبط وسط سجادة ناعمة

وقف يتأمل النافورة الرخامية الرمادية تحمل رسمًا بديعًا لمنظر طبيعي و وقف يتأمل النافورة الرخامية الرمادية التي وجدها أمامه. عشرات اللوحات معلقة حوله و غرفة جلوس بديعة جميلة. المكان باكمله يبعث على الدهشة. مكان جميل جمال لم يره من قبل أو ربما رآه و نسي. لا يريد أن يتذكر الآن يريد فقط أن يتمتع بهذه الفرصة قبل أن تزول. لولا صوت مرتفع يأتي من خلف باب بني اللون مائل للاحمرار ضخم. فكر أن يفتحه ليكتشف سبب الضوضاء أو يتركه مغلق ليتمتع باكبر قدر ممكن من هذه اللوحة الجمالية التي اكتشفها لكن الفضول كما قتل القط كاد يقتله. مَنَّى نفسه بأن يجد بالخارج حديقة غنَّاء بها من الأزهار أشكال و ألوان و بها من الطيور المغردة و الملونة ما لا يستطيع أن يحصي. فتح الباب ووقف يتأمل و قد انحسرت الفرحة عن قلبه لتحل محلها دهشة مذعورة. أمام عينيه الغير مصدقتين لِمَا ترى كانت ثورة صغيرة. المئات من الأفارقة سود البشرة يدمرون كل شيء بهمجية لا مثيل لها. المحلات مهشمة و منهوش داخلها بقسوة و السيارات مدمرة تمامًا و السليم منها تتصاعد منه نيران حمراء تلتهمه في جشع. مئات السيوف تلتمع في أيديهم ليتراقص عليها ملك الموت فرحًا بغنيمته. صخرة طائرة غادرة استغلت انشغاله بمتابعة ما يحدث متسلحة بدقة تصويب أصابته في رأسه. شعر وقتها بشيء يشبه تترات الأفلام و المسلسلات يجول في رأسه . تجاهل كل هذا و مسح الدماء عن عينه ليجد صبيًا نحيلًا يتراقص الشر على ملامحه يقف فوق مؤخرة سيارة تحترق ممسكًا سيفًا صارمًا بيده و يشير نحوه و يصرخ بكلمات غير مفهومة. شعر بالفزع فحاول إغلاق الباب بسرعة لكن سيفًا أخر كان أسرع منه فمنعه من إغلاقه. ترك الباب و جري كما لم يجر من قبل. صعد درجات السلم بسرعة محاولًا الوصول لـ ... لماذا؟؟ أين سيذهب؟؟ لم يعرف كل ما يعرفه الآن هو ضرورة الجري من أمام هؤلاء المخابيل بأقصى سرعة. سمع

زئيرهم يتصاعد من خلفه. حاول ألا ينظر خلفه كيلا يتعثر على درجات السلم فيُدَقُّ عنقه أو يسلم نفسه لهم فريسة جاهزة للاقتناص، كاد أن يتعثر و لكنه تمالك نفسه سريعًا و هو يغلق باب الغرفة خلفه باحثًا عن قِفل وجده بعد ثوانٍ فأغلقه جيدًا و جذب الباب بيده مرتين ليتأكد من إحكام غلقه، هرع إلى النافذة حاول فتحها إلا أن حجرًا حَطَّمَ أخشابها جعله يغير رأيه و يبحث عن فكرة جديدة، وقف كالمشلول ينتظر لا يعرف ما يفعل قبل أن يرى بلطة فأس حادة تشق خشب الباب مخلفة فجوة ضخمة سمحت لذراع ضخم أن يخترقها عابثًا بالقفل ليفتحه قبل أن يدخل فردان إلى الغرفة باحثين عنه بأعين تطق شررًا، تفادى نصل سيف كاد يقطع من وجهه قطعة ليست بصغيرة قبل أن يمسك بمزهرية زجاجية و يصوبها بدقة لرأس مهاجمه الأول، أصابته فتجمد مكانه لحظات قبل أن يهوي أرضًا،التفت للآخر الذي يمسك الفأس و قبل أن يجد طريقة لقتاله وجد آخرون يقفون خلفه منهم من يمسك بسلسلة معدنية مُطَوِّحًا إياها في الهواء و منهم من هو مسلح بقطعة زجاجية حادة، شعر بالعجز و شعر بفكره يتجمد و قبل أن يقرر ماذا سيفعل فوجئ بصوت طلقات مكتومة يصعد من أسفل و صوت صراخ حاد يوأد قبل أن يولد، لحظات قليلة وسط ارتباك مهاجميه و تحدثهم بلغة لا يعرفها قبل أن يسقطوا أرضًا و رؤوسهم تنزف دماءً لا يعرف كيف سالت تبين منقذيه، شخص ضخم الجثة ملثم يرتدي حلة سوداء تبدو مضادة للرصاص و من خلفه شخص آخر يرتدي حلة رمادية اللون أنيقة مزينة برابطة عنق سوداء و ابتسامة مُطَمْئِنَة لكن قبل أن يتحرك أو يطمئن خرجت الرصاصة التي أنهت كل شيءٍ تمامًا

***

تابع الورقة بعينيه وهي تسقط أرضًا قبل أن يحمل البندقية على كتفه ويأمر زميله: "هيا!"

نظر له الآخر بدهشة وعيناه مفتوحتان وفكه يكاد يسقط، رد الفعل هذا لا يتناسب مع ما قرأوه، هذا شخص لم يدرك بعد أن ذكرياته قد تبدلت وأنه في جسدٍ آخر، هذا لم يُقَدِّر موقفهم ولم يستوعبه بعد أو استوعبه ولكن الصدمة عبثت بعقله فتركته غير مدرك لما يفعل، تبعه بخطوات سريعة وأمسكه من كتفه وهو يقول: "قرأنا أن ذكرياتنا تبدلت وأنت تريد الرحيل كأن شيئًا لم يحدث؟"

مَطَّ الآخر شفتيه وهو يقول بصوت غلبته اللامبالاة: "وهل وقوفنا هنا لنندهش سيساهم في حل المشكلة؟"

نظر له وقد عقد حاجبيه في دهشة، لم يتوقع أن يسمع هذه الإجابة فتبعه في صمت، بضع خطوات وشعر أن فضوله يغلبه مرة أخرى فسأله: "هل فهمت شيئًا؟"

أجاب الآخر دون أن ينظر إليه وهو مستمر في المشي بخطوات سريعة: "فهمت أو لم أفهم، الأمران سواء، يجب أن نبحث عن سفارة أو مكتب حكومي أو على أقل تقدير أحد الجنود"

هز رأسه متفهمًا وهو ينظر لقرص الشمس الذي يستعد للرحيل مخلفًا ظلمات الليل من بعده، سمع صوتًا يتبعهما فنظر خلفه وليلمح الخنوص الصغير يتبعه في إصرار، وقف ينتظره إلى أن وصل له وهبط ليربت على رأسه، تبعا العجوز بخطوات سريعة وبرغم أنه أصغر سنًا وأكثر شبابًا وحيوية إلا أن جسده كان ممتلئ على عكس العجوز الذي يحظى بجسد

متناسق. نظر للخنوص الذي ظل يجري بجواره مرات ويداعبه بالمرور من بين قدميه مرات أخرى قبل أن يسمع صوت زميله يناديه: "انظر هناك"

رفع وجهه في نفس اللحظة التي قرر الخنوص أن يمر بين قدميه فتعثر. سقط أرضًا لتصطدم رأسه بصخرة كبيرة كانت ترقد أرضًا وبرغم الدماء التي سالت على وجهه والدوار الذي هاجم رأسه فاحتلها إلا أنه قفز برشاقة لا تتناسب مع وزنه الثقيل ليقول بلهجة أرشميدس حين وجد اكتشافه العظيم: "لقد تذكرت كل شيء. اسمي فريد من مصر، أبلغ من العمر ست وعشرون عامًا. قبل أن يحدث هذا الأمر كنت أعمل في تجارة لعب الأطفال والاستيراد والتصدير. ترى ماذا حدث لتجارتي. ترى هل حازم بخير؟"

نظر له العجوز بعدم فهم للحظة قبل أن تصدمه الفكرة فتتسع عينيه دهشةً. هذه الصدمة تستخدم كمُحفز للدماغ كي يقتحم ذكريات الذاكرة و يتحدا سويًا. أمسك بندقيته و أعطاها لفريد الذي تناولها في عدم فهم. كان الآخر على وشك الانفجار و هو ينظر لزميله بغضب. لحظات أخرى وفهم فريد المطلوب منه. ضرب زميله بعنف على رأسه فسقط أرضًا. هذه المرة اكتفت رأسه بكدمة و نتوء و لم تبكي دماءً و لكنه شعر كأن شبكة من الأضواء الملونة تقتحم وعيه قبل أن يدرك أن كافة ذكرياته قد استقرت في مكانها و أنه بسهولة تامة يستطيع استجواب عقله بحثًا عن أي إجابة يرغب بها. تحسس النتوء و هو يتناول البندقية مرة أخرى و يمد يده ليصافح فريد : "شينزو تاكاهاري. أربعون عامًا. ياباني الجنسية"

صافحه فريد قبل أن تتعلق عيناه بشيءٍ ما في السماء. تابع شينزو عينيه قبل أن يدرك أن زميله اكتشف ما كان يريد إخباره به. تعلقت أعينهما بشعاع من ضوء يتأرجح يمينًا و يسارًا ليعلن عن مكانِ شيءٍ ما. أسرعا

إليه و بعد عدة دقائق من العدو وصلا إلى مبتغاهما، وقفا يتأملان مبني عالٍ ضخم يقف شامخًا وسط عدة مبانٍ أخري، لم ينتبها أنهم تركا الصحراء و دخلا إلى المدينة منذ حين، تأملاه فوجداه عالٍ صخري يمتاز بعدة نقوش و ديكورات حجرية جميلة التكوين و على سطحه ترتفع راية خفاقة تمثل علم دولة لم يميزها أيهما في الظلام، من بوابة حديدة دخلا و قد شهر شينزو سلاحه أمامه، سمعا ضجيجًا يأتي من داخل المبنى و قبل أن يمد فريد يده ليفتح الباب شعرا بفوهات معدنية تلتصق بمؤخرتي رؤوسهما. لم يحتاجا الكثير من الوقت ليدركا أن ثمة أسلحة مصوبة إلى رؤوسهما الآن و بدون أن يريا مهاجميهما سقطا أرضًا على ركبهما و هما يرفعان أيديهما للأعلى في استسلام بينما ألقي شينزو سلاحه أرضًا في توتر

(4)

نظر لرأس مهاجمه الأسمر المنفجر وجثته الراقدة أرضًا تحت قدميه قبل أن ينظر لفوهة المسدس المشهرة في وجهه قبل أن يخفضها حاملها وهو يمد قدمه ليلكز الجثة الراقدة أرضًا للتأكد من أنها فارقت الحياة، وقف ينتظر دوره وهو لا يعرف هل سيقتله هذا الشخص أم أن مهمته انتهت بقتل مهاجميه؟

راقبه بعينيه في توتر. طويل القامة رياضي الجسد و ملثم لا يظهر منه سوى عينان سوداوتين تحملان نظرات ثقة و قوة. نظر له و هو يشير له بسلاحه أن يتقدمه. رفع يديه فوق رأسه و هو يتحرك ببطء ليجد ملثمًا آخرًا في انتظاره خارج الباب. هبط السلم ببطء و هم يتابعونه. تأمل الجثث الملقاة في إهمال و ثقوب الرصاصات التي امتصت منها الحياة تلطخها. تأمل الملثم الذي يهبط السلم أمامه و هو يشهر مسدسه قبل أن يتخذ قراره. انتظر حتى وصلوا إلى منتصف السلم الحلزوني. تنفس بعمق و هو يتحفز لتنفيذ فكرته، دفع الملثم الذي يهبط درجات السلم أمامه ليتعثر و يسقط عن السور. انحني كي لا تصيبه الرصاصات و هو يسرع عدوًا ليفتح الباب و يخرج إلى الشارع سريعًا قبل أن يفيقا من الصدمة، الأمر الذي أثار دهشته بقوة هو أنه لم يسمع صوت رصاصات و لم يسمع صوت ارتطام جسد الملثم المتعثر أرضًا. فتح الباب و خرج يعدو إلى الشارع. لم ير ابتسامات الملثمان الساخرة من تحت غطاء وجهيهما و أحدهما يساعد زميله الذي تماسك و لم يسقط عن السور و إنما تمسك بحافته قبل أن يتابعاه و هو يدخل من الباب مرة أخرى منكس الرأس

شاعرًا بالخزي يغزو قلبه و بوجنتاه تحمران خجلًا و ملثم ثالث يتبعه مهددًا إياه بسلاحه، هبط الملثمان الآخران و أمسكا به كلًا منهما من ذراع و جذبوه بقوة أرادوا بها أن يعاقبوه على ردة فعله، خرجا إلى سيارة سوداء تحمل لافتة دبلوماسية لمحها بسرعة و هما يجرانه جرًا، فتح أحدهم له الباب و أمسك رأسه كيلا يصدمها، جلس في المقعد الخلفي للسيارة و بجواره واحد منهم فقط،الاثنان الآخران ذهبا لسيارة أخرى أو لمهمة أخرى لم يسعه الأمر ليتاكد، نقر مرافقه على كتف السائق الذي يرتدي نظارات شمسية كبيرة لتتحرك السيارة، أمسك بعدها بعصابة سوداء و غطي عينيه، لم يقاومه فقد عرف و فهم و تعلم أن المقاومة لن تجدي مع هؤلاء، شعر باهتزازات السيارة و حاول أن يشعر باتجاهاتها و يحفظها و لكنه شعر بالارتباك فتخلى عن الفكرة بأكملها، أخيرًا توقفت السيارة و شعر بالعُصَابَة تُزال عن عينيه فأغمض عينيه قليلًا ليحميها من أثر الضوء المفاجئ، فتح الملثم الباب له و أشار له ليخرج، بينما يخرج صدم رأسه بقوة في الحاجز المعدني الخاص بباب السيارة، شعر بالمعلومات و الذكريات تتدفق إلى رأسه، نظر للملثم و هو يهتف : "تذكرت من أنا !!"

أشار له الملثم أن يصمت فصمت مُجْبَرًا مقاومًا حماسة المجنون للبوح بما عرف و هو يدلف من باب خلفي ضيق في هذا المبني، سمع ضجيجًا هائلًا و لكنهم انحرفوا بعيدًا عنه، صعدوا سلم رخامي أبيض اللون و سلمه الملثم لشخص يرتدي حلة رمادية اللون ابتسم و هو يصافحه و يطلب منه أن يتبعه . وقف أمام باب مغلق و طرق عليه قبل أن يأتيه صوت من الداخل يأمره بالدخول، فكر أن يهرب بينما دخل الشخص الآخر إلى المكتب و تركه وحيدًا و لكنه تذكر كيف انتهت آخر عملية هروب، دقيقة مرت قبل أن يخرج و هو يبتسم، أشار له أن يدخل قبل أن يغلق الباب

خلفه، كان في مكتب ضخم واسع، أرضيته مغطاة بالسيراميك الأبيض بينما يزينها بساط إيراني، الحائط مغطي بشهادات تقدير و شهادات علمية بينما يتصدر الغرفة مكتب ضخم يجلس خلفه شخص نحيل خفيف الشعر و تزين وجهه لحية منمقة وقف و هو يخرج من خلف مكتبه ليقابله في منتصف الغرفة و يصافحه، أشار له أن يجلس على مقعد جلدي أسود و جلس أمامه، بدأ النحيل بالكلام مُعَرِّفًا نفسه : "جيمس هاميش، السفير النيوزيلاندي في نيجيريا، هل سمعت أو قرأت البيان الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة؟"

هز رأسه إيجابًا فتابع السفير أسئلته: "هل تذكرت من أنت أم أنك ما زلت تحتاج لمؤثر خارجي؟"

تحسس رأسه وهو يقول: "بل تذكرت، حازم سلامة من مصر"

ابتسم السفير وهو يقول: "مرحبًا سيد حازم، هل تعلم أيَّ شيء عن الجسد الذي تحتله ذكرياتك؟"

هز حازم رأسه بالنفي فتابع السفير: "هذا جسد جون ماكارثي، أشهر رجل أعمال نيوزيلاندي ومن ضمن أغني مائة رجل في العالم لذا كان واجبًا علينا حماية جسده جيدًا "

ظهرت علامات الفهم على وجهه وهو يسأل السفير: "وماذا عن العصابة التي هاجمت بيتي أو بيته، أقصد ذلك المكان؟"

ابتسم السفير وهو يقول: "بعدما استيقظ العالم على هذه الكارثة وجدنا الآتي: نسبة كبيرة جدًا من المصابين أرادوا استعادة أجسادهم مرة أخرى بينما هناك نسبة ضئيلة قررت أن تساعدنا أولًا قبل أن تبحث عن

أجسادها. خيرًا يفعلون. الآخرون حاولوا استغلال الفوضى والسطو على الأغنياء وقصورهم وهؤلاء أطلقنا عليهم اسم"الهمج" أو أصحاب ثورات الفوضى وصدر قانونًا تم تعميمه في كافة دول العالم بوجوب قتلهم بلا رحمة أو تفكير لأنهم لن يترددوا في قتل الأبرياء من أجل مصالح شخصية وأخالك خضت تجربتك الخاصة معهم"

هز رأسه وهو يتذكر مهاجميه وأسلحتهم البيضاء التي كادت تودي بحياته. عاد السفير إلى خلف مكتبه وهو يقول: "من حسن الحظ أننا عرفنا أين تقع ذكريات السيد جون لذا سنسافر الآن لكي نعيد ذكرياته إلى جسده ومن ثم نعيد ذكرياتك إلى جسدك "

سأله حازم بفضول: "وهل سكنت ذكريات السيد جون جسدي؟"

هز السفير رأسه وهو يقول: "طبقًا للسجلات التي أمامي والتي تنقسم إلى أربعة أقسام أحدها يضم اسم الجسد والآخر مكان الجسد والثالث اسم صاحب الذكريات والرابع كما في حالتك الوصول إلى عملية التبادل فإن جسدك تسكنه ذكريات امرأة تدعي سكارليت مانيرو من الأرجنتين بينما ذكريات السيد جون تسكن في جسد طفل فرنسي يدعي تشارلي"

"وأنتم ستتركونني بداخل تشارلي هذا؟"

"لا، أعدك أننا سأعيدك لجسدك "

"حسنًا لن أتحرك من مكاني إلا إذا وعدتني أنك ستعيدني إلى جسدي أولًا ثم تحمل سكارليت بداخل جسد جون لتسلمها إلى تشارلي أو أيًا كان ما ستفعله"

ابتسم السفير بسخرية وهو يقول: "أقدر عرضك ولكن يجب أن تعلم أن الأمور هنا تتم تبعًا لشروطنا الخاصة فقط"

ابتسم حازم بدوره وهو يتحرك بسرعة ويختطف نصلًا يستعمله السفير في فتح الخطابات من على المكتب ويضعه على شرايينه ويقول: "أتمنى أن تكون قد ودعت السيد جون جيدًا"

اتسعت عينا السفير وهو يهتف به: "يبدو أنك لا تعلم قواعد الأمر، إذا قتلت نفسك فستدمر الاثنين معًا، ستموت وستَتِيهُ ذكرياتُ السيد جون في العدم وسينتهي الأمر تمامًا"

"لا يهمني ما تقول، إما أن تنفذ شروطي وإما ..."

أنهى كلمته وهو يحرك الشفرة على يده لتظهر نقاط دم حمراء على معصمه فهتف السفير: "حسنًا، حسنًا "

ابتسم حازم وهو يضع الشفرة في جيبه ويبتسم للسفير الذي بادله الابتسامة بعصبية

***

تفاصيل كهذه لا تراها حين تعيشها و لكنك بالطبع تراها بوضوح عندما تنظر لها من وجهة نظر أخري، فكر حازم في هذا و هو ينظر إلى جسده الذي يتحرك أمامه دون أن يأتمر لأمره، شعور غريب للغاية ألا يصدر مخك لجسدك الإشارات و الأوامر التي تحركه، تأمل جسده، مقدمة رأسه التي بدأت في الانحسار و بطنه التي استدارت و كادت تصبح (كرشًا)، يجب أن يهتم بالرياضة أكثر من هذا، نظر للسفير و ابتسم فلم يدر السفير هل يبتسم له أم يتجاهله تمامًا، آثر التظاهر بالصرامة كي يظل محافظًا

على سيطرته على الأمور و لو بنسبة قليلة فتجهم في وجه حازم المبتسم و قال بصرامة : "هلا انتهينا؟"

رفع حازم كتفيه وهو يقول: "كان بودي ولكني لا أعرف الطريقة"

أخرج السفير من جيب حلته الداخلي سيجارًا بني اللون وفَضَّ غلافه وهو يمرره تحت أنفه ليستنشق رائحته قبل أن يقول: "الموضوع في غاية البساطة ... كل ما عليكما فعله هو أن تصافحا بعضكما وأن ترغبا بشدة في القيام بعملية التبادل"

ارتفع حاجبي حازم بدهشة وهو يسأل: "بهذه البساطة؟"

رد السفير وهو يتظاهر أن الأمر لا يهمه بينما تشتعل رغبته في الانتهاء من الأمر بداخله: "بهذه البساطة"

للمرة الأولي تحركت سكارليت وتحرك جسد حازم معها وهي تضع يديها في خصرها وتقول بصوته الرجولي وبنبرة غلب عليها الدلال الأنثوي: "وأنا؟؟، لماذا تعاملون النساء كأنهم جوارٍ، لماذا لم تطلبوا رأيي"

لاحظ حازم أنها تحدثت بالإنجليزية وبلكنة إسبانية واضحة، لكنه والسفير كانت إنجليزيتهم لا تشوبها لكنة، نظر للسفير منتظرًا رد فعله، نظر لها السفير وهو يقول: "حسنًا، لنسألك، ما رأيك هل تريدين العودة لجسدك أم أنك تريدين أن تقضي ما تبقي من عمرك في هذا الجسد؟"

ظهرت علامات الاشمئزاز على وجه حازم بينما تحدثت سكارليت بشفتيه: "تبًا، بالقطع لا، أريد العودة لجسدي، العناية بأجساد الرجال صعبة للغاية"

وضع السفير سيجاره في فمه وهو يتحدث لتخرج كلماته مشوهة بعض الشيء: "حسنًا، هلما لتنتهيا لكي نرحل، سنذهب لفرنسا ومن ثم نعود للنرويج"

أنهى كلماته وهو يخرج علبة ثقاب ويشعل عودًا منها ويقربه من طرف سيجاره، تأمله حازم بدهشة وهو يقول: "وماذا سنفعل في النرويج؟"

اتسعت ابتسامة السفير بينما تسللت إلى أنفه أولى عبقات السيجار فظهرت عليه علامات الانتشاء: "نفعل؟؟ أنت لن تأتي معنا، مهمتك تنتهي باستعادة جسدك بينما نحن سنصحب معنا الآنسة سكارليت لمكتبنا في النرويج لكي تتم عملية تبادلها هي الأخرى"

هز حازم رأسه و هو يحاول منع دخان السيجار من التسلل إلى رئتيه اللتين شعرتا باقترابه فلجأتا لنظام دفاعي مكون من السعال،أنهى سعاله و هو يغمض عينيه و يشعر بيده تقتحم غمار كف جسده القديم و أغلق عينيه منتظرًا أن تخرج روحه في دوامة زرقاء وتدور ويشعر بالألم يكتنف جسده ليعذب خلاياه ويشطرها أنصافًا لتلتحم بعدها روحه بذكرياته لتعودا سويًا لجسده و لكن شيئًا من هذا لم يحدث، كل ما شعر به هو ما يشبه الصدمة الكهربائية التي مرت بجسده لثانية أو أقل فتح عينيه ليطالع جسدًا لطالما رآه في المرآة لمدة يوم كامل، هذه المرة يراه من عينيه التي يعرفها و بنظرته التي يألفها، يشعر به بقلب لطالما خفق بداخله فحفظ دقاته، نظر للسفير و هو يقول : "حسنًا، ها أنا في جسدي مرة أخري، أتدري هذه التجربة تشبه الصدمة الكهربائية الضعيفة"

ضحك السفير بقوة فهربت من رئتيه سحابة دخان لتملأ سماء الغرفة فرحة بحريتها قبل أن يقول: "صدمة كهربائية ضعيفة!!، لخصت تجربة ستؤرق الكوكب بأكمله لسنواتٍ عدة في هذا التعبير؟"

ابتسم حازم وهو يحرك يديه وقدميه وكأنه فرح باستعادة جسده بينما أعطي السفير إشارة للملثمين بالإمساك بسكارليت المنكمشة بداخل جسد جون وتراقب الأمر وكأنها لا تفهم بعد ما حدث، حسنًا ستأخذ القليل من الوقت لتألف الأمر وتعتاده، هَمَّ بالرحيل قبل أن توقفه نحنحة خفيفة من حازم أوقفته، التفت لحازم ببطء ليجد ابتسامة سخرية مرسومة على شفتي حازم وهو يسأله: "وزوجتي؟؟"

ارتفع حاجبا السفير ليحلقا في سماء الدهشة وهو يسأله: "زوجتك؟؟ "

دخل حازم إلى غرفة جانبية وصوت السفير يعلو ليسمعه وهو يتابعه بعينيه بدهشة: "مالي ومال زوجتك؟، أعتقد أن اتفاقنا كان واضحًا"

خرج حازم من الغرفة وهو يضع يديه خلف ظهره ولا يزال يحافظ على ابتسامته الساخرة ويقول: "ألا تظن أن الوقت قد حان لنضع بضع قوانين جديدة"

أشار السفير للملثمين اللذان تركا جسد جون الذي اختبأ خلفهما وتقدما عدة خطوات ليصبحا أمام السفير الذي قال بنبرة ثقة: "حازم، نحن لا نريد التسبب في أية مشاكل"

أخرج حازم يده من خلفه ليشهر مسدسه الضخم في وجه أحد الملثمين وهو يسأل بسخرية: "حقًا؟"

(5)

رأيا من موقعهما جندي ملثم يتقدم و هو يتفحصهما بنظراته قبل أن يصل إلى السلاح و يركله بقدمه ليبعده عن متناول أيديهما، أمسكه و هو يتأمله و من عينيه تنبعث نظرة احتقار قبل أن يعلقه على كتفه و هو يشير لهما بالوقوف، وقفا و خفض فريد يديه قبل أن يلكزه الجندي الواقف خلفه لكي يرفع يديه مرة أخرى فرفعها متذمرًا في صمت.انهمك الجندي في تفتيشهما و حرص على ملامسة مناطق معينة من جسديهما ليشعرهما بالمهانة قبل أن يشير لصاحباه أنهما خاليان من أي خطر، شعر كلًا منهما بالجندي الواقف خلفه يلكزه لكي يمشي، مشيا لفترة يتقدمهما جندي صامت و تتبعهما لكزات مؤلمة حتى وصلوا جميعًا إلى باب ضخم مغلق بسلسلة معدنية.فتح الجندي الباب و أشار لهما بالدخول قبل أن يغلق الباب من خلفهما في سرعة، في البداية كان الصوت هو أول ما لفت أنظارهما، صوت أزيز كخلية نحل و لكنه يصدر من حناجر بشرية، نظرا ليجدا ما يقارب الخمسمائة فرد أو يزيد يتحدثوا جميعًا في نفس الوقت و بدون أن يسمع أحدهم الاخر، أمام هذا الجمع الغفير كانت عدة منافذ لخدمة الجمهور موجودة و لكنها مغلقة بزجاج مصفح و خلفها يجلس موظفون ممتنعون عن تأدية عملهم و يراقبون الفوضى من خلف الستار الزجاجي، الفوضى تزيد لأن الموظفين ممتنعين عن العمل بينما الموظفين لن يعملوا إلا بعد أن تهدأ الفوضى، دائرة مفرغة يدور بها الجميع، تأملا الجمع في هلع، فوضي لا مثيل لها، عدة عراكات تكاد تقترب من الدموية تتابعها أعين لا تبالي بنتيجتها و آخرون يكسرون الأثاث و يفرغون بطنه من محتوياته و يهشمون أخشابه ليستخدموها في الدق على النوافذ

المغلقة. أعين بليدة بلا ردود فعل خلف الستار الزجاجي و أعين تتقد غضبًا من أمامه!

نظرا إلى بعضهما البعض قبل أن يتأملا المكان. غرفة مستديرة بها سلم نصف دائري يبدأ يمينًا و يصعد حتى يصل لباحة صغيرة و يهبط منها يسارًا حتى يصل للأرض و تحت كل سلم هناك جندي يمسك سلاحه و يتثاءب في ملل خلف ستاره المصفح بلا أدني اهتمام لما يجري. فجأة و بدون أي مقدمات قفز شينزو ليعتلي جسد فريد الذي ترنح فجأة قبل أن يتماسك و يستعيد توازنه و هو يحاول النظر له الذي لم يبالي برد فعله أو حتى باستئذانه قبل أن يفعل هذا، و بالفعل وقف على كتفيه ليمسك فريد بقدميه و هو يطلق صفيرًا لم يلتفت له أحد و لكن مع صيحة منبهة من فريد يليها صفيرًا حادًا من شينزو بدأ يسود الهدوء و تتعلق بهم الأنظار و بمجرد أن ضمن جمهوره حتى هبط أرضًا و هو يخاطب الجمع الذي يتأمله في فضول : "شينزو تاكاهاري. مواطن ياباني. أطمح كما تطمحون في استعادة جسدي و أربو إلى تفسير يُطَيِّبُ خاطري ويُهَدِّئ من ثائرة فكري و لكن سبيل الوصول لمبتغاي و مبتغاكم كذلك هو النظام. يجب أن نهدأ لكي يستطع الموظفون القيام بعملهم "

قاطعه أحدهم بابتسامة ساخرة ولهجة تحمل من التهكم أطنانًا: "وبعد أن نسجل أسمائنا في السجلات ماذا سيحدث؟"

قبل أن يفكر شينزو في إجابة مقنعة أتته إجابة من أحد الموظفين: "ستقسمون إلى مجموعتين. من وجدنا أجسادهم وحددنا أماكنها سيتجهزون للسفر على متن رحلات خاصة من هنا للمطار ومن المطار سيطير كل منكم على الدولة الموجود جسده فيها بينما الاخرون سنوفر لهم

مساكن خاصة مجهزة خصيصًا لهم ريثما نجد أجسادهم أو نحدد أماكنهم"

ابتسم شينزو أمام إجابة الموظف المقنعة قبل أن يطلب من هذا الموظف مجموعة أوراق وأقلام، مررها له الموظف من تحت الساتر الذي رفعه قليلًا في حرص وهو يخبره أن معظمهم بالفعل تسلم أوراقًا تحمل أرقامًا مطبوعة لكنهم لم يعملوا بها ولكن شينزو فكر في أمر آخر، صدح صوته في الغرفة: "من فضلكم قفوا في صفوف مكونة من خمسة عشر شخصًا لكي نستطيع أن نعد أنفسنا "

لحظات قليلة تحرك فيها الجميع و تراوحت مشاعرهم بين الحماس و التذمر و لكن العدد وصل لستمائة و ست عشر شخصًا،انهمك فريد و شينزو و شخصان آخران في كتابة الأرقام من واحد إلى ستمائة و ستة عشر وأغلقوها وحركوها جيدًا حتى تيقنوا أنها اختلطت ببعضها البعض و مروا على الجمع معطيين لكل فرد من الجمع وريقة تحمل رقمًا، تأكدا من أن الجميع موافق و لو على مضض على هذه الفكرة و بدأ شباك أو اثنان في الفتح لخدمة المتقدمين بأرقامهم و وقف رجال الأمن بين الجميع لتنظيمهم و التأكد من راحة الجميع لأن الأمر قد يستغرق بعض الوقت

في غرفة أخرى أخذ شخصٌ ما يرتدي حُلَّة أنيقة تحمل علامة أحد أكبر و أشهر مصممي الأزياء في العالم في مشاهدة شينزو و هو يفرض النظام بصرامته المحببة للنفس قبل أن يضغط زر استدعاء في مكتبه ليدخل رجل أمن ملثم ضخم البنية، اقترب من المكتب قبل أن يشد جسده وهو يعطي الجالس تحية عسكرية قوية، رد عليها الآخر بلا مبالاة و هو يشير له على شينزو عبر الشاشة، هز الجندي رأسه و هو يستدير ليخرج من الغرفة و يمشي في ممرطويل ليصل لباب يحرسه جندي آخر فتح له الباب ليمر،

وجد نفسه في الباحة التي يحاصرها السلمان فأشار لرجال الأمن المنهمكين في ترتيب المواطنين لكي يأتي له بشينزو الذي تعلق في ذراع فريد لكن رجل الأمن هز رأسه رافضًا إحضار فريد. تقتضي الأوامر إحضار شينزو بمفرده. بعد بضعة دقائق وجد شينزو نفسه أمام مكتب يجلس عليه شخص أنيق تبدو على ملامحه الثقة في النفس.وقف الآخر و خرج من خلف المكتب ليجلس على كرسي وثير و هو يشير له بالجلوس أمامه. جلس بتوتر و هو ينتظر أن يفصح له عما طلبه من أجله و في نفس الوقت كان يشعر بالقلق من أن يختل النظام الذي فرضه بالأسفل. مد الأنيق يده ليصافح شينزو وهو يسأله : "هل سمعت عن (المنظمة) من قبل يا سيد شينزو؟"

***

أغلق شينزو باب الغرفة ووقف يفكر قليلًا. العديد من الأفكار تجتاح رأسه عما سمع بالداخل. هذه هي المرة الأولي التي يسمع فيها عن المنظمة فضلًا عن العرض الذي قُدم له ليعمل تحت رايتها و ضمن قواتها. العرض مغري له وهو المحب للإنسان ولخدمة البشر. هبط درجات السلم وسط تعلق عينا فريد به و اللهفة التي نُحتت على ملامحه.انتظر حتى هبط و أشار لأحد المساعدين له بمتابعة مجري الأمور قبل أن ينتحي بشينزو جانبًا. عكست ملامح شينزو الحيرة التي تنهش أفكاره و وجدانه. نظر شينزو لفريد و هو يسأله في قلق : "إذا أخبرتك أننا بصدد تكوين مشروع تدعمه الحكومات تحت قيادة ما يسمي (المنظمة). هل ستنضم لي؟"

صمت فريد قليلًا قبل أن يجيب سؤاله بسؤال: "انضمامي لك. ألا تجد أن الأمور تتحرك بشكل سريع؟"

ابتسم شينزو وهو يجيبه: "أفهم قصدك، لا تقلق، أنا جيد في الحُكم على البشر، أنا أثق بك، هل ستنضم لي؟"

شعر فريد بالراحة من ذكاء شينزو وإجابته المطمئنة وهو يجيبه: "لا مانع لدي ولكني كنت أطمح في معرفة المزيد عن المشروع وعما يسمي المؤسسة"

ابتسم شينزو قائلًا: "المنظمة يا صديقي، دع كل أمر لأوانه"

لم يرغب فريد في معارضته، تركه شينزو و ذهب ليطمأن على سير مجريات الأمور، لم لا و هو الآن يحمل تصريحًا خاصًا من المنظمة بمتابعة مجريات الأمور، راقبه يتبادل مع الموظفين كلمات المزاح لقتل التوتر و كسب الثقة و كذلك مع المواطنين الذين انهمك رجال الأمن بعد خروجهم من أوكارهم في تنظيمهم و تقسيمهم إلى مجموعات منها من سيسافر و منها التي ستنتظر ريثما يظهر لها بصيص أمل، بعد مرور بضع ساعات كان الأمر قد انتهي أو بالأحرى قارب على الانتهاء، ظهر التعب على وجوه الجميع و قبعت بعض النساء و العجزة بجوار الجدران منهم من يريح ظهره و منهم من ذهب في رحلة متنها النوم العميق، عندها أعلن شينزو أن لديه بيان هام يرجو من الجميع الاستماع إليه، بدأ الاهتمام يبدو على وجوه الناس، أحضر كرسيًا صغيرًا و وقف فوقه يتأمل وجوه الناس و أبصارهم المتعلقة به، تنحنح في حرج و حاول أن يتماسك، لطالما شعر بالحرج وسط التجمعات لكن هذا ليس الوقت المناسب،تسلح بالثقة و هو يتحدث : "منذ قليل كنت في اجتماع مع أحد المسؤولين هنا في السفارة و عرض عليَّ تنظيم فريق جديد يهدف لـ ...."

قبل أن يستكمل حديثه سمع صوت يقاطعه، نظر للأعلى ليجد المسؤول الذي اجتمع به من قبل يقف على حافة السور يراقبه مبتسمًا، شعر شينزو أن لديه ما يقوله فصمت قليلًا. أشار له الرجل ليجد مجموعة من الرجال منهمكين في بضع توصيلات كهربائية لم يفهمها شينزو ولكن بعد قليل فهم و زاد توتره، شينزو سيخاطب سكان الكوكب في بث مباشر، سيخاطب كافة المواطنين. شعر بالفزع يتسلل إلى روحه و لكنه وأده بقوة محاولًا التنفس بعمق. بعدما انتهوا من التوصيلات بدأ شينزو يتحدث مرة أخرى و إن كان القلق يجتاح جوارحه: "أعرفكم بنفسي أولًا، شينزو تاكاهارى من اليابان، لا أعرف جسد من هذا و لا أهتم الآن إلا بأمن هذا الكوكب. منذ قليل كنت في اجتماع مع أحد مسؤولي المنظمة و أخبرني أننا على وشك البدء بمشروع ضخم من أجل خدمة البشرية و خدمة المجتمع. مشروع (كتيبة المحاربين). الكتيبة التي ستعمل بمساعدة الحكومات حول العالم. بيد أننا كمحاربين يجب علينا التضحية بأنفسنا من أجل مساعدة البشرية على العودة للمسار الصحيح و بناءً عليه أطالب الراغبين بالتقدم للانضمام للكتيبة بالتقدم و تسجيل أنفسهم في السفارات و يجب أن تعلموا أننا لن نَكِلَّ أو نَمِلَّ إلا بعد انتهاء هذه الأزمة أو انتهاء حياتنا و سنكون كذلك آخر من يستعيد أجساده. مُحَرَّمَةٌ علينا أجسادنا و أذكريات الآخرين تائهة" .

صيحات التأييد والفرح انطلقت من حناجر الجميع فرحة وقد شعرت أن لها مؤيد. ولأن لا حق يضيع وخلفه مطالب فقد ارتاحت القلوب فمن منا وشعروا بمشاكلنا لن يهدؤوا إلا بعد حل المشكلة. تعلقت عينا شينزو بالمسؤول الذي رفع سبابته للأعلى قبل أن يستدير وينصرف. تقدم بعض

الأشخاص ليعلنوا رغبتهم في الانضمام وبدأ الموظفين في تسجيل بياناتهم بينما وقف فريد وشينزو يستقبلون المحاربين تحت رايتهم. تحت راية الأمن

انتهي شينزو من فحص فريقه المكون من خمسة شباب ورجلين وفتاة شابة وفريد المبتسم في فخر يتأمل تابعيه قبل أن تسقط قلوب الجميع أرضًا لينهشها الخوف ويفترس الأمن منها بلا تردد، انطلقت صرخة عالية لتشق سكون الليل، صرخة لا تخرج إلا من حنجرة بشرية تتعرض لأعتى ألوان العذاب، ظهر القلق في عيني شينزو وهو يقول: "ها هي مهمتنا الأولى!"

(6)

عقد السفير حاجبيه في عنف وهو يتأمل فوهة المسدس المشهرة في وجهه شعر بتوتر حركة الحراس من خلفه فمد يده يشير لهما أن يهدئا. وضع كل منهما سلاحه بجواره وإن تراقصت نظرة عدم اقتناع في أعينهما. تأمل ملامح حازم المليئة بالعزم والغضب وإن لمح شرارة قلق تتوارى بعيدًا خلفهما. قرر أن يسأله بهدوء تام: "هل تهددني؟"

صمت للحظة قبل أن يقرر تصعيد الأمر للدرجة الأعلى فرسم علامات الغضب على وجهه وهو يسأل بصرامة: "ألا تعلم أن أضعفهما يستطيع أن يزين جبهتك بثقبٍ دامٍ قبل أن تتحرك خطوة واحدة؟"

ظهر الملل على وجه حازم وهو يسأله بنبرة غلبتها السخرية: "هل سنضيع الوقت في كلمات مملة؟. ألم تر أفلام سنيمائية من قبل؟؟ لم يعد أي شخص يتأثر بتلك التهديدات الجوفاء. أريد منك شيئًا ما وسأتركك ترحل أنت وثيرانك"

عقد أحد الحارسين حاجبيه في عنف وهو يسمع سبته فقبض على سلاحه بعنف وإن آثر السلامة ولم يتحرك. سأل السفير بغضب ممتزج بنفاذ صبر: "ماذا تريد؟"

ابتسم حازم وهو يقول: "هذا هو المطلوب. أنت تعرف أنني متزوج. أريد أن أعرف مكان زوجتي"

تنفس السفير بصوتٍ عالٍ وهو يقول: "أعطني سببًا واحدًا كي أساعدك؟؟ أعطني سببًا واحدًا ... واحدًا فقط كي لا نمزقك برصاصاتنا الآن"

فتح حازم خزانة مسدسه وتأمل ذخيرته الراقدة داخلها بلا حراك قبل أن يقول بهدوء: "أمامي ها هنا ستة أسباب"

أغلق خزانته وحرر زر الأمان قائلًا: "انظر، وجدت سببًا سابعًا"

شد أجزاء مسدسه ليضع إحدى الرصاصات متأهبة في رحم الفوهة وهو يقول: "خمن ماذا حدث؟؟، لقد وجدت سببًا ثامنًا"

صمت للحظة يتابع نظرات السفير القلقة وتَحَفُّز حارساه وتَوَترا قبل أن يقول: "ولكنني غير مقتنع بأي سبب منهم، كلها أسباب واهية، أتعلم؟؟ أنا أثق بالسبب التاسع تمام الثقة"

أنهى جملته وهو يلامس زناد مسدسه بإصبعه فظهر التوتر على وجه السفير فقال بصوت حاول السيطرة عليه: "حسنًا حسنًا، لقد وضحت وجهة نظرك"

مد السفير يده في جيب حلته فتأهب حازم خلف مسدسه وهو يشير له أن يخرج يده ببطء، أخرج السفير يده ببطء وهي ممسكة بجهاز أسود اللون يشبه الهواتف المحمولة، انهمك بضع لحظات في ضغط بعض الأزرار قبل أن ينظر لحازم ويطالبه بالاسم الرباعي لزوجته، تلا عليه حازم اسم زوجته الرباعي قبل أن يعقد حاجبيه وهو يفكر هل بدل بين اسم جدها واسم جد جدها؟؟، هل كان محمد عبد الجليل أم عبد الجليل محمد؟؟

و في غمار حيرته تحرك الحارس المتحفز بسرعة فقبض على فوهة سلاحه الخاص و هو يطلق إحدى رصاصاته على حازم الذي تحرك في سرعة

ليتفاداها و هو يطلق رصاصتين استقرت إحداهما في كتفه بينما اخترقت الأخرى عنقه ليسقط صريعًا رفع السفير يديه للأعلى بينما تحرك الحارس الآخر ليحميه قبل أن يعالجه حازم برصاصة غادرة في جبهته. وقف السفير يرتجف كالطائر الصغير الذي يفتقد أمه في ليلة ظلماء قبل أن يلاحظ حازم يجلس على أريكة ما دون أن يخفض سلاحه. شعر حازم بشيء ما يحدث، عضلاته تتصلب و جسده يتشنج بعنف. آلمه جسده للحظات و لكن الألم ضاع بين غياهب النشوة التي شعر بها. شعر كما لو أن هناك شذي يتسلل من مخه ليتسرب لكامل جسده. يحتل كل خلية في جسده مُحِيِلًا إياها لقشعريرة لذة منفصلة عن شقيقاتها. شعر كما لو أنه يجرب نوعًا جديدًا من المخدرات.امتلأت جبهته بالعرق البارد و أطلق آهة عميقة قبل أن يعتدل و عينيه تلتمعان في قوة خالصة. كما لو كان أمسك سلكًا كهربائيًا عاريًا و لكنه صعق بالبهجة و النشوة. شعر بالذكريات تتسلل لتملأ عقله و الأحاسيس تتسلل إلى قلبه لتختبئ خلف أحاسيسه الشخصية. للمرة الأولي يشعر كما لو أن بداخله عدة أشخاص. جسده يحتوي على عدة ذاكرات . لقد صاد ذكرياتهما و يشعر بهما بداخله. أغلق عينيه في نشوة بالغة و هو يشعر بالقوة النابعة عن كثرة عدد الذاكرات بجسده. ابتسم لاكتشافه نبع قوة لم يعرفه غيره. أو هكذا تخيل ..!

***

وقف حازم وهو يشعر بدغدغة كهربائية تنقش النشوة بداخله تتكرر كل بضع ثوان. رفع مسدسه مرة أخرى أمامه ومشى حتى وصل للسفير الذي يتأمل جثث حارسيه الملقاة أرضًا بفزع. وضع فوهة المسدس على جبهته. شعر السفير بالفزع فتراجع عدة خطوات أمام نظرة حازم الثاقبة وابتسامته الساخرة

وبحركة سريعة أمسك جسد جون المختبئ بداخله سكارليت التي شلها الخوف وأربكها الفزع، اختفى خلف الجسد وحاول أن ينسحب ببطء لكن حازم أوقفه بتساؤل صارم: "الآن تستخدم هذا الجسد كدرع بشري بينما منذ لحظات كنت على أتم استعداد لتقتلني دفاعًا عنه"

خرجت الإجابة من بين شفتي السفير مصبوغة بلون الخوف: "أنت ... أنت لا تفهم شيئًا"

"إذن أريد أن أفهم ... واحرص جيدًا على أن ينتحي خبثك جانبًا لأنني جربتك من قبل فوجدتك تحرص على إظهار بعض الأمور وإخفاء أمور أخرى لخدمة مصلحتك أنت ومن يرأسوك"

تقدم السفير من خلف الجسد الذي قادته سكارليت ليلتصق بالحائط في خوف باحثًا عن أي ذرة أمان تدفئ قلبه المرتعب، تحدث السفير بصوت خافت يغلب عليه الخوف: "صدقني يا حازم لم أُخفِ عليك شيئًا عن عمد ولكني أخشى عليه من جراء لعبتك الخطرة، أخفض فوهة مسدسك ودعني أفسر لك "

ظهرت الشراسة على كلمات حازم المنتشي بلذة الصيد: "تفسر لي؟؟ ولماذا لم تفسر لي منذ البداية؟"

"هناك أشياء عدم معرفتها نعمة من الله "

"كل المعرفة نعمة"

"كل المعرفة نقمة يا صديقي وأي نقمة، صدقني أن تعرف قليلًا يسعد قلبك ويعطيك أملًا حتى لو زائفًا خير من كل المعرفة التي تكسر القلوب وتصبغ النفوس بالسواد "

"حقًا أيها السفير؟؟. أترى الوقت مناسبًا لتلك المحاضرات المملة؟"

"صدقني أنت لا تعلم بواطن الأمور، وصدقني مرة أخرى أنت لا تريد أن تشترك في هذه اللعبة القبيحة ولا أن تدخل هذه العوالم القذرة"

تشنجت يد حازم الممسكة بالمسدس و ظهرت عروقها و بدا على وجهه أنه يصارع نفسه على اتخاذ قرار مهم، قرر السفير استغلال الأمر. سحقًا لجون و سحقًا لكل شيء في سبيل عدم كَشْفِ أيِّ شيء، يجب أن يحافظ على سرية الأمر بأكمله، مد يده ليمسك بجسد جون و بحركة دفع جسد جون بغتة ليصطدم بجسد حازم الذي ضغطت يده تلقائيًا على الزناد لتخرج لرصاصة طائشة لتصيب الحائط فوق رأس السفير الذي تجمد لوهلة يراقب الجسدين يسقطان أرضًا قبل أن يهرب و هو يصرخ بشيءٍ ما في جهاز إرسال يحمله، وقف حازم و خرج يعدو في طرقات البيت قبل أن يهبط السلم بسرعة و يخرج للشارع ليرى السيارة السوداء تخرج من الشارع بسرعة كبيرة،ابتسم بسخرية قبل أن يقول : "لنا لقاء قريب يا سعادة السفير"

صعد حازم درجات السلم بسرعة قبل أن يقف على أخر سلمة و هو يبتسم و يراقب الجسد الذي وقف بتوتر أمامه كمن وقع في المصيدة، تأمل ارتباك سكارليت بجسد جون و الخوف الذي يلمع في عينيها، للمرة الأولي يفهم جملة (يتغذى على خوفه) التي يقرأها في العديد من الروايات، كلما شعرت سكارليت بالخوف شعر بالثقة تدب في أوصاله و القوة تجري في عروقه، تقدم لتتراجع سكارليت حتى وقفت على باب الشقة، تأمل جسد جون الذي سكنه من قبل، دخل إلى الشقة و أمامه جون يرفع يديه عاليًا باستسلام، تنفس حازم بعمق قبل أن يقول لجون بلهجة المعتذر: "آسف، لا مفر مما سأفعل"

أنهى كلماته برصاصة انتزعت الحياة من جسد جون ليشعر حازم بنشوة صيد الذكريات بداخله مرة أخري. تهاوى جسد حازم على الأريكة مرة أخرى يتجرع لذة الصيد غير عابئ بالأجساد الثلاثة التي تفترش الأرض أو بنهر الدماء الصغير الذي يمر عبر شقته وغير واعٍ بأنه في مكانٍ آخر قد ظهرت علامة مضيئة صغيرة على خريطة في أحد المقرات السرية للمنظمة. رفع موظف مسؤول عن متابعة مستجدات الخرائط سماعة الهاتف وبمجرد أن سمع رد الطرف الآخر قال جملة مكونة من ثلاث كلمات

"لدينا صائد آخر"

تعلقت النظرات كلها بشينزو وصمت الجميع وهم يراقبونه في انتظار أول قراراته والذي سيمثل جزء كبير من مدي تقبل الجميع لرأيه. هذا القرار الذي سيحمل بين كلماته احترام شينزو لدي الجميع أو عدم تقبله كقائد ولأن شينزو يعرف جيدًا مدي حساسية كلماته التالية فقد صمت قليلًا تاركًا أفكاره تنضج قليلًا قبل إطلاق سراحها على شكل كلمات ستطير من بين شفتيه إلى آذان المستمعين. تلك الكلمات هي ما ستترك في قلوبهم الاطمئنان أو ستزرع فيها أشواك الخوف لذا تعلقت به الأبصار منتظرة قراره

الفكرة السائدة كانت ألا يخرجوا ولكنه بهذه السلبية يدمر أولى جسور الثقة التي بُنيت بينه وبين قلوب الجمع الذي يتطلع إليه. خرج شينزو بجسده المترهل ليقف أمام باب السفارة دون أن يهبط درجات السلم. أدار عينيه ليراقب ما حول السفارة ولكنه لم ير شيئًا. شكل الظلام عائقًا يجبعلى شينزو التغلب عليه قبل التوصل لقرار. مط شفتيه وهز كتفيه وهو يدخل لِيُطَمْئِنَ قلوبهم الوجلة: "حسنًا. يبدو أنها تعثرت أو شيءٍ كهذا لأنه لا أثر لمخلوق بالخارج. سنعود لاستكمـ..."

صرخة أخرى جمدت الكلمات على لسانه قبل أن تجمد الدماء في عروقهم جميعًا و لكن هذه المرة كانت الصرخة تحمل آيات العذاب و قسمات الفزع. لم يكن هناك مفر من المواجهة هذه المرة. رفع عينيه ليبحث عن المسؤول بالسفارة فوجده يقف و علامات الوجوم على وجهه. هز رأسه بإشارة فهمها شينزو قبل أن يرحل بهدوء كما ظهر بهدوء. تماسك شينزو و

هو يلتفت ليواجه المجموعة التي عُرفت منذ قليل بكتيبة المحاربين. علامات التلهف على وجوههم كانت تعكس الكثير مما يعتمل في نفوسهم و بإشارة من يده انقسموا قسمين قام هو بقيادة قسم منهم و تولي فريد بإشارة أخرى منه قيادة القسم الآخر، ليس ثقة منه في فريد كما كان يقول و لكنه لأنه في هذه اللحظة تحديدًا لا يعرف غيره،، بلل فريد شفتيه الجافتين بطرف لسانه في محاولة لطرد التوتر و هو يقف أمام مجموعته ينظر لهم، أربعة أشخاص، رجلان و شاب و فتاة شابة. لقد حصل على الفتاة الوحيدة في المجموعة. دعا الله في سره أن تكون فأل حسن على مجموعته و ألا تكن نقطة ضعف فيها. تحرك شينزو بمجموعته قبل أن يلفت نظره صفارة حادة، التفت ليجد أحد رجال الأمن يلقي له ببندقيته، أمسكها شينزو و هو يطمأن من حشو رَحِمَهَا بالذخيرة قبل أن ينظر له نظرة تحمل الكثير من الامتنان و هو يتحرك ليخرج. و بنظرة تحمل المزيد من الاستنكار تلاقت عينا فريد و رجل الأمن. شعر رجل الأمن بالحرج فألقي له بمسدسه الشخصي الصغير، قلبه فريد بين يديه و كاد أن يعيده له مرة أخرى في يأس لولا أن أمسكه أحد الرجلين و بحركات سريعة اطمأن لها قلب فريد تبين منها أنه محترف فيما يتعلق بالسلاح، خرج شينزو بمجموعته ليتجه ناحية اليسار قبل أن يشير لفريد أنه المسؤول عن جهة اليمين. هز رأسه بتوتر و هو يراقب شينزو يختفي في أحضان الظلام، تقدم الرجل الذي يحمل المسدس المجموعة بينما أشار فريد للآخر أن يظل في مؤخرة المجموعة و تولي هو الميمنة مع إشارة للشاب أن يتولى الميسرة ليحيطوا بالفتاة و يحكموا سيطرتهم و حمايتهم لها. بقلب يرتجف و ملامح تحمل ثقة زائفة.اتجه يمينًا ليسمح للظلام أن يبسط سيطرته على مجال رؤيته. لحظات و هو يكافح بعينيه في الظلام قبل أن يشعل الشاب قداحته لتبدد الظلام و تسمح للضوء أن ينتشر مصحوبًا

بالأمان، مشوا قليلًا و المسدس و حامله يتقدمانهم، نقل بصره بقلق بين الأشياء الموجودة في محيط السفارة، كل شجرة و كل مجموعة حشائش و كل صندوق قمامة يبدو أنهم وُجِدُوا لكي يختبئ خلفهم الخوف منتظرًا أن يمس القلوب َفي لحظة غادرة، شعر بحركة بسيطة من خلف إحدى الشجيرات فأشار لحامل المسدس أن يتجه عن يمينها و يذهب هو عن يسارها، تحركا ببطء و حرص كي لا يَصْدُر عن أحدهما صوتًا ينبه المجهول لقدومهما، أشار للشاب أن يغلق القداحة قبل أن يهجم بحركة سريعة ليمسك بجسدًا صلبًا شهق في عنف، صرخ بحامل القداحة أن يشعلها. دنس ضوء القداحة المرتعش قدس الظلام، رأي فريد ما أمسكا به و لكن القداحة سقطت من يدي الشاب في غمرة ارتجافه و هو يتراجع بينما ندت عن فريد صرخة قصيرة حاول أن يعترضها و لكنه فشل، كان شبح إنسان و لكنه ليس بشريًا، هذا الشيء ليس بشريًا على الإطلاق، في اللحظات القليلة التي سطع فيها ضوء القداحة رأي فريد جسدًا يغلب عليه اللون الرمادي الباهت يشبه تكوينه الخارجي تكوين الإنسان، تتناثر في رأسه الكبير بضعة شعيرات تكاد تعد طويلة و لكن قلتها مع كبر حجم الرأس يعطوك انطباعًا أنك تراقب شيطانًا فقد شعره، أحدب، طويل القامة و قصير القدمين، له عينان بلا حدقات ينبعث منهما الشر لِيُرْجِفَ أشجع القلوب بينما وجهه ملطخ بأوساخ لا يعرف كنهها، ضلوعه تخترق لحمه لترسم لوحة مرعبة على صدره بينما غطي عورته بقطعة قماش بالٍ تكشف أكثر مما تستر، حاول هذا المسخ أن يتحرك بعنف و لكن فريد أحكم قبضته عليه، سمع الجميع في الظلام صوت زمجرة و لم يعرف أَيُّهُم من أيهما يخرج، لم يضيع المزيد من الوقت، صرخ برجاله بلغة إنجليزية أن يقتربوا، شعر بحركتهم في الظلام و حاول أن يدلهم على مكانه كي يساعدوه و لكنه قبل أن يفتح فمه شعر بشيء صلب يصطدم بمؤخرة رأسه بشكل

يدل على عدم دقة التصويب و أن ضاربه يضرب بيديه عشوائيًا في الظلام، شعر بدوار يغتصب تركيزه و لكنه صمم ألا يفلت المسخ الذي يخور بين يديه و ينتفض بقوة كبيرة، شعر بيد أخرى تساعده في الإمساك به قبل أن تصيب ضربة طائشة أخرى رأس المسخ ليتهاوي على صدره بحركة تدل على فقدانه للوعي أو للحياة، بحث صاحب القداحة عنها أرضًا بسرعة قبل أن يجدها لينير بها المكان ليجدوا الفتاة ممسكة بصخرة مدببة ملطخة بدماء المسخ الذي شُجَّتْ رأسه بقوة بينما الدماء تغطي مؤخرة رأس فريد بقوة، و في الظلام وَجَّهَ نظرة نارية للفتاة التي ارتبكت و تركت الحجر يسقط أرضًا، ساعد الرجلان فريد بأن حملا المسخ من بين يديه بينما خلع الفتي صاحب القداحة القميص الذي يرتديه و حاول كتم شلال الدماء المتفجر من رأس فريد الذي تقدم الجمع و هو يحكم قبضته على القميص الذي امتلأ بالدماء، دخلوا إلى السفارة و هم يحملوه ليسمعوا شهقات و صرخات تَعَجُّب تولد من بين ألسنة مشدوهة و شفاه ذاهلة، وقفوا و هم يلقون بجسد المسخ أرضًا أمام الجميع و فريد يقول و هو يعض شفتيه مقاومًا ألمه : "يبدو أن هذا مصدر الزئير"

سمع صوت شينزو من خلفه وهو يقول: "وللأسف يبدو أن هذا مصدر الصراخ"

نظر لشينزو متأملًا ما بين يديه لوهلة قبل أن تتقافز شياطين الدهشة أمام عينيه بقوة

***

كان شينزو يمسك بين يديه بقطع ممزقة من القماش التي لا ترقي للقب ثوب، تملأها الثقوب و تصبغها الدماء بحمرة مخيفة،اقترب فريد من شينزو و هو يتأمل الرداء الممزق، بنظرة بسيطة و بدون الحاجة لأطباء شرعيين ستعرف جيدًا أن صاحبة هذا الثوب لم تعد على قيد الحياة، من المستحيل أن يتعرض الثوب لكل هذه الثقوب و التشققات و يمتلئ بتلك الكمية من الدماء دون أن تتوفي الفتاة التي ترتديه و إلا كنا في أحد الأساطير التي لا تُصدق، ضغط فريد القميص على مؤخرة رأسه بقوة و هو يأن لينتبه شينزو للمرة الأولي للدماء التي تغطي مؤخرة رأسه و تملأ قميصه و بنظرة حائرة بعث بسؤال رده فريد بنظرة مطمئنة، ندت حركة خافتة عن المسخ المُلقَى أرضًا، شيء يشبه الارتجافة البسيطة و لكنها تركت أثرًا ضخمًا داخل القلوب، الكل توجس و تأهب إلا فريد الذي ترك القميص الممتلئ بالدماء يسقط أرضًا و هو يخطو تجاه المسخ ليقف خلفه قبل أن يبدأ في ركل مؤخرة رأسه بقوة، بعد ثلاث أو أربع ركلات انتبه شينزو إلى أنه لا يستطيع السيطرة على نفسه فأمسك بذراعه ليجذبه بعيدًا، نظر فريد نظرة أخيرة للمسخ الذي عاد لسباته مرة أخرى قبل أن يترك ذراع شينزو تقوده، لحظات و كانا بمفردهما، لاحظ فريد القلق و الخوف في عينا شينزو فتمالك أعصابه و هو يسأله : "ما الأمر؟"

نظر شينزو للأرض وهو يجيب: "في الحقيقة أنا لم أجد الرداء فقط، وجدت شيئًا آخرًا لم يراه سواي"

تطلع فريد إليه للحظة غلبه فيها فضوله و قبل أن يسأل مد شينزو يده إلى جيبه ليخرج قطعة من الرداء ملفوفة حول شيء ما،انهمك في فكها قبل أن يضعها في يد فريد إلى تأملها، قطعة من كف امرأة عبارة عن إصبعين تربطهما قطعة من اللحم الذائب و لكن هذا لم يكن المفزع في

الأمر، المفزع كان في أحدي الأسنان الحادة التي تعلقت بقطعة اللحم. هذا هو الفيصل و ذاك هو الدليل. هذا المسخ هو من قتل تلك السيدة و مزقها بتلك الوحشية. فجأة و بدون مقدمات ترك فريد شينزو وحيدًا و أخفي قطعة اللحم و هو يتحرك ليصل إلى المسخ. فتح فمه أمام الجميع و فحص أسنانه وسط الأعين التي تراقبه بدهشة قبل أن يعود لشينزو ليخبره أن فكه سليم و بلا أي أسنان ناقصة. ظهر القلق في أعين شينزو و هو يسأله : "هل تعلم ماذا يعني هذا الأمر؟"

ودون أن ينظر له فريد أجاب بصوت مرتجف: "هناك آخرون"

أجابه شينزو : "حسنًا لا تخبر الآخرين بما رأيت. أنا لم أخبر أي شخص. أريد أن أعود أولًا للمسؤول لأستشيره، بمجرد أن تحرك شينزو ليستعيد القطعة من بين أيدي فريد سمعا صوت صرخات حادة.التفتاالإثنان بعنف ليراقبا ما يحدث، استيقظ المسخ ليقبض على طفل صغير بين أسنانه. سالت الدماء فوق ذراع الطفل الذي يعضه المسخ بينما يتقافز فوق السلالم ليهرب بفريسته بعيدًا عن الناس، أغلب الناس قد التصقوا بالحوائط و الممرات خوفًا منه و صمت الجميع تمامًا و لو استطاع بعضهم أن يمتنع عن التنفس لفعلها. الخوف هو الحاكم و القلوب رعية مخلصة لا تناقش و لا تجادل و إنما تسجد رعبًا تحت أقدامه. تحرك شينزو و فريد بسرعة دون تفكير و صعد كلًا منهما من سلم و هذا يعني أن أحدهما سيواجهه و الآخر سيكون خلفه. من الأفضل الآن أن يواجهه فريد لأنه أعزل بينما سيستطيع شينزو أن يعالجه برصاصة تستقر في رأسه من خلفه دون أن يدري به. في البداية كانت صرخة شينزو العالية هي أول ما لفت نظر المسخ و أثار غضبه ففتح فاه ليزأر بقوة. سقط الطفل أرضًا و هو يمسك ذراعه و يتأمل الدماء بفزع يزيده فزعًا فيبكي

بقوة، أشار له فريد أن يزحف بعيدًا فبدأ التحرك ببطء و هو ينظر للمسخ بخوف، تأمله المسخ للحظة قبل أن يقرر أنه لا مجال للجوع الآن، الأولوية للانتقام من هذا البشري الغبي الذي يتحداه.اقترب من شينزو ببطء و تأمل خوفه و تراجعه فاقترب و هو يزأر بعنف و لعابه يسيل بطريقة مرعبة، حمل فريد مزهرية صغيرة و أمسكها جيدًا و هو يعدو قبل أن يقفز في الهواء و هو يصرخ ليضرب بها المسخ الذي التفت في سرعة و هو يلطم فريد الذي طار في الهواء لوهلة قبل أن يصطدم بالحائط و يسقط أرضًا تاركًا خيطًا من الدماء التي سالت من جرح رأسه الذي فُتِحَ من جديد.التفت المسخ ليواجه شينزو الذي رفع أمامه بندقيته مهددًا برصاصاتها.ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي المسخ الغليظتين و هو يمسك فوهة المسدس و يثنها للأعلى قبل أن يمسكها و يجذبها من بين يدي شينزو و يلقيها بعيدًا و هو يزأر في وجهه بقوة انخلع لها قلبه، تساءل فريد في سقطته عن سر هذه القوة التي امتلكها فجأة المسخ، يبدو أن حظهم حسنًا فقد واجهوه متسلحين بسلاح المفاجأة في المرة الأولي، تسلل فريد ببطء و هو يضع الطفل خلف ظهره ليحميه و هو يشير له بالصمت كي لا ينتبه المسخ لهم، تراجع شينزو إلى أن شعر بالحائط يعيق تراجعه فالتصق به بعنف و هو ينظر لفريد خلسه كي يتحرك، اقترب المسخ منه و رأي شينزو ابتسامة شر تتلاعب في عينيه، فتح فمه و زأر و هو يقترب منه لدرجة أن شينزو اشتم رائحة فمه الكريهة فأغلق عينيه و هو يدير وجهه للجهة الأخرى، سمع فريد همس باسمه فتحرك ببطء ليجد الشخص الذي يحمل المسدس يقذفه له بعنف، من سوء حظه أن شينزو نظر له في تلك اللحظة فرآه المسخ، تأمل المسخ ما يحدث قبل أن يفهم ما يحدث، تحرك بسرعة قبل أن يلتقط فريد المسدس، رأي المسخ يقترب منه فقرر أن يركله ليعيد تصويبه تجاه شينزو، سقط المسدس بجوار شينزو قبل

أن يسقط المسخ فوق فريد و يتدحرجا معًا لوهلة قبل أن يسيطر المسخ على الأمر و هو يضغط على رقبة فريد الذي ازرق وجهه و هو يجاهد من أجل جرعة هواء قبل أن يسمع الجميع صوت رصاصة. لحظات و سقط المسخ فوق جسد فريد الذي استغل الفرصة ليتحرك بعيدًا عنه و هو يشهق بعنف طالبًا المزيد من الهواء. نظر فريد لشينزو نظرة تحمل الكثير من الشكر قبل أن يلاحظ بقلق أن شينزو يعاني. في البداية اعتقد أنه أصيب أثناء هذا الصراع و لكنه سرعان ما وجد شينزو يضع يديه على عنقه و عينيه تدوران في محجريهما كأنه يبحث عن الهواء. عروق رقبته برزت و هو يتشنج بعنف بالغ. سقط أرضًا و جسده يرتجف بعنف بالغ. صرخ شينزو بعنف قبل أن يبصق دمًا و هو يغلق عينيه و يهدأ تمامًا.اقترب فريد منه و ركع بجواره و هو يطمأن عليه قبل أن يقفز شينزو فجأة و هو يزأر ليتأمل فريد ملامحه بدهشة لا تُصدق

(8)

نظر لانعكاسه في مرآة المصعد وهو يتأمل حلته رمادية اللون ومدى تناسقها مع عينيه الرماديتين وشعره الأسود للحظة قبل أن يضبط كمي قميصه ويعيد ضبط رابطة عنقه، فُتح الباب فخرج ليَجول بنظره في بعض الأشخاص الواقفين في صمت انتظارًا للمصعد إلا أنه لم يعرف أي شخص فيهم. تجاوزهم بخطوات سريعة وهو يقطع الممر تجاه وجهته، وقف أمام الباب المغلق وهو يلتقط أنفاسه ويحاول كبح جماح وحش توتره.

تنفس بعمق. يعلم جيدًا أهمية و خطورة المهمة الملقاة على عاتقه، في أقل من ثلاث ساعات ظهر على خريطة العالم آثار لثلاثة صائدين و يجب عليهم أن يقوموا بعمل اللازم قبل أن يتوحش أي صائد، طرق الباب ثم توقف ليلتقط أنفاسه و هو ينتظر الإشارة التي ستأتيه لتأمره بالدخول، تعلقت عيناه بالمصباح الصغير المعلق في إطار الباب و الذي يلتمع باللون الأحمر. لحظات ثقيلة مرت زاد فيها توتره قبل أن تتحول إضاءته للون الأخضر. سمع تكة مميزة صدرت عن قفل الباب، دلف إلى الغرفة بهدوء و هو يتنفس بعمق. أغلق الباب خلفه و وقف لحظة ينتظر أي إشارة أخرى لكي يستطيع التصرف كما تَعَلَّم. أثناء وقوفه ظل يتأمل الغرفة. جدرانها المصمتة التي لا تحوي أي نوافذ أو فتحات سوى الحائط الأخير الذي يحتضن باب الدخول. تتمركز طاولة ضخمة في منتصف الغرفة و يتجمع حولها أربعة كراسي وثيرة.اثنان جهة اليمين و آخران جهة اليسار، بينما كرسي خشبي غير مريح يواجه الشاشة الضخمة الموضوعة على المنضدة

في مواجهة الباب، جلس على الكرسي الخشبي و طفق ينتظر لوهلة قبل أن تُفتح الشاشة ليطل عليه سلويت لشخص ما أسود اللون بلا ملامح، و بصوت معدني تحدث الرجل : "مرحبًا بك يا رمزي"

"مرحبًا يا سيدي "

تابع الشخص الاخر حديثه الجاد بصوته المعدني المنبعث من الشاشة: "أرجو أن يكون الأمر مهمًا، أنت تعلم أن هذا الاتصال يجب أن يتم في أضيق الحدود "

"أعتذر يا سيدي ولكن الأمر لم يحتمل الانتظار"

" ما الأمر الطارئ؟"

"ظهر ثلاث صائدين خلال أقل من ثلاث ساعات وفي أماكن مختلفة من العالم "

"مصري وإسباني ونيوزيلاندي، أليس كذلك؟"

"أجل يا سيدي ولكن ...."

قاطعه الصوت المعدني وقد شابته لمحة من الغضب: "لكن ماذا؟؟، من المستحيل أن تكون زيارتك للاستعلام عن الخطوات اللازمة للقيام بالعمل !!، أنتم مدربين على أكمل وجه ومنذ عدة سنوات لكي تستطيعوا مجابهة أي طارئ يحدث، أليس كذلك؟"

ظهر الارتباك على وجه رمزي فحاول أن يستدرك نفسه: "نعم ولكن ..."

للمرة الثانية يقاطعه الصوت بغضب: "هل شعرت بالفزع !، رمزي يا صغيري، لا مانع من اعترافك بالشعور بالفزع، لهذا وجد الدعم وفرق السيطرة"

"حسنًا لم أشعر بالفزع ولكن ...."

بصرامة وحدة سأله الصوت: " لماذا أتيت وطلبت هذا الاجتماع الطارئ؟"

نظر رمزي للملف الذي يمسكه بيده وهو يقول: "الأمر ليس بخصوص الصائدين"

"بالطبع ليس بخصوص الصائدين، أعلم أن هناك ثلاث فرق تحركت بالفعل للقيام بالمُتعارف عليه ... ما الأمر؟"

تنحنح رمزي وبدا الارتباك جليًا ليعبث بهدوئه ويبدو أن رئيسه قد شعر بالملل فقرر مبادرته بالسؤال: "هل الأمر بخصوص الهمج؟"

"بالعكس يا سيدي، اتفاقاتنا مع رؤساء الهمج سارية ونمدهم بكل ما يحتاجونه من سلاح ودعم لكي يستمروا في فرض الفوضى حول العالم، الفوضى التي تمكننا من تمرير آلاف وآلاف الأمور من تحت الأنوف بينما البشر منهمكين في متابعة أخبار الهمج وقلوبهم تنخلع منهم رعبًا"

"هل خرجوا عن السيطرة؟"

"بالعكس تمامًا. قيادات الهمج لا يهمهم أن يستقر الأمر أو أن يشتعل العالم بنيران الدم والفساد طالما حساباتهم في البنوك تزداد وتسمن وطالما ندفع فاطمئن لأننا نملك زمام السيطرة"

"والمسوخ؟"

"كما تعلم فالمسوخ نستطيع السيطرة عليها ونتحكم بهم. نقوم بتخديرهم ونقلهم للمكان الذي نريد أن نسيطر عليه بسلاح الخوف، وأنت تعلم فكلما زاد خوف الإنسان كلما زادت قابليته لتصديق أي شخص يحمل راية الأمان أو على الأقل مجرد كلمات ووعود عن الأمل"

"ورجالنا؟؟ هل هناك مشاكل تواجههم؟"

"رجالنا في أماكنهم ويقومون بالخطة المرسومة لهم تمامًا وكلما انتهى أحدهم من دوره رحل وترك مكانه لشخص جديد ليستكمل رحلته ولكن بسياسات جديدة وروح جديدة، الأمر ليس له علاقة بكل هؤلاء"

"إذن ما الأمر، أنت تعلم أن وقتي ضيق للغاية ولا يحتمل كل هذا الإهدار"

"سيدي الأمر بخصوصي أنا "

"هل تريد أن تترك عملك هنا؟"

"بالطبع لا يا سيدي وهذا لسببين مهمين، الأول أن من يترك عمله هنا لا يجد عملًا آخرًا سوى في الجحيم، أعلم هذا جيدًا كما أعلم أنني لن أعيش لأخرج من باب تلك الغرفة إن قررت أن أترك عملي"

"والسبب الآخر "

"أنني أستمتع بهذا الأمر، كم شخص حول العالم يتاح له القيام بدور المسيطر؟"

ضحك الرئيس ضحكة جافة وهو يسأله: "إذن ماذا تريد؟"

ظهرت الجدية على ملامح رمزي وهو يفتح الملف الموضوع أمامه على المنضدة وهو يقول: "أريد أن أكون على رأس العملية الميدانية المتوجهة لأحد هؤلاء الصائدين"

صمت مديره للحظة وهو يقول: "ولكنك لست من هواة العمل الميداني !، عمومًا لن أعارضك. لك ما تُريد"

"أشكرك يا سيدي وأعتذر عن إضاعة وقتك"

أنهى رمزي كلماته وهو يقف ليحيي رئيسه قبل أن يُهندم زيه قليلًا وهو يستعد للخروج، أُغلقت الشاشة ليعم الهدوء بينما رمزي مستمر في تأمل الصورتين الراقدتين أمامه في الملف قبل أن يختار صورة ويقبض عليها بعنف وهو يلقيها أرضًا بغضب بالغ، صورة حازم!

تأمل فريد وجه شينزو الذي تتبدل ملامحه بقوة. شعر كما لو أن هناك شخصان تحت هذا الجِلد وكلاهما يصارع الآخر على أحقيته في الحصول على هذا الجسد، كلاهما يسعي لاحتلال هذا القالب البشري، بدا شينزو كما لو كان يختنق، ظهرت عروق رقبته جلية بينما كادت الأعصاب تتقافز من ساعده وهي تنبض بعنف تحت جلده.

تبدلت ملامحه و كأن وجهه مكون من صلصال و يتبدل بسرعة بأيد نحات بارع يعيد قولبته وهلة ليشبه المسخ و يحسن خلقته مرة أخرى ليعيد ملامح شينزو بينما تتيه ملامحهما في بعضها البعض لأوقات كثيرة. سقط شينزو على ركبتيه مرة أخرى و هو يصرخ بقوة، هذه المرة صرخته جاءت من حنجرة بشرية محملة بالألم، تداعي جسده و بدا لوهلة كما لو أنه سيسقط أرضًا، حاول فريد التحرك لنجدته و لكن قبل أن يتحرك فريد كان شينزو قد ارتكز على ركبتيه بينما قبضتيه حملتا جسده و منعتاه من السقوط، كان يلهث بعنف و قوة و العرق البارد يسيل على وجهه بغزارة، وقف و هو يتعلق في ملابس فريد، مد فريد يديه ليعينه و عندما وقف شينزو بشكل صحيح تحدث بصوت خافت : "فريد، هذا الوغـ ... هذا الوغد قوي"

تساءل فريد والحيرة تنهش روحه قلقًا على زميله: "ما الذي يحدث؟؟ "

"ذكريات هذا المسخ تتعامل مع جسدي بعنف، تريد أن تحتل جسدي"

"تحتل جسدك!"

"أصارعه بكل ما استطعت من قوة ولكن في أي لحظة ضعف قد يحاول مرة أخرى وبصراحة ربما يتسلل لي في وقت ما أكون مشغولًا أو نائمًا"

هز فريد رأسه ليطمئنه و لكنه لم يفهم معني جملته (تريد أن تحتل جسدي)، ما الذي يقصده باحتلال الجسد و كيف انتقلت ذكريات هذا المسخ إلى جسد شينزو ؟، هل لعالم هؤلاء المسوخ قوانين خاصة أم أنها قوانين جديدة ظهرت بعد تلك الظاهرة !!، ترك أفكاره جانبًا و هو يتجول بنظره على الجمع المحتشد بالأسفل يتابع النقاش الجارى بينما جسد المسخ يرقد أرضًا بلا حراك، الطفل ينتحي أحد الأركان و يبكي خوفه، استجمع شينزو قواه ليخلق ابتسامة أمل مرهقة ظهرت على ملامحه و هو ينظر للمجتمعين بالأسفل يبحث عن طمأنتهم، عاد بعض الموظفين لمتابعة أعمالهم و بدأت تجهيز هذا الجمع للسفر بحثًا عن أجسادهم، فُتح الباب فجأة ليظهر على عتبة الموظف الذي تابع شينزو بنظراته دون أن ينبس ببنت شفة، ترك الباب مفتوحًا و غاب في الظلام و بدون أي كلمة تبعه شينزو بهدوء و هو يغلق الباب خلفه، لم يدرِ فريد ماذا يفعل فشغل نفسه في العد، هناك حوالي تسعة و ستون امرأة، أربعة و عشرون فتاة شابة، درجات السلم مائة و ثلاثون، دقائق ثقيلة مرت كضيف ثقيل على قلب فريد قبل أن يخرج شينزو من الباب و يغلقه خلفه و دون أي كلمة قبض على يد فريد بعنف و هو ينتحي به أحد الأركان، نظر له بدهشة و هو يسأله : "ما الأمر؟"

ظهر التصميم على ملامح شينزو وهو يقول: "لن أستكمل عملي كمحارب في كتيبة المحاربين"

دُهش فريد ورفع حاجبيه للأعلى وهو يسأله: "لماذا؟ ما الذي حدث بالداخل؟"

أجابه شينزو بنبرة واثقة: "هذه المسوخ قوية للغاية. لن يستطيع أي شخص القضاء عليها، تحتاج لإصرار ولقوة إرادة وإلا تحول قاتلها لمسخ بدوره وأعتقد أنك قد حضرت صراعي ضد أحدهم"

سأله فريد: "وكتيبة المحاربين؟؟ "

"تناقشت مع المسؤولين وقررت تركها أمانة بين يديك، عليك أن تعدني أن تتولي محاربة هذا الخلل العالمي وأن تساعد كل مرء في الحياة أن يسترد جسده أو ذكرياته أو حتى محبوبه "

أجابه فريد والدهشة تزحف على ملامحه: "ولكن ... ولكنني أخبرتك أنني سأعود إلى مصر في رحلة بحث عن حازم صديق عمري، أعلم جيدًا أنه يحتاجني، وأيضًا هل سأحتاج للانضمام للمؤسسة؟؟"

"المنظمة يا فريد، ولا لن تنضم لهم، سأكون أنا المسؤول عن الوساطة بينكم، وما المانع أن تساعد صديقك وتكون قائدًا لكتيبة المحاربين حول العالم في نفس الوقت؟"

" تقصد أنني أستطيع القيام بالأمرين معًا؟؟ "

"وما المانع؟؟، بالعكس سيساعدك المحاربين في مهمتك ويكونون خير سند لك بدلًا من أن تبحث بمفردك"

فكر فريد للحظة في العرض لكنه لم يستطع أن يتخذ قرارًا نهائيًا لأن شينزو سرعان ما تبدلت ملامحه مرة أخرى وهو يسقط أرضًا ويمسك رقبته بشدة وكأنه يختنق، ملامح وجهه تشع بالحزن الدفين، يديه تقبضان على عنقه وكأنه يحمل الحياة لهما، بدأت شفتاه تزرقان وبدأت الحياة تهرب من جسده، نبضة الحياة تركت قلبه وحيدًا وهمت أن ترحل

بعيدًا لولا أن أسرع فريد وهو يبعد يديه عن عنقه ويصارعه، شهق شينزو بعنف وكأنه يغرق في بحار من هم ويأس، وقف مرة أخرى وهو يشكر فريد. سأله فريد بحيرة: "ما الذي حدث؟؟ "

"لقد حاول الوغد ثانيةً ولكنني كنت أقوي منه فقرر أن يوجه طاقاته صوب أمرٍ جديد"

ظهرت الدهشة على وجه فريد بينما استكمل شينزو حديثه : "علم اللعين أنني قوي و أستطيع مقاومته فقرر أن يهاجم هذه المرة على محورين و ليس على محور واحد، بدأ هجومه بأن بحث في ثنايا روحي عن أكثر ما يحزنني، شعرت كأنني أشاهد فيلمًا حزينًا يدعو لذبول القلب و انطفاء الروح، رأيت يوم وفاة أمي و هي غاضبة عليّ، يومها كنت بعيدًا، أخبروني أنها على فراش الموت و تطلبني و لكن قسوتي لم تسمح لي بإعطائها فرصة أخيرة، رأيتني أهمل التعامل مع أبي، أبي الذي تحول لجثة على قيد الحياة بعد وفاتها و كأن روحاهما تعلقتا ببعضهما البعض، ذوى والدي و بدأ في الانعزال و كعادة أي ابن جاحد ترك الدنيا تسحبه من يده لتلقي به في سلسلة من المشاغل تركته بين يدي ممرضة لم ترعه بشكلٍ كافٍ فمات، مات ليتم يتمي في عالم لا يعرف الرحمة، شعور بانكسار الظهر هاجمني، شعور لن و لم أشعره -من قبل، أتدري حيث تكون مرتكزًا على حائط يسندك كي لا ينكسر ظهرك و فجأة بلا أي مقدمات يُكسر الحائط فهوي الأمان من تحتك،الأدهى أن تعلم أنه لا علاج لهذا الكسر، أتعرف عندما تتركك من ملكت روحك، حبيبتك الوحيدة، أتدري الشعور حيث تجف روحك كالصحراء الجرداء و أن تشقق شمس الهجر قلبك فيتفتت أمامك و أنت تعلم أن كسوره لا تلتئم، حين يصبح الكذب ضرورة يومية للحياة، أن تظل تخبر نفسك و الآخرين أنك بخير بينما أنت أبعد ما يكون عن

الخير. أن تظل تبتسم أمام الناس بينما بداخلك تقام مراسم العزاء لروحك التي ماتت بلا رجعة. أن تعيش للتنفس غصبًا عنك و أنت تتمنى كل يوم لو أن قلبك توقف فجأة. أن تشعر أن تعيش. فقط لأن الله قدر لك الحياة بينما أنت ميت وروحك ميتة بأيدي عباد الله. كل هذه الذكريات تقافزت بداخلي و قبل أن أفهم ما حدث وجدته يتحكم بيدي ليجعلني أختنق. كلما حاولت المقاومة ضخ إليَّ المزيد من الذكريات المحزنة الكئيبة. أشكرك يا صديقي لأنك أنقذتني"

هز فريد رأسه متفهمًا ولم يعلق على مَرْثِيَّةِ الوجع التي ألقاها شينزو والتي أحيت بداخله المزيد من الآلام، صمت شينزو للحظة قبل أن يقول لفريد: "عدني يا صديقي أن تصبح محاربًا"

صمت فريد لوهلة قبل أن يقول: "أعدك يا شينزو أن أستعيد جسدي وأقود كتيبة المحاربين "

هز شينزو رأسه: "لا تستطيع ... قُدر لك ألا تستعيد جسدك وسأحرص على ذلك حتى لو وصلت إليه قبلك "

"ماذا تعني؟"

"لكي تكون محاربًا يجب أن ترضي بالجسد المقدر لك. ألا تستعيد جسدك نهائيًا "

"سأستعيد جسدي"

"سأمنعك !!. سأمنعك حتى لو كان هذا آخر ما سأفعله!"

***

حدق فريد في وجه شينزو بأعين تحولت حدقتاها إلى علامات استفهام، حاول أن يستفسر منه عن كلمته الأخيرة إلا أن الدهشة ألجمت لسانه، لم يتوقع أن يهدده شينزو !!، ولكن لم لا؟؟

هو لا يعرف شينزو سوى منذ بضعة ساعات، اقترب من شينزو وهو يضع يده على كتفه ويحاول أن يبث موجات من الطمأنينة في صوته وهو يقول: "شينزو ... أريدك أن ترتاح لأن التوتر ليس جيدًا بعد ما واجهت "

تركه فريد وهَمَّ بالرحيل لولا أن شينزو استوقفه وهو يجذبه من كتفه ويديره بيدٍ جعلت من القوة شعارها، تأمل عينيه وهو يقول: "فريد ... من فضلك افهمني"

"شينزو ... الأمر مرفوض، لن أكمل حياتي بهذا الجسد بهدف الكفاح من أجل العالم "

"يا صديقي الأمر لا يحتمل غير هذا، ألا تقدم لعالمك تضحية صغيرة؟؟"

"شينزو .. أنت مواطن ياباني، تعلمت معاني لكلمات لا نعرفها في أوطاننا العربية، أتعلم ماذا يحدث حين تقدم شيئًا جيدًا لوطنك، حين تضحي من أجل بلدك، حين تتفاني من أجل تراب موطنك، تكرمك دولتك وتقدر لك ما فعلت أما في أوطاننا العربية فلا تلتفت لك دولتك لتكرمك ولا حتى بكلمة شكر بسيطة!"

ارتفع حاجبا شينزو وهو يترك كتف فريد: "إذا كنت تضحي من أجل كلمة شكر أو تقدير فلا تضحي، التضحية أساسها الارتقاء بوطنك، بعالمك، ببلدك وليس كلمات تكريم أو شكر "

احتج فريد: "ولكن كلمات الشكر لها عامل معنوي "

"وأيضًا رفعة عالمك وتطورك لها دافع معنوي أكبر. هل كلمة شكرًا سترضي غرورك أكثر من ارتقاء وطنك لسلم التطور وركب الحضارة؟؟ "

صمت فريد ولم يجد بين ثنايا روحه ردًا فنظر أرضًا بخجل بينما تابع شينزو: "لهذا تقدمت اليابان بعدما دُمرت تمامًا ولهذا تأخرتم رغم كل مقوماتكم التي تؤهلكم لتمتلكوا العالم. هل لك الآن أن تسمعني؟"

هز فريد رأسه وهو يرفع عينيه: "أمامك حلان. الأول ألا تتخلى عن هذا الجسد وأن تقود كتيبة المحاربين لكي تعيد كل مواطني العالم إلى أجسادهم. أن تهب حياتك وحياة كتيبة المحاربين لدعم المهاجرين من أجسادهم والتائهين عن ذكرياتهم ومساعدة حكومات العالم "

"والآخر؟؟ "

"أن تعود لجسدك وتقود كتيبة المحاربين بجسدك الشخصي لكن لن تكون كلمتك مؤثرة بنسبة كبيرة على تابعيك لأنك آثرت أن تستعيد جسدك وألا تقدم تضحيتك الشخصية من أجل علاج مشكلة عامة "

صمت فريد وهو يقارن بين الاحتمالان في ذهنه دارسًا إيجابيات وسلبيات كلًا منهما في ذهنه قبل أن ينظر إلى شينزو وهو يسأله: "هل ستدعمني في اختياري؟؟"

"يجب أن تعلم أولًا أن لكل اختيار تضحية يجب أن تقتنع بها "

"هل لي أن أعلمها أولًا؟؟ "

"بالطبع لا. أريد أن يكون اختيارك تابع لقناعتك الشخصية حتى تستطيع أن تتحمل قدر تضحيتك"

"إذن سأستعيد جسدي أولًا ومن ثم أقود كتيبة المحاربين"

"حسنًا، أتمنى أن تتحمل تبعيات اختيارك"

"ماذا تقصد؟"

ابتسم شينزو ابتسامة خفيفة وهو يستدير ليرحل، فتح الباب ووقف على الباب وقال دون أن ينظر لفريد: "فلتدعو الله أن تصل لجسدك قبلي"

(10)

أنهى حازم تنظيف شقته، مسح الأرضية من نهر الدماء الجارى فيها و وضع الثلاث جثث بلا نظام في غرفة داخلية و أحكم غلقها جيدًا. رتب بعض قطع الأثاث التي تحركت من مكانها قبل أن يجلس على أريكته و هو يغلق عينيه و يكاد يستسلم للنوم لولا أنه سمعهم، يبدو أن هناك من يصعد السلم ببطء و حرص لكن حذَر حازم جعل من تسللهم أمرًا سخيفًا. في نفس اللحظة التي اعتدل فيها سمع صوت الخطوات يتوقف أمام شقته. لم يسمع شيئًا آخر و لكنه تخيل بعض الملثمين بالخارج، أمسك مسدسه و أخرج خزينته و هو يتأمل الرصاصات الراقدة بداخلها قبل أن يدسه في حزامه ليلامس جسده و هو يخرج قميصه ليخفيه، أسرع يتناول إحدى السكاكين التي رقدت على منضدة قريبة، وقف بجوار الباب و هو يطمئن نفسه بأن الباب حينما سيُفتح سيخفيه عن أعين المهاجمين، أمسك سكينه جيدًا و قبل أن يستعد فوجئ بباب شقته ينهار ليسقط أرضًا، لم يتوقع عنف هذا الهجوم، توقع أن يعالجوا الباب ببطء لكي يُفتح لكن هذا التصرف ينبأه أنهم قرروا نقل الصراع إلى ساحة أخري، ساحة الدم و العنف. دلَفَ ملثم من الباب و وقف أمام الباب مما جعله أمام حازم، أسرع حازم ليستغل عنصر المفاجأة و يقبض على عنقه و يحيطه بيديه و هو يضع نصل السكين على رقبته، أدار جسده بقوة ليواجه باقي المعتدين و لكي يستخدمه كدرع بشري، نظر أمامه ليجد خمسة ملثمين آخرين. كلهم يرتدون ملابس سوداء ثقيلة مزودة بدروع واقية ضد الرصاص و من أسفلها ملابس سوداء تمامًا إلا أحدهم كان يرتدي قميصًا أبيض اللون

تحت درع حمايته، وَجَّهَ حازم الحديث له بقسوة و هو يقول : "هل تفضل أن ينقص عدد زملائك واحد أم أن تضعوا أسلحتكم أرضًا "

لو أن القناع اختفى لرأينا ابتسامة ساخرة تتلاعب على وجهه قبل أن يرفع مسدسه أمامه وبصوت مكتوم جراء كاتم الصوت الذي يزين فوهة مسدسه وجد حازم بقعة من الدماء الدافئة تسيل على يده وفتحة صغيرة في عنق درعه البشري تنزف بغزارة، لم يُلْقِي جسده وإنما حرص على جره أمامه برغم وزنه الثقيل حتى وصل إلى إحدى الأرائك، ألقي بالجثة وهو يقلب الأريكة ويختبئ خلف ظهرها بينما سمع صوت الشخص الآخر وهو يقول: "ما رأيك بهذا الخيار؟؟ "

صرخ حازم وهو يضع سكينه أرضًا ويستل مسدسه ويحاول الحفاظ على رباطة جأشه: "من أنتم؟"

لمعت عينا الملثم بابتسامة وهو يقول: "حقًا، هل معرفة قاتلك ستحدث فارق؟"

أجابه حازم بعصبية: "ربما معرفة قتيلي الرابع ستصيبني بحالة من الراحة النفسية "

سمع صوت محدثه يضحك فانعقد حاجباه بعنف لوهلة قبل أن يدرك شيئًا مهمًا، تنفس بعمق وهو يقول: "تتحدث العربية بطلاقة ولا توجد لكنة، أنت مصري"

سمع صوت هادئ يقول: "وأنت ذكي"

حاول أن يصعد ليلقي نظرة إلا أن رصاصة أصابت الحائط من فوقه أعادته إلى مكانه، كان يشعر كالفأر المحتجز في مصيدة وبرغم مسدسه

المعدني إلا أنه اشتم برودة الموت تحيط بالمكان، وقبل أن يقرر أن يصعد للمرة الثانية شعر بفوهة مسدس على مؤخرة رأسه وصوت ساخر يقتحم أذنيه: "ظننتك أذكى من هذا "

ترك مسدسه يسقط أرضًا وهو يقف قبل أن يسمع صوت رافض من لسان مهاجمه فتوقف، حادثه مهاجمه مرة أخرى: "أتدري ما الخطأ الذي يسقط فيه العديدون من ممثلي السينما؟؟، أنهم يتركون الأسلحة ملقاة أرضًا وبالتالي أثناء أيَّ صراع يسقط المجرم بجوار المسدس أو البطل في حالات أخرى وينتهي الأمر بثقب يزين رأس أحدهم، أترضي لي أن أحصل على مثل هذا الثقب؟"

لم يرد حازم وإنما التقط مسدسه وهم أن يستدير ليعطيه له إلا أن صوتًا رافضًا آخر عبارة عن طقطقة لسان أوقفه: "أريدك أن تضغط الزر الخاص بإسقاط خزانة مسدسك"

فعل حازم مثلما أُمر وترك الخزينة تسقط أرضًا بينما استكمل الآخر كلماته: "الآن من فضلك مرر لي تلك الخزانة بكعب قدمك"

بمجرد أن توقفت الخزينة تحت قدميه ركلها بقوة إلى أحد الملثمين الذي انتظر حتى وصلت إليه وهو يطأها بقوة لتتوقف وهو ينحني ليمسكها بينما أكمل المهاجم حديثه: "الآن أريدك أن تجذب ماسورة مسدسك كي تخرج الرصاصة الراقدة بداخله"

صوت الرصاصة المعدنية وهي تسقط أرضًا جعل نظرة رضا تظهر في عيني الملثم وهو يقول: "الآن التفت ببطء وأعطني المسدس ولا تفكر بحماقة كي لا أعاقبك على حماقتك برصاصة ثمينة"

نظر له حازم وهو يعطيه المسدس بينما رفع الملثم مسدسه ليقابل جبهة حازم وهو يقول له: "اركع"

سأله حازم بدهشة: "ماذا؟"

"اركع تحت قدميّ، ألا تعلم كيف تركع؟؟ "

سقط حازم على ركبتيه وهو ينكس رأسه أمام مهاجمه، لحظات صمت مرت قبل أن يرى قناع مهاجمه يسقط أرضًا، هذا يعني أن ملامح مهاجمه خرجت للنور إلا أن فوهة المسدس تمنعه من النظر للأعلى، شعر بالضيق يجتاح روحه ليس بسبب المسدس الذي يمنعه من النظر لأعلي وليس بسبب أن مهاجمه أجبره على الركوع ولكن بسبب الفضول، سمع صوت بلاستيكي وسمع مهاجمه يفسر: "هذا جهاز لا سلكي، أريدك أن تستمع إلى آخر الأخبار"

أنهى كلماته مع حازم قبل أن يكتسي صوته بالحزم وهو يتحدث بإنجليزية ممتازة: "الفريق أ والفريق ج، ما آخر المستجدات"

صوت شوشرة إلكترونية تبعه صوت شخص ما أجش يقول: "هِنريك لارسون يتحدث، نجح الفريق ج في السيطرة على الوضع بنيوزيلاندا، تم تصفية الصائد بنجاح، نسبة الخسائر البشرية: صفر، نسبة الإصابات: صفر، نسبة نجاح العملية: مائة في المائة "

سمع حازم صوته يسأل مرة أخرى: "الفريق أ، الفريق أ، ما أخر التطورات؟"

لحظات وأجابه صوت أنثوي: "معذرة على التأخير، مارجريت كونشر تتحدث، نعم، نجح الفريق أ في السيطرة على الوضع بإسبانيا، تم تصفية

الصائد بنجاح، نسبة الخسائر البشرية: صفر، نسبة الإصابات: صفر، نسبة نجاح العملية: مائة في المائة"

أجابها مهاجمه: "الفريق ب بقيادة قائد العمليات يتحدث، تمت السيطرة على الأمر بنجاح وتم القبض على الصائد حيًا ونحن بصدد تصفيته"

سمع صوت هنريك عبر الجهاز: "عُلم "

وتبعه صوت مارجريت يشوبه بعض التقطيع: "عُلم "

سمع صوت الجهاز يغلق فصمت ليستمع لصوت الرصاصة التي سينتهي بها الأمر، سأله: "أتعلم أنك صائد الآن"

أجاب حازم بصوت حاول السيطرة عليه: "سمعتك تخبرهم بالأمر، ما معني الكلمة؟"

"الصائد هو الشخص الذي ينجح في قتل ثلاث أشخاص أو أكثر وينجح في السيطرة على ذكرياتهم والصائدين عملة نادرة، عملية الصيد تحدث لواحد من كل خمسمائة ألف شخص ودائمًا ما يظهر صائدين ولكنهم يضعوننا أمام اختيارين، إما تجنيدهم أو قتلهم وبما أنك رفضت أن تنضم لنا لذا وجب قتلك "

"لكنني لم أر...."

"أتظنني حقًا أرغب في العمل معك، ارفع رأسك لترى مهاجمك أيها الأحمق"

رفع حازم رأسه ببطء وكأنما يخشى تأثير المفاجأة، تأمل ملامح مهاجمه لوهلة قبل أن تتبدل ملامحه ليغلب عليها الاشمئزاز وهو يقول: "رمزي!"

"نعم أيها الوغد، رمزي الذي حولت حياته حطامًا، رمزي الذي أضعت عليه فرصة التعيين بالكلية كمعيد بينما لم تستفد منها أنت، رمزي الذي سرقت منه بعثة دراسة بالخارج كانت ستحول حياته للأفضل لتستغلها في قضاء شهر عسلك مع زوجتك اللعينة، أتدري من هي؟؟ خطيبتي التي تركتني وهربت إليك، سرقت بعثتي ووظيفتي وخطيبتي، سرقت مستقبلي أيها الوغد "

ابتسم حازم بسخرية وهو يقول بنبرة لاذعة: "ألم أسرق ملابسك بالمرة؟"

"امزح عَلَّهَا تكون آخر مزحاتك، أين حبيبة عمري الخائنة؟؟ أين من سرقت قلبي؟؟ أريد أن أستعيده "

"أنا حقًا لا أعلم مكانها، أتريد أن ترافقني في رحلتي للبحث عنها وعندما نجدها سنخيرها بيننا وأغلب الظن أنها ستمسك قلبك الذي تَدَّعِي أنها سرقته منك لتدوسه بأقدامها وهي تسرع إلى أحضاني أمام عينيك "

بغضب هادر صرخ به رمزي: "اصمت"

"لماذا لا تتقبل حقيقة أنني أفضل منك في كل شيء؟؟ ألا تعلم أنك إذا وفرت الوقت الذي تتذمر فيه عن نجاحات الآخرين واستغللته في تطوير نفسك ومهاراتك سيعلو نجمك عليهم؟؟ فبدلًا من العويل والنواح في كل مرة أنك أفضل من غيرك، أثبت الأمر ودعك من أمور الضعفاء تلك، اخشوشن"

قبل أن يتحدث رمزي سمع صوت رصاصات يتردد بعنف بينما تتفجر رؤوس أتباعه واحدًا تلو الآخر وعندما سقط آخرهم ظهرت حسناء في العشرينات من عمرها تمسك مسدسها وتصوبه إلى رأس رمزي الذي

تحرك في سرعة ليعدو تجاه النافذة بينما تطارده رصاصاتها قبل أن يقفز بقوة وهو يخترق الزجاج بجسده ويختفي عن أعينهم تمامًا، أسرع حازم إلى النافذة لينظر إلى رمزي الذي اختفى كما لو أنه تبخر قبل أن يسقط أرضًا، التفت ليواجه الفتاة إلا أنه وجد الشقة خالية تمامًا

***

أسرع حازم خارج باب الشقة و هو يعدو في الممر وصولًا إلى السلم، هبط درجات السلم و كل درجة يهبطها يتصاعد بداخله شعور القلق، القلق و الخوف حول رمزي و انتقامه و هذه الفتاة و اختفائها، ما بين الموت الذي حدق فيه عبر فوهة مسدس رمزي و بين الأمان الذي تهشم ألف قطعة مع تهشم الزجاج بجسد رمزي، وصل إلى الشارع و هو يتفحصه بنظره و لكنه لم يجد أثر لأيًا منهما،اختفيا و كأنهما أشباح لا وجود لها إلا في خياله، وقف وحيدًا يصارع نسمات الهواء و صراع الأفكار محاولًا أن يتخذ قراره هل يبحث عنهما أم يتركهما و يصعد إلى شقته متخلصًا من تلك الجثث، فكر لوهلة في المجهود البدني و النفسي الذي سيتحمله من أجل التخلص من ثلاث جثث قبل أن يقرر أن هجر الشقة هو الحل الأنسب، صعد درجات السلم ببطء و الأفكار تتصارع بداخل رأسه متمنيًا لو أن رأسه بها فوهة كالبركان لكي تنفجر منها مخففة الضغط عن روحه المثقلة بذنوب ضمير مات

وصل إلى باب الشقة و دخل إلى الغرفة البعيدة التي وضع بها الجثث، خطا من فوق الجثة الأولي و هَمَّ بالعبور من فوق الثانية قبل أن يلمح بعينه الفراش الذي تحرك من مكانه بضعة أمتار لتظهر من خلفه خزينة معدنية صغيرة حفر لها في الحائط لتختبئ داخله من أعين المتطفلين و فضول المتسائلين لكن أيدٍ آثمة اغتصبت سرها، تأمل بطنها المفتوح و

معدتها الخالية و بذهول سيطر عليه تحسس بيده باطنها المعدني البارد قبل أن تخالجه مشاعر متضاربة بين الرعب و القلق على ضياع الأوراق و التي تمثل له أهم شيء في حياته بعد امرأته و بين الشعور بالأمان لأنه يعرف الخطوة التالية، لم لا و هو مُشَاهِد جيد لآلاف الأفلام الأجنبية، سيستدير ليجد أحدهم يمسك بالأوراق و يسأله بثقة : "هل تبحث عن هؤلاء؟"

استدار و هو يرسم ابتسامة ساخرة على شفتيه و هو يتوقع أن يفاجئ الشخص الذي استولي على الأوراق و لكن تلك الابتسامةانسحبت لترتسم بدلًا منها علامات القلق حيث وجد الغرفة خالية، خرج إلى الصالة و جلس على الأريكة يفكر في تلك الأوراق قبل أن يسمع صوت من داخل الحمام، فزع و جرت القشعريرة في جسده، دلف إلى الحمام و هو يفتح الضوء بسرعة و يتأمله إلا أنه كان خاويًا كما عقله الباحث عن إجابات لا يعرفها، خرج للصالة إلا أنه وجدها، تقف وحيدة في منتصف الصالة و هي توليه ظهرها، تأمل جسدها لوهلة قبل أن يهز رأسه بعنف مستدعيًا تركيزه الذي ضاع في قوامها، حدثته و هي لا تنظر إلى وجهه : "أوراقك بحوزتي "

"توقعت هذا، من أنتِ؟"

"أنا؟؟، اعتبرني ملاكك الحارس أو شيطانك المُضِلّ أو حتى حائط صد لحمايتك، اعتبرني ما ترغب فيه أيًا كان "

"سؤال ساذج ولكن لابد لي من سؤاله، هل لي أن أحصل على أوراقي؟"

انتشرت ابتسامة ساخرة على وجهها وهي تغالب ضحكاتها قبل أن يستدرك حازم الموقف قائلًا: "حسنًا لم أتوقع أن تعطيني إياها ولكني كان لا بد لي من أن أسأل"

جلست على الأريكة وهي تضع قدمًا فوق قدم وتنظر إليه وهي تبعد شعيراتها الثائرة عن وجهها وتخرج صورة من بين الأوراق لتتأملها، امرأة بيضاء البشرة واسعة الأعين تبتسم وفي ابتسامتها حياء وفي حيائها حياة، تأملتها لبرهة قبل أن تعطيه الصورة ليمسكها بلهفة وهي تسأله: "زوجتك؟"

"أجل"

"هل تعرف مكانها؟"

"لا ولكنني سأبحث عنها حتى أجدها "

"لن تجدها"

وقف حازم عاجز عن اتخاذ أي قرار، لم يستطع أن يترك الدهشة تتملك من قلبه ولن يدع الرعب يفرض قبضته على روحه، شعر بفضوله يتزايد، سألها بصوت جاف حاول أن يسيطر عليه فلا يدع لأحاسيسه فرصة الظهور: "لماذا؟"

"لأنني أعرف طريقها ولن أسمح لك باستعادتها سوى بشروطي"

في حركة سريعة هاجمها حازم وهو يحيط رقبتها بذراعه ويحاول خنقها وهو يصرخ بجنون: "تحدثي، أين هي؟؟ أين؟؟ "

بدلًا من اختناقها فوجئ بها تضحك بعنف، تركها وهو يتأملها بدهشة، حاولت السيطرة على ضحكاتها وهي تسأله: "هل حقًا ... هل تصدق حقًا أنني كنت سأعترف فورًا؟"

سال الدمع من مقلتيها من كثرة الضحك، تمالكت أعصابها وهي تقول: "حازم، اهدأ ولا داعي لعصبيتك "

قال بصوت يكاد يغالبه الدمع: "أريد زوجتي "

ارتفع حاجباها دهشة وهي تسأله: "حازم سلامة يكاد يبكي من أجل امرأة؟"

حاول السيطرة على نفسه وهو يقول: "امرأة؟؟، زوجتي ليست مجرد امرأة، من ملكت روحي وكياني بضحكة صغيرة من شفتيها التي تحملان سر الحياة والتي تملك سر الكون بين رموشها، تطبق رمشيها فأحيا سعيدًا وتفتح عيناها فأغدو وحيدًا في عالم شمسه جمالها وقمره صوتها الحاني، تحمل في لمسة يديها أعتي أسرار الكون وطيبات من الجنة. ليست مجرد امرأة بالنسبة لي بل هي جزء من جنة الله في الأرض، زوجتي ليست امرأة "

ظهرت الدهشة في عينيها وهي تقول: "من سيرتك الذاتية أكاد أجزم أنك قاسي القلب، ملتزمًا بمبادئك لكنك قاسٍ "

"أقسو على كل العالم لأغدو وحشًا كاسرًا وأمام عينيها أصير طفلًا رضيعًا"

"حسنًا بما أن رغبتك صادقة باستعادتها لابد لك من العمل بشروطي"

"هل أملك خيارًا آخر؟"

"للأسف لا "

"ما هي شروطك؟"

"أريدك أولًا أن تشرح لي سبب حقد رمزي عليك وما هي تلك الأوراق التي وجدتها، لاحظ أنني لم أفتحها بعد كدليل على حسن نيتي معك، أريد أن أعرف ما الذي يدفع شخصًا في مكانته أن يترك أعماله ويهرع لمطاردة صائد؟"

"مكانة رمزي؟؟، هل أصبح رمزي شخصًا مهمًا؟"

"ألم تلاحظ أن ذكرياته لم تتبدل؟"

"ظننتها تبدلت ولكنه وصل لها بطريقة ما كما وصلت لذكرياتي وجسدي"

"هؤلاء لا يتبدلون!"

"هؤلاء!"

"ستفهم في النهاية، عليك الآن أن تشرح لي الأمر بالتفصيل إذا أردت أن ترى زوجتك"

في صالة فسيحة بكلية الشرطة تراص عشرات الشباب حليقي الرؤوس مُلَوَّحِي البشرة من جراء أشعة الشمس بجوار بعضهم البعض، مفرودي الظهور، مفتولي العضلات، يستمعون لأحد المحاضرين و هو يتلو عليهم بصوت رتيب محاضرة مملة عن حالات الرهائن و كيفية التعامل معها، و كعادتهما مرر أحدهم لزميله وريقة تحتوي على رسم كاريكاتوري للعقيد الذي يجلس أمامهم و لكنه استبدل اسمه كاتبًا بدلًا منه (العقيد / مُمِل السيد ضَجِر)، كان الرسم متقن بشكل رائع و إن غلبت عليه الفكاهة بفضل اللغد الضخم و الكرش البارز اللذان أضافهما راسمه،ابتسم الآخر في نفس اللحظة التي رفع فيها العقيد عيناه عن الأوراق فرأي ابتسامته، بإشارة صغيرة من يده أمره أن يقف، وقف الشاب وشَدَّ جسده في وضع الانتباهاحترامًا للرتبة التي أمرته بهذا، نسي الورقة معلقة بين أنامله فلمحها العقيد، أشار له أن يقترب،اقترب منه قبل أن يدرك أن الورقة لا تزال معلقة في يده، حاول إخفائها إلا أن السيف كان قد سبق العزل، مد العقيد يده أمامه و بأيد مرتعشة و توتر لا حد له مد له يده بالورقة ليرى الرسم الساخر ويرى الاسم الذي أطلقه عليه، نظر له بأعين تحمل من الكراهية سيولًا و هو يسأله : "اسمك؟"

تلعثم الشاب وحاول تبرير موقفه: "الورقة ليست مـ .... "

قاطعه العقيد بصرخة هادرة تحمل أطنانًا من الغضب: "اسمك أيها الطالب؟"

لم يستطع أن يقف أمام الطوفان أكثر من هذا فتمتم باسمه بأحرف متلعثمة وهو يقول: "رمزي محمد ياسر الإتربي "

صمت العقيد لوهلة وهو يقول: "رمزي الإتربي؟؟ أعتقد أنني قرأت اسمك في مكانٍ ما!"

صمت رمزي وهو يدعو الله في سره ألا يتذكر العقيد الأمر، حاول لفترة قبل أن يقرر أن الأمر ليس بهذه الأهمية، نظر له نظرة باردة ولكنه شعر أنها حادة كنصل السكين تخترق جسده، وبصوتٍ هادئ بعث القشعريرة في جسده وأسكن قلبه أشباح الخوف أمره أن يخرج من القاعة لينتظره أمام مكتبه، خرج الشاب بخطى متعثرة وهو لا ينطق ويكاد يسمع دقات قلبه من شدة الخوف وبمجرد أن خرج استكمل العقيد محاضرته المملة كأن شيئًا لم يكن فعادتْ الأعين المتسعة تُعلق مرة أخرى وترضخ لهجمات الكسل التي يمدها ملل المحاضرة بأطنان من الخمول

بعد المحاضرة وأثناء جمع العقيد لأوراقه وترتيبها في حقيبته الجلدية شعر بأحد الطلاب يقف بجواره، وبدون أن ينظر له سأله: "ما الأمر؟"

أتاه صوت الطالب خافتًا وهو يقول: "أنا حازم سلامة الميرغني أحمد وأريد أن أخبرك شيئًا بخصوص رمزي "

نظر له وهو يقول: "الأمر منتهي، لقد أخطأ ولابد من عقابه"

وبصوت واضح وابتسامة ماكرة أجابه حازم: "وأنا أتفق معك تمامًا ... لكنني أتيت لسيادتكم في أمرٍ آخر "

"ألا وهو؟"

"أريد أن أُذَكِّرَ حضرتك أن الطالب رمزي هو الفائز بالمنحة الدراسية في دولة روسيا وأريد أن أسأل هل من الصواب أم يُمنح طالب بمثل هذه الأخلاق بعثة بمثل هذه الأهمية؟"

ابتسم العقيد وقد أدرك ماهية الأمر: "حازم سلامة الميرغني أحمد؟؟ ... أليس كذلك؟"

"بالظبط يا سيدي"

"يبدو أننا سنعمل معًا كثيرًا، هل ستكون على هذا القدر من المسؤولية؟"

"أجل يا سيدي، ولا تقلق فلن يعرف أي شخص أنني سأعمل معك"

"لا أريد توصيتك، يجب أن تصلني كافة الأخبار، كل الأقاويل، جميع الأحاديث مهما بدت لكَ تافهة"

"حسنًا يا سيدي"

"أنتظرك في مكتبي غدًا كي نتحدث قليلًا ... أتمتلك جواز سفر؟"

ابتسم حازم وعيناه تلمعان بشدة وهو يهز رأسه إيجابًا

***

في هذا الطقس الحار و الجو الخانق وقفت تقاوم نوبات ملل تهاجم عقلها و هجمات من تأنيب ضمير تحاول مقاومة الحصون التي شَيَّدَتْهَا لتحمي قلبها منه هذه المرة. للمرة الأولي منذ تعارفهما القريب يتأخر عليها بهذا الشكل. و للمرة الأولي يستغل ضميرها وحدتها ليحاول إيقاظها من غفوة الحب المسيطرة عليها. صارخًا مرددًا بكلمات حادة أخبرها ضميرها أن

أفيقي يا حمقاء، بالطبع لن يأتي، لقد قللتِ من شأنك حينما وافقتي على مقابلته بالخارج متحدية كل الأسس التي تربيتي عليها و كل المبادئ التي حرص والدك على زرعها فيكي منذ طفولتك البريئة، صرخ فيها : رباه لو كان أبيكِ يعلم لكان وأد روحك في تربة من قيم أغلظ وغطاكِ بأخلاق أحسن وأقوَم عَلَّهُاستطاع إنقاذكِ من هذا الموقف و لكن سرعان ما أتي طوفان التبريرات بأمواجٍ من حب وود مصدرها قلب عاشق يدق باسم حبيب تأَخَر، تبريرات كان من شأنها أن ضَخَّت الدماء في عروقها لتتورد خجلًا فتزيد جمالها جمالًا و سحرًا، تلفتت حولها وهي تنظر في ساعتها، مرت عشر دقائق، لحظات و سمعت صوتًا من خلفها يقول : "لن يأتي"

اعتقدت أنه أحد المتحرشين الذين امتلأت بهم الشوارع في الآونة الأخيرة حتى صار عددهم يقارب عدد الكلاب الضالة فأدارت وجهها الجهة الأخرى وتجاهلته وهي تحمل حقيبتها بيدها قابضة عليها متوجسة أن يمس جسدها ليدنسه بأنامله التي تحمل الظلم تحت أظفارها ولكنها سمعت صوته مرة أخرى يقول بأدب: "آنستي، رمزي لن يأتي"

عندما سمعت اسم معشوقِها اطمئن قلبها للحظة ولكن بعد انتهاء الجملة هاجمها القلق، لماذا لن يأتي؟؟، هل حدث مكروه ما؟؟ هل حدث شيء خطير؟؟، نظرت بعينين يلتهمهما القلق لترى هذا الشاب الذي يقترب في جثمانه الرياضي وفي قَصَّةِ شعره من ملامح رمزي، شرطي المستقبل والفتي الحالم الذي ملك قلبها بنظرة واحدة، عاد الشاب خطوة للخلف كي يعطيها مساحة من الأمان هي في أمس الحاجة لها وهو ينظر في الأرض كي لا تتلاقى عيناهما: "رمزي يخبرك أنه لن يستطيع القدوم لأنه مُعاقَب بالحجز هذا الأسبوع"

اتسعت عيناها هلعًا عند سماعها لكلمة (مُعاقَب) ولكن ابتسامة هادئة منه طمأنت قلبها الوَجِل فسألته: "ماذا فعل كي يُعاقَب؟"

نظر للأرض وهو يقول: "أُفَضِّل ألا أتحدث عن الأمر كيلا يقال إنني أفسد العلاقات "

"أرجوك"

قالتها بصوت خافت مس قلبه فجعل نبضاته ترتبك لتنبض نبضة إعجاب ونبضة طبيعية، ابتسم وهو يقول: "سَخَرَ من أحد أساتذتنا "

عيناه منحت قلبها أطنانًا من الأمان وابتسامته بعثت في روحها الدفء فشعر قلبها بشيءٍ جديد يداعبه، حاولت أن تتجاهل سحره وهي تقول"ولكن هذا ليس من شيمه!"

"أعتقد أن خسارته للبعثة قبل ميعادها بأربعة أشهر أفقده عددًا من شيمه وعاداته "

"خسارته لـ... ماذا؟؟ هل خسر رمزي البعثة؟؟"

"ألم يخبرك؟"

"لا !!"

"يا إلهي !،اسمحي لي بالانصراف وأعتذر يبدو أنني أخبرتك أكثر مما ينبغي "

"انتظر يا .... "

"حازم يا آنستي، حازم "

"حازم ... أريد أن أعرف تفصيلًا ما الذي حدث؟"

"حقًا لا أرغب في الحديث كي لا أفسد علاقتكما ولكن إذا كنتِ مُصِرَّة، هذا رقم هاتفي الجوال، أنتظر مكالمتك"

نظرت في البطاقة التي تحتوي الرقم بدهشة، كيف يفكر بها كي يعطيها رقمه الشخصي في أول لقاء بينهما ولكنها يجب أن تعترف أنه نجح جدًا في إثارة فضولها الأنثوي لأقصى حد، رفعت عينيها لتخبره بأمرٍ ما لكنها لم تجده أمامها، بحثت عنه بعينها قبل أن تقرر الذهاب وهي تضع البطاقة في حقيبتها ولم تنتبه للأعين الماكرة التي تراقبها بخبث، لُعِبَت ببراعة

***

رن هاتفها فتناولته لتطالع الاسم المكتوب على شاشتها و تخيلت صاحبه الذي يتحرق شوقًا لسماع صوتها و لكن الأوان قد فات على هذا، ضغطت زر الرفض و هي تترك الأيدي تعبث في وجهها الحسن بحجة زيادته جمالًا، أصباغ و ألوان تضيف شحوبًا على وجهها و تنزع منه براءة الملائكة التي تشتهر بها لتحولها لمهرج قبيح لَطَّخَ وجهه بأصباغ غير متجانسة، رن الهاتف مرة أخرى فنظرت له بإهمال قبل أن تتناوله بحرص محافظةً على الأظافر الصناعية التي لم يجف لاصقها بعد و قربته من أذنها بحرص كي تحمي الحلق الضخم المعلق في أذنها و هي تقول بنبرة حاسمة : "الأمر منتهي يا رمزي، من فضلك أنا الآن امرأة متزوجة "

وقعت الكلمات عليه كدلو من الماء البارد المحمل بطعنات غدر لم يتوقعه ولم يتحمله، كالمجنون بحث في هاتفه عن رقم صديقه الوحيد ليستنجد به، ضغط على اسمه على شاشة هاتفه التي تعمل باللمس وطفق ينتظر

ردًا أتاه بعد حين بصوت يحمل له كل علامات الشهامة، استنجد به بسرعة: "حازم، أنجدني، بالله عليك، حبيبتي ستتزوج "

أتاه صوت صديقه هادئًا وكأن الصدمة لم تمسه: "أعلم "

فوجئ رمزي من ردة فعل صديقه ومن إجابته الهادئة فسأله في شك: "تعلم؟؟ "

"أجل يا رمزي "

"كيف تعلم؟"

"هل يوجد عريس لا يعلم من هي عروسه؟ أو بمعني أصح لا يعلم أن زوجته ستتزوجه؟"

شعر رمزي كأنه تاه من نفسه، كأنه فقد روحه بداخل متاهة من ظلم لا يعرف كيف يخرج منها، هذه المرة لم يدق قلبه باسمها، هذه المرة أعلن رمزي كفره بها و بالحب، لن يقيم مناسك الحب في قلبه مرة أخرى و لن يقدم قرابين الولاء لأيِ أنثي ثانية، لن يثق في أيِ شخص مرة أخرى و لن يسمح لنفسه أبدًا أن ينسي هذا الغدر، سيضع كلاهما نُصْبَ عينيه كي ينتقم منهما حتى و إن طال الانتظار، سيقبع وحيدًا كذئب جريح يَجْتَرَّ آلامه في انتظار اللحظة الحاسمة التي سيقدم لهما انتقامه منهما كوجبتهما الأخيرة و بروح كاهن تعبد في الحب سنينًا حتى أتاه ملاك مرسل بجناحين من ألم ليخبره أن كل صلواته في ضريح العشق خاطئة قرر أن ينسي كل ما مضي وألا يفكر سوى في انتقامه و أن يركز في عمله، سيعود حازم من روسيا بعد شهر، سيعود من بعثته التي سرقها منه و بزوجته التي

اغتصبه إياها عُنْوَةً، سيعود ليجد رمزي قد حقق شيئًا من أهدافه، عليه الآن أن يسبقه بخطوة فقط

***

خرج مسرع الخطا تجاه هدفه و رغم برودة الجو المنبعثة من المُكَيِّف إلا أنه كان يشعر بجسده يغلي من الحرارة، مسح ذرات عرق تجمعت على جبينه في مظاهرة تهتف بالغضب ووضع منديله في جيب حُلَّته، كان يتابع الكل بعينيه لكنه لا يرى شيئًا، هدفه الأول و الأخير هو هذا الوغد الذي وضع حياته نُصْبَ عينيه و أخذ في تدميرها قطعة تلو الأخرى بدون سبب مقنع مما زاد غضبه غضبًا، ربما لو كان أخطأ في حقه أو أذاه في يومٍ ما لكان تَفَهَّم الموقف لكنه بالفعل لم يفعل شيئًا يستحق هذه المعاملة، كقطع بازل رديئة الصناعة تساقطت أجزاء حياته أمام عينيه و هو عاجز لا يقوَ على فعل شيء، أخيرًا وجده أمامه و لكنه يُوْلِيْهِ ظهره، عشرات التخيلات و الاحتمالات مَرَّت أمام عينيه و جرت أحداثها بين ثنايا مخه

سيضربه بكعب مسدسه على رأسه ويراه يسقط أرضًا فاقدًا للوعي، سيصرخ به وهو مُلْقَى أرضًا بكل ما يعتمل في نفسه من غضب.

سيُخْرِج مسدسه من غماده ويضغط زناده مرة تلو الأخرى وهو يزأر بغضب ويرى بقع الدماء تنتشر على ظهره وربما يدور ليرى عينيه تتسع دهشةً قبل أن يخبو منهما بريق الحياة.

سيضع يده على كتفه وعندما يستدير سيحضنه وربما يبكي بين يديه وهو يعاتبه بكل شيء، هما صديقان قبل كل شيء ورغم كل محنة.

سينادي عليه وعندما يستدير سيعاجله بلكمة تجعل سماء أنفه تمطر دمًا ويبصق في وجهه قبل أن يتركه ويرحل.

لكن كل هذا لم يحدث، ما حدث حقيقة أنه نادى عليه ولكن حمل صوته أطنانًا من الغضب وحملت عينيه سيولًا من العتاب، التفت حازم ليرى من يناديه فوجد رمزي يقف ثابتًا وعيناه تلتمعان في حنق بَرَّدَ قلبه وأضفى السعادة على روحه، لم يعرف كيف وصل لهذه الحال بل وفي الحقيقة لم يهتم، ما الذي جعل حنق زميل عمره يطرب قلبه؟.

سؤال لم يتوقف أمامه كثيرًا وهو يستفسر منه بنظرة صامته عما حدث، سمع صوت رمزي عاليًا يتردد في جدران مديرية الأمن يسأله: "هل صحيح أنك قَدَّمْتَ استقالتك؟"

سأله باستخفاف: "هل هذا من شأنك؟"

حاول رمزي كبح جماح غضبه وهو يسأله: "إذًا ما سمعته صحيح، ألم يكفيك ما فعلت؟"

ابتسم حازم بسخرية وهو يردد: "ما فعلت؟؟ "

"أجل ألم يكفيك سرقة أحلام حياتي وتدميرها واحدًا تلو الآخر، حب حياتي سرقته مني وعبثت في عقلها وتفكيرها لتوهمها أنني مصدر الشر في هذا العالم، بعثتي الدراسية التي سرقتها مني برسم كاريكاتوري ووشاية حمقاء وأخيرًا بعدما سرقت البعثة تستقيل، لماذا لم تتركها لي منذ البداية؟"

"هذه هي المرة الأولي التي أعرف فيها مقدار شري، من فضلك اتركني أذهب لأتخلص من شروري، بعد إذنك "

"اسمعني أيها الأحمق "

صاح حازم بغضب هادر هذه المرة : "بل اسمعني أنت يا سيادة الضابط. مجرد أنك تفكر أنني عبثت في عقلها لأقنعها بأنك شرير فهذه هي السذاجة الحقة، أعتقد أنها امرأة بالغة وواعية وجديرة باتخاذ قراراتها الخاصة أما بعثتك فأنا لم أسرقها كان بيدك أن تدافع عن نفسك و أن تخبر الجميع أنها رسمتي و وقتها لم أكن لأنكر الأمر لكنك اخترت الجُبْنَ أرضًا وصمتت، والوظيفة استقلت منها، أتدري لم؟؟. لأن هذا الوسط فاسد، به من الفاسدين الآلاف و لكني سأحقق العدالة و بطريقتي الخاصة، فلتنعم أنت بنجماتك المحلقة على كتفيك و تترك لي حياتي هانئة بدونها"

تركه ورحل ومن خلفه أتاه تهديد رمزي: "لن أتركك "

"حسنًا"

"أقسم أنني سوف أنتقم "

"بالطبع "

"لن أترك حقي "

"بالتأكيد "

"ستندم"

"أصدقك "

وقتها كان ابتعد بشكل كافي لِأَلَا يسمع كلمات تهديد جوفاء تخرج من حلق شخص أحمق أعماه الغضب، وقتها اتخذ قراره بألا يترك رمزي يتقدمه أو يسبقه خطوة مهما كَلَّفَهُ الأمر

موسيقي هادئة تتسلل إلى أذنيه في نعومة فيسترخي عقله تمامًا مرسلًا إشارة إلى باقي الجسد أن استرخي فأنت في حضرة الموسيقي ... لأول مرة منذ بدء مغامرته يشعر فريد أنه متسخ، ملابسه الغير منسقة، جسده المُتَرَّب المليء بالغبار، شعره الأشعث و ذقنه الخشنة الغير حليقة، شعر بالخزي فوقف يتأمل رباط حذائه المهترئ، تمني وقتها لو أنه في جسده الأنيق، يرتدي حلته المفضلة و يصفف شعره متسلحًا بلحية مرتبة و ابتسامة ساحرة، سمع فريد صوت الباب يفتح فنظر تجاهه، خرج المسؤول الذي رآه من قبل من باب جانبي يبدو أنه باب دورة مياه أو استراحة، خرج المسؤول و هو يجفف يده قبل أن ينظر من النافذة يتأمل الجبال المليئة بالصخور و الأسرار، الكهوف و الجُثث، تأمله فريد بعين فاحصة قبل أن ينهمك في محاولة إخفاء طرف حذائه المتآكل و هو يشعر بسخط على شينزو الذي يريد حبسه بداخل هذا الجسد المليء بالدهون و الشحوم، تحرك المسؤول ليجلس خلف مكتبه و هو يشير لفريد الذي انتبه إلى حركته و جلس أمامه، أمسك المسؤول بجهاز لوحي و إنهمك في الضغط على شاشته بحماس و علامات التركيز تبدو على وجهه قبل أن يبتسم و هو يدير شاشة الجهاز إلى فريد ليرى الموجود على شاشته، تأمل فريد صورته القديمة و هو يشعر بأسوار التماسك التي يشعر بها تنهار أمام هجمات جيوش الحنين لذاته القديمة، ابتسم رُغْمًا عنه و حاول منع سُحُب الدموع التي أتت لتنبؤه أن عينيه أوشكتا على الإمطار، نظر له الرجل و هو يبتسم قبل أن يقول لأول مرة منذ رآه فريد : "نعرف جيدًا مكان جسدك"

ظهرت علامات الاهتمام على وجه فريد، نسي أو تناسى الآن الجسد المتخم والملابس المهترئة والشعور السلبي، رَكَّزَ كل أفكاره وأحاسيسه تجاه كلمات الرجل الذي أتته واثقة وكأنها تخرج من رجل يعرف جيدًا كيف يقود كل تلك الأمور، تحدث الرجل واثقًا: "نستطيع بكل بساطة أن نوصلك إلى جسدك وأن نُتِمَّ عملية التبدل بشكل تام"

انتظر فريد الكلمة المتممة لحديثه، تعلم جيدًا أن من يملك زمام الأمور يجب أن يتقن لعبته، أن يُلْقِي لكَ بالطُعم الذي يسيل له لعابك وقبل أن تسيطر على انفعالاتك يعالجك بـ (لكن)، حاول جاهدًا أن يتمالك أعصابه ولكن الـ (لكن) أتته من حيث لا يحتسب لتشتته تمامًا: "ولكن يجب أن تعمل معنا"

ابتلع ريقه وهو يقول بصوتٍ خافت مهزوز: "ولكن شينزو يعمل بالفعل معكم في قيادة مصارعي المُسُوخ وهو المسؤول عني في قيادة كتائب المُحاربين"

هز الرجل رأسه وهو يبتسم: "هذا فعلًا ما يعتقده شينزو"

اتسعت عينا فريد وهو ينتظر باقي جملة الرجل الذي لم يتأخر كثيرًا فسرعان ما عالجه بقوله: "المنظمة يا عزيزي فريد هي كيان ضخم، لا يجب أن يقتصر على مجموعة من الموظفين أو المرتزقة، المنظمة كيان يعلم جيدًا سبب كل خطوة ونتيجة كل تحرك، يعلم جيدًا ما يدور في العقول وما يَخْفَى في الأنفس، يعلم النوايا ... أتعتقد أننا سنترك قيادة كل شيء لشينزو؟، المرتزق الياباني الذي نراه لأول مرة؟"

هز فريد رأسه متفهمًا قبل أن يسأله: "ولكن معني كلامك أنك أيضًا لن تثق فيَّ، المُرتَزَق المصري الذي تراه لأول مرة على حسب كلماتك!"

"هذا حقيقي ولكنك الآن لديك فرصة لتثبت لنا أنك محل ثقة، لو علم شينزو ما يدور بيننا هنا فسيصله عنوان جسدك قبل أن يصل إليك وأنت تعلم جيدًا تهديده لك"

"وإذا لم يعلم سأصل إلى جسدي؟"

"ستصل إلى جسدك يا صديقي ولكن يجب أن تُثبت حُسن النوايا أولًا"

"كيف؟"

"ستعرف كل شيء في وقته ولكن يجب أن تضمن لي أنك وَفِيٌّ للمنظمة"

"حسنًا، لكَ ما تُريد"

ابتسم المسؤول و هو ينهمك مرة أخرى في العبث بشاشة جهازه، كان القلق و الفضول يأكل جسد و روح فريد الذي تململ في كرسيه عدة مرات قبل أن ينظر له المسؤول و هو يدير شاشة الجهاز للمرة الثانية، تأمل فريد الشاشة التي وجد عليها صورتان لشخصان ذوي ملامح لاتينية، تذكر أنه رأي أحدهما بالأسفل، توتر و هو يتمني من الله ألا يطلب منه المسؤول قتلهما أو تعذيبهما من أجل بضع معلومات ينتزعها منهما و لكن المسؤول فاجئه و هو يطلب منه ضمهما تحت رايته كقائد لكتيبة المُحاربين، تأملهما مرة أخرى قبل أن يغلق المسؤول الجهاز و يصمت تمامًا في إشارة لفريد بانتهاء المُقابلة، فهم فريد المطلوب فتحرك سريعًا ليخرج من الغرفة قبل أن ينادي عليه الرجل و هو يقول : "لن تستعيد جسدك إلا بعد أن تُثْبِتَ ولائك، لا تنس"

***

هبط فريد درجات السلم ببطء و هو يفكر في الحديث الذي دار بينه و بين المنظمة، تساءل طويلًا بينه و بين نفسه عن السبب الذي دفعهم لاختيار هذان الشخصان دونًا عن غيرهما، لاحظ تعلق عينا شينزو به و القلق يملأها إلا أنه حاول رسم ابتسامة بسيطة على شفتيه لطمأنته، بمجرد أن رأي شينزو ابتسامته حتى تحرك في سرعة لاستقباله و بمجرد أن هبط احتضنه بقوة قبل أن يقف بجواره و هو يرفع يده عاليًا كأنه يُكَرِّمَهُ وسط صرخات و صيحات حماس من متابعي الموقف و الذي اطمأن قلبهم من دمج و تفاهم كتيبة المحاربين و مصارعي المسوخ و عملهم ككيان واحد مُتَّحِد تحت راية المنظمة التي تعدهم بالأمن و الأمان و تسهيل عمليات تنظيم تبادل ذكرياتهم مرة أخري، إذن هذا الكيان بأكمله هو طوق النجاة الوحيد و الأمن وسط هذا العالم الذي تبدلت قوانينه فجأة و تبدلت الأسس و القواعد التي يعرفها الجميع، صيحات الفرح طارت عاليًا لتحلق في سماء الغرفة التي قطعها فريد بعينيه حتى توصل لغايته، شخصان يبدو عليهما الشدة و البأس رغم أنهما في أجساد مترهلة بالطيبة و الشحوم، أدهشه أن يراهما متجاوران و كأنهما يعرفان أنهما مطلوبان و بمجرد أن تلاقت أعينهم حتى ترك يد شينزو و هو يتظاهر بتهنئة الجموع و تقبل التهاني، وصل إليهما و هو يبتسم لهما و يقول بصوت هادئ : "لقد وقع اختيار المنظمة عليكما لتكونا العماد الأساسي لكتيبة المحاربين"

فوجئ بأحدهما يرد بنبرة غليظة تغلفها الوحشية: "لماذا نحن تحديدًا؟"

حاول التماسك أمام هذه الغِلْظَة والاحتفاظ برباطة جأشه قائلًا: "هذا اختيار المنظمة"

سأله الآخر بقسوة: "ولو رفضنا؟؟"

دَوّى صوت المسؤول قويًا صارمًا في فضاء الغرفة: "أنتما لا تملكان مزية الاختيار ... اصعدا من فضلكما، رافقهما يا سيد فريد من فضلك"

صعد الثلاثة إلى الدور الثاني و من ثم عبروا الممر ليصلوا للغرفة التي أغلق المسؤول بابها خلفهم، جلس على مكتبه و أشار لفريد بالجلوس أمامه بينما ظل الشخصان واقفان حيث لم يشير لهما المسؤول بأي شيء، بدأ المسؤول حديثه موجهًا كلماته التي يكسوها الهدوء لفريد : "أتعلم يا سيد فريد حين تحصل على عدة أحكام بالسجن مدى الحياة، و عدة أحكام بالإعدام و برغم هذا تظل هاربًا لعدة سنوات، عليك أن تفكر مرة أخرى في ذكائك إن اعتقدت أنك أذكى من كل أجهزة الأمن، يجب أن تعرف جيدًا أنك حر بسبب أجهزة الأمن و أنك بالخارج تخدم مصالحها حتى و إن لم تكن تعرف هذا، لذلك الآن آن الأوان لكي ترد جزءًا من خدمات البلاد التي تركتك حرًا طوال هذه السنوات و لم تضعك في زنزانة حديدية لتزينها و لم تضع عقدة مميتة حول رقبتك و لم تسمح للكهرباء أن تمرح بجسدك"

أنهى كلماته وهو ينظر بصرامة للثنائي الذي ظهر عليه الارتباك لوهلة قبل أن يتداركا الموقف ويتماسكا وهم يعلنون موافقتهم على الانضمام لكتيبة المحاربين، ابتسم المسؤول وعاد يوجه كلماته لفريد مرة أخرى: "انتظرنا في الخارج بضع دقائق يا سيد فريد"

خرج فريد متسائلًا عن سبب طرده بهذه الطريقة المهذبة، لن ينكر أنه لم يشعر بالإحراج لكنه طُرد، بعد مرور ما يقارب النصف ساعة فُتح الباب و خرج منه الرجلان و هما يرتديان زيًا عسكريًا يشبه ما يرتديه الجنود المنتشرون في الشوارع، دروع واقية و خوذات حماية، تضاعف حجمهما بسبب كل تلك الدروع التي أحاطت بأجسادهما بينما تسلح كل منهم

بسلاح آلي حديث الصنع وفي حزام ملفوف حول خصريهما تتدلي الذخيرة المناسبة لهذا السلاح، أحذية ذات رقبة عالية، راقبهما فريد بهلع و هما يقفان أمامه يتفحصان أسلحتهم و يتأكدون من عملها بشكل جيد قبل أن ينظر له أحدهما و هو يسأله : "هيا بنا؟"

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يسأله: "ألن أرتدي مثلكما؟"

أجابه بنبرة سخرية: "أنت القائد، لا يجب أن يختبئ القائد خلف الدروع"

وجد نفسه مُحَاصَرًا إما أن يجازف ليثبت أنه قائد صلب وإما أن يختار الأمان فيثبت أنه رخو، آثر السلامة وقرر أن يظهر بمظهر القائد الصلب، هبط درجات السلم قبل أن تأتيه كلمات مصحوبة بنبرة سخرية أخرى: "أين تذهب أيها القائد؟، طائرتنا تقف فوق السطح"

صعد مرة أخرى متجهًا للسلم المؤدي للسطح وفي رأسه تعتمل آلاف الأفكار وتتصارع بلا نهاية، لم يلحظ نظرات السخرية التي تبادلها مرافقوه قبل أن يستعيدا مظهرهما الصارم والهواء البارد يضرب وجوههم وهم يتأملون المروحية الصغيرة التي تستعد للإقلاع

لأن الحياة تُعاش مرة واحدة لذا يجب أن تكفينا في هذه المرة لكي نفعل كل ما نحلم به أو نتمناه، لا مانع من بضع شطحات طالما كان الحلم في حدود المعقول ولا مانع من كثير من القفزات إذا كان الحلم في لا حدود الجنون، فلتحدد حلمك كي تعرف قدر خطواتك فربما يكون حلمًا صغيرًا فتكون خطواتك إليه خجلة متعثرة وربما يكون حلمًا كبيرًا فتكون قفزاتك ضخمة وبعيدة كالقمر في سماء الحلم، لذا لم يفكر حازم مرتين في العرض الذي عرضته عليه الحسناء، سيفعل أيَّ شيء و كل شيء من أجل الإطاحة بهذا المسمى رمزي، عدوه الصدوق و صديقه اللدود، علاقتهما مربكة نحت فيها الزمان تعقيدات لم يقدر أيهما على حلها، سينضم للمنظمة و سيقاتل ضمن صفوفها

ما المانع؟ من المؤكد أنها منظمة خيرية طالما يكرهها رمزي وحتى لو لم تكن خيرية يكفي ثواب محاربة رمزي، لذا لم يفكر كثيرًا قبل أن ينظر إليها ويتخذ قراره بوضوح: "لا مانع لديّ من الانضمام إليكم"

ابتسمت وهي تقول له: "كنت متأكدة من هذا ولكن كما تعلم لكي تذوق العسل لابد من القليل من اللدغات"

نظر لها بدهشة منتظرًا باقي الجملة ولكنها مدت يدها إلى جيبها لتخرج حاملة وريقة صغيرة كُتب فيها بخط حَسَن وبلغة عربية سليمة بضع أسماء وعناوين، نظر لها وهو يمر بعينيه سريعًا قبل أن ينظر لها مرة

أخرى منتظرًا باقي التفسير، أكملت حديثها بهدوء: "أظن أنه لا مانع لديك من بعض التضحيات في سبيل الوصول لرمزي"

أجابها مُصَحِّحًا جملتها: "لا مانع لديّ من بعض التضحيات في سبيل سحق رمزي"

ابتسمت بهدوء و هي تقول له : "في هذه الوريقة عشر أشخاص من أكثر الأشخاص ضررًا بالنسبة للمنظمة، الاختبار الحقيقي بالنسبة إليك أنك لن تعلم أيَّ شيء عن هؤلاء الأشخاص قبل أن تدخل بيوتهم بنفسك، ربما تجد بينهم المجرم و المغتصب و السارق و ربما تجد بينهم التقي و الطاهر و العالم، ربما تجدهم مجموعة من الملاحدة أو بعض رجال الدين، المهم أن قدرتك على تصفية هؤلاء العشرة هي تذكرتك لدخول المنظمة، سأضمن لك ألا تتعثر في قوات الأمن و لكنك ستحارب المسوخ و صُناع الفوضى بمفردك، لن نمدك بأيِّ نوعٍ من أنواع الأسلحة و لن تلقى منا أي نوع من التسهيلات، إذا قُبِضَ عليك فهذه المحادثة لم تتم و المنظمة لا تعلم شيئًا عنك أو عن رمزي"

وبرغم قسوة الكلام والتهديد الصريح الذي يتلاعب بين الكلمات مبتسمًا بسخرية إلا أنه تقبله في سبيل شخص واحد، زوجته!

كان مطمئنًا فمن يدافع عن حبه لن تخذله الدنيا، عليك فقط أن تعلم جيدًا أن الحياة لو خذلتك فمن خُذلت منه أو بسببه ليس حبك الحقيقي لذا سيفعل المستحيل من أجلها، من أجل نظرة منها، ابتسامتها الساحرة وأخيرًا تحرر لسانه فسأل: "وزوجتي؟"

ابتسمت وهي تقول: "زوجتك هي الجائزة الكبرى، هل تسمع عن اليانصيب؟؟ زوجتك هي جائزته، فرصتك الوحيدة الصحيحة أن تجمع العشر ذاكرات بداخلك، وقتها فقط ستفوز بها"

"سأفوز"

"أتمنى"

"ورمزي؟"

"ستتسلمه على طبق من ذهب بمجرد أن تقوم بالمطلوب ومن الممكن أن يقوم بالمهمة مجموعة من ذوي الأيدي الملطخة بدلًا منك"

تساءل في دهشة: "ذوي الأيدي الملطخة !!"

"ذوي الأيدي الملطخة هم مجموعة من المتطوعين ويقومون بالمهام القذرة التي تتعلق بالدماء ولا يمانعون أن تتلطخ أيديهم بالدماء طالما ستغسلها النقود، وستدفع المنظمة أجرهم بدلًا عنك إذا أردت"

"ولكن أيَّ لذة سأُحرَم إذا لم أرى الذل والهوان في عينيه قبل أن أقضي عليه، أنا صياد قاس، أحب أن أرى ضحيتي تطلب الحياة فلا تجدها، التوسلات والذُل هما وقود قوتي"

ابتسمت هي تعطيه ورقه المُغلَّق وتقول: "دليل حُسن نية"

تسلم ورقه و هو يبحث عن قداحة في جيبه و أحرق الأوراق تمامًا دون أن يفتحها و ركل رمادها بقدمه قبل أن يتبادل ابتسامة مع الحسناء و هي ترحل من الشقة قبل أن يترك جسده يسقط ليرتاح على الأريكة و أنامله تقبض على الورقة التي تحوي أرقام اليانصيب الفائزة بينما تحركت هي و

بمجرد أن خرجت من المبنى وجدت سيارة تنتظرها،ابتسمت لقائدها و هي تُخرج طَيَّةً من الأوراق من بين ملابسها و تُريهِ إياها،ابتسم و هي تدلف في المقعد الخلفي و تجلس و السيارة تتحرك بها، قبل أن تغلق عينها تبادلت نظرة رضا مع قائد السيارة، مع رمزي!

***

أغلق عينيه و ترك رأسه يفصل تشابك الأفكار عن بعضها، كان يبدو كالنائم لا يتحرك في جسده سوى صدره الذي يعلو و يهبط في سيمفونية التنفس الرتيبة و لكن بداخله كان يدور صراع لا هوادة فيه، حلبة الصراع لا تحتمل الأفكار الضعيفة أو الملحوظات المكررة، أرض لا تنتصر فيها سوى الأفكار ذات الزخم الإبداعي، فتح عينيه فجأة و كأنه عائد من موت طويل قبل أن يتحرك بهدوء إلى غرفة داخلية، توجه إلى المكتب و فتح أحد الأدراج يبحث فيه عن غايته، مرت لحظات و لم يجدها فتركه مفتوح و فتح الآخر و بيدٍ بدأت ترتعش و جسد متوتر بدأت عملية البحث تتخذ شكلًا عصبيًا، لم يجد مبتغاه هذه المرة فجذب الدرج الخشبي بقوة ليلقيه أرضًا و يفتح الدرج الذي يقبع أسفله منتظرًا دوره هذه المرة وجدها، خرجت يده تقبض عليها بقوة، نظر لمحتويات الدرج الآخر المتناثرة أرضًا قبل أن تقع عينيه على مبتغاه، علبة دبابيس ضغط و خريطة العالم، توجه نحو حائط تزينه بضع لوحات طولية تُكَوِّن مشهدًا ساحرًا للغروب و نزعها بقوة و هو يلقيها قبل أن يخمد حماسه، فرد الخريطة و ثَبَّتَ أركانها واحدًا تلو الآخر وأخذ يتأملها قبل أن يُخْرِج الوريقة التي تحمل خلاصه من جيبه و يتأملها، ملاحظة صغيرة مرت عليه و لكن عقله النشط لم يسمح لها بالمرور، بعض تلك العناوين تقع في دول لها علاقات متوترة مع الوطن العربي، لم تخبره الحسناء عن الوسيلة التي سيسافر بها

و لكنها تركت له عنوان بريد إليكتروني مدون بخط أسود مختلف عن باقي الورقة، بالتأكيد سيستخدمه للإجابة عن أسئلته، أمسك باقي المسامير و استمر في غرزها واحدًا تلو الآخر في الدول التي كُتبت في الوريقة و بترتيب معين استمر في تثبيت الدبابيس، و بمجرد أن انتهي دخل إلى غرفتها، كتم أنفاسه كي لا يشتم رائحتها و دمعت عيناه بقوة، كل الموجودات ظللتها الدموع بينما هو يعبث في أدراج ماكينة خياطتها الخاصة حتى وجد بكرة خيط أحمر سميكة و كانت هي مبتغاه، خرج من الغرفة و أغلقها قبل أن يتنفس بعمق و مع زفيره خرجت آهة ألم محملة بوجع هائل ضاق به صدره، تمالك أعصابه و هو يخرج و يبدأ في توصيل الدبابيس ببعضها، بدءًا من بيلا روسيا مرورًا بالمملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، المغرب، غانا، السودان، جزر المالديف، إيران، تركيا و فلسطين، دائرة غير منتظمة التكوين تحيط بالوطن العربي الذي يتوسطها حائرًا فيم فعل كي يُحاصر،أنهى ما فعله و ابتعد خطوة للخلف و هو يتفحص نتاج عمله، مرت بضع دقائق قبل أن يُخْرِجَ هاتفه و يلتقط صورة لما فعل، وضع هاتفه جانبًا و انهمك في فك الخيط و الدبابيس و إزالة الخريطة عن الحائط، وضع كل هذا جانبًا و هو يتأكد من غلق الغرفة التي تحتوي على الجثث،التقط إحدى صور زوجته و حررها من إطارها و هو يقبلها بصدق و يضعها في جيبه، فتح باب الشقة و هو ينظر للوراء مُتَأَمِّلًا شقته للمرة الأخيرة، لم يحدد بعد ماذا سيفعل و لكنه سيجد حلًا بالتأكيد، كل ما يحتاجه هو حاسب محمول و خط إنترنت سريع بعض الشيء و بريد إليكتروني يتواصل منه مع البريد الذي تركته له الحسناء،التفت ليجد أمامه شخص أسمر البشرة يقف مبتسمًا كاشفًا عن صفين من الأسنان البيضاء، تأمل ملامحه في سرعة و هو يتأهب لكن ابتسامة الآخر طمأنته، لم يتحدث و لم يتحرك، فقط يبتسم !

تركه حازم وَهَمَّ بالرحيل قبل أن يتذكر أن ملامحه قريبة الشبه من هؤلاء الذين هاجموه من قبل عندما كان يحتل جسد جون، وقبل أن يلتفت للخلف ليتأكد من ملحوظته سقطت هراوة خشبية ثقيلة على مؤخرة رأسه وسمحت لوعيه أن ينحسر منه في سرعة ليترك الظلام ينتشر ويحتل رأسه في سرعة، وهوى جسده أرضًا، تبادل الشخصان نظرة صامتة وهما يمسكان به من قدميه ويجرانه مُخَلِّفِيْنَ ورائهم خيطًا متصلًا من الدماء الحمراء القانية وصورة ملوثة بالدماء سقطت من جيب ضحيتهم

(14)

هبطت المروحية في مكانٍ ما قارس البرودة، تأمل فريد المكان من حوله و هو يشعر بالبرودة تتسلل إلى جسده، تأمل البخار الأبيض المصاحب لأنفاسه قبل أن تقع عيناه على شخص ما قادم بسرعة و باحترام ليستقبلهم، مد يده أمامه و هو يرسم أكثر ابتساماته دبلوماسية إلا أن الرجل تجاوزه و هو يمر ليصافح الملثمان، شعر فريد بالغضب،انهمك القادم في حديث خافت مع الملثمان و هو يمدهم ببعض الأوراق التي ينظرون إليها، قرر فريد ألا يفتعل مشكلة فبدأ بتأمل المكان من حوله، تقريبًا المكان واسع فسيح و يحتوي على مبني واحد ضخم جهة اليسار بينما أغلبه ممرات لهبوط الطائرات، لافتة ضخمة حملت اسم المطار (Hrodna Airport)،أنهى القادم كلماته قبل أن يرحل و هو يتفحص فريد بعينين زرقاوين و ابتسامة سخرية، مر الرجل فتوجه فريد إلى الملثمين بقوة و هو ينتزع الأوراق من بين ايديهم بقسوة و يتأملها، عرف أنهم في مطار هرودنا الذي يخدم بلدة جرودنو في دولة بيلاروسيا، حاول أن يقرأ الأوراق إلا أنها كانت مكتوبة بلغة لم يفهمها، و لكي لا يُحْرِج نفسه تظاهر بتأمل الورقة قبل أن يعطيهم إياها و هو يقول : "من هذا؟"

أجابه أولهم وهو يطوي الأوراق ويحفظها في جراب صغير مثبت حول خصره: "صديق قديم"

صمت فريد منتظرًا المزيد من التفاصيل ولكن تأتي الرياح دائمًا بما لا تشتهي السفن، عاد الغريب مرة أخرى ولكن هذه المرة يركب سيارة دفع رباعي ضخمة ويقف بجوارهم، قفز الملثمان إلى السيارة برشاقة رغم

ضخامة جثثهم بينما عانى فريد من جسده المترهل وهو يركب السيارة وبمجرد أن استقر بها وحيدًا في المقعد الأخير، بدأ يتنفس رائحتها الجيدة ويتأمل الملثمان اللذان جلس أحدهما بجوار السائق بينما جلس الآخر خلفهما منهمكين في حوار آخر خافت، صاح بهم فريد بغضب باللغة الإنجليزية: "أنتم !، هل تخفون شيئًا عن قائدكم؟"

تلفت أحدهم حوله ساخرًا وهو يقول: "أين هذا القائد؟"

ملأت الضحكات الساخرة المعبقة بروائح السجائر سماء السيارة قبل أن يتدارك الآخر الموقف وهو يقول: "نمزح يا زعيم ... بالطبع لا نخفي شيئًا ولكن كما أخبرناك صديق قديم ونستعيد معًا الأيام الخوالي"

أخذت السيارة تقطع الطريق وسط همسات الثلاثي الذي يجلس متجاورًا في الخلف بينما صمت فريد الذي أخذ يستمع إلى صوت بضع صخور تهشم تحت عجلاتها فتلقي حتفهما بصمت، أخيرًا توقفت السيارة أمام إحدى البنايات وفُتحت أبوابها ليهبط الجميع، سأل فريد: "هل وصلنا إلى هدفنا؟"

أجابه أحد الملثمين بهدوء: "لا، هذا بيت آمن تابع للمنظمة، سنصعد لنفهم مهمتنا قبل أن نتحرك"

هز رأسه متفهمًا و هم يصعدون على سلم البناية ليقفوا أمام أحد الأبواب الذي فتحه الغريب ليدخلوا، شقة فسيحة هادئة.ابتسم فريد و هو يستمع للموسيقي التي انطلقت جَرَّاءَ ضغط الغريب على أحد أزرار جهاز تحكم كان موضوع فوق منضدة عملية صغيرة، دخلوا إلى غرفة فسيحة تحوي أريكة و عدة مقاعد و شاشة تلفاز ضخمة و تحتوي على بار صغير، دخل أحد الملثمان إلى البار وانهمك في فحص الزجاجات قبل أن ينتقي

زجاجة و هو يصيح فرحًا بكنزه الصغير، انتقي اربعة كؤوس و صب لكل منهم رشفة شراب صغيرة، أعطي لكل منهم كأسه و لكن فريد هز رأسه ورفض الشراب، ظهرت الدهشة على وجه الرجل قبل أن يسأله عن السبب، أجابه فريد بكلمة واحدة : "مُسلم"

ضغط الرجل على كأسه بقسوة فتهشم بين يديه و سال السائل أرضًا ملوثًا بالدماء قبل أن يطلق سبة بصوتٍ عالٍ و هو ينظر الجهة الأخرى و كيلا يتوتر الموقف فتح الغريب الشاشة و ضغط زرًا في جهاز التحكم عن بُعد الخاص بها فظهرت صورة شخص ما، شاب ثلاثيني أشقر ذو عينين عسليتين و ابتسامة ساحرة يرتدي معطفًا أبيض، صورة أخرى ظهر معمل علمي مجهز بأحدث الأجهزة العلمية، الصورة الثالثة و الأخيرة كانت خريطة المدينة مع إشارة بنقطة سوداء توضح مكانهم حاليًا و أخرى حمراء تشير إلى مكان هدفهم، أغلق الغريب الشاشة و بدأ يتكلم : "العالم أيدا سيلفا، 29 عامًا، أحد أهم علماء و أطباء علاقات الجسد البشري و صاحب أهم نظريات الذاكرة و علاقتها بالجسد، هذا هو هدفكم، هذا أحد أهم أسباب المشكلة الحالية التي يُعاني منها الكوكب"

ولأن خير الكلام ما قل ودل صمت الغريب فبدأ فريد يسأل: "ما الذي فعله؟"

"الأسئلة ممنوعة يا سيد فريد، ليس لأنني أعرف ولا أريد إخبارك ولكن لأنني فعلًا لا أعرف، الأسئلة ممنوعة تمامًا هنا"

سأل أحد الملثمين: "هل المطلوب القبض على الهدف؟"

أجاب الملثم: "لا"

سأل فريد بقلق: "إذن ما المطلوب؟"

"تصفيته"

***

في هدوء تام و بدون أي صوت كان الملثمان يصعدان السلم، حتى أصوات أحذيتهم المطاطية الخافتة حاولوا كتمها قدر استطاعتهم، كانا يصعدان من السلم الخلفي الخارجي الذي يسمي سلم النجاة محاولين البحث عن نافذة مفتوحة أو مكسورة يدخلون منها إلى المبنى لأن الباب الخلفي مفتوح، هناك حيلة قديمة يتبعها البعض في هذه الحالات ألا وهي الضغط على كل أزرار الـ (ديكتا فون) المعلق أسفل البناية فبالتأكيد ينتظر أحد السكان شخصًا ما أو شيئًا ما و لكن نظرًا لسرية مهمتهم و حرصهم أشد الحرص على التخفي قدر الإمكان حاولوا التسلل لسلم النجاة، كان السلم معلقًا على ارتفاع عالٍ و كاد فريد ييأس إلا أن أحدهما قفز برشاقة قفزة هائلة ليتعلق به و يجذبه للأسفل، خانهم السلم المعدني و صرخ نتيجة تعطله عن العمل لفترة و لكنهم لحسن الحظ كانوا في شارع جانبي فلم يلتفت لهم أحدًا، و الآن هاهم يبحثون عن نافذة مفتوحة كي يدخلون منها و يفتحوا الباب لفريد المنتظر بالأسفل، المعلومات تقول أن وجهتهم تقع في الطابق العشرون و يجب ألا يستعملوا المصعد، هكذا أمروا و هكذا سينفذون، أخيرًا لمحوا نافذة مفتوحة فتوجهوا إليها، أزاحوا الستارة التي تغطيها و دخلوا إلى المنزل بهدوء، وجدوا أنفسهم في غرفة معيشة بداخل شقة دافئة، صوت التلفاز يعمل و لكن لا أحد يشاهده هذا لأنهم يتأملون الآن الأسرة المكونة من أب و أم و طفلين يتناولون الطعام، الطفل الأصغر كان أول من رآهم و يبدو أن مظهرهم الملثم و اللون الأسود الغالب على أزيائهم لفت نظره، توقف عن تناول خضرواته و انهمك في تأملهم بهدوء، حاولت أمه مرة تلو الأخرى أن تحثه على استكمال طعامه و لكنه لم يرد عليها فاضطرت أخيرًا أن ترى ما يلفت نظره، كان

الملثمان قد استلا مسدساتهما و هما يتحركان ببطء و هدوء عندما وقعت عينا الأم عليهما، شهقت في عنف و قالت شيء بلغة لم يفهموها و على الفور التفت الأب و لكنه للأسف لم ير سوى الرصاصة التي سكنت جمجمته فأخرجت الروح منه. تألقت عينا الملثم الأول بينما عالج الآخر الأم برصاصة حملت تذكرة سفرها لتقابل زوجها في رحلتهم الأخيرة فسقط رأسها وسط طبق من الحساء الذي تلوث الآن بلون أحمر و برصاصتين كتم صوتهما كاتم الصوت الذي زين مقدمات المسدسين انتهت حياة أسرة كاملة كان لها أحلام وأدتها الرصاصات قبل أن تولد، ضغطا الزر المخصص لفتح الباب و تأكدا أن فريد يصعد السلم،انهمكا في تجهيز مسدساتهم مرة أخرى و التأكد من حشوها بالذخيرة المناسبة. أخيرًا وصل إليهما فريد فصعدوا على الفور بهدوء يقطعون الطابق تلو الآخر و يتجاوزون ما لا يهمهم في سبيل الوصول لهدفهم. في الطابق التاسع عشر وقفوا ليتأكدوا من كل شيء، دق قلب فريد بعنف على عكسهما فهو رجل عادي و ليس رجل أمن أو مجرم سابق مثلهما. أشارا له بالتسلح فحمل سلاحه الصغير و أشهره أمامه. صعدا إلى الطابق العشرين ووقفوا أمام الشقة المنشودة.احتل الملثمان جانبيها كلٌ إلى جانب ووقف فريد يحتل المقدمة. ركل فريد باب الشقة الذي لم يجادله طويلًا فانفتح على مصراعيه ودخل الملثمان إلى الشقة ليفتشاها بحثًا عن هدف اقترب موعد صيده. كان فريد يسمع صوتهم يقلبون الأثاث و يعيدون ترتيب هيئة الشقة. صوت زجاج يتحطم و أدراج ينتهك عرضها. قبل أن يسمع صوت خافت يأتي من خلفه. من جوف علبة المصعد تحديدًا. نظر بحرص فلم ير شيئًا. المصعد مظلم. فتح بابه الخارجي و قبل أن يفتح الباب الداخلي دفعه أحدهم بعنف.التصق الباب بوجه فريد الذي شعر بألم حاد في أنفه. سالت الدماء من أنفه لتغطي نصف وجهه السفلي بينما استغل الطبيب الشاب المفاجأة و هو يحاول المرور لينزل درجات السلم،

تعلق فريد بقدمه في اللحظة الأخيرة فسقط أرضًا لتصطدم رأسه بالأرض، أصابه الدوار فلم يستطع الحركة لكن لسانه لم يكل أو يمل، حاول أن يخاطب فريد، أن يستغل عاطفته، أن يتحدث مع عقله عله يستمع، بكلمات أرهقها الدوار تحدث : "اسمعني، لا تكن غبيًا، أنا الأمل الأخير لهذا الكوكب، هناك مسودة كُتب فيها جميع المعادلات الخاصة بالجهاز الذي تنوون تحطيمه، لو تحطم هذا الجهاز لن تستعيد الأرض توازنها مرة أخري"

"جهاز!، ما لنا وجهازك، أنت خطر على هذا الكوكب ووجودك يهدد أمنه"

"هذا ما أوهموك به، يجب أن تسمعني جيدًا، هذه المسودة لا يعلم أحد مكانها سوى ثلاثة، أعتقد أن حياتي انتهت هنا ولكن كي تعلم لا يستطيع أحد أن يقرأها ويفسر ما كتب بها سوانا، يجب أن تتركني أرحل، أنا الأمل الأخير"

قبل أن يستكمل كلماته زينت جبهته رصاصة أخرسته للأبد ولكنها أبدًا لن تفلح في إخراس التساؤلات المثيرة التي تعتمل بعقل فريد، نظر له الملثم وهو يسأله بخشونة: "ماذا كان يقول لك؟"

"كان يرجوني ألا أقتله"

"فقط؟"

"أجل ... فقط"

"لا أصدقك ... ولكننا سنري"

ابتلع فريد ريقه بصعوبة وهو يمشي خلفهم آملًا ألا يكونوا قد حضروا الحوار منذ البداية وطفق يفكر في سر هذه المسودة وسر علمائها الثلاث

(15)

أتدري حين تكون مستكينًا تبحث في وادي الأحلام عن أحلامك الضائعة التي طالما حلمت بها و لم يسعفك الزمن أو بمعني أصح لم يسمح لك القدر أن تنفذها، تلك الأحلام التي صارت تافهة برغم عظمتها بسبب ضغوط الحياة، حلم أن تكون طبيبًا أو مهندسًا الذي تضاءل أمام نظام تعليم يعتمد على درجات و ليس رغبات، حلم أن تتزوج حبك الأول الذي سحقته ظروف الشقة والمصاريف و حلم مشروعك الأول الذي هُدم بسبب التكاليف التي تطلبها، كل تلك الأحلام وغيرها تراها الآن بين يديك، تشعر بها ملموسة و تنتعش روحك بالأمل في أن الأوان لم يفُت وأن تحقيق تلك الأحلام ما زال ممكنًا، ستستبدل مشروعك بآخر يناسب متطلبات هذا العصر وزواجك بالاهتمام بزوجتك الحالية و تدليلها بينما الحلم الأخير لن تستطيع إيجاد حل له لأنك ستشعر بموجة من الماء البارد تصدمك في وجهك لتصفع أحلامك البريئة التي ستهرع خوفًا لتختبئ مرة أخرى في غياهب جزء مات من قلبك، هذا ما شعر به حازم حينما اصطدم دلو ماء بارد بوجهه ليعيده إلى تلك الحياة مرة أخري،انتفض في عنف و هو يعتدل قبل أن يتأوه و يمسك برأسه و يسب في ألم بلغة عربية ، بدأت الرؤية تتضح أمامه و بدأ يرى مجموعات من الأشخاص يتأملونه و هم يبتسمون في شفقة، في الحقيقة لم يكن عددهم كبيرًا و لكنه قَدَّرَ عددهم بأنهم حوالي المائة قد يزيدون و قد ينقصون، من أمامه هناك منضدة قديمة متهالكة تم تغطيتها بقطعة من قماش أخضر اللون في محاولة لإخفاء تهالكها الواضح بينما خلفها يجلس شخص أسمر البشرة ذو لحية مشعثة و يجلس على مقعد أحمر اللون ضخم التكوين يحاول

بائسًا أن يبدو كعرش،اعتدل حازم و هو يحاول التوقف، شعر بالدوار فكاد يسقط، حضر الشخص الذي رآه من قبل يبتسم أمام بابه و حاول أن يسانده كيلا يسقط لكن حازم انتزع ذراعه منه بعنف و سخط و هو يتمالك نفسه و يستعيد توازنه و يسأل الشخص الذي يحاول أن يبدو ملكًا : "أين أنا؟"

ابتسم الملك وأمر بإحضار مقعد له كي يجلس أمامه، سرعان ما حضر طفل لا يتجاوز الخامسة عشر يحمل المقعد والأمر الذي لفت نظره أن هذا المقعد كان يبدو أحسن من مقاعدهم، هم يحاولون الظهور أمامه بصورة حسنة، جلس وهو يصوب نظراته تجاه الملك الذي حافظ على ابتسامته لم تتزعزع وهو يجيب سؤاله: "أنت في المقر الرئيسي لكتائب صُناع الفوضى"

ظهر الغضب على وجه حازم وهو يقول: "ما الذي يحدث، هل جننتم، صُناع الفوضى والمنظمات والمزيد والمزيد من التسميات، أيعقل أن تسمي كل مجموعة نفسها اسمًا مثيرًا وتعيث في الأرض فسادًا، أما كفاكم؟"

جاءته المفاجئة في ابتسامة الملك التي لم تتزعزع أمام ثورة حازم بل وبهدوء أجابه: "صُناع الفوضى هم صنيعة المنظمة، هي من مولتهم ودربتهم وحرصت على زرعهم في أماكن محددة لكي تخدم أغراضها ولكننا أفقنا، متأخرين ولكن أن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي لذا نحاول القيام بعمل صالح، اعتبرنا مجموعة من المرتدين عن دين الظلم أو فلول المنظمة ولكن يجب أن تسمعنا جيدًا قبل أن تتمادى في ثورتك ويجب أن تعرف أنك سترحل آجلًا أو عاجلًا، أنت لست أسير أو سجين"

ارتاح قلب حازم لأنه شعر بجزء من حريته يعود إليه فبدأ يعتدل على المقعد معطيًا إشارة للملك أن يبدأ بالحديث و لكن الملك أشار لأحد الموجودين فاختفى لبرهة قبل أن يعود بجهاز عرض بدائي مكون من عمودين من الخشب بينهما قطعة قماش أبيض اللون و من أمامها جهاز عرض صغير يرمي بصورته على القماش الذي أيضًا يحاول بدوره أن يتحول لشاشة عرض سنيمائية، بدأ عرض فيلم قصير أغلبه مصور بكاميرات بدائية ذات جودة قليلة و لقطات ليس لها علاقة ببعضها البعض وضعت في ترتيب غير مفهوم و لكن في نهاية الخمس عشر دقيقة أو ما يزيد قليلًا المكونة لمدة عرض الفيلم كان وجه حازم قد احمر تمامًا، تعلم مصطلحات لم يسمع بها من قبل ككتيبة المحاربين و محاربي المسوخ و غيرها من المصطلحات الجديدة،انتهي من الفيلم و تأمل وجه الملك الذي اختفت ابتسامته ليحل محلها أطنان من الحزن و الشعور بالمسؤولية، وجه حديثه إلى الملك مرة أخرى : "الموضوع أكبر مني و منك فما الذي تريده مني؟"

"الصبر يا عزيزي فلولاه لانتهى الزمان"

ضغط زرًا آخرًا فظهرت صورة الخريطة المستخلصة من ذاكرة هاتفه لتملأ نصف الشاشة وصورة فريد صديق عمره تملأ النصف الآخر وبدأ الملك حديثه مرة أخرى: "لكل منا دافع يحثه على استكمال تلك اللعبة مهما بلغت حقارتها وقسوتها، أريد أن أعرف دافعك ... المال، زوجة، طفل، عمل أو صداقة؟"

"زوجة تحمل طفلًا بداخلها"

ابتسم الملك وهو يقول: "الصورتان اللذان أمامك هم أول الطريق لاستعادة كل شيء ولكن يجب أن تسمعني جيدًا"

"هذا فريد صديقي وهذه الصورة هي خريطة طلبت مني المنظمة تصفية بعض الأشخاص الموجودين بعناوين محددة بها"

"في الحقيقة يجب أن تنقذ هؤلاء الأشخاص، تلك هي بداية الطريق لاستعادة كوكبنا ويجب أيضًا أن تعلم أن فريد مكلف بتلك المهمة أيضًا، يجب أن تقنعه بالتوقف"

ضغط زرًا آخر فظهرت صورة رجل مترهل قذر الهيئة وأشار إليه الملك وهو يقول: "هذا هو فريد ... سأخبرك بمكان جسده وسأساعدك في توصيله للمكان التالي، لقد انتهوا للأسف من القضاء على أحد أهم آمال الأرض ويتجهون الآن إلى آخر... اسمعني جيدًا"

بدأ الملك في الحديث ومع كل كلمة بدأ يتأكد حازم أن الوباء الأعظم موجود في العقول والقلوب وليس في مكان آخر!

***

تألق السؤال فجأة وسط حديث الملك، حاول حازم أن يتماسك وألا يقاطعه لكن فضوله تجاه السؤال فاق فضول القط فلم يتحمل، انطلق التساؤل من بين شفتيه كقذيفة: "لماذا نحن!"

صمت الملك ولم يُبْدِ أي تبرم أو ضيق على ملامحه رغم أنه ملك وأن إشارة منه ستجعل حاشيته تأكل حازم أكلًا ولكن يبدو أن المقاعد والمناصب لا تغير أصحابها وأنها آفة العرب وحدهم، لو جرؤ حازم وقاطع مدير وحدة صحية مصري لدفنوه حيًا، إلا أن هذا لم يحدث لحسن حظه ولكن على العكس تمامًا ابتسم الملك في هدوء وهو يتيح الفرصة لحازم كي يستعرض

سؤاله ويأتي بما في جعبته ليلقيه أرضًا كي يراه الجميع، لاحظ حازم الصمت فتابع أسئلته: "لماذا نحن؟، أنا مجرد رجل شرطة متقاعد وفريد ليس شخصًا مهمًا على قدر علمي؟"

صمت قليلًا قبل أن يستفسر مرة أخرى: "هل كيان ضخم بحجم المنظمة يحتاج لرجلان عاديان كل مهارتهما تكمن في لعب الطاولة والدومينو؟، لم لا يبحثون عن أبطال يشبهون أبطال الأفلام الهوليودية، أبطال مفتولي العضلات، وسيمي الخلقة، سريعي التفكير وحادي الذكاء؟، لماذا رجلان يشبهان أي رجلان آخران؟"

حافظ الملك على ابتسامته برغم قسوة وحدة أسلوب حازم الذي انتهى من أسئلته محمر الوجه وعلامات الغضب منحوتة على ملامحه وبهدوء أجاب: "يجب أن تعرف يا صديقي أن أي ماكينة في العالم تدور بفضل مجموعة تروس، منها الكبير ومنها الصغير ولكن هذه التروس كلًا منها يعتقد أنه بفضله وحده تدور تلك الآلة مهملًا كل الأدوار الأخرى بفضل غروره وكِبْرُه، هذا ما وقعت أنت فيه أو كدت تقع فيه، هل تعتقد أن المنظمة اختارتك أنت تحديدًا؟؟ أنت مجرد ترس وترس صغير جدًا، الذي لا تعرفه أن المنظمة تلعب لعبتها بطريقة الفرق، هناك حتى الآن أربعة عشر فريقًا سبقوا فريقك أنت وفريد ولكنهم فشلوا جميعًا وأنت ربما ستفشل، لا تغتر بنفسك يا صديقي فخلفك تنتظر مئات الفرق منتظرة أن تؤدي نفس دورك وربما أفضل منك ولكنها لن تشارك إلا في حالة فشلك، وفشلك بالنسبة للمنظمة يعني الموت، والموت فقط"

"أربعة عشر فريقًا فشلوا؟"

"نعم، منهم على الأقل حوالي ستون بالمائة منهم لم يصلوا لوجهتهم كي يبدأوا مهمتهم، منهم من اغتالته أصابع العدالة سواء متمثلة فينا أو في

غيرنا ولو أنك رجل أمن سابق وستتفهم الأمر ما جازفنا بكشف أنفسنا إليك"

"أنتم !، أنتم من حاول قتلي من قبل!"

نظر الملك أرضًا وهو يجيبه: "هذا قبل أن تهرب وتثبت كفاءة في المقاومة والنجاة حتى الآن"

وقف حازم وهو يصرخ: "أيها الأوغاد"

وعلى الفور عشرات الرماح والأسهم والسيوف وجهت إليه تنتظر إشارة من الملك لتحيله كتلة من اللحم المفروم إلا أن إشارة الملك جاءت على النقيض تمامًا لتدخل هذه الأسلحة مرة أخرى كُلٌّ إلى عرينه، تأمله الملك وهو ثائر غاضب قبل أن يشير له بأن يجلس وكأن الملك يحمل في يده مفاتيح نفسه القلقة استجاب له حازم على الفور فتابع الملك حديثه: "ستحاول يا حازم، ربما تنجح وربما تفشل، ستساعدنا وستساعد الكوكب وإن نجحت فنحن عون لك"

"وإن فشلت؟"

"نحن من سنقتلك، سر تمردنا يجب ألا يُكشف أو يذاع؟"

"وكيف ستضمن ولائي؟"

"لن تكون وحيدًا في صراعك، نحن أيضًا سنخوض صراعًا شاقًا من أجل ضمان ولائك"

صمت الملك وهو يضغط زرًا في جهاز التحكم لتظهر صورتها على الشاشة، سقط قلبه أرضًا وهو يرتجف حنينًا وينظر للملك الذي اختفت ابتسامته الآن تمامًا.

(16)

وصلوا لندن، عاصمة الضباب، خرجوا من المطار في سيارة صغيرة خاصة بالمطار ولكنهم سرعان ما استغنوا عنها بعد أن قطعت عدة شوارع خالية من المارة، نقدوا السائق مبلغًا ماليًا مع نظرة حادة تخبره ألا يطلب شيئًا آخر، سألهم فريد: "أين سنذهب الآن؟"

نظرا له ولكن أحدهما لم يجبه، تركاه ومشيا بخطوات سريعة وأحدهما يتأمل جهاز إلكتروني في يده يعمل عن طريق شبكة الإنترنت، كانوا يظهرون في الجهاز على شكل نقطة حمراء تتحرك في طريق أزرق اللون يتعرج كالثعبان لينتهي عند نقطة خضراء تومض بكثرة كلما اقتربوا منها، لم يجد فريد سبيلًا سوى أن يتبعهم في هدوء، بدأ يفهم قواعد اللعبة، هو مجرد واجهة للأمر، رئيس لا حول له ولا قوة أما هما فهما القادة الحقيقيين ولكن لأن سجلهم ملوث بجرائم وإدانات تم اختياره هو ليكون مجرد دمية بلهاء تسعد بالقيادة

تبعهم في صمت و هو ينوي أن يغير قواعد اللعبة، طالما لجئوا لتهميش دوره فسيظل مهمش و لكنه سيلعب بخبث، يجب أن يتأكد أولًا من الكلام الذي قاله له الطبيب وهو يحتضر ثم عليه أن يجد تلك الأبحاث التي تحدث عنها و أن يلجأ لأحد الشخصين أولًا لكي يشرحها له ثم سيفرد باقي قواعد اللعبة لكن أولًا القاعدة الأهم هي أن يتظاهر بالحماقة لذا تبعهم في صمت مقيدًا أفكاره كيلا تفضح خطته، أخيرًا وصلوا للمكان فأغلق الأول الجهاز وبصمت دون تبادل أيَّ كلمة مع فريد أخرجوا أقنعة سوداء وغطوا وجوههم تمامًا، فتحوا الباب ليجدوا امرأة عشرينية كانت

توشك على الخروج قبل أن تقف لتتأمل أسلحتهم و أقنعتهم بفزع، فتحت فمها لتصرخ طلبًا للمساعدة و لكن رصاصة صامتة كتمها كاتم صوت أقنعتها أن تعدل عن رأيها و تسقط ميتة تحت أقدامهم و بلا أي مبالاة تقريبًا تخطوها وهم يصعدون السلم بخطوات بطيئة. توقفوا أمام إحدى الشقق و بهدوء وَجَّهَ أحدهم ركلة للباب، فتح الباب على مصراعيه و لكن قبل أن يدخلوا للشقة خرجت منه رصاصة أصابت أحدهما في ذراعه و في المكان الذي يفصل الدروع الواقية عن بعضها، هذه الرصاصة خرجت من سلاح شخص يعرف جيدًا من يواجه و كذلك يعرف نقاط ضعف دروعهم، شعر فريد بالفزع و هو يتأمل الدماء التي غطت ذراع الملثم الذي بدا و كأنه لم يهتم برغم أنه يضغط على أسنانه كيلا يصرخ ألمًا و لكن باستثناء نظرة الألم في عينيه فإن شيئًا لم يتغير، ارتبك فريد و هو يبحث عن مكان يختبئ به قبل أن تأتيه رصاصتان إحداهما عن يمينه و الأخرى عن يساره، لم تصيباه بخدش واحد و إنما سببتا له حالة من الفزع، اطمأن قليلًا لأن مهاجمهم لم يصيبه و إنما حرص على حياته، وقف مكانه شاعرًا بالخوف يمتزج مع الأمان، لم يتحرك، نظر للملثمين فوجدهما يتأملاه بحيرة و عيناهما تسأل عن السبب الذي دفع مهاجمهم لعدم قتله؟

وقبل أن ينتبها أتاهم الموت من حيث لا يحتسبون، أصابت الأول رصاصة في حنجرته فشهق شهقة مصحوبة بحشرجة ملوثة بالدماء، اتسعت عيناه في ذهول و كأنه لا يصدق أنه مات قبل أن يسعل بعنف لتتناثر الدماء على زميله الذي شعر بالغضب فكشف عن مخبأه و هو يزمجر في قسوة انتهت سريعًا عندما سقط أرضًا مضرجًا بالدماء، وجد فريد نفسه يقف وحيدًا في مواجهة باب مفتوح و شقة خالية و جثتان أرضًا سقطتا

برصاص غادر اقتنص الحياة منهما، لم يعرف ما هو التحرك السليم و لكن شعورًا داخليًا أخبره بأن هذا الرجل لو يريد قتله لقتله بسهولة و لكنه لم يقتله لسببٍ ما و لكي يبحث عن هذا السبب تحرك ببطء ليدخل إلى الغرفة عندما رآهما للمرة الأولي، ثقبان صغيران في الحائط المقابل للباب أحدهما عبرت منه فوهة بندقية روسية الصنع بينما الآخر تلتمع فيه عين مليئة بالشغف، عندما دلف إلى الشقة انسحبت فوهة البندقية و اختفت العين، وقف فريد يرتجف و هو ينتظر الخطوة التالية التي لم تتأخر، سرعان ما فُتِحَ باب جانبي خرج منه شخص يرفع يديه للأعلى في استسلام و هو يضع قناع أسود بلا أي فتحات و خلفه يمشي ملثم مصوبًا البندقية إلى ظهره، تأمل فريد الوضع قبل أن يركع على ركبتيه و هو يرفع يديه للأعلى هو الآخر بدوره، أشار له الملثم أن يقف و ألا يرفع يديه فامتثل للأمر بحيرة، خلع الملثم القناع عن وجه الضحية فصُعق فريد، كان جسده يقف أمامه، جسده بشحمه و لحمه، صحيح أنه خسر الكثير من الوزن و اختفت عدة عضلات سيبذل الكثير من الجهد من أجلها فيما بعد ولَوَّحَت الشمس بشرته و خسر أحد أصابع يده اليسري لكنه هو، تسمر و هو لا يعرف ماذا يفعل قبل أن يخلع الملثم قناعه لتظهر ملامح حازم و هو يبتسم : "مرحبًا يا فريد"

***

تسمر فريد مكانه في صمت، لا يدري ما هي الخطوة القادمة، هل يبحث عن طريق لاستعادة جسده أم أنه يجب أن يسرع لاحتضان صديقه خصوصًا و أنه من أتي له بمراده الذي تورط بسببه في هذه المغامرة ، حسم أمره عندما رأي ابتسامة صديقه التي طمأنته عبر الكثير من المشاكل و كانت خير سند و دعم، اندفع له يحاول احتضانه لكن بابتسامة

صغيرة نبهه حازم إلى المسدس الذي لو هبط لدقيقة لهرب الأسير و بالتالي سيفقدون فرصة و الفرصة كما يعرف البعض تأتي مرة واحدة فقط في العمر، أمر حازم الأسير أن يهبط أرضًا ليركع على ركبتيه ريثما يتم لقائه مع صديق عمره، هبط الأسير فاندفع حازم يحتضن صديقه و يضمه و هو يربت عليه، أخيرًا وقفا يتأملان بعضهما قبل أن يقول حازم ببطء : "هذا الجسد يليق بك كثيرًا"

ابتسم فريد قبل أن يجيبه بمرح: "أريد القديم، هذا لا يناسبني"

ضحك حازم وهو يجيبه: "أتعرف، لطالما كان جسدك لغزًا محيرًا بالنسبة لنا، كنت أكثرنا أكلًا وأقلنا زيادة في الوزن، أتعرف محمد زميلنا الذي كان يزيد وزنه بمجرد أن يشم روائح الطعام؟"

ضحك فريد بقوة وهو يتذكر أيام كان العالم فيها أهدأ والنفوس فيها أصفي ... أيام كانت الذكريات لا تفارق الجسد إلا للموت، جلس فريد وهو يتأمل صديقه قبل أن تزحف نظراته رغم إرادته ليتأمل جسده القديم، هاجمته موجات الحنين والرغبة لامتلاكه مرة أخري، نظر لحازم الذي فهم قبل أن يقول له: "بالطبع أنت لا تعلم كيف تسترد جسدك؟"

"افترض أني لا أعلم، اشرح لي وببطء كي أستطيع استيعاب الأمر"

"الأمر بسيط للغاية، كل ما عليك فعله هو أن تؤمن بداخلك أنك تريد استرداد جسدك وذكرياتك وأن تتم عملية التبادل، أغلق عينيك وانتظر عملية التبادل، لا تفتح عيناك إلا حين انتهائها"

سأل فريد: "وكيف سأعرف؟"

لاحت ابتسامة قلق على وجه حازم قبل أن يجيبه: "ستعرف ... صدقني ستعرف"

تأمل فريد جسده الذي يجلس أرضًا مستكينًا قبل أن يأتيه خاطر فيسأله لحازم بصوتٍ عالٍ: "أتدري، لقد تحدثت لغة لا أفهمها وتحدثت بالإنجليزية والآن أخاطبك بالعربية، لا أدري موضوع اللغات هذا لا أفهمه ... كيف نتحدث العديد من اللغات؟"

ابتسم حازم وهَمَّ بالإجابة قبل أن يسمع صوت سعال يأتي من غرفة داخلية، ابتسم وهو يستأذن من صديقه ويخبره وهو يرحل: "السبب بسيط للغاية، كل من وجد ذكرياته يتحدث بلغته الأصلية أما من لم يجد جسده فيتحدث الإنجليزية التي يعرفها الجميع أو على الأقل يعرف القدر الكافِ منها للتعامل، لا تنس أنها اللغة العالمية الأولي "

تأمل فريد الشخص الأسير الذي يسكن جسده وهو يرى القلق يتقافز في عينيه قبل أن يقرر أن يسأله بلغة عربية وبصوت خفيض: "هل تفهمنا؟"

ابتلع الأسير ريقه وهو يهز رأسه إيجابًا، ابتسم فريد وهو يسأله: "من أين أنت؟"

أجابه بصوت خافت: "سنغ ... سنغافورة"

قبل أن يجيبه فريد دوي صوت رصاصة غادرة تركت فوهة مسدسها لتشق الهواء شقًا قبل أن تستقر في صدر فريد ... تأمل بأعين ينسحب منها الضوء تدريجيًا قسمات وجهه الأصلي وهي تُغَطَّي بالفزع و الدماء قبل أن يأتي ميعاد إغلاق العينين بستارة الموت السوداء، خرج حازم من الغرفة فَزِعًا وهو يُشهِرُ مسدسه فوجد أحد الملثمين يحتضر و قد استنفذ آخر

طاقاته في قتل فريد، شعر بالخوف أن يموت الملثم و ذكريات فريد بداخله قبل أن يتمكن من استردادها، صَوَّبَ المسدس نحو رأسه استعدادًا لصيد ذكرياته و ذكريات فريد من داخله و لكن جسد الملثم سكن أرضًا و توقف تنفسه، أودعه حازم رصاصة في رأسه فتفجر قبل أن يغلق عينيه و ينتظر أن يصيد ذكرياتهما لكن شيئًا لم يحدث، أغلق عينيه مرة أخرى و هو يضغط على أسنانه قبل أن يفتح عينيه و يفرغ المسدس في جسد الملثم و هو يصرخ : "هيا، هيا !"

لكن شيئًا لم يحدث على الإطلاق، ضاعت الفرصة ووأد الأمل واغرورقت عيناه بالدموع وهو يطلق آخر رصاصاته على الجسد الهامد

(17)

دَوَّت أجراس الإنذار تصرخ فزعة لتنبه الموجودين بفداحة الأمر و على الفور تحول المبنى الهادئ لخلية نحل نشيطة يجري بها الجميع و يُعاد ضبط جميع الشاشات و أجهزة الحواسب على برامج معينة ليتمكن الجميع من متابعة ما يحدث، في طابق معين كانت الأمور أكثر سخونة من باقي الطوابق، تحرك الجميع بفزع يقدمون تقاريرهم إلى الزعيم ... قائد المنظمة، بينما انهمكت بضع موظفات استقبال حرصن على ارتداء زي موحد على ترتيب التقارير التي ستدخل و بينما ينتظر الجميع التقرير الأهم، تقرير المسؤول المباشر عن الأمر شعروا بالتوتر، منهم من قبع يقرض أظافره بغير اهتمام للألم التي تسببه تلك العملية، بعضهم انهمك في هز أقدامهم بوتيرة معينة ولأن التوتر مُعْدٍ ولأن الجميع هنا يشعرون بالمسؤولية نشبت بعض المناوشات القليلة هنا وهناك ولكن أهمية الأمر وأدتها قبل أن تستفحل أو تنتشر، في مكتب يحتل منتصف الغرفة سمعت موظفة الاستقبال الأهم والأقدم صوت جرس يأتيها من جهاز الاستدعاء،ضغطت الزر لتفتح شبكة اتصال مع جُهاز آخر شبيه في المكتب بالداخل وأتاها صوت الزعيم ملوثًا ببعض الشوشرة الإلكترونية وهو يقول بهدوء لا يتناسب مع الموقف : "رمزي !"

بدون أن يزيدها من القول حرفًا و بدون أن تنتظر هي أن تسمع المزيد قفزت في سرعة لتشق الممر بخطوات سريعة متجهة لمصعد معدني، ضغطت زره فاستجاب في سرعة فاتحًا أبوابه أمامها على مصراعيها، دخلته و ضغطت زرًا آخرًا فاستجاب مرة أخرى آخذًا إياها إلى وجهتها بغير

نقاش، وصلت للطابق المطلوب فخرجت من المصعد تتأمل مدى الفوضى التي سببها غياب المسؤول عن هذا الطابق، بضع موظفين يعدون هنا و هناك يحملون أوراقًا تتطاير من أيديهم لتسقط أرضًا قبل أن يجمعونها في سرعة متابعين طريقهم بفزع لا يعرفون سببه، أضواء الإنذار تغطي الموجودات بلون أحمر قانٍ و صوته يشبه الصرخات الحزينة، وقفت منعقدة الحاجبين لوهلة قبل أن تتحرك في سرعة إلى لوحة إلكترونية في الحائط و تضغط أرقام كلمتها السرية في سرعة و مهارة تدل على أن تلك ليست مرتها الأولي في التعامل مع تلك اللوحة أو شبيهاتها، فتحت باب اللوحة و ضغطت زرًا ما فصمت المكان تمامًا و على الفور تحول الأمر لما يشبه أحد أفلام السينما التي ضغط أحدهم زر توقفها، تجمد الجميع في أماكنهم يتابعونها، أغلقت الباب بقوة فبدأ الجميع يستفيق من الصدمة و يتحركون لإتمام الأعمال المكلفين بها ريثما تمر تلك الأزمة على خير، توجهت بخطوات واثقة و كعب حذائها يطرق الأرض بشدة حاولت أن تجعل بأسها يطغى على أنوثتها و هي تتجه إلى باب تعرفه جيدًا و بدون أي مقدمات فتحت الباب بقوة و توقفت أمام رمزي الذي نظر لها بدهشة و هو يلتهم قضمة كبيرة من شطيرة يحملها في يد و يده الأخرى مشغولة بحمل كوب كبير من المياه الغازية التي تسبح بها جزر من ثلج أوشك على الذوبان، ارتفع حاجباه و هو يشير إليها بالشطيرة و لكنها دون أن تبتسم أغلقت الباب خلفها و توجهت لتجلس على مقعده أمام شاشاته و أجهزته التي تملأ منضدة كبيرة، ابتلع طعامه و هو ينظر لها قبل أن يبتسم و يقول :"لا داعي لأن تطرقي الباب في المرات القادمة، من فضلك ادخلي فورًا"

لم تبتسم بل وعكست عيناها صرامة فاجأته هو شخصيًا فترك كوب المياه الغازية والشطيرة جانبًا وبدأ يبحث عن شيءٍ يمسح به يديه من

الدهون والزيوت التي لوثتها فلم يجد، اقترب منها في بطء فحملت نظرتها تحذيرًا ناريًا فاضطر أخيرًا إلى تناول وريقة من فوق المكتب ليمسح بها يديه ويلقيها بعيدًا، جذب كرسيًا من آخر الغرفة وجلس بجوارها وهو يسألها: "ما الأمر؟"

أجابته بصرامة: "ألا تعرف؟"

ظهر الارتباك في عينيه وهو ينظر للشطيرة ويقول: "ولكنني دفعت ثمنها نقدًا ولم أضيفها إلى نفقات العمل !!"

بصوت حمل صرامة لم يتوقعها صاحت به: "رمزي !!"

ابتسم ببساطة وهو يقول لها: "إذن الأمر بخصوص التقرير؟"

هزت رأسها إيجابًا فتابع هو كلماته: "الأمر بسيط للغاية ولا يحتاج لأي تقارير على الإطلاق"

نظرت له وملامحها تعكس نظرة عدم فهم فتابع: "سأصعد للمدير بنفسي بدلًا من إرسال تقريري"

هزت رأسها نفيًا: "لابد من تقرير مكتوب ليضاف إلى سجلات الحادث"

ارتبك وهو يقول: "سأخبره كل الأمور وسأطمئنه بل سأعطيه دراسة شفوية كاملة عن الأمر، معطياته ومستجداته"

سألته: "أين التقرير؟"

نظر للورقة الملوثة بالدهون وهو يقول لها بارتباك: "لم أكتبه بعد"

لاحظت نظرته للورقة فتناولتها غير عابئة بتلوث يديها هي الأخرى وتأملت المكتوب بها قبل أن تسأله: "ولكن هذا ليس التقرير؟!"

ابتسم بخبث وهو يسألها: "ومن أخبرك أنه التقرير؟؟، هيا بنا نصعد للمدير لأخبره بالأمر"

خرجت من الغرفة قبل أن يعود ليتناول الشطيرة، لمحته فصاحت به بحزم: "رمزي!"

ترك الشطيرة جانبًا وتناول قلمًا وضعه في جيبه وهو يرمق شطيرته بنظرة وداع أخيرة ويخرج من الغرفة يتبعها في صمت

***

دلف رمزي إلى الغرفة خلف السكرتيرة التي قطعت المسافة بين الباب و المكتب الذي يجلس عليه المدير و ملامحه لا تعكس قلقًا أو توترًا عكس كل الموجودات بخارج مكتبه، تأملها المدير ببرود قبل أن يخلع نظارته الطبية و يضعها على المكتب و هو يمد يده ليتناول منها الأوراق، تأمل الأوراق و بدأ في تصفحها و هو يصرفها بإشارة من يده قبل أن يتوقف و يرفع عينيه ببطء ليتأمل رمزي المبتسم أمامه، لاحت نظرة تساؤل في عينيه قبل أن ينظر للسكرتيرة التي شعرت به فتوقفت وهي تنظر له، أشار لرمزي بيده و هو يسألها : "هل ستتركين السيد رمزي واقفًا هكذا؟"

التفت لرمزي وهو يبتسم بلطف ويسأله: "ماذا تشرب؟"

جلس رمزي على المقعد الموضوع جهة اليمين من المكتب وابتسم للسكرتيرة وهو يقول لها: "كوب كبير من المياه الغازية مليء بالثلج مثل الذي تركته في مكتبي، تتذكرينه"

احمر وجهها غيظًا ولكنها لم تنطق، أومأت برأسها وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها، تجاهله المدير تمامًا وهو يقرأ الأوراق بسرعة ويصنفها تبعًا لحساسيتها وأهميتها، مرت بعض الدقائق قبل أن ينظر لرمزي وهو يسأله: "أتعرف ميزة الأزمات؟"

تعجب رمزي وهو يسأله: "أولها ميزات؟"

هز المدير رأسه إيجابًا وهو يتناول نظارته لتنام على أذنيه وتبدأ مهمتها في تحسين نظره ويجيب: "من أكبر ميزاتها أنها تخبرك مَن مِن موظفيك يستطيع أن يعمل تحت ضغط الأزمات ومَن لا يستطيع"

أُعْجِبَ رمزي بالإجابة إلا أنه تجاهل التلميح قبل أن يسمعا صوت طرقات على الباب، أمر المدير الموجود بالخارج بالدخول فدخلت إحدى السكرتيرات وهي تحمل صينية فضية تحوي كوبًا من المياه الغازية تسبح على سطحه جزرًا من الثلج وكوب قهوة ساخن يتصاعد منه البخار، وضعت كوب المياه الغازية أمام رمزي والقهوة أمام المدير، تأمل المدير نظرات رمزي المتعلقة بالكوب الساخن قبل أن يسأله: "تشرب القهوة؟"

هز رأسه نفيًا وهو يجيبه: "أشمها"

أجابه بتعجب: "تشمها؟"

"نعم، أحب رائحتها التي تفتح مسام البشرة بأكملها وتصيب الجسد بحالة انتباه وتدغدغ الحواس برقة ونعومة، القهوة إكسير النشاط"

"تشعر بكل هذا بمجرد أن تشتم رائحتها؟"

"الصراحة لا أشعر بشيء ولكنني أجدهم دائمًا يرددون مثل تلك العبارات فحرصت على ألا أبدو متخلفًا، كل ما أردته هو أن أبدو عميقًا وكل ما أشمه هو رائحة بن محترق!"

ابتسم المدير وهو يتناول أولى رشفاته قبل أن يسأل رمزي: "أين تقريرك؟"

ابتسم رمزي وهو يقول: "الأمر لا يحتاج لتقرير يا سيدي، نحن نتابع الموضوع والأمور بأكملها تحت السيطرة"

"كيف وفريد وحازم تقابلا وأحدهما قد توفي أو أوشك على هذا، لا أعرف بالظبط أتدري لم؟"

"لم يا سيدي؟"

"لأن أحدهم لم يأتني بتقريره"

احمر وجه رمزي وهو يقول: "كل الأمور تحت السيطرة، ثق بي يا سيدي"

"أرجو أن تكون جديرًا بتلك الثقة"

وقف رمزي وهو يجيبه: "أشكرك"

توجه للخارج وفتح الباب وقبل أن يخرج توقف فجأة وعاد ليتناول كوب المياه الغازية وخرج من الغرفة، أغلق الباب وبمجرد أن اجتاز مكتب السكرتيرات تلاعبت على شفتيه شبح ابتسامة خبيثة، ابتسامة من يدرك خبايا الأمور وحده

(18)

توقف الزمن في هذه اللحظة، تجمدت كل الموجودات و توقفت كل ساعات العالم عاجزة أمام هذه الأزمة، توقف قلب حازم عن النبض حزنًا على مقتل فريد أمام عينيه و سيطر عليه شيطان العجز حتى شعر بغصة في حلقه، تأمل جسد الملثم الذي فارق الحياة سارقًا ذكريات فريد قبل أن يتسلمها منه حازم، حازم الذي لامته دموع عينيه على تأخر رد فعله وعلى إضاعة الوقت الهام في مناقشات فارغة، تأمل جثته المسجاة أمامه خالية من الروح و الدماء تسيل من ثقب امتص الحياة من صدره، و تأمل جثة الملثم التي مزقتها الرصاصات بلا أي رد فعل، ترك جسده يسقط على الأريكة بدون أي رد فعل أو مقاومة و هو يضع مسدسه جانبًا و يدفن وجهه بين كفيه و ينهمك في دموعه عَلَّهَا تُهَوِّنُ عليه قليلًا جسامة ما حدث، حركة خافتة في فضاء الغرفة لفتت نظره فتعلقت عيناه بها أملًا في رؤية ما يسر قلبه الحزين لكنه وجد جسد صديقه الأصلي يتحرك بعد أن نسيه الجميع في تبادل إطلاق النار الذي حدث، كان يزحف بعيدًا بجسد يرتعش فتجاهله حازم و هو يغمض عينيه بقوة محاولًا أن يجد طريقة ما للرجوع بالزمن و تصحيح الأخطاء، سمع سعلة تخرج من حنجرة مشروخة فتجاهلها و لكنه أقسم أن هذا الوغد لو أزعجه ثانيةً سيقتله، ما الهدف من إبقائه حيًا الآن؟

سمع سعلة أخرى مشروخة مع صوت أَنَّة تأتي من داخل قلب بشري يتألم ففتح عينيه في بطء و جَزَّ على أسنانه بعنف و هو يبحث عن مسدسه الذي سرعان ما وجده، أمسكه جيدًا وهو يتحرك بقوة و يزأر من شدة

الغضب قبل أن يضع فوهة مسدسه لتقبل جبهة جسد صديقه القديم الذي نظر إليه بخوف، نظرة عينيه بعثت طوفانًا من الذكريات و الحنين لكنه أغلق أحد عينيه استعدادًا لصيد ذاكرةٍ جديدة و قبل أن يضغط على الزناد سمع الصوت يتكرر و لكن الجسد القابع أمامه لم يصدره، تلفت حوله في لهفة حتى صادفت عينه المشهد الذي سعد برؤياه، الجثة التي يسكنها فريد تتحرك، تتنفس بصعوبة و تسعل دماءً تلطخ وجهه، رباه، هذه هي المرة الأولي التي يسعد فيها شخص ما برؤية أعز أصدقائه يحتضر و لكن لا وقت للتفكير أو لأي شيء آخر،اقترب حازم من الجثة و هو يشهر مسدسه أمامه و بسرعة ضغط الزناد و لكنه لم يسمع سوى صوت تكة خافتة تنبئه أن المسدس قد نفذ رصيده من الرصاصات، بحث عن رسولًا للموت في جيبه بسرعة و لكنه لم يجد، بدأت أنفاس فريد تخفت و بدأت عيناه تتيهان في بحرٍ من ظُلُمَات و قبل أن يفقد حازم تركيزه سمع صوت صفير فالتفت في سرعة بحثًا عن مصدره وجد جسد فريد يلقي له بمسدس صغير كان بحوزة أحد الملثمين، شكره بنظرة خافته و استعد لتناول المسدس لكن وقته لم يسمح له فهو يرى آخر أضواء الحياة تنسحب من عيني فريد و بمجرد أن اقترب منه المسدس حتى أحكم قبضته عليه و ضغط زناده قبل أن يستقر في يديه، و لأن المسدس لا يزال محلقًا في فضاء الغرفة فبالطبع طاشت أولى الرصاصات ولكن الثانية تعلمت من أخطاء زميلتها فهرعت لتمتص الحياة من جسد فريد الذي استكان جسده و قبل أن يهدأ جسد حازم شعر بها، شعر بالذكريات تقتحم رأسه، كما لو أن جسده يتمدد وأوصاله تتفكك و أفكاره تحترق، لكن ابتسامة المنتصر طغت على كل هذا، شعر بذكريات صديق عمره تستقر داخله و كل ما عليه فعله الآن هو إعادتها إلى جسده، اندفع إلى جسد فريد و احتضنه بقوة كاد معه أن يسحقه شاكرًا إياه بلا كلمات

على ما فعل، فالحضن أحيانًا أصدق من مئات الكلمات، و بسرعة مد يده إليه فتفهم الأخر الموقف، أغمض كلاهما عيناه وركزا في مهمتهما، سرعان ما تبدلت الذكريات، سعل فريد بقوة بعد أن استعاد جسده و هو يحتضن زميل عمره قبل أن يتابع بعينيه نتيجة الأمر، استعادة جسده التي أثمرت عن ثلاث جثث و عشرات فوارغ الرصاصات المتناثرة هنا و هناك و سيل من دماء و صديق ينشج بقوة كما لو أنهى ماراثونًا لتوه، فكر فريد للحظة : ترى هل كان شينزو محقًا و لم يكُ عليه أن يسعي لاسترداد جسده؟

***

مرت دقائق قليلة تخللتها أحداث كثيرة بتفاصيل مملة في وقت قليل، قَصَّ كُلًا منهما على زميله كل ما يعرفه وكل ما ينوي فعله، الآن الأمور صارت بينهما ليفكرا بها جمعًا فعقلان يفكران أفضل من عقل واحد، جلس فريد على طرف الأريكة وهو يريح ظهره بزاوية حادة على ظهرها وهو يفكر للحظات قبل أن يسأل حازم: "إذن نحن جميعًا نسعى خلف هدف واحد، قتل أهداف المنظمة دون أن نعي أننا عبيد نُسَاق في منظومتها لتحقيق أهدافها ولكن حسب كلماتك فإنه يجب أن ننقذهم لكي نتأكد أن حديث العالم الذي قُتل أمامي ليست مجرد ترهات"

هز حازم رأسه إيجابًا: "بالضبط، ولحسن الحظ أني سبقتكم هنا لأنقذ الضحية الجديدة ومن حسن الحظ أنني اكتشفت مكان جسدك لأساعدك في استرداده"

ابتسم فريد وهو يسأله: "ألا تلاحظ أن الكثير من المصادفات يحدث هذه الأيام؟"

قالها وهو يتأمل قبضته وهو يعبث بأصابعه كأنه يتأكد من جسده القديم قبل أن يسمع رد زميله: "ومن قال إنها صدف؟"

التفت إليه فجأة ليجد ابتسامة خبيثة تتلاعب على شفتيه قبل أن يسأله مرة أخرى: "أخبرتني أنك سبقتنا إلى هنا لتنقذ الضحية الجديدة ومنذ قدومي رأيت شلال دماء وعشرات المظاريف الخالية لرصاصات حملت ملائكة الموت عليها وجثث فقدت حياتها"

أشار بيده للغرفة الداخلية التي خرج منها وهو يقول: "ينام كالملائكة بالداخل"

يقف فريد ليدخل إلى الغرفة لكن حازم يوقفه بيده وهو يخبره بابتسامة صغيرة: "هناك شيء يجب أن نفعله أولًا"

ظهرت علامات التعجب على وجه فريد للحظات قبل أن يفاجأ بلكمة قوية وُجّهَت إلى أنفه ليندفع منها شلال دماء يغرق وجهه قبل أن يضم قبضتيه ويبدأ في صراع حازم الذي لم يفهم ردة فعله حتى الآن

وقف فريد في منتصف الغرفة و هو يرفع رأسه للأعلى محاولًا ردع الدماء التي تسيل بعنف من أنفه ممسكًا في يده بمنديل قماشي تحول لونه للأحمر من كثرة شراهته للدماء، شعر بشخصٍ ما يقترب منه و دون أن ينظر شعر بشيءٍ بارد يوضع بين يديه فتأمله بطرف عينيه ليجدها حقيبة بلاستيكية تحوي الكثير من الثلج، رفع المنديل ليجد أن النزيف قد قارب على التوقف فوضع كيس الثلج مكانه و جلس على الأريكة و هو يحافظ على وجهه مرفوعًا للأعلى، أخيرًا شعر أن النزيف توقف فهبط رأسه لوضعه الطبيعي و هو يتأمل الشاب الوسيم الجالس أمامه و الذي يتسلح بابتسامة لطيفة قبل أن يسأله : "من أنت مرة أخرى؟"

بصوت هادئ وقور أجابه: "رمزي، رمزي الإتربي ... مدير عام قسم الـ ..."

قطع كلماته بابتسامة مستدركًا: "مدير عام قسم مهم بالمنظمة، أريدك أن تهدأ وأن تقص عليَّ ما حدث مرة أخري"

أشاح فريد بوجهه وهو يقص عليه الأمر متجنبًا بعض التفاصيل وصولًا للحظة العراك الذي سرعان ما وجده حازم خاسرًا لأن بنية فريد الجسدية أكبر وبرغم مهارات حازم القتالية لكنه لم يصمد أمام فريد الذي كان الغضب يمده بأطنان من الأدرينالين التي منحته من القوة أضعاف ما يملك فخاض معركته كثورٍ طليق، لكمات وركلات هاجمت حازم الذي فوجئ فترك الأمور هاربًا من أمام فريد الذي طارده حتى الأسفل لكنه رفض ترك المنزل خوفًا من هرب الضحية، أنهى كلماته فتلفت رمزي حوله وهو يسأله: "لكنني لا أرى الضحية يا فريد؟"

تأمل فريد الجثتان الملقيتان أرضًا بعينيه قبل أن يشير بيده لغرفة داخلية: "بالداخل، كما أخبرتك حازم كان يخدره بالداخل فدخلت وقتلته دون أيّ مقاومة"

نظر رمزي بتخوف للغرفة الداخلية قبل أن يسأله: "هل من الممكن أن أراها؟، أنت تعرف أن تلك مجرد إجراءات روتينية"

هز فريد رأسه إيجابًا بهدوء لم يتوقعه وهو يقف، بخطوات سريعة دلف للغرفة وسرعان ما خرج منها يجر جثة خلفه بمجرد أن رآها رمزي حتى أشاح برأسه الجهة الأخرى متحاشيًا النظر إليها، تأمله فريد بتعجب وهو يسأله: "ما بك؟"

نظر له رمزي وهو يسأله بدهشة هو الآخر: "أعتقد أن تلك الجثة ينقصها عضوًا رئيسيًا، حسنًا، اترك لي الوقت لأفكر لأن الأمر صعب بعض الشيء"

صمت رمزي وهو يتظاهر بالتفكير قبل أن يجيبه بغضب ساخر: "أعتقد أنه الرأس ولكنني لست متأكدًا"

نظر فريد للجثة متأملًا قطعة الحطام التي تحل محل الرأس وتأمل الاشتباك العنيف الذي حدث بين مكوناتها مخلفًا قطعة من اللحم المعجون بمزيج من العظام وخلايا المخ وقليل من الدماء قبل أن تظهر عليه علامات الخجل وهو يجيبه: "عندما هرب مني حازم شعرت بالغضب واضطررت أن أنفث عن غضبي كيلا أموت غيظًا"

تأمله رمزي و الشك يلعب حركته النهائية في تلك المعركة قبل أن يخرج من جيبه جهازًا و يضغط به زرًا جانبيًا، تحولت الشاشة للون الأخضر، أمسك رمزي بيد الجثة و وضع إبهامها على الشاشة منتظرًا نتيجة الفحص، مرت لحظات صمت قبل أن تقطعها صوت صفارة حادة ليخبر

رمزي عن وصول نتيجة الفحص، ترك اليد و أمسك الجهاز و تأمل نتيجته الإيجابية قبل أن يغلقه و يضعه في جيبه و هو يستأذن فريد في تقليل جرعة العنف قليلًا في التعامل مع الضحايا، أجابه فريد بابتسامة عَبَّرَت عَمَّا يجيش بداخله أبلغ من أي كلمات قبل أن يتركه رمزي و يرحل، نادي عليه فريد فتوقف مستمعًا لتساؤل : "ما الذي سيحدث؟"

التفت رمزي وتأمل ملامحه قبل أن يخبره: "الآن سنرسل فرقة من ذوي الأيدي الملطخة لتنظيف تلك الكارثة قبل أن تُلاحظ وسيتم تعيين شخص أو اثنان لمساعدتك، أم أنك تحتاج فريقًا بأكمله؟"

"لا أريد أيَّ شخصٍ برفقتي"

"كيف ستتحرك بمفردك يا فريد؟"

"ألا تعرف أن الذئب العجوز لا يَصْطَادُ إلا بمفرده؟"

"ولكن بعض الذئاب تفضل الصيد ضمن قطيع"

أشار فريد لأنفه وهو يسأله: "ألا ترى ما فعله بي أحد أعضاء القطيع؟"

ابتسم رمزي وهو يجيبه: "حسنًا أيها الذئب العجوز، لا ترحل قبل أن ينتهي ذوي الأيدي الملطخة من مهمتهم"

سأل بفضول: "لماذا؟"

أجابه وهو يرحل: "لأنهم يحملون مفاجأة لك"

***

انهمك ذوي الأيدي الملطخة في عملهم، في البداية اعتقد فريد أنهم سيدرسون الغرفة أولًا ثم ينهمكون في محاولة لإعادتها مرة أخرى إلى نظامها السابق و لكن يبدو أنهم مدربون على أداء أعمال أخرى أهم،

انهمكوا في خلق غرفة جديدة، طلوا الحوائط بلون أبيض لامع و في ثوانٍ معدودة جف الطلاء و لدهشته لم يجد فيه دليل واحد على أنه طلاء جديد و بعدها انهمكوا في معالجة الطلاء كيميائيًا حتى بدا و كأنه قديم بعض الشيء و افتقد جزء من لمعته و بدا لو أنه مترب بعض الشيء بعدها انهمكوا في تركيب الإضاءة و لاحظ أن بضع مصابيح كانت إضاءتها أضعف من الأخرى لتبدو كأنها أقدم، بعدها جمعوا كل الجثث و جففوا الدماء و أخلوا الأرضيات قبل أن يزيلوا كل السجاد الموجود و الأثاث ليلقوا به في شاحنتهم و بدأوا في تركيب بعض "السيراميك" الذي يشبه الأرضيات الخشبية بلونها البني الفاتح المميز قبل أن يخرِجوا بعض قطع الأثاث القديمة و ينثرونها في الغرفة بترتيب معين و أنهوا الأمر بوضع بضع صور عائلية لأشخاص لم يعرفهم لكي يبدو و كأنهم يسكنون تلك الشقة منذ أجل قديم، براعتهم أدهشت فريد للغاية و لكن ما فجر إعصار الدهشة بداخله هو التطابق الذي يصل حد المثالية في كل الموجودات، لو أنه لم يقف معهم أثناء تجهيز الغرفة و معالجتها لظن أنها نصف غرفة معرضة لمرآة تعكس كل تفاصيلها بدقة غير طبيعية، كلمة السر هي (Symmetry) أو التناظر و هي علميًا معروفة و لعل أفضل مثال لها هو الإنسان الذي يطابق نصفه الأيمن نصفه الأيسر تمامًا، كان الجميع يرتدون بذات بيضاء بخوذات تشبه بذّات مُرَبِّي النحل أو رواد الفضاء و عندما انتهوا خلعوا الخوذات و بدأوا في تهنئة بعضهم البعض على عملهم الرائع، لاحظ أن أغلبهم من الأوروبيين إلا واحد أو اثنين،أنهى الجميع أعمالهم و انسحبوا بهدوء إلا شخصين وقفا على باب الشقة من الخارج و هما يواجهان الرواق، وقفتهما ذكرته بالحراس الشخصيين المفتولي العضلات حامين حِمَى النوادي الليلية و الفنادق الباهظة التكلفة، تجاهلهما و هو يتابع زعيمهم الذي خلع خوذته و نَحَّاهَا جانبًا وانهمك في خلع بذته قبل أن يتركها أرضًا بإهمال لا يتسق مع تناظر الغرفة، نسق حلته السوداء التي

ظهرت و أحكم ربط رباط عنقه الأحمر وهو يخرج من جيبه مسدسًا أسود اللون تسبقه قطعة كاتمة للصوت تحميه من فضول الأغراب، وببرود نظر لفريد و هو يقول : "يبدو أن المنظمة قد قررت التخلص منك"

لم يجب فريد وإنما تراجع للخلف وهو يتذكر الأسلحة التي حملها ذوي الأيدي الملطخة منذ قليل لترقد في السيارة، تراجع حتى التصق بالحائط وأغلق عينيه وهو يستمع لكلمات تأتيه بلغة إنجليزية محكمة: "ويبدو أيضًا أنهم قرروا ألا يكون رسولهم ضعيف"

"كل الرسل تعرضوا للابتلاء"

"يبدو أنك محظوظ، ستكون من الرسل الذين استشهدوا في سبيل إكمال مهمتهم"

"ولكن ...."

قاطعه الوسيم: "ولكن هي كلمة السر، كلمة لن تحتاجها طالما أنت على الطريق الصحيح، فقط تظهر ولكن إذا انحرفت عنه"

نظر الوسيم للخارج فَهَزَّ أحد المكلفين بالحراسة رأسه وهو يغلق الباب قبل أن يجذب الوسيم فريد من ذراعه وهو يخرج به إلى الخارج، بابتسامة لطيفة عاجله: "معذرة، أعلم أن الطقس بارد ولكن الغرفة ستتسخ بدمائك"

لم يبتسم فريد بل على العكس تمامًا أصابه برودة الطقس بقشعريرة حاول أن يداريها كيلا يبدو ضعيفًا، شعر بنسمة رقيقة من الهواء البارد تمر على وجهه كأنها تواسيه أو ترثيه، أغلق عينيه وهو يتذكر رحلته حتى الآن، رحلته التي قاربت على الانتهاء قبل أن يسمع صوت الرصاصة ويسقط من الشرفة دون أي مقدمات

(20)

لم يفهم الوسيم شيئًا و هو يسمع صوت رصاصتين من الخارج قبل أن يقفز فريد من النافذة ليتعلق في حافة الشرفة التي تخص الطابق السفلي، انقبضت عضلات يديه بقوة و رفع رأسه يتأمل الذهول المرسوم على وجه الوسيم قبل أن يقرر أن يتخلى عن الذهول هذه المرة و يستعيد رباطة جأشه بعض الشيء، برزت فوهة المسدس ودَوَّت رصاصتان مكتومتان من فوهته تطاردان جسد فريد المتعلق في حافة الشرفة السفلى إلا أن فريد بقوة جذب جسده ليلقيه بداخل الشرفة قبل أن تصيبه الرصاصتان، تبعثر الجليد نتاج اصطدام الرصاصات به و بدأ تبعثره كما لو أنه يحتج على زَجِّهِ في هذه المطاردة، التفت الوسيم إلى الباب المغلق و الذي سمع صوت رصاصتين تدويان عبره و وقف أمامه مترددًا، حاسة رجل الأمن بداخله تخبره ألا يفتحه و أن يقبع خلفه منتظرًا بينما فضوله الإنساني يضغط عليه لكي يتخذ خطوة جريئة و يفتحه رغم أن عقله يعلم أنها خطوة حمقاء، على الجانب الأخر من الباب و منذ عدة دقائق وقف رجلي الأمن المسؤولين عن حماية الباب ريثما ينتهي زعيمهم من مهمته و يتجهان لمهمة جديدة، مهمة نصها الأساسي القذارة.

تستقبل المنظمة مئات الراغبين في العمل لديها و تحت إمرتها فيخضعون جميعًا للمقابلات الشخصية و الاختبارات حتى تنتقي المنظمة من يصلحون للعمل بها أما الباقين فقد دلفوا إلى مقرها و رأوا وجوه مديريها و مديرى أقسامها لذا يجب التخلص منهم، يتم تعيينهم ضمن قوات ذوي الأيدي الملطخة و يخضعون لتدريب سريع لا يتخطى أيام، يتوجهوا لأداء مهمة بصحبة ثلاثة من القدامى، قائد و حارسي أمن من الطراز الأول، يعيدوا ترتيب مهمات المنظمة قبل أن يهبطوا للسيارة و يظل القائد و

الحارسين بالأعلى لوضع اللمسات الأخيرة أو لأداء مهمة إضافية قبل أن يحدث تفجير عن طريق الخطأ ليذهب كل الجُدد ضحيته و تنعيهم المنظمة في خبر لا يزيد عن ثلاثة أسطر في موقع مهجور على شبكة الإنترنت، حسنًا تحدث الحوادث في كل مكان في العالم فلا داعي لأن يظن أحد في المنظمة ظنٌ سيء، وقف الحارسان يتابعان الرواق الخالي قبل أن يظهر شخص يرتدي معطف أسود و يخفي ملامح وجهه بغطاء رأس يلقي الظلال على ملامحه فتندثر تحته، قبل أن يقررا ماذا سيفعلان وجد كلًا منهما رصاصة تأتيه في زيارة مفاجأة و قاتلة، سقطا أرضًا و علامات عدم الفهم على وجوههم، خلع حازم غطاء الرأس لتظهر ابتسامة النشوة و لمعة العينين التي يشعر بها كل صائد و هو يمارس مهمته اللذيذة، لم تعد تسبب له الألم الذي كانت تسببه في البداية، وقف أمام الباب يواجهه و هو يحمل مسدسه استعدادًا لخروج الرئيس الذي يقف خلف الباب من الجهة الأخرى، مسدسان مُشْهَرَانِ يفصل بينهما لوحٌ من الخشب و العديد من النوايا السيئة

أخيرًا قرر الوسيم أن يفتح الباب وبمجرد أن وضع يده على مقبض الباب شعر بحركة من خلفه فالتفت إلى الخلف في سرعة ليجد مزهرية تطير في الهواء متوجهة إلى رأسه، في ردة فعل سريعة رفع مسدسه وأطلق رصاصة هشمت المزهرية وهَشَّمَت معها أحلامها بكسر رأسه الصلب، بحث بعينيه عن فريد الذي وقف في منتصف الغرفة مبتسمًا وهو يقول: " الآن"

لم يفهم المقصود بكلمة فريد، للحظة تأمله قبل أن يشعر أن شيئًا ما صدمه من الخلف بقوة فسقط أرضًا وطار مسدسه ليبتعد عنه بضعة سنتيمترات كانت كافية بأن يصل لقدم فريد المبتسم، أدار رأسه ببطء فوجد حازم يقف مبتسمًا وهو يمسك مقبض الباب الذي فتحه بقوة ويقول بابتسامة سخرية: "هل صدمتك؟"

قبل أن يرد الوسيم وضعت رصاصة أطلقها فريد حدًا لحياته لينهي حياة أحد مديرى قسم ذوي الأيدي الملطخة على يدي فردان عاديان، أيقنا أنهما تورطا في لعبة أكبر منهما وقررا أن يضعا مبادئهما جانبًا ريثما ينتهيا من لعب اللعبة أو على الأقل تغيير قواعدها، بحثا في جيوبه حتى وجدا جهاز تحكم عن بعد يحوي ثلاثة أزرار سوداء وزر آخر أحمر ودون تفكير أمسك فريد به وضغط الزر الأحمر وهو يسأل ببراءة: "ترى ماذا يفعل هذا الزر؟"

دَوَى الانفجار بعنف من أسفل العمارة ليجيب عن سؤال فريد الساذج قبل أن تتبدل ملامح وجهه وهو يسأل حازم الذي وضع يده على وجهه في يأس: "هل تعتقد أنني المسؤول؟"

جذب الجهاز من يده دون أن يجيبه وهو يضعه في جيب معطفه وينظر له شزرًا وهو يغلق سحاب المعطف ويمشي وهو يشير له أن يتبعه في صمت

مشي فريد خلف حازم وهو يفكر في خطة حازم البسيطة، صراع تقليدي ينتهي بهروب أحد الطرفين خوفًا من قوة الآخر وبطشه، غشاء مطاطي يتم تسخينه بالنار وطبع البصمات عليه قبل أن يلصق بواسطة غراء من نوع خاص ليصنع بصمات جديدة

دلفا إلى شقة مهجورة ليجدا ضحيتهما في انتظارهما قبل أن يبتسم له حازم مشجعًا فيتنهد الصعداء وهو يطلب منه البقاء هنا لاستقبال الأخرين وطمأنتهم فآخر مكان ستفكر المنظمة فيه هو نفس المكان، ابتسم له مشجعًا وهو يعطيه جهاز استقبال خاص من اختراعه، تأمله حازم لبرهة قبل أن ينهمك الضحية في شرح آليات عمله لحازم الذي ينصت باهتمام قبل أن يهز رأسه في إشارة لأنه فهم بالكامل، ربت على يد فريد وهما يخرجان من الغرفة متجهان إلى مهمتهما التالية، أن يسبقا المنظمة وأن ينقذا الضحايا قبل أن تصل لهم المنظمة

(21)

الولايات المتحدة الأمريكية

مدينة نيويورك – حي مانهاتن

مشى حازم و فريد بجوار حديقة سنترال بارك، أحد أشهر المعالم السياحية الموجودة في مدينة نيويورك و لكنهما تجاهلا هذه المعلومة تمامًا في سبيل تنفيذ مهمتهم، نظر فريد في الورقة التي يحملها و هو ينظر بعينيه سريعًا على عدة أبنية متجاورة قبل أن يشير لأحدهم،اتجه فريد و حازم إلى المبنى في خطوات سريعة و كلاهما يتحسس سلاحه الرابض داخل معطفه في صمت، صعدا بخطوات سريعة إلى المبنى و اتجها للمصعد، ضغط فريد الزر المخصص للدور المطلوب و انتظرا قليلًا ريثما توقف المصعد و فُتح بابه، خرجا ليواجها الشقة المطلوبة قبل أن يُشْهِر فريد سلاحه

***

صعد أحد مديرى المنظمة لنفس المبنى بعد عدة ساعات بهدف التأكد من إتمام المهمة، تحسس سلاحه و هو ينوِي قتل كل من يوجد بالأعلى حتى لو وجد فريد المُنْشِقّ عن المنظمة، فتح باب المصعد ببطء و هو يشهر مسدسه أمامه، رأته شقراء فصرخت و بابتسامة أخرج من جيبه بطاقة تعريفية له كأحد الفيدراليين فاطمئنت و إن أمرها أن تلزم شقتها و لا تخرج منها، وقف أمام باب الشقة المطلوبة و فتحه ببطء فلم يجده

موصدًا، تقدم ببطءٍ شديد فلم يجد أي شخص في بهو الاستقبال، دلف إلى الشقة يسبقه مسدسه و سرعان ما سمع صوتٌ خافت للغاية في المطبخ و بمجرد أن دلف إليه وضع يده على أنفه يقاوم الاشمئزاز الذي هاجمه عندما رأي مقلاة مليئة بالزيت المغلي موضوعة فوق الموقد، لم يثر هذا اشمئزازه قدر الجثة الموجودة أمامه و التي وضع وجهها في الزيت حتى اختفت ملامحه تمامًا و لم يعد يظهر سوى لحم مقلي، قاوم اشمئزازه للمرة الثانية و هو يحاول منع نفسه من التقيؤ و هو يمسك يد الجثة و يضع إبهامها على الجهاز الذي أعطاه الإشارة التي ينتظرها، هذا هو الشخص المطلوب، تركه سريعًا و هو يرسل إحداثيات المكان لذوي الأيدي الملطخة لكي يقوموا بتنظيف المكان و خرج سريعًا يتفحص وجهته التالية على الجهاز الخاص به

***

المملكة المغربية

مدينة القنيطرة – إقليم سيدي قاسم

شارع عادي يقف فيه العديد من الباعة الذين ينادون على بضائعهم بلغة محلية و يتفننون في إضفاء نوعًا من القافية لندائهم كي يجذب قدرًا أكبر من المشترين، مشى بسرعة يشق طريقه وسط السوق البدائي محاولًا تجنب الاحتكاك بأكبر قدر ممكن من الناس حتى وصل إلى وجهته، تأمل البيت القديم الذي تغلب عليه الشروخ و تأمله بشك، يكاد لا يصدق أن هذه هي وجهته، من غير المعقول تمامًا أن تهتم المنظمة بشخص يعيش هنا قبل أن يلمح بطرف عينه مبني جديد مطلي بلون أبيض فتطلع إليه و

هو يراجع خريطته الإلكترونية ليجد أن وجهته هي المبنى النظيف، هدأت شكوكه تمامًا و هو يتجه إليه في خطوات سريعة، عالج قفل البوابة المعدنية بقطعة سلك رفيعة يحملها معه قبل أن يسمع التكة المميزة لفتح الباب، صعد إلى الشقة المطلوبة و بمجرد أن فتحها وجد جثة بلا رأس تمامًا تنتظره و كأنها ترحب به ، تأكد من بصماتها و عندما صدق الجهاز إيجابًا اتجه إلى باقي أرجاء الشقة ليبحث عن الرأس و لكنه لم يجده، شعر بالانزعاج بسبب تقدمهم عليه بخطوة، ترك المكان سريعًا و هو يقرر أن يتوجه لوجهته التالية بسرعة

***

جمهورية غانا

مدينة تاكورادي – حي سيكوندي تاكورادي

حي ساحلي هادئ حتى يكاد يشعر أن صوت طرقات حذائه بمثابة جهاز إنذار ينبئ الموجودين بقدومه، حاول أن يبطئ كي يتخلص من تلك الطَرَقَات المزعجة و لكن حماسه لم يستطع أن ينفذ الأمر، قادته خطواته إلى ما يشبه الفيلا الصغيرة و التي تحيطها حديقة غَنَّاء رغم صغرها، قفز من على السور آملًا ألا يجد كلاب حراسة، يبدو أن الحظ قرر الوقوف بجانبه أخيرًا فلم يجد شيئًا، دار حول الفيلا في خطوات سريعة حتى وجد نافذة مفتوحة، صغيرة بعض الشيء و لكنه استطاع حشر نفسه فيها و الدخول إلى الفيلا دون إصدار أي أصوات أو أي ضوضاء، برغم الظلام المسيطر على جو الغرفة و لكن عينيه اعتادتا عليه سريعًا، مشي بخطوات بطيئة حتى تعثر في شيءٍ ما سقط أرضًا، جازف بإضاءة ضوء هاتفه

المحمول ليجد جثة فُرِمَ رأسها ضربًا بشيءٍ ثقيل حتى تحولت لعدة أجزاء لن يستطع جمعها، تعجب من سبب تشويه وجوه الجثث الذي يتبعه فريد و حازم و لكنه لم يجد سببًا يجيب أسئلته فتأكد من الجثة قبل أن يرحل سريعًا و هو يشعر أن الحظ تخلى عنه و خدعه هذه المرة

***

جمهورية السودان

ولاية نهر النيل – مدينة الدامر

المدينة التي تأثرت بحكم المجاذيب و تاريخهم و التي تتميز بوجود ضريح المجذوب لكن هذا لم يستطع إطفاء نار القلق التي تستعر في صدر عضو المنظمة و هو يتجه لمكان هادئ على حدود المدينة يتأمل بيتًا من دورٍ واحد يقف وحيدًا وسط الخلاء، يبدو أن صاحبه يحب الهدوء والوحدة ويكره الزحام والاختلاط. بدون أن يضيع المزيد من الوقت اتجه بخطوات سريعة تشبه العدو إلى البيت و دون أن يفكر دفع بوابته المعدنية الصغيرة مُجَازِفًا أن تكون حاضنة لتيار كهربي، لحسن حظه لم تكن و لكنه بهذه الطريقة شعر ببعض التشاؤم، كلما بدأت مهمته سهلة انتهت بخيبة أمل كبيرة، دلف إلى البوابة الرئيسية هذه المرة و لم يُضِع المزيد من الوقت في البحث عن باب سري أو نافذة منسية، ركل الباب الخشبي بقدمه فتحطم تحت قدميه و هو يدخل إلى الشقة شاهرًا سلاحه ليفاجأ بالحوائط بأكملها مصبوغة بالدماء و بقايا جثة تفجرت فلم يظل منها سوى بضع أشلاء متناثرة هنا وهناك، بقليل من الجهد وجد كف يد لم يطله

الانفجار، تأكد من شخصية الجثة قبل أن يرحل و هو يشعر بالغضب يسيطر على حقول الأمر في صدره ليدمرها

***

جزر المالديف

مدينة ماليه – جزيرة أدو المرجانية

رسى بالقارب بجوار شاطئ غير رسمي و تسلل منه تاركًا القارب في مكانه لربما يحتاجه، اخترقت أقدامه موجات الرمال واحدة تلو الأخرى في خطوات ثقيلة حتى وصل إلى طريق مرصوف ممهد يسمح له بأن يمشي بسهولة، ضرب قدميه في الأرض بقوة فبكت كميات من الرمال، مشى بهدوء كفاقدي الأمل، متهدل الجسد و زائغ النظرات، وصل لوجهته و دون أي حماس يُذْكَر أو أمل يدفعه للتحرك بعيدًا في رحلته، دفع باب المكان ببطء و تأمله و هو فارغ، هذه المرة كانت وجهته غرفة سرية ملحقة بأحد الحانات المحلية، تأمل الحانة الفارغة قبل أن يمسك بيده الباب المتأرجح و كأنه مَلَّ الوحدة، صمت المكان تمامًا و دون اكتراث تحرك في سرعة غير عابئ بالكراسي الخشبية الملقاة أرضًا قبل أن يصل للباب الذي يرغب فيه، دخل إلى الغرفة التي كان بابها مفتوحًا كالعادة، تأمل الغرفة و هو يبحث بعينيه عن الجثة، هذه المرة فارقه الأمل في أن يسبقهما و لكنه لم يجدها و كنوع من أنواع الاستفزاز وجد الكف بأكمله فقط ينتظره فوق الفراش،احمر وجهه عضبًا بسبب الرسالة الساخرة التي تركاها له، أمسك الكف و كالعادة تأكد من الشخصية قبل أن يلقيه جانبًا بعدم اكتراث و هو يرحل من المكان بأكمله

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

محافظة زنجان – مدينة سلطانية

مدينة سلطانية عاصمة الدولة الإيلخانية و التي نشأت تحت حكم سلالة مغولية، تحرك بخطوات شَلَّهَا فقدان الأمل و أربكها التأخر المستمر، دلف لشارع جانبي مرصوف بحجر أسود كبير قديم الطراز، خطوات قليلة مشاها قبل أن يصل وجهته، دلف إلى مبني قديم مُغَبَّر، صعد درجات سلم مهشمة و يغلب عليها القِدَم قبل أن يصل لباب قديم إسلامي الطراز كبير الحجم، فتحه فلم يستجب له، أخرج من جيبه قطعة السلك فالعنف مع هذا الباب لن يجدي نفعًا، عالجه ببعض الصبر حتى فتحه و دخل منتظرًا المفاجأة التي جهزوها له، لم يعد في قلبه ذرة أمل أن يسبقهم و لا يستطيع أن يجازف بغير تتبع الطريق الذي حددته له المنظمة وألا يحيد عنه نهائيًا، للمفاجأة وجد البهو خاليًا من أي دماء أو أشلاء على غير العادة،ارتفع حاجباه دهشةً قبل أن يقرر البحث في باقي المكان أولًا، لم يجد أيَّ شيء و لكنه بمجرد أن اقترب من الحمام حتى اشتم رائحة حمضية حادة، كتم أنفاسه و هو يدفع باب الحمام بطرف مسدسه بحذر قبل أن يرى ما لم تحتمله معدته هذه المرة، تصاعدت عصارته الصفراوية فأجبرته على التقيؤ قبل أن يتطلع إلى المشهد الذي أثار تقززه ثانيةً، جثة مسجاة في حوض ملئ بحمض أكل معظمها فظهرت العضلات التي ألهبها الحمض و غادرت ملامحها البشرية بغير رجعة، وجد الذراع مسجى خارج حوض الاستحمام المليء بالحمض فأسرع إليه كاتمًا أنفاسه و هو يعرف النتيجة مسبقًا و لكن وجب الانتباه، تأكد من شخصية الجثة و هرع خارجًا كي لا يتقيأ في المكان مرة أخري

دولة فلسطين

مدينة نابلس – قرية بيت أمرين

المدينة التي شهدت خلافات بين السامريين والمسيحيين في القرنين الخامس و السادس الميلاديين و التي أدت إلى بروز عدد من الانتفاضات السامرية ضد الحكم البيزنطي، قطع شوارعها بخطوات سريعة متجهًا لهدف مَلَّ من تكرار فشله. متأملًا الجرارات الزراعية المتناثرة هنا و هناك بغير انتظام، وصل لبيت قديم عربي التكوين ففتح بابه و دخل، دون أن يُضَيِّعَ أي وقت و دون أن يزرع في قلبه أملًا جديدًا. تأمل الغرفة المظلمة قبل أن تزحف يده على الحائط باحثة عن زر الإضاءة. وجده و ضغط عليه لكن للأسف قوات الاحتلال الغاشم اغتصبت حق الفلسطينيين حتى في الضوء، لم ير شيئًا، فتح هاتفه و على الضوء القليل المنبعث منه وجد جثة راقدة أرضًا، هيأ له الظلام أنها تحركت حركة خافتة، تحرك بسرعة ليضع رأسه على صدرها لكن وجدها هامدة فاقدة الرغبة في الحياة، أمسك اليد دون أن يتبين ملامح الوجه جيدًا في الظلام و لكن جهازه أعطاه إشارة أن الأمور تسير على ما يرام و أنها الجثة المنشودة، ترك اليد تستكين أرضًا و قف ينفض الغبار عن حُلَّتِهِ الأنيقة و هو يتحرك للخارج متجهًا نحو الوجهة الأخيرة و التي سيتحدد فيها كل شيء إما أن يحيي الأمل من جديد أو يدفنه بلا رجعة

الجمهورية التركية

محافظة غازي عنتاب – مدينة عنتاب

المدينة التي كانت تعرف لدى العرب والسلاجقة والعثمانيين باسم عنتاب لكن البرلمان التركي أضاف كلمة غازي لاسم المدينة يوم 8 فبراير 1921 فأصبحت غازي عنتاب، مشى في شوارعها كالمهموم يحمل فوق كتفيه أطنانًا من خيبة الأمل و أطنانًا من الفشل، وصل لمبتغاه بغير حماس و صعد درج البناية يائسًا شاعرًا بالحزن يتنافس في قلبه مع الغضب طامعًا كلا منهما في أولوية السيطرة على نفسه، و بمجرد أن وصل أمام الباب شعر بحركة خافتة تأتي من داخل الشقة، توقف مكانه شاعرًا بالحيرة، هذه هي المرة الأولي التي يشعر فيها بنبض حياة داخل إحدي الأهداف التي يستهدفها، وقف يرهف السمع قبل أن ينتصب جسده ليستعيد هيبته كرجل أمن محترف، تحسس مسدسه بحرص و هو يسمع الحركة الخافتة للمرة الثانية، فتح الباب برفق فاستجاب له دون مقاومة تذكر، دخل بحرص و هو يسمع نقاش شخصين يأتي من داخل الغرفة، بهدوء لا يكاد يذكر مشى حتى وصل إلى باب الغرفة، تأكد من وجود شخصين أو أكثر بداخلها، استَلَّ مسدسه و فتح باب الغرفة برفق فوجد جثة مشوهة تنتظر على فراش ضخم و أمامها يقف شخصان، انتظرهما منذ زمن، رفع سلاحه و هو يقول بغضب : "عشر محطات، يشاء القدر أن نلتقي في الأخيرة، نلتقي بعد أن ملأ الغضب قلبي تسع مرات، تسع خيبات أمل، تسع أزمات قادرة على إرباك أعتى الرجال و لكنها لم تربكني و لم تهد عزيمتي و إنما شحنت قلبي بالغضب و شحنت نفسي بالثورة، اذكرا لي سببًا واحدًا لا يجعلني أفجر رأسيكما الآن لأزين بدمائكما حوائط الغرفة"

التفت له حازم وفريد وقد ظهرت الدهشة على وجههما جَرَّاء هذه الزيارة غير المتوقعة، نظر حازم لفريد بغضب وقال: "أرأيت نتيجة تسكعك وكسلك؟"

احمر وجه فريد الذي لم يتصور أن يُعَنِّفَهُ صديق عمره بمثل هذه الطريقة ويحمل نتيجة خطأ لا دخل له به، سأله وهو لا يفهم سر هذ التحول: "ما بك يا حازم؟"

قاطعهما صوت رجل الأمن ساخرًا: "ربما تستطيعا استكمال هذا الحوار في الجنة"

تأملا فوهة مسدسه وأمره لهما بالاستسلام ووضع كلًا منهما سلاحه بعيدًا ورفعا أيديهما للأعلى، نظر حازم لفريد وهو يسأله: "هل لك أمنيات أخرى قبل أن تموت؟"

لم يفهم فريد كلماته وظهر الذهول في عينيه وهو يتأمل صديقه الذي هبطت يده وعلامات السخرية تظهر على ملامحه، مد يده لجيب داخلي وأخرج مسدسًا وجهه لفريد، شعر فريد ببرودة المسدس في منتصف جبهته وحازم يقول: "معذرة يا صديقي ولكنها زوجتي"

ابتسم فرد الأمن بسخرية وهو يضع مسدسه في جيبه ويتبادل مع حازم ابتسامة حملت معانٍ كثيرة

(22)

حملت عيني فريد تعبيرًا لو رآه عظماء الفن كبيكاسو أو فان جوخ لعجزوا أن يصوره ولو رآه العباقرة الذين يخبئهم التاريخ بين ضفتيه لأن أوانهم لم يأت بعد لن يستطيعوا أيضًا. هو شعور يظهر مرة واحدة فقط في العمر ويشعر به القلب مرة واحدة، تُكسر الروح ويشيخ القلب ويتيه الفكر، كل من جرب صدمته في أعز من يملك أو أكثر الأشخاص ثقةً سيعرف جيدًا تلك النظرة التي تلتمع فيها العينين بدموع تأبي أن تهبط لتغسل الوجنات وإحساسًا يظل يردد: "هذا لم يحدث، هذا لم يحدث"

هناك أسطورة قديمة تقول أنه في حال لم يتحرك أي شخص في نطاق حدث ما فإن الساعة ستعود للخلف لمدة عشر ثوانٍ لتصلح ما يمكن إصلاحه لكن شعور الشرخ الذي يشق قلبك طوليًا لا يجدي معه نفعًا أساطير أو خرافات، تأمل ابتسامة حازم قبل أن ينظر لرجل الأمن الذي خفض سلاحه وعينيه تلتمعان في استمتاع، شعر بالقشعريرة تغزو جسده مرة أخرى و لم يعرف هذه المرة هل بسبب شيخوخة القلب أم بسبب فوهة المسدس الباردة، هل بسبب خيانة صديقه أم بسبب الموت الآتِ لا محالة، شعور بالذهول اجتاح جسده بأكمله ليصيبه بقشعريرة من نوعٍ خاص، لأول مرة في حياته يستسلم أسيرًا لهجمات الدهشة و الذهول و يترك لها حاجباه ترفعهما كما تشاء و عينيه ترقرق الدمع فيهما كما ترغب، فكر أن يتحرك بسرعة ليبعد فوهة المسدس عن رأسه قبل أن يحاول جذبه من يده لكنه يعلم جيدًا أن حازم رجل أمنٍ بارعٍ، سابق و لكنه بارعٍ، لذا جميع الأفكار التي سيفكر بها تدرب عليها حازم و تدرب على

تفاديها تدريبات قاسية، نظر مرة أخرى لرجل الأمن الذي جذب مقعدًا و جلس عليه واضعًا قدمًا فوق أخرى و هو ينظر لحازم قبل أن يقول له : "هيا"

نظر له حازم وهو يقول بشراسة لم يعهدها منه فريد ولم يتوقعها رجل الأمن: "ليس الآن!"

اعتدل رجل الأمن في جلسته وهو يسأله بالإنجليزية التي يستعملها الجميع في حواراتهم منذ بداية الكارثة: "ماذا تنتظر؟"

"لا أنتظر شيئًا ولكن لم يأن أوانه بعد"

"لِمَ؟؟"

"لا أعرف، ألا تعلم أن الموت مقدر بمواعيد محددة يعرفها رب العباد وحده"

"ألا تعلم أنت أنني لا أؤمن بهذا الكلام؟"

"أعلم ولكنني أؤمن وأنا الذي أحمل المسدس"

أشار رجل الأمن بمسدسه هو الآخر وهو يقول: "أنا أيضًا أمتلك مسدسًا"

ابتسم حازم بسخرية وهو يسأله: "هل نحن في مزاد؟؟، أخبرتك أنني سأقتله حين يحين أوانه"

سأل رجل الأمن بنفاذ صبر: "ومتي يحين أوانه؟"

شعر رجل الأمن بفوهة مسدس تقبل رأسه من الخلف مع صوت أجش يقول: "بعد أوانك بزمن بعيد"

لم يرد رجل الأمن فبالطبع الجثث لا تمتلك القدرة على الرد أو الجدال هذا لأن رمزي الذي ظهر على باب الغرفة مبتسمًا قد أرسل رصاصته تستكين داخل تجويف رأس رجل الأمن الذي ترنح في مقعده قبل أن ينام رأسه على صدره نومة لا استيقاظ منها، للمرة الثانية تلوح نظرة عدم فهم في أعين فريد و هو ينظر لرمزي، الرجل الذي دبر له مكيدة انتهت بمسدس موجه إلى رأسه و الآن ينقذه من مكيدة أخرى بطلها مسدس آخر موجه إلى رأسه و كأن رؤوس العالم أبت جميعًا أن تحمل تلك المهمة فحملها رأسه، عَدَت عينيه سريعًا في رحلة بين نظرات حازم وابتسامته الساخرة التي تحولت لبسمة اطمئنان وبين عيني رمزي التي تحمل أسفًا لم يفهمه. كيف يطمأن حازم أمام الرجل الذي هدم خطته تمامًا وكيف يأسف رمزي أمام رجل يكاد يقتل آخر لماذا لا يوجهان مسدساتهم لبعضهم البعض ومتي تبدأ المعركة؟

شعر فريد برأسه يكاد ينفجر من كثرة الأسئلة فوضع يديه على جانبي رأسه وأغلق عينيه قبل أن يصيح بصوتٍ عالٍ: "كفى"

نظر له الرجلان بدهشة قبل أن يستغل الفرصة و عامل المفاجأة و يتحرك سريعًا ليختطف المسدس من يد حازم الذي بوغت فتأخر رد فعله قليلًا، أخذ فريد يتحرك في عصبية و هو يأمر رمزي أن يضع سلاحه أرضًا و يبتعد عنه و يأمر حازم أن يتحرك ليقف بجوار رمزي، تحرك حازم و هو يغمغم ببضع كلمات يحاول بها طمأنة قلبه الوجل لكن ثورة الغضب و عدم الفهم بداخله كانت أكبر، وقف حازم بجوار رمزي و أخذ يرجو فريد أن يسمح له ببضع كلمات يحيطه بها علمًا بما حدث، هدأ فريد بعض الشيء و إن كانت الثورة بداخله تحرقه و تعذبه ليبوح بها.أي ثورة في التاريخ تحتاج لأن تستمر كي تعيش، إذا طالها الهدوء أو الرتابة ماتت، بدأ

حازم كلماته بصوت خفيض كي لا يثير أعصاب فريد مرة أخرى : "رمزي هو عدوي اللدود و أحد أكثر الأشخاص الذين أكرههم في حياتي و زوجتي هي خطيبته و حبيبته السابقة لذا اضطررنا آسفين أن نتعاون و نضع يدينا في أيدي البعض كي نبدأ خطة الإطاحة بالمنظمة و خير من يعيننا في مهمتنا هو مدير سابق بأحد أقسام المنظمة ، في البداية كان رمزي خائف من أن يحدثني بنفسه كي لا أتذكر مشاكلي القديمة معه و يقودني الغباء و التسرع لفعلٍ نندم معه جميعًا فاضطر أن يبعث لي بفتاة حسناء اسمها مريم و نجحت بحيلة ما أن تكتسب ثقتي تمامًا قبل أن تعطيني ورقي كي أحرقه و قبل أن أحرقه رأيت فيه كلمات عرفت منها رمزي المختبئ بها، خطابًا قصيرًا من ثلاثة أسطر

((لا تـــدع الـغـبـــاء يـــسـيـطـر عــلـيـك

دع خلافاتنا جانبًا ولنعمل من أجل نصرة الكوكب

اقتلني إن أردت ولكن بعد أن ننتهي من مهمتنا))

فهمت كلماته و هززت رأسي لمريم التي نقلت رسالتي مع الأوراق التي تسلمها في السيارة، أصدقك القول أن الأوراق لا قيمة لها كي نتقاتل من أجلها، هي بضع أوراق تخص عملي و تحمل بين طياتها أسرارًا لا أرغب في أن يطلع عليها غيرى و لكننا استعملناها كوسيلة فقط، بدأت أتواصل مع رمزي على فترات بعيدة لكي أفهم منه كل الأمور حتى أيقنت أن زوجتي مع المنظمة و أنها تستخدمها كما استخدمت آلاف الضحايا الأبرياء كدافع لمزيد من الأبرياء أن ينخرطوا في مهماتها القذرة لقتل كل من سولت له نفسه أو أقنعه ذكائه أنه يستطيع إنقاذ هذا الكوكب، عسكريين و علماء و خبراء قُتِلُوا في رحلة المنظمة و لكنني و إياك استطعنا إنقاذ تسعة من

أهم المطلوبين من قِبَل المنظمة، كل ما كنا نفعله هو الإتيان بجثة من الشارع و تشويه وجهها، تزوير بصماتها و إرسال الشخص المنشود لبيتنا الآمن و أنت تعلم أن التسع أشخاص هناك الآن ينتظروننا و بصحبتهم مريم"

أنهى كلماته وهو ينظر لرمزي منتظرًا منه المزيد من التفسيرات، لكن رمزي خَيَّبَ أمله قائلًا: "بالضبط كما قال لك"

سأل بلعثمة: "ولك ... ولكنك كدت تقتلني أمام رجل المنظمة؟"

ابتسم حازم وهو يقول: "الأمر كله أن رمزي أخبرني أن المنظمة ستتصل بي وأنها ستبعث بأحد رجالها لو مات قبل أن ينجز مهماته ستبعث بغيره وهكذا كنا سنظل في دائرة مفرغة ندور كالثيران، الحل الوحيد كان في التواصل معه من خلف ظهرك لإقناعه أنني سأخونك من أجل زوجتي وأنت رأيت باقي الحدث"

أجاب فريد بغضب: "ولكنك كدت تقتلني !!"

"الحقيقة أن رمزي باشا كان من المفترض أن يتدخل في بداية الأمر ولكنه تأخر لا أعلم السبب لذا استمررت في المماطلة ريثما يأتِ هذا الغبي"

نظر حازم لفريد بابتسامة وهو يفتح له ذراعيه على اتساعهما مستعدًا لاحتضانه قبل أن يصفعه فريد بقوة على وجهه وهو يقول: "هيا بنا أيها الأوغاد"

مسح حازم الدماء عن فمه وهو يتبعهم في صمت شاعرًا أنه يستحق هذه الصفعة

دوَّت صافرات الإنذار للمرة الثانية و صحبتها الأضواء الحمراء المتوهجة للدلالة على خطر. هذه المرة كان الخطر داهم و الأمر هام فلم يبعث مدير المنظمة بسكرتيرته. وقف وخرج من خلف مكتبه و قبل أن يخرج من الغرفة عاد خطوتان للخلف ليقف أمام مرآة و يضبط رابطة عنقه في سرعة قبل أن يخرج من الغرفة متجاهلًا تحية سكرتيرته الحسناء التي وقفت بسرعة عندما خرج. مشي في عدة أروقة حتى وصل للمصعد. وقف أمام المصعد و هو يضغط زر استدعائه و كأن المصعد يشعر بدوره بخطورة الأمر لم يستغرق أي وقت كي يلبي النداء. لحظات و كان مفتوحًا على مصراعيه. دلف لداخله وضغط الزر المنشود ووقف يصغي لموسيقاه الهادئة بلا حركة. لحظات و وصل لمراده. فُتح باب المصعد و كأنه يدعوه للخروج. خطا خطوة خارج المصعد و انتظر حتى أُغلق الباب و تحرك. أزعجه صوت صافرات الإنذار وأرهقته الأضواء الحمراء. أخرج هاتفه المحمول وبحث عن تطبيق يسمح له بالتحكم فيهما فساد الصمت وعادت الأضواء البيضاء تسيطر على المكان مرة أخري. تنفس بعمق وهو يغلق هاتفه ويضعه في جيبه. هذه المرة الأزمة أكبر. حازم و فريد قتلا كل المطلوبين و لكن أحد المسؤولين بالمنظمة شكك في الأمر و خصوصًا و أن الجثث مُشوَّهَة و لا إثبات على موتها سوى تقارير مصحوبة بتصديق لجهاز قرأ بصماتهم. لكن هذا المسؤول يرى أن عملية تبديل أو تزوير البصمات عملية سهلة خصوصًا و أن مئات الأفلام السينمائية قد شرحت طريقتها لذا وجب التواصل معهما أو التحدث معهما لكن ما زاد الطين بلة هو قتل المندوب الخاص بالمنظمة و الآن المدير العام المسؤول

عن متابعة الأمر و الإشراف عليه لا يجيب الاتصالات التي تَرِدُهُ على هاتف مكتبه الخاص ولا يستجيب لجهاز الاستقبال الذي يحمله لذا وجد التحرك لمعرفة تقريره عن الحادث و خطة العمل الذي سيرغب في العمل بها بل ونوى مدير المنظمة أن يعاقبه لذا سيقود فريق العمل على الأرض و ها هي الفرصة تتاح له مرة أخرى لمواجهة حازم. أمسك مقبض الباب وحاول فتحه لكنه كان مغلقًا فأبى الاستجابة له. أمسك مسدسه و برصاصة واحدة أقنع القفل أن يستجيب له و فُتِح. دلف إلى الغرفة المُظْلِمَة و بَحَثَ عن زر الإضاءة وأضاءها وبحث بعينيه في الغرفة عن هدفه ولكنه لم يجده وإن تعلقت عيناه بشيء آخر لم يتوقع أن يراه ها هنا، شيء لم يتوقع أبدًا أن يراه في منظمته. أخرج هاتفه من جيبه دون أن يرفع عيناه عنه وهو يضغط الزر عدة مرات فتصرخ صافرات الإنذار مرة أخرى وتستعيد الأضواء الحمراء تألقها. وسط كل هذا الهرج والمرج يوجد رسم كبير يحتل أحد حوائط الغرفة لوجه تعبيرى أصفر يشبه هؤلاء الرسوم التعبيرية الخاصة بوسائل التواصل الاجتماعي يبتسم في سخرية و كلمتان كُتبتا بإنجليزية صحيحة

(اللعبة مستمرة)

دلفوا إلى الشقة أخيرًا بعد طول عناء وسفر، تعلقت بهم تسع أزواج من العيون بلهفة وعدم تصديق بينما استقبلهم زوج فقط بالترحاب والفرح، هذا الزوج كان يخص مريم وبالطبع كان أحلاهم، تأمل حازم الجميع قبل أن يشير لفريد أن يجلس بينهم وبدأ في تعريف نفسه سريعًا لأن الوقت لن يسمح لهم بتضييع المزيد منه، بدأ كلماته بصوت هادئ : "مرحبًا، أنا حازم، مصري الجنسية كما سبق و أخبرتكم، وَظَّفَتْنِي المنظمة لقتل كل واحد فيكم على حدة مقابل تحرير زوجتي من قبضتهم، و لكن مبادئي لم تسمح لي بقتل الأبرياء حتى لو كان الثمن زوجتي، لذا كل شخص فيكم و أعني كل شخص مَدِيْن لي بحياته و لن يتوانى عن مساعدتي في استعادة زوجتي، هل كلامي واضح ومفهوم؟"

شعر البعض بالغضب من شدة و قسوة الكلمات الموجهة إليهم و خصوصًا أنها جاءت بصيغة الأمر وليس بالطلب أو التمني لكن حيواتهم بأكملها كانت ملك يديه في وقتٍ ما و هو اختار أن ينقذها لذا التزم الجميع الصمت واندلعت بعض الهمهمات لتنبئه بالإجابة التي ينتظرها، هز رأسه وابتسم و هو يشير لفريد ويُعَرِّفَهُم به : "هذا صديقي الحميم فريد ورجلي الأول، مصري الجنسية هو الآخر ويساعدني في مهمتي، أثق به تمام الثقة وأريدكم أن تثقوا به بدوركم، كان يقود فريق يدعي كتيبة المحاربين تابع للمنظمة لكنه اختار أيضًا إنقاذكم و إنقاذ هذا الكوكب"

وقف فريد وهو ينظر للجمع بابتسامة تشجيع بادلوه إياها بلطف وسرعان ما جلس مكانه متيحًا الفرصة لحازم ليستكمل كلماته والذي بدوره أشار

لرمزي: "رمزي، مصري الجنسية، لا أثق فيه ولا أنصح أحدكم أن يثق بهذا الوغد، رمزي كان أحد أهم مديرى القطاعات الخاصة بالمنظمة ولكنه استطاع خداعهم وساهم بشكل كبير للغاية في إنقاذكم والحفاظ على حيواتكم"

لم يقف رمزي وإنما ابتسم بسخرية متأملًا النظرات التي ترمقه بعضها بدهشة و بغضها الآخر بحقد دفين لأن هذا الشخص و إن كان حليفهم يومًا إلا أنه كان العدو في أوقاتٍ فاتت، لن يتعاون البشر مع الثعبان أبدًا مهما كانت الغاية وإن التزم الأمر فسيتعامل مع بحذر وسينتظر خيانته في أي لحظة، انتهي حازم من كلماته وهو يجلس بجوارهم ويطلب من كلٍ منهم تعريف نفسه سريعًا لكي يعرف الجميع الفريق ويستطيعوا التعاون معه، تحرك أولًا في سرعة و كان شابًا نحيلًا تبدو عليه العصبية ذو شعر أشقر قصير وبدأ يُعَرِّفُ نفسه بأنه : "العالم بيتر مكلارين من إنجلترا، عالم مختص بالفيزياء وأحد أمهر العلماء الموجودين حاليًا وأصغرهم سنًا، أعمل في أكثر من مختبر ومعروف في الوسط العلمي بالعبقري المجنون"

أنهى كلماته بابتسامة وهو يجلس ليقف شخص آخر طويل القامة عريض البنيان، يمتلئ جسده بالعضلات وإن لم يكن كمحترفي كمال الأجسام وبدأ بتعريف نفسه"جون سايتال، أحد رجال القوات الخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، سبق وأن عملت ضمن قوات المارينز ومنذ فترة تم انتدابي لقسم شديد السرية خاص بتنفيذ المهمات شبه المستحيلة، أجيد الفنون القتالية واستخدام أكثر الأسلحة بمهارة"

جلس وعلي وجهه تعبيرًا بالحرج لأنه يشارك تجربته مع من يشعر أنهم أرقي منه في المستوي الفكري خاصة وأن من سبقه عالِم وهو لا يعرف في حياته سوى لغة الخشونة والقتال، تحرك شخص متوسط القامة يميل إلى

البدانة يظلل رأسه شعر أبيض ويبدو عربيًا للغاية: "سمير نصير، خبير استراتيجي مغربي، أحمل درجة الدكتوراة في وضع الخطط الهجومية والدفاعية الخاصة بالجيوش وأدير قسمًا في الجيش المغربي"

جلس مكانه دون أن يتحدث ولكن عينيه كانتا قلقتان خصوصًا وأنه باح بسر استراتيجي وهذا ينافي ما تربي عليه، وقف شخص أسمر البشرة وتوجه ليواجه الجميع: "جون أوبايا من دولة غانا، عسكري من الطراز الأول، أجيد تركيب وتفكيك القنابل وتصنيع القنابل من الطبيعة المحيطة وأعلم جيدًا لا يُشَقُّ لي غبار في مجالي، أجيد عددًا من اللغات كما أجيد استخدام الأسلحة وقيادة المركبات"

جلس قبل أن يتقدم شخص آخر يمتاز ببشرة سمراء و إن غلبت على وجهه- ملامح الطيبة وبدأ يتحدث بإنجليزية غلبت عليها لكنة عربية : "إسماعيل البرهاني، سوداني الجنسية عربي الهوى، من صغري أهوى ألعاب الاستراتيجيات و تحريك الجيوش على الإنترنت ومنذ فترة ليست هينة بدأت بتحطيم العديد من الأرقام القياسية وهزيمة العديد من الجيوش الأقوى مني بإمكانيات قليلة لذا وجدت الولايات المتحدة الأمريكية يتصلون بي ويعرضوا عليَّ الانضمام لفريق عمل يكونوه حديثًا في وزارة الدفاع مسؤول عن وضع الاستراتيجيات القتالية ولكنني رفضت نصرًا لعروبتي، اعتبروني خبيرًا استراتيجيًا"

وقف شخص بدين أحمر الوجه ويعرق باستمرار ومرتبك وبدأ يتحدث: "أنطون مالاويان من جزر المالديف، برغم وزني الثقيل إلا أنني أمتلك عقلًا ذكيًا يستطيع التعامل مع الأزمات وخلق حلول سريعة ومبتكرة في سرعة وأجيد خلق وسائل هروب من الأشياء القليلة الموجودة في المحيط الموجود به، أرجو أن أكون ذو نفع لكم"

وقف شخص مرتبك ويبدو على ملابسه الهرج ذو شعر ثائر وأعين تكاد تزيغ جنونًا وبدأ يتلعثم: "رجب باروش، تـ تركي الجذ الجنسية، عالم مختد مختص بتركيبة الذرات والتعـ امل معها، لا أحب الحديث الكثـ الكثير ولكنني سأبلي حسنًا مع بيتر ها هنـ ها هنا"

جلس بجوار بيتر الذي مد له يده ليصافحه، ابتسم رجب وهو يصافحه بدوره، وقف شخص مبتسم هادئ الملامح ونسق الملابس وبدأ يعرف بنفسه: "أحمد الطيب، أحد ثوار الثورة الفلسطينية وقائد إحدى الفرق الاستشهادية، لن أستطيع أن أبوح بمعلومات كثيرة لكنني مقاتل من الطراز الأول وكذلك أجيد استخدام الأسلحة القتالية القديمة كالقوس والسهم والخنجر وغيرهم"

أتي دور الأخير الذي كان كهلًا هادئ الملامح يرتدي نظارة طبية و أصلع الرأس تمامًا، منذ رآه الجميع و هم يشعرون أنه جدهم أو والدهم لكنه لم يتبادل كلمة واحدة مع أي شخص منذ حضوره، ينهمك أحيانًا في نقاش قاسٍ مع نفسه لائمًا إياها ومجادلها قبل أن ينتبه للموجودين حوله فيبتسم لهم ويصمت وقف أمام الجميع و هو يقول : "مصطفي أرهانيش، مخترع إيراني و أسف للغاية أن أخبركم أنني كنت أحد أسباب هذه الأزمة و أنني تعاونت مع المنظمة من قبل من أجل نشر هذا الوباء الذي أَلَمَّ بكل سكان الأرض و لكنني أبدًا لم أتصور فداحة ما فعلت إلا الآن فقط"

تعلقت به كل الأعين وانكتمت كل الأنفاس من جراء هذه المفاجأة

(25)

اعتدل الجميع في مقاعدهم للحظات والدهشة تسيطر عليهم جميعًا، آخر ما كانوا يتوقعوه أن أحد أسباب الأزمة التي تشغل كوكبًا بأكمله يجلس بينهم وكاد يكون سببًا في مقتلهم، انتصبت الأجساد وأرهفت الآذان السمع وخفتت دقات القلوب كي تنصت بدورها، تنحنح الكهل وهو يقول: "هل سمعتم من قبل عن الانتقال الآني؟"

***

عام 1969

الولايات المتحدة الأمريكية – سياتل – مكان غير معروف

وقف حشد من العلماء يتابعون بأعينهم صاحب الفكرة و المتحمس الأكبر لها و هو يمسك بيده الجهاز الذي سيضغط على الزر المخصص فيه فتتم التجربة، كانت تجربة سابقة لزمانهم بمراحل، و التجربة كانت تتم بمنتهى السرية، جهازان متماثلان كلًا منهما يحتوي على صندوق زجاجي أجوف أحدهما يقبع معهم بتلك الغرفة بينما الآخر يقبع في الغرفة المقابلة لهم، صمم أن يكونوا جميعًا هنا في الغرفة الأولي على أن يتحركوا للغرفة الثانية ليكتشفوا نتيجة تجربتهم جميعًا معًا، هل يخبئ لهم القدر أن تُحْفَرَ أسمائهم كأول من قام بتجارب الانتقال الآني أم يكونوا أول من فشل، في كلا الحالتين يكفيهم شرف المحاولة، بداخل الصندوق الزجاجي يقبع

صندوقًا آخر صغير الحجم خشبي ذا لون بني، ضغط الزر وهو يتابع الألياف الكهرومغناطيسية وهي تقوم بتفكيك ذرات الصندوق الخشبي وتدمر الأصل الخاص به قبل أن يختفي من أمامهم تمامًا، انحبست الأنفاس تمامًا وساد الصمت في الغرفة، لحظات مرت قبل أن يهتف الجميع فرحون بحماسة لا مثيل لها، الجزء الأول من التجربة نجح و استطاع جهازهم بالفعل في تفكيك ذرات الصندوق فالجهاز الأول يعمل بكل بساطة على القيام بعملية مسح لجميع الذرات المكونة للجسم وبحفظها على شكل شيفرة معلومات وفق الترتيب نفسه، ثم يقوم بتفكيك هذا الجسم وإتلافه ومن ثم يرسل شيفرة المعلومات إلى الجهاز الثاني الذي يقبع في غرفة تبعد عن تلك الغرفة بمسافة ستة أمتار، تلك الأمتار الست التي قطعها فريق العلماء بسرعة الصاروخ و هم يفتحون باب الغرفة بحذر ليجدوا الصندوق في انتظارهم، عملية انتقال آني مثالية، الجهاز الثاني ينتظرهم ليفتح لهم أبواب المجد، هذا الجهاز الذي يقوم بترجمة تلك الشيفرة ويعيد تشكيل نسخة مطابقة تمامًا للجسم الأصلي، بالاستعانة بمخزن يحتوي على جميع أنواع الذرات الموجودة على كوكب الأرض، فتح الصندوق الزجاجي وتناول الصندوق الخشبي بين يديه وهو يرفعه ليريه لهم، استطاعوا نقل كيان مادي في ثوانٍ معدودة دون أن يسببوا تلوثًا للبيئة في عملية ستوفر الملايين بل المليارات للعالم كما ستحافظ على الموارد الطبيعية كالبترول بمشتقاته، لم يتحمل الفرحة فبكى هو يحمل الصندوق بين يديه، الصندوق الذي يبدو له كأنه معكوس في مرآة، أداره ليتأكد من شيءٍ ما جال بخاطره قبل أن يترك الجهاز يسقط أرضًا و هو يسقط على ركبتيه و يبكي و يردد : "لقد فشلنا"

فبرغم نجاحه في إتمام تجربة الإنتقال الآني فإن الأمر قد فشل، تم تجميع ذرات الصندوق الخشبي معكوسة كما لو أنه موضوع أمام مرآة وبرغم نجاحهم في نقلها إلا أن هذا يعد فشلًا في إتمام عملية الانتقال الآني، ظهر اليأس على ملامح الجميع وهم مستمرين في محاولة تخفيف الأمور عنه رغم دموعه

***

عام 1993

الولايات المتحدة الأمريكية – ولاية نيويورك – مدينة ارمنوك

مقر شركة (IBM) لتصنيع وتطوير الحواسيب والبرمجيات

هذه المرة فريق من العلماء بقيادة العالم الأمريكي الشهير تشارلز بينيت الذي صمم هذه المرة على انتقاء فريق عمله بنفسه فاختار بعض العلماء الشهيرين القريبين منه بغض النظر عن جنسياتهم كما قام بإعادة تصميم وصناعة الجهاز بحيث كانت الحجرتان الزجاجيتان لا تبعدان عن بعضهما البعض هذه المرة سوى تسعين سنتيمترًا فقط، أعاد تصميم الجهاز وأشرف بنفسه على تفريغ الغرفات الزجاجية من الهواء قبل أن يضعوا بداخل الأولى قطعة معدنية ولأن القاعدة تنص على أن الوصول لنقطة من العلم تدفع لنقطة أخرى وآمال جديدة لاستكشاف المجهول، لذا فتم التوصيل بين الغرفتان الزجاجيتين بقناة من الألياف المحاطة بمجال مغناطيسي قوي جدًا، أمسك تشارلز بينيت بالذراع التي سيحركها من أجل إحداث ثورة في عوالم العلم و لكنه لم ينس فشل من سبقوه لذا

كان أشد حذرًا و هو يجذب الذراع، بعد عدة لحظات انتظر الجميع وبالتدريج بدأت ذرات قطعة الفضة تتفكك لتختفي تمامًا من الغرفة الزجاجية الأولي، دقت القلوب فرحًا ولكن أحدهم لم يريد أن يتحمس إلا بعد انتهاء التجربة، تحفزت الأجساد وبدأ الجميع يتعجلون إنهاء التجربة إلا أن قطعة الفضة كان لها رأيٌ آخر فأبت أن تنتقل، بعد مرور عشر دقائق كان القلق قد بدأ يتسرب من القلوب والقطعة المعدنية لم تظهر بعد، انتظر الجميع عشر دقائق أخرى عَلَّهَا تُبَدِّل رأيها وتظهر إلا أنها صممت على موقفها رافضة للظهور، بعد نصف ساعة تقريبًا يأس الجميع و بدأ بعض العلماء يتركون الغرفة، أخيرًا قررت القطعة المعدنية أن تظهر بعد مرور ساعة وست دقائق بشكل كامل وبرغم أنها انتقلت هذه المرة بشكل صحيح تمامًا إلا أن هذا العائق الزمني وقف دون تحقيقهم لنصرهم العلمي فلم تُكَلَّل هذه التجربة بالنجاح أيضًا

***

عام 1998

الولايات المتحدة الأمريكية – ولاية كاليفورنيا – مدينة باسادينا

مؤسسة كاليفورنيا للتكنولوجيا

هذه المرة قرر فريق العلماء في مؤسسة كاليفورنيا للتكنولوجيا خوض غِمَار نفس التجربة ولكن بطريقة جديدة فقرروا هذه المرة نقل فوتون والفوتون هو جسيم أولي عديم الشحنة والكتلة، وهو المكون الأساسي للضوء وكل الأشكال الأخرى للإشعاع الكهرومغناطيسي وينتقل بسرعة

الضوء، عَلَّ التجربة تكون أنجح من مثيلاتها التي أُجْرِيَت على الأجساد المادية. هذه المرة لم يستخدم فوتون واحد فقط في إجراء هذه التجربة بل تم استخدام ثلاث فوتونات وببساطة شديدة تم استخدام الأول ليكون الجسد المراد نقله بينما تم استخدام الثاني كوسيط بين الأول والأخير لنقل معلومات الأصلي ونقلها إلى الفوتون الثالث، بحيث يكون الفوتون الثالث نسخة طبق الأصل عن الفوتون الأصلي و كان رفيقهم في هذه التجربة مبدأ عدم اليقين لـ (هايزنبيرج) والذي ينص على أنه لا يمكنك أن تعرف بطريقة متزامنة مكان وسرعة جسمٍ ما

بعد سنوات طويلة من الدراسات والأبحاث تمكن العلماء عام 2002 من نقل أكثر من فوتون بنفس الطريقة، وتمت التجربة على شعاع ليزر (والذي يتكون من ملايين الفوتونات) وتم نقله آنيًا.

بعد عدة سنوات وتحديدًا في عام 2006 قام فريق العلماء في مؤسسة"Neil's Bohr" الدنماركية بإجراء التجربة على خليط من الفوتونات والذرات، حيث تمكنوا من نقل معلومات مخزنة على شعاع من الليزر الى سحابة من الذرات عبر مسافة 50 سم وكانت هذه المرة الأولى التي تتم فيها عملية النقل بين الضوء والمادة

***

أنهى الكهل رحلته عبر الزمن بسؤال مهم كانوا يفكرون به جميعًا: "ولكن أتوجد آلية لنقل الجسد البشري المحتوي على أكثر من 28 مليون خلية؟ بذات الترتيب والتنسيق الأصلي؟"

وقف العالم الإنجليزي النحيل وعينيه تلتمعان حماسًا ليسأل سؤالًا آخر أثار حماس الجميع: "وفي حال تحقق هذا الحلم، ما مصير الجسد الأصلي؟؟، وهل ستوجد الذاكرة بالجسد الأخر الذي سيتم الانتقال إليه؟"

تنبه الجميع لسؤال مهم أيضًا: "هل عملية التخلص من الجسم الأول تُعَدُّ جريمة قتل، خصوصًا وأنها تخلص من جسد بلا ذكريات"

استكمل الكهل كلامه بصيغة علمية غلبت عليها اللغة التقريرية المملة : "و بالتالي فنظريًا تحقيق هذا الحلم أخيرًا متاح ولا وجود لأيِّ عوائق أمام الإنسان لتحقيق حلم الانتقال الأني الذي سيوفر مئات الساعات من عمر الإنسان و التي يقضيها ترحالًا في وسائل المواصلات المختلفة، في لحظة واحدة تنتقل من مكان لآخر قاطعًا آلاف الكيلومترات دون تضييع وقت ودون عناء أو مجهود، ما الذي يمنع استخلاص معلومات الكائن الحي، حتى أصغر ذرة من الذرات المكونة لخلاياه بما تحويه من إنزيمات وتفاعلات وترتيبها الدقيق، ومن ثَمَّ إرسالها؟، مستغلين ظاهرة التشابك الكمي هذه، ومن ثم إعادة تركيب الكائن على الجهة الأخرى المقابلة"

سأله حازم بتركيز: "فعلًا ما المانع، فبالعكس هذه الطريقة ستوفر الوقت والجهد كما أنها ستحمينا من التلوث وستنهي مشكلة العوادم والتي تسبب أزمات حادة في العالم بأكمله كماستنتهي أزمات البترول ومشتقاته؟"

ابتسم الكهل و هو يجيبه : "أول المُعَوِّقَات التقنية متعلق بكمية البيانات التي نحتاجها لنصِفَ كائنًا إنسانيًا بدقة، إذ أن متوسط عدد الذرات التي يحتويها جسم إنسان يزن 70 كيلوجرامًا، هو عشرة مرفوعة إلى القوة 27 فلو قدَّرنَا أن كل ذرة منها تحتاج إلى مائتي بِت لتشفير معلوماتها الكاملة مع

ملاحظة أن هذا التقرير بالغ المرونة للغاية وبحساب الأمر سنجد أن كمية المعلومات التي لا بد من تسجيلها وإرسالها لإعادة بناء هذا الإنسان هي مائتي ألف يوتابايت والذي يساوي ببساطة ألف تريليون جيجابايت، وهذا الرقم المريع يمثل كمية بيانات هي أضعاف أضعاف كمية البيانات التي أنتجها الإنسان منذ بدء الحضارة إلى يومنا هذا، ولا نستطيع حاليًا حتى التفكير في طريقة لتخزينها ناهيك عن إرسالها وبسرعة"

أنهى كلماته وهو ينشج من شدة التحمس بينما العالم الإنجليزي والذي يبدو أنه الوحيد الذي فهم كلماته نظر للجميع وهو يعيد شرح محاضرته ببضع كلمات بسيطة: "ببساطة شديدة الأمر مستحيل"

نظر له العالم وهو يهز رأسه: "لا مستحيل مع المنظمة"

مرة أخرى تعلقت به الأعين ولم يتحدث أحد إلا رمزي الذي بدا وكأنه بدأ يشعر بالاختناق جراء كل تلك المصطلحات التي يسمعها للمرة الأولى: "من فضلك حاول أن تختصر الموضوع أو أن تطرحه بشكل أبسط هذه المرة"

ابتسم الكهل رغم حدة الكلمات التي طرح بها رمزي رجائه وهو يقول: "ببساطة شديدة كانت الفكرة في إقامة مجال ضخم من الأشعة الكهرومغناطيسية حول الكوكب بأكمله وذلك عن طريق توصيل مئات الأقمار الصناعية بعضها البعض بنوعٍ خاص من الأشعة الغرض منها تسليط حقل كهرومغناطيسي ذو شدة عالية ومن ثَمَّ تطبيق الأمر ولكن في هذه الحالة كان المُراد هو نقل العديد من البشر من أماكنهم عدة أمتار أو حتى عدة كيلومترات ولكن للأسف الأمر لم يمر على خير ما يرام وبالتالي تفككت الأجساد ولم تجد الذكريات ما تسكنه فحدث ما حدث"

وقف حازم وهو يقول بغضب: "فكرتك رائعة لكن تنفيذها صعب للغاية وبفرض توافر التنفيذ فأنا متأكد أن المنظمة لا تمتلك مئات الأقمار الصناعية كي تتم مهمتها وأين كانت دول العالم من هذه التجربة؟"

وقف رمزي وهو يجيب بدلًا من الكهل: "بالفعل المنظمة لا تمتلك مئات الأقمار الصناعية"

أجابه حازم: "أشكرك"

استدرك رمزي: "بل تمتلك آلاف الأقمار الصناعية"

جَزَّ حازم على أسنانه وهو يقول بِغِلّ: "أكرهك"

تجاهله رمزي وهو يقول: "وأي دول تتحدث عنها يا صديقي، المنظمة أقوى من أي دولة في العالم ولها ميزانية ضخمة تفوق ميزانيات الدول ولها علماء يفكرون وفرق بحثية تطبق وتنفذ وموجودة منذ زمن ومن ضمن أعضاء المجلس الإدارى للمنظمة مئات من رؤساء الدول وملوكها وأمرائها وآلاف المشاهير والأغنياء ولكن المنظمة تنتقي أعضائها بسرية مطلقة ورغم وجودها واستمراريتها لآلاف السنين إلا أنها لم تختار أن تظهر إلا الآن فقطط لتحكم سيطرتها على العالم"

سأله فريد بقلق: "ماذا تقصد؟"

أجاب رمزي: "هذه التجربة كل لحظة فيها كانت مقصودة وبترتيب معين، ما نحن فيه الآن دليل نجاح تجربة المنظمة وليس فشلها"

(26)

وقف حازم في منتصف الغرفة و هو يضمهم حوله ليتجمعوا على شكل دائرة هو مركزها، بصوتٍ هادئٍ بدأ حديثه : "السيد أرهانيش سيكون مسؤولًا عن الفريق الأول المسؤول عن محاولة اختراق الشبكة التي تضم الأقمار الصناعية و تسيطر على الأرض عن طريق شبكة الأشعة الكهرومغناطيسية و تدميرها للأبد وكذلك لأن السيد مصطفي يعرف جيدًا ديناميكية عمل الجهاز والشبكة فسيصبح مسؤولًا بصحبة بيتر ورجب أن يصنعا لنا جهازًا مضادًا ذا فائدة ثنائية، أريد جهازًا يكبح تلك الأشعة في حال وصولها إلى الأرض ثانية و أريده أيضًا أن يمنع أي شبكة اتصال بين تلك الأقمار و بعضها البعض أما مسألة عودة الذكريات لأجسادها مرة أخرى فسنتولاها مرة أخرى بعد سقوط المنظمة و لن نترك ذاكرةً تائهة إلا بعد أن نهديها إلى جسدها ثانية، سيد أرهانيش ودكتور بيتر ودكتور باروش ... هل لدى أحدكم أي اعتراض على ما قلت؟"

أجابه بيتر: "هذا الجهاز الذي تطلبه سيكون جهازًا ضخمًا وسيحتاج إمكانيات لا نمتلكها، أجهزة ومعدات وغيرها من الأشياء التي تفوق حجم إمكانياتنا لذا سيكون التنفيذ النظري سهل للغاية، سندرس نظرياتنا ونضع معادلاتنا ولكن كي تراه على أرض الواقع يجب أن نكون في مكانٍ آخر بإمكانياتٍ أخري"

فكر حازم قليلًا قبل أن يقول بابتسامة من يملك زمام الأمور: "رجاءً يا دكتور اكتبوا طلباتكم في ورقة وأعطوها لي وأنا أعدك بمجرد سقوط المنظمة سأتيح لك كل ما تريد من أجل أن تصنعوا جهازًا يخلصنا من هذا العناء ولكن قبل أن نخترع ترياقًا للسم يجب أن نقطع رأس الحية"

هز بيتر رأسه قبل أن يمشي بصحبة الكهل والمتلعثم ويمسكوا بقطعة من الورق وقلم وينهمكوا في جدال علمي عميق وأخذوا يسجلوا متطلباتهم والأشياء التي يحتاجونها كي يصنعوا جهازهم الذي يعتبر الآن أمل الأرض الوحيد بينما نظر حازم للباقين قبل أن يقول: "رمزي هل تمتلك الخرائط التي وعدتني بها؟"

هز رمزي رأسه سريعًا و هو يُخرِج من طيات حقيبة كان يحملها بيده خريطتان إحداهما للمنظمة و المكان الذي يحيط بها و الأخرى تحوي وصفًا دقيقًا للمنظمة من الداخل، جميع المداخل والمخارج والسلالم وفتحات التهوية كما تحوي وصفًا خاصًا للقبو بكامل تفاصيله، كذلك تحوي وصفًا دقيقًا لأجهزة الإنذار التي تحمي المكان، أمسكها حازم و نظرة شكر تلوح في عينيه قبل أن يفردها على طاولة قريبة وهو يشير إلى سمير، إسماعيل وأنطون وبصوتٍ هادئ خلا من لهجة أمر قال : "أريد منكم أن تعكفوا على دراسة مكثفة لهذه الخرائط و أريد أن أعرف على الأقل عشر طرق للدخول إلى المنظمة و الخروج منها في أسرع وقت، أريد أن أعرف كيف أخترق تلك الأجهزة دون أن تنذرهم، ما هي أفضل المواعيد التي يجب أن ندخل فيها، و إذا تأزمت الأمور ما هو أفضل مخرج نهرب منه، أريد كل هذه المعلومات و في أسرع وقت ممكن، هل نستطيع؟"

ابتلع سمير نصير ريقه بصوتٍ عالٍ يدل على توتره: "نحتاج أسبوعًا على الأقل لكي نأتي لك بهذه المعلومات، الأمر صعب خصوصًا وأننا نري هذه الخرائط على الورق فقط ولم تُتَح لنا زيارة المكان ولو مرة كي نفهم ديناميكية عملنا"

نظر إلى زميليه فوجدهما يهزان رأسهما إيجابًا وأشباح التوتر تحوم حول رؤوسهم، ابتسم حازم وهو يقول: "لا نملك أسبوع يا سيدي، أقصي ما نستطيع أن نمنحكم من الوقت سيكون يومًا"

نظر في ساعته وهو يقول: "الساعة الآن السادسة صباحًا، أريد من الكل توحيد ساعاته لكي نستطيع أن نتواصل بلا أيّ مشكلات زمنية"

نظر مرة أخرى إلى السيد سمير نصير وبابتسامة أخبره: "سنتحرك غدًا في السادسة صباحًا كي نصل إلى المنظمة في المساء وسيتم الاقتحام في الس ...."

قاطعه رمزي بنظرة لوم قائلًا: "سيتم الاقتحام مساءًا، لم نحدد الساعة بعد"

ابتسم سمير نصير وهو يشير إلى رمزي ويقول له: "أنت ذكي جدًا"

قبل أن يوجه نظراته لحازم وتظهر علامات الجدية على وجهه وهو يقول: "حسنًا سنقدم لك كل المعلومات التي ستفيدك بأمر الله تعالي غدًا صباحًا"

هز حازم رأسه وهو يتحاشى النظر لعيون رمزي التي تكاد تحرقه بنار اللوم عقابًا له على ذلة لسانه، نظر حازم للباقين جون سايتال، جون أوبايا وأحمد الطيب وهو يبتسم قبل أن يقول: "لن أستطيع أن أقول لكم أيَّ شيء ستتحركون معنا صباحًا وستعرفون الخطة في مساء الغد، استعدوا وسنعمل على أن يصحب كل منكم ما يريد من أسلحة، الله معنا جميعًا لأنه يعلم أننا ننوي خدمة الكوكب وإنقاذه"

ابتسم جون سايتال وهو يقول: "حسنًا ماذا سنفعل حتى الغد؟"

حاول حازم أن تكون كلماته القادمة رقيقة: "لا نعرف هل سنعود بالغد جميعًا أم لا لكننا نعلم جيدًا أننا سننجح غدًا لذا من فضلكم احرصوا على القيام بأي شيء يضمن نجاحنا بالغد"

ابتسم الجميع وهم يشعرون بالحماس قبل أن ينتحوا جانبًا وكل منهم يتدرب على ما يهواه ويراقب الآخرين في محاولة لتعلم مهارة جديدة عليها تنفذه في يومٍ آتٍ قريبًا"

وقف حازم أمام فريد ورمزي، لم يعد سواهم ومريم التي فهمت لحظة الصمت التي سادت فذهبت تشرف على الفرق الثلاثة وترى ما ينقصهم، تخلى حازم عن موقفه في الصمود وبدا ضعيفًا وعينيه تدمعان وهو يقول لرمزي وفريد: "حسنًا، سأعترف اعترافًا لا أريد أن أعيش بدون زوجتي ولا أريد أن أموت وأتركها لقسوة العالم لذا يلزمني منكما وعدُ شرف"

هز فريد رأسه بينما قال رمزي: "أيَّ شيءٍ ترغب فيه"

"أريد أن تقتلاني لو كانت قد ماتت، لا أريد الحياة بدونها، أنا أضعف من أن أعيش دونها وأضعف من أن أموت لألحق بها"

هز فريد رأسه بتأثر بينما لوى رمزي شفتيه امتعاضًا وهو يقول: "ضعيف"

سمع الجميع صوت طرقات خفيفة على الباب فانتبه الجميع، من المفترض تمامًا أن هذه الشقة مقر سري لا يعرفه أحد، أشار حازم للجميع أن يدخلوا إلى غرفة جانبية ليختبئوا ريثما يفتح الباب، تأكد من مسدسه الذي يختبئ خلف ظهره و هو يفتح الباب ببطء بعدما تأكد أنه يقف وحيدًا ليجد طفلًا لا يتجاوز العشر سنوات يقف على الباب مبتسمًا، إنه يعرف هذا الطفل ويعرف هذا الموقف وقبل أن يتذكر أيَّ شيء فوجئ بالطفل يخرج بخاخة صغيرة و يرش قليلًا مما بها على وجهه وهو يبتسم، هنا فقد وعيه وسقط أرضًا تحت قدمي الطفل، سمع الجميع صوت الارتطام فخرج رمزي بحرص ليجد باب الشقة مفتوحًا ولا أثر لحازم على الإطلاق، خرج ينظر في الردهة ولكنها كانت خاوية تمامًا

(27)

فتح حازم عينيه ببطء وهو لا يدري مكانه، شعر بالبرد يتسلل إلى جسده في محاولة لتجميد خلاياه أو النيل من الدفء الساري في جسده فاعتدل يتأمل المكان المُلْقَى به، زقاق جانبي بين بنايتين ضخمتين تبدوان كما لو أنه تم نحت الشارع وسطهما، تأمل الحجر الأحمر المؤسِّس لإحداهما قبل أن يتجول بعينيه على الأخرى ذات الطراز الأحدث، حاول أن يتذكر أين كان ولكن آخر شيء يتذكره هو تابع الملك الذي اختطفه من الشقة، فجأة اتسعت عيناه وغمامة عدم التركيز تنحسر عن ذهنه وتشرق شمس الاهتمام في رأسه، الشقة والخطة التي يدبرونها، وقف وقاوم ترنحه وهو يتحرك بقدمين لم تصل لهما أوامر المخ جَلِيَّةً بعد ولكنهما تطيعان صاحبهما الذي يجبرهما على الحراك، وصل إلى بداية الزقاق ووقف يتأمل المكان من حوله قبل أن ينتبه لشيءٍ مهم، هذه البناية الموجودة أمامه مباشرة هي البناية التي يقصدها، تحرك ليعبر الطريق ولكن سيارة مسرعة كادت تدهسه ولدهشة قائدها لم يهتم حازم بما حدث ولكنه أسرع ليعبر باب البناية وهو يتقافز على درجات السلم وقبل أن يطرق الباب فُتح باب الشقة ووجد فريد ورمزي ينظران له و علامات القلق تحتل مساحات ضخمة من ملامحهما، سأله فريد في سرعة : "أين كنت؟"

ظهرت الحيرة في عيني حازم وهو يقول: "هل ستصدقني أنني لا أعرف أين كنت؟"

انتقلت عدوى الحيرة من حازم إلى رمزي وهو يسأله: "ماذا تقصد أنك لا تعرف أين كنت؟، ماذا حدث؟"

حاول حازم استدعاء آلهة التركيز وهو يجيبه ببطء سامحًا للكلمات أن تختمر في عقله أولًا قبل أن تخرج من فمه: "سمعت طرقات على الباب فأشرت للجميع أن يدخلوا إلى الغرف ..."

قاطعه رمزي بنفاذ صبر: "حازم!، كلنا كنا هُنا معك، أقصد بعدما دخلنا إلى الغرفة؟"

صمت حازم للحظة كأنه يتذكر: "وجدت فتىً صغيرًا لا يتجاوز العشر سنوات، أسمر البشرة مجعد الشعر يبتسم لي بشدة قبل أن يرش في وجهي نوعًا من أنواع المخدرات سريعة المفعول فسقطت أرضًا وهذا آخر ما أتذكره"

حك رمزي رأسه وهو يقول: "خرجت لأرى ما حدث بعدما سمعت صوت ارتطام جسدك بحوالي ثلاثون ثانية ولكنني لم أجد جسدك ولم أجد أيَّ شخص في الرواق، كما هبطنا أنا وفريد على الدرج ولكننا لم نجد أي شخص؟"

ظهر الاهتمام على وجه حازم وهو يسأله: "ماذا تقصد؟"

أجابه فريد: "يقصد أن الفتى لم يكن بمفرده"

ابتسم حازم وهو يهز رأسه نفيًا وينظر لرمزي وعينيه تلمعان وقد فهم مقصده: "لا، لا يقصد رمزي هذا"

سأل فريد بحيرة: "ماذا يقصد إذًا؟"

"أنا لم أغادر البناية !!"

***

ظهرت علامات الدهشة على وجه فريد وهو يتجول بعينيه بين وجه حازم ورمزي، لعن غبائه قبل أن يدرك أن غبائه ليس السبب في غياب هذا الاستنتاج عن عقله وإنما السبب هو أنهما تربيا تربية عسكرية وتعلما كيف يفكران بطريقة مختلفة بعض الشيء، قرر فريد أن يكسر حاجز الصمت: "إذن سنبحث في البناية عمن اختطف حازم وسنعرف منه لِم اختطفه"

أجابه حازم: "لا داعٍ لهذا التفتيش كي نعرف من اختطفني، أعرف جيدًا أنه الملك ولكنني لا أعلم لِمَ؟"

فكر رمزي لوهلة قبل أن يقول: "ربما استغل فقدانك للوعي لكي يزرع في جسدك رقاقة إلكترونية موصلة بالأقمار الصناعية لكي يتتبع مكانك؟"

أجابه فريد في تهكم: "يبدو أن أحدهم يكثر من مشاهدة الأفلام الأجنبية؟"

ابتسم رمزي بسخرية: "هذا صحيح ولأنه يُكثر من مشاهدة تلك الأفلام أصبحت قوة ملاحظته ضعيفة لأن هذه التقنية مطبقة منذ عدة سنوات"

احمر وجه فريد لسببين أولهما اأنه لم يستطع أن يرد على تهكم رمزي بعد أن أجهض سخريته والآخر لأنه فعلًا يجهل تفعيل هذه التقنية، نظر رمزي إلى حازم وهو يأمره: "اخلع ملابسك"

بدأ حازم في خلع ملابسه بالكامل إلى أن وقف بسرواله الداخلي أما رمزي الذي دار حوله بحثًا عن أيّ شِقٍ في جلده يعرف منه إن كان أحدهم دسَّ شيئًا في جسد حازم ولكنه لم يجد أيَّ شيء فأشار لحازم الذي بدأ يرتدي ملابسه قبل أن يقول: "إما أن نبدأ في تفتيش هذه البناية أو نبدأ في التجهيز لهذه المهمة"

أجابه رمزي: "هنالك مفاجأة لك"

ظهرت الحيرة على وجه حازم فأجابه رمزي: "هناك مخبأ سري تابع للمنظمة قريبٌ منا، هل تريد أن نذهب لنختار بعض الأسلحة؟"

سأله حازم: "والحراسة المعينة عليه؟"

ابتسم رمزي وهو يخبره أنه أحد القلائل الذين يعرفون هذا المكان وأن المنظمة بالتأكيد لم تستطع أن تغير المكان، ابتسم فريد وهو يقول: "هل تشعرون بالنشوة، سندمر المنظمة بأسلحتها"

***

ثلاث متسللين يمشون ببطء خلف بعضهم البعض و برغم تسللهم و هدوء خطواتهم إلا أن السرعة كانت رفيقتهم، كانوا يتحركون بسرعة رغم حِمْلِهِمُ الثقيل وعندما وصلوا إلى وجهتهم دخلوا إليها في سرعة، قطعوا درجات السلم في خفة وهم يصلون للشقة المطلوبة، دخلوا فوجدوا مريم تستعد لإطلاق النار وعندما اطمأنت إليهم وضعت سلاحها جانبًا وهي تنظر للأجولة السوداء الثلاثة التي يحملونها، بدأوا يُخْرِجُونَ محتويات الأجولة أمام أعين التمعت حماسًا وأعين ارتعبت خوفًا، عشرات الأسلحة التي ملأت الأجوِلة تراصت بجوار بعضها البعض على المنضدة وتحت كلًا منها ذخيرته الخاصة

تقدم رجال الأمن الثلاث و بدأوا في تفحص الأسلحة ببطء وكلًا منهم تنتابه الحيرة وهو يحاول أن يختر نصيبه من هذه الغنيمة المميتة، لوهلة شعر فريد أن ملائكة الموت تطوف حولهم وحول الأسلحة التي سيختارها رجال الأمن لينهوا بها حيوات عدة ستواجههم، انتقي كلًا منهم سلاحه وبعد أن

انتهوا دلف كُلٌّ منهم إلى غرفة ليرتدوا زيًا موحدًا أسود اللون محاط ببعض الدروع الخفية التي ستحمي المناطق الحيوية من أجسادهم و لَفً كلا منهم على خصره أسلحته و ذخائره و أصبحوا جاهزين إلا أحمد الطيب الذي خرج من غرفته لا يحمل أيَّ أسلحة ولا يرتدي أي أزياء، وعلامات اليأس تبدو على وجهه، توقف حازم عن ارتداء زيه و هو يسأله : "لماذا لم ترتدي ملابسك ولماذا لم تحمل أسلحتك يا أحمد؟"

أجابه الطيب بإيمان شديد: "أنا من أشد المؤمنين بالقدر والمكتوب، تاريخ موتي مكتوب عند رب العالمين ولن يمنعني من الموت دروع العالم بأكملها فلم سأثقل حملي وأختبئ خلف الدروع وأُثقِلُ حركتي وأنا أعلم جيدًا أنه عندما يحين أجلي سأموت"

هز حازم رأسه وهو يقول: "ونعم بالله، ولكن ألا ينبغي أن تزيد من الحرص قليلًا؟"

هز الطيب رأسه وهو يقول: "واجهنا أعداء أشد بصدور عارية فلم سنخاف؟"

ابتسم سايتال في سخرية ولكنه لم يعقب فسأله رمزي الذي انتهي من ارتداء ملابسه: "والأسلحة؟"

"تعودت منذ صغري على أسلحة معينة ولم أستطيع أن أتأقلم على هذه الأسلحة؟"

ابتسم حازم وهو يتجه لجوال تجاهله منذ البداية وأعطاه لأحمد الذي فتحه قبل أن تلمع عيناه بشدة وهو يخرج منه سيفًا طويلًا يرقد بداخل جراب مصنوع له خصيصًا مزود بحامل ارتداه على كتفه ليرقد خلف

ظهره مستعدًا لبدء القتال وأخرج عدة خناجر وضعها في ملابسه في أماكن منفرقة بين جسده وظهره وأقدامه وبعض القنابل اليدوية التي أحاط بها خصره وهو يقول: "الآن أصبح الموضوع جديًا"

تأمل حازم الثلاثة عسكريين وتأكد من تمام جاهزيتهم وهو يربت على كتف رمزي ويقول: "هل الطائرة على سطح المنزل؟"

هز رمزي رأسه وهو يقول: "أتيت بها منذ فترة وتجاهلتها تمامًا لأنني كنت أعرف أن وقتها لم يحن بعد"

ابتسم حازم رغمًا عنه لأن رمزي مهتم جدًا بالتفاصيل الصغيرة وهذا هو سر النجاح، ابتسم حازم للجميع وهو يقول: "هيا على بركة الله"

(28)

وقف الستة أمام المبنى الذي يقصدونه في نهاية الأمر، ملابسهم مليئة بالغبار و ملامحهم مليئة بالإرهاق، المشي متعب فما بالك بمشي الصحراء وسبر أغوار رمالها، يقع مقر المنظمة في مكان مهجور تمامًا لا سبيل للوصول له إلا بالطيران، لكن حازم ورفاقه كسرا هذه القاعدة، وصلوا لمكان يبعد عن البناية بعدة كيلومترات، نفس الطائرة المروحية التي هرب بها حازم من المنظمة قبل أن يتحد مع حازم في سبيل إنهاء أزمة الكوكب هي الطائرة التي هبطت بهم لتثير عاصفة ترابية كانت لتلفت نظر المنظمة لو أنهم اقتربوا منها وبالطبع الهبوط على سطح المنظمة أمر مستحيل تمامًا لأنه يحتاج عدة تصاريح رسمية وبالطبع مشوا عدة كيلومترات في الصحراء حتى نال الإجهاد منهم و لكن الشعور بالتعب و الإجهاد والإحباط في هذه المرحلة تعتبر أحاسيس مرهفة لا مكان لها وسط هذه المعركة، كل واحد من الستة فكر في نفس الشيء تقريبًا في هذه اللحظة، لربما تكون النهاية قادمة ولكنها لن تقتنص مني حياتي قبل أن أجاهدها لتحقيق حلمي لذا نفض كلًا منهم اليأس وسط الغبار الذي نفضوه عن ثيابهم قبل أن ينظروا لحازم الذي أخذ يفكر لبرهة قبل أن تلمع عيناه وهو يقول : "سننقسم ثلاث فرق كما قلنا من قبل، رمزي مع جون سايتال و فريد مع جون أوبايا وأحمد الطيب معي وسيتم الاقتحام الآن"

سأله فريد: "وما هي خطة الاقتحام؟"

لمعت عينا حازم بفخر وهو يشرح الخطة لهم"

***

كانت الأجواء هادئة تمامًا في الفترة الأخيرة لدرجة أن رجال أمن المنظمة كانوا يشعرون بملل لا مثيل له ولأن قوانين المنظمة تمنع ترك مكان الخدمة لأي سبب من الأسباب و تعاقب عليه بالموت فورًا فإن رجال الأمن التزموا أماكنهم و هم يحاربون هجمات الملل وموجات النعاس دون أي مجهود يذكر، كل ما يفعلونه في الفترة الأخيرة هو استقبال العاملين في المنظمة من أجل القيام بالإجراءات المعتادة من تفتيش وتحقق من شخصية وهم قادمون من المجمع السكني الخاص بهم والذي يقع على بعد عدة أمتار من المنظمة ويفعلون مثله أثناء الخروج لذلك كان صوت انفجار القنبلة عند البوابة رقم (1) صوتًا غير معتاد فانتفضت الأجساد وانتبهت الحواس على غير العادة، لم يستطع أيهم ترك مكانه لكن فرقة المتجولين الخاصة بالأمن داخل المنظمة تحركت في سرعة إلى البوابة الأولى لتراقب الانفجار الذي ترك نيرانًا مشتعلة ورجل أمن مقتول وعاصفة غبارية كادت تهدأ قبل أن يدوي الانفجار الثاني عند البوابة رقم (2) أسرع الجميع إليها فورًا دونما أيَّ تأخير قبل أن يجدوا المثل تمامًا بلا أي تغيير، جثة رجل أمن بوغت فقُتل ونيران مشتعلة تكاد تأكلهم أكلًا وعاصفة رملية تحذرهم من الاقتراب وإلا دفنوا أحياءً، الانفجار التالي كما توقع الجميع كان في البوابة رقم (3) يبدو أن سلسلة الانفجارات تلك ستستمر حتى تنتهي عند البوابة رقم (10) و هي البوابة الأخيرة و الأهم لذا تجاهل الجميع البوابة الثالثة لأنهم عرفوا الموجود هناك و هرعوا جميعًا للبوابة الرابعة ليقتربوا منها في بطء خوفًا من الانفجار الذي دَوَّى فعلًا ولكن عند البوابة الخامسة، توقف المسؤول عن رجال الأمن مفكرًا قبل أن يقسم فريقه إلى قسمين هرع القسم الأول إلى البوابة السادسة بحثًا عن انفجار جديد بينما وقف القسم الآخر يراقب البوابة الرابعة بحثًا عن انفجار تأخر ولكن الانفجار أتاهم من البوابة التاسعة هذه المرة،

بدأ الفريق المهاجر للبوابة التاسعة في محاولة الاتصال بالمسؤول بحثًا عن أوامر جديدة ينفذونها وفي نفس التوقيت تمامًا كان فريق آخر من رجال الأمن يصل إلى البوابة العاشرة بحثًا عن قنابل جديدة أمام هذه البوابة الهامة ولكنهم مشطوا المكان جيدًا أمام أعين فرد الأمن المسؤول عن حمايتها قبل أن يخرج المسؤول عنهم وسط صيحاته الآمرة لهم بإعادة التمشيط تصريحًا خاص بكبار المسؤولين. حاول رجل الأمن أن يأخذه منه ليتأكد إلا أن نظرة حادة من حامله أعادته مكانه قبل أن تدوي صفارة صغيرة في جهاز الإرسال اللاسلكي الذي يحمله و تنبعث منه كلمات غير مفهومة مصحوبة بشوشرة إلكترونية. سمعها المسؤول قبل أن ينعقد حاجباه لوهلة وهو يقول : "متي؟. سآتي حالًا بأقصى سرعة"

عدا تجاه البوابة فلم يجد حارس الأمن بُدًّا من فتحها أمامهم وهم يدخلون إلى البوابة العاشرة ورجل الأمن يكاد قلبه ينخلع خوفًا من الانفجار القادم وبمجرد أن دلفوا إلى المكان حتى خلع المسؤول قناعه عن وجهه وهو ينظر بعينيه الخضراوتين ويأمر العشر رجال الذين يتبعونه أن يبحثوا في المكان بأكمله عن المتسللين الذين استغلوا الفوضى لدخول المكان

***

عند البوابة الأولي وعندما هدأت العاصفة الترابية ووقف رجال الأمن يحرسون المكان ظهر رمزي وهو يقود فريق من الملثمين المدججين بالسلاح من خلفه ويتحركون بخطوات هادئة والثقة تتقافز من أعينهم وقفوا أمام المكان يتأملون الخراب الذي حل به وجثة رجل الأمن التي غطاها بعض الموجودين قبل أن ينظر لرجل الأمن الذي أخذ يتأمله في شراسة وكأنه

المسؤول عما يحدث قبل أن يسأله رمزي ببساطة: "أين المسؤول ها هنا يا فتى؟"

أشار له على شخص ضئيل الحجم لكنه مفتول العضلات يبدو الذكاء جليًا في عينيه، مشى رمزي إليه في خطوات هادئة وهو يخرج بطاقة إلكترونية من جيبه ويعرفه بنفسه: "رمزي، أحد مديرى المنظمة"

تأمل الرجل البطاقة لوهلة قبل أن يعطها لرمزي وهو يسأله: "و...."

ابتسم رمزي وهو يسأله: "نريد الدخول ولأنك المسؤول لم نريد أن نتخطى صلاحياتك وفضلنا اللجوء للرجل المسؤول أولًا"

أطربته كلمات رمزي التي داعبت غرور المسؤول بداخله فلم يكلف نفسه عناء التأكد من البطاقة وإن كانت سليمة ولكنها بكل بساطة كانت ستخبره أنه أمام أحد أكبر المطلوبين من قبل المنظمة وأشار لرجال الأمن بالسماح لهم بالعبور، دلف رمزي ورفاقه إلى المنظمة وخلعوا أقنعتهم وهم يبتسمون ابتسامات ثقة قبل أن ينقسموا ثلاث فرق وكلٌ منهم يتحرك لوجهته بدون كلمات

***

بدأ حازم شرح خطته: "سنفعل العديد من الانفجارات بترتيب عشوائي كي نجذب أنظارهم إلى أن هناك شيئًا ما خاطئ يحدث"

سأله فريد: "ولكن تلك الانفجارات ستعلمهم بالقطع أن هناك شخص يحاول الدخول إلى المنظمة"

ابتسم حازم وهو يقول: "هدفنا جذب الأنظار كلها إلى البوابات، نريد رجال الأمن بأكملهم يتمركزون أمام البوابات في انتظارنا"

سأل فريد مرة أخري: "وكيف سندخل حينها؟"

ابتسم حازم وهو ينظر لفريد: "سندخل من البوابة وبالطريقة الشرعية، ببطاقة رمزي الخاصة بالمنظمة، بطاقة ممغنطة من طراز لم يطرح في الأسواق بعد، سندخل من أمام أعينهم وتحت أنوفهم وبهذه الطريقة لن نكون محلًا لأي شك من أي نوع"

أجابه رمزي: "ولكن بطاقتي موقوفة وإذا تم التأكد منها سيتم القبض علينا جميعًا"

ابتسم حازم وهو يقول: "لا تقلق، في خضم هذه الفوضى لن يتم التأكد من شيء على الإطلاق"

أنهى كلماته وهو ينظر لأحمد الطيب ويقول له: "مهمتك هي زرع هذه القنابل وتفجيرها في الأوقات التي سأخبرك بها"

تحسس رمزي بطاقته وقلبه يرتجف خوفًا من الخطة المجنونة التي وضعها حازم

(29)

رآهم فابتسم

***

بمجرد أن دلفوا إلى المنظمة حتى انقسموا بترتيب معين درسوه جيدًا كيلا يضيعوا الوقت في النقاش بداخل هدفهم، رحل رمزي وشريكه إلى غرف المديرين ببساطة وصعدوا إلى السلم الذي يصل إلى غرف المديرين في بطء وقدماه تلتهمان الدرجة تلو الأخرى، توقف أمام رجل أمن يعرفه جيدًا، فكر أن يتوقف ببطء ويستدير ليرحل لكن هذا التصرف كان سيلفت الأنظار إليه فابتسم وهو يتنفس بعمق قبل أن يستدعي روح المرح لتلبسه وهو يصل إلى رجل الأمن بابتسامة تفنن في رسمها إلا أنها لم تشفع له أمام تجهم الحارس الذي أشار له بيده ليتوقف وهو يطلب تصريح المرور، هذه الدرج ينتهي بباب معدني يفضي إلى صالة واسعة بها العديد من الغرف الخاصة بالمديرين أما هدفهم و هو غرفة المدير الأكبر فهي في الطوابق العليا، توقف أمام رجل الأمن و هو يمسك ببطاقته لكي يراها رجل الأمن وحاول أن يستردها إلا أن رجل الأمن مد يده في إشارة لطلبها، لم يجد رمزي بدًا من إعطائها له، اقترب رجل الأمن من جهاز فحص البطائق و عرف رمزي أنها لحظات فقط وينكشف أمره بالكامل

***

تحرك حازم وأحمد الطيب إلى وجهتهم بسرعة وحازم يستدل بذاكرته راجيًا إياها ألا تخونه، لم يتواجد حازم هنا من قبل ولكنه يعرف جيدًا أن

كلمة السر في مروره ببساطة هي أن يكون واثقًا من حركاته، ألا يفكر مرتين أمام أي طريق يسلكه، ألا يُظهر ولو للحظة أنه يخوض هذه الدروب للمرة الأولي لذا تحرك في طريقه إلى القبو بثقة مبتسمًا للأشخاص الذين يقابلهم كيلا يترك لهم فرصة للتساؤل عمن يكون!

وصل لمبتغاه في نهاية هذه الردهة يظهر الباب الذي يليه سلم هابط للأسفل يقوده لباب القبو والذي سيجد فيه مصعدًا سريًا يقوده إلى الطابق الخاص بمكاتب المديرين مباشرةً، هذا المصعد الذي صنع خصيصًا لحالات الطوارئ إذا حدث هجوم على المنظمة ولكن لسخرية القدر الآن سيستخدمه حازم على العكس تمامًا، سيستخدمه للوصول إليهم، وصل حازم إلى الباب ونظر لأحمد الطيب برفق وهو يبتسم قبل أن يضع يديه على المقبض ويحاول فتحه إلا أن الباب أبي أن يستجيب لرغباته ورفض أن يُفتح رفضًا باتًا، حاول حازم مرة تلو الأخرى وهو يحاول ألا يثير أي ضوضاء فلم يستطع، أخرج الطيب من جيبه نصلًا حادًا رفيعًا واستأذنه أن يحاول، أدخل طرف النصل في القفل المعدني الخاص بالمقبض، دعيا الله أن يسمعهما صوت التكة الخاصة بفتح القفل و لكن بدلًا منها سمعًا صوتًا غليظًا يقول : "أنت، ماذا تفعل هناك؟"

هنا توقفت القلوب عن النبض وصرخت في فزع

***

بينما كان هدف فريد ومرافقه واضحًا إلا أن فريد كعادته فقد ثقته بنفسه وأخذ يتعرق وهو يتنفس بعمق لافتًا نظر الجميع بسبب ارتباكه وللأسف ولأن المصائب لا تأتي فرادى فقد نسي الطريق الخاص به، وقف أمام الحائط مُغلِقًا عينيه محاولًا استدعاء التركيز و حاول أن يتذكر إلا أن

نظرات الريبة والشك حاصرته وأطبقت على صدره فزادت من صعوبات تنفسه، اضطر أن يسير بلا هدى راجيًا الله أن يصيب في اختياراته وأن يقف الحظ بجواره هذه المرة، مشى حتى وصل لنهاية الطريق الذي فاجأه وكأنه يزيد حيرته حيرة فتفرع لطريقين أحدهما أيسر والآخر أيمن ووقف أمامهم حائرًا قبل أن يتخذ قراره بسرعة راجيًا الله ألا يخطئ فتوجه يمينًا فإن في اليمين بركة، خطا في الردهة بسرعة ولكن ما لفت انتباههما أن صوت خطواتهما يتردد وسط الهدوء المحيط بهما، قادتهما الردهة إلى أخرى مليئة بالأبواب المغلقة و التي تظهر أقفالها الضخمة حراسًا عليها، و قادته الردهة إلى أخرى تنتهي يسارًا خاضها بثقة قبل أن يجد نفسه أمام حارسان يبتسمان و كأنهما ينتظرانه ليضعوا حدًا لمهمته، نظر لمرافقه وابتلع كلًا منهما ريقه بصعوبة وهما يرفعان أيديهما للأعلى وكأنهما يستسلمان

***

قبل أن يضع البطاقة الخاصة برمزي أمام الجهاز لقراءة كودها الإلكتروني ووضع حدًا لهذه المغامرة قبل أن تبدأ سمعوا جميعًا صوتًا قويًا من خلف رمزي الذي نظر بدهشة ليجد جون سايتال يسعل بعنف و يكاد يفقد توازنه على السلم، تحرك رمزي ورجل الأمن في سرعة وهما يحاولان أن يمسكا به وقبل أن يفهم رمزي ما يحدث كان جون سايتال يترك جسده الثقيل المليء بالعضلات يسقط بين يدي رجل الأمن الذي أحاط به يمنعه من السقوط على درجات السلم خوفًا من إصابته لم يدر رمزي ما به قبل أن يشعر بسايتال يغمز له بعينيه، لم يفهم رمزي الغرض من إشارته فبحث بعينيه حتى وجد قصد سايتال يبدو جليًا أمام عينيه، استغل سايتال تركيز الحارس في رفع جسده الثقيل وتسلل بخفة إلى جيبه

منتشلًا بطاقة حارس الأمن وهو يقذف بها إلى رمزي تاركًا جسده يجذب حارس الأمن الذي انقبضت عضلاته في عنف محاولًا السيطرة على هذا الجسد القوي، أسرع رمزي واضعًا البطاقة أمام الجهاز الإلكتروني الذي أصدر صافرة مطمئنة تشبه زفرة الارتياح التي جاش بها صدر رمزي وهو يبتسم قبل أن يضيء الجهاز باللون الأخضر كاتبًا كلمة (مرخص)، أسرع رمزي متظاهرًا بمعاونة الحارس وهو يضع البطاقة بين أصابع سايتال الذي وضعها في جيب رجل الأمن برفق قبل أن يعتدل وهو يشكر رجل الأمن الذي نظر له بدهشة متعجبًا من نوبة السعال و فقدان الوعي التي هاجمته فجأة وتركته فجأة سليمًا معافى كأن لم تكن، ذهب رجل الأمن إلى الجهاز مستعدًا لوضع البطاقة ليفحصها قبل أن يجد الجهاز آمنًا مصرحًا لرمزي بالذهاب، توقف للحظة يتذكر متى وضع البطاقة أمام الجهاز ومتى فحصها قبل أن يمط شفتيه ببطء وهو يعطي رمزي بطاقته ويأذن له بالرحيل، ابتسم رمزي وربت على كتف سايتال مشجعًا وهما يرحلان مبتسمان وقلوبهم تزفر ارتياحًا.

***

توقف حازم و هو ينظر لهذا الذي يناديه محاولًا التظاهر بالثقة قبل أن يجد رجل أمن متجهم الملامح يبدو على وجهه الغضب، تظاهر الطبيب بأنه يربط رباط حذائه وهو يخفي النصل الرفيع في جوربه بحرص كي لا يخدش قدمه قبل أن يقف وهو ينفض الغبار عن ركبتيه اللتان اتصلتا بالأرض في لقاء سريع لم يكتب له النجاح وهو يبتسم بدوره رغم رقصة الخوف التي تمارسها قلوبهما بداخل صدورهم حامدين الله على وجود القفص الصدري الذي منع قلوبهم من الركض خوفًا، اقترب منهما

الحارس وهو يضيق عينيه برفق متأملًا إياهما قبل أن يقول مرة أخرى : "سألتكما، ماذا تفعلان هنا؟"

أنهى كلماته وهو يرفع سلاحه ليصوبه لصدر حازم الذي حاول أن يجد كلماته التي اختنقت ذعرًا بداخل حنجرته، صمت قليلًا متأملًا الحارس الذي يمشي ببطء وهو يرفع سلاحه متقدمًا نحوهم قبل أن يقول: "سنهبط إلى القبو!"

نظر له الطيب بدهشة باحثًا عن سبب مقنع يجعل حازم يبوح له بسرهم قبل أن يضم يديه خلف ظهره وهو يقبض على خنجره بحرص وهو يتلو بعض آيات القرآن سرًا قبل أن يقف حارس الأمن ويضع يده في جيبه وهو يحافظ على سلاحه النصف آلى مرفوعًا بالأخرى وهو يخرج نظارة طبية من جيبه يضعها على وجهه لتتبدل ملامح وجهه وهو يبتسم بارتباك معتذرًا: "عذرًا، ظننتكما من أفراد الأمن وكنت أمزح معكما"

ابتسم حازم وهو يحاول ألا يظهر فرحًا بالأمر وهو يقول: "ليس الأمر هامًا"

استدار الحارس وهو يتمنى لهما حظًا سعيدًا قبل أن يوقفه حازم وهو يقول: "هل لك أن تفتح لنا الباب لأن بطاقتنا لا تعمل، يبدو أن بها عطلًا ما"

وكتعويض عما سببه لهما الحارس ابتسم وهو يفتح لهما الباب مستخدمًا بطاقته وهو يرحل مبتسمًا، أغلق حازم الباب خلفه هو والطيب وزفر بعمق وهو يكاد لا يصدق أن الأمر انتهى على خير

***

رفع فريد وأوبايا أيديهما للأعلى في استسلام، في العادة لا يستسلم أوبايا وسيحرص على القتال حتى لو كلفه الأمر حياته ولكنه بوغت بردة فعل قائده فظن أنها خطة ما يخطط لها فريد، الأمر الذي لم يعرفه هو أن فريد يكاد يبكي ذعرًا لأنه شعر باقتراب الفشل، نظر لهما الجنديان قبل أن يبتسما وهما يحاولان منع أنفسهما من الضحك لكن الضحك سلطان أقوى من أقسى المواقف، قهقها في عنف وهما يخرجان سُحبًا من الدخان من أفواههم تلف ضحكاتهم وتتصاعد معها للأعلى، فهم أوبايا الأمر فتوقف وهو ينزل يديه ويلكز فريد كي يقف وهو يبتسم بارتباك ولا يفهم ما الذي يحدث، أقترب أوبايا منهما وهو يخرج علبة من السجائر من جيبه ويعطي كلًا منهما سيجارة ويشعل ثالثة لنفسه، وقف يتبادل معهما بضع كلمات سريعة قبل أن يشكرهما ويمشي بخطوات سريعة وهو يجذب فريد من يده بعنف وعلامات الغضب ترتسم على وجهه وهو يقول : "هؤلاء هربا إلى هنا لتدخين بعض السجائر والتي يبدو أن تدخينها داخل المنظمة أمر غير شرعي بينما أنت أيها الزعيم القوي قد أخطأت، وجهتنا هي في الجهة اليسرى، هيا بنا"

تنفس فريد بعمق وهو يحمد الله أن الأمر مر بسلام

***

نظر أمامه في الجهاز الذي تنقل له كل الكاميرات المزروعة في كامل أنحاء المنظمة ما تشاهده، راقب ثلاث شاشات وهو يبتسم وينفث دخان سيجاره بعيدًا وقد وجد ضالته، رآهم فابتسم

***

دخل رمزي إلى الغرفة التي يبتغيها لكنه بعد دقائق خرج منكس الرأس هو وجون سايتال وكلًا منهما مُصَوَّب إلى رأسه مسدسًا ثقيلًا من عيار خاص قبل أن يركعوا على ركبتيهما ويشعر رمزي بضربة قوية على مؤخرة عنقه فقد على إثرها الوعي

بينما حازم الذي هبط السلم ليفتح باب القبو فيجد مجموعة حراس يبتسمون له بشدة قبل أن يرى أحدهم يضغط الزناد، أغلق عينيه تلقائيًا منتظرًا الألم قبل أن يفتحهما ليرى أحمد الطيب وقد زينت منتصف رأسه رصاصة غادرة وهو يسقط بجواره فاقدًا لحياته قبل أن يضع أحدهم غطاء رأس يغلق عن حازم به منافذ الإضاءة وهو يشعر بهم يربطون يديه وقدميه بقوة ولم يدر إلا وهو يحمل إلى وِجْهَةٍ مجهولة

فريد قبل أن يصل لوجهته سمع صوتًا مكتومًا لم يفهمه ولم يعرف مصدره وقبل أن يفهم وجد أوبايا يسقط أرضًا والدماء تنزف من عنقه بشدة وقد فارق أيَّ أثرٍ للحياة عينيه قبل أن يجد ضوءًا أحمر يعرفه جيدًا، هناك قناص يبحث عن قلبه، تابع الضوء الأحمر بعينيه وهو يتوقف عند قلبه، انتظر الرصاصة والتي أتى بدلًا منها من أمسكه بإحكام وهو يغطي عينيه برابطة عنق ويربط يديه وأقدامه ببعضهما البعض، لم يقاوم فريد فهو يعلم جيدًا أن لا مفر ولا مناص

(30)

فتح رمزي عينيه ببطء ورأسه يشكو الألم إثر الصدمة التي تعرض لها، تأمل بعينين قاومتا الضوء الذي أغشاهما الموجودات من حوله، كانت غرفة خالية تمامًا إلا من ثلاث مقاعد ومنضدة، الثلاث مقاعد كان هو مربوط في إحداها بينما جسدان لرجلان آخران مربوط كلًا منهما في مقعد، عرف تكويناتهم البدنية فألفهم، حازم عن يمينه وفريد عن يساره بينما يتوسطهما هو مواجهًا المنضدة المعدنية الفارغة، كان حازم لا يزال يحتفظ على رأسه بغطاء أسود يغطي وجهه عن العالم بينما فريد معصوب العينين برابطة عنق رجالية، فكر قليلًا هل من الأفضل أن يحادثهما أم أنهما فاقدي الوعي، انتهى من التفكير مستقرًا على ضرورة الاطمئنان عليهما فبدأ بحازم سائلًا إياه برفق : "حازم، هل أنت بخير؟"

اعتدل رأس حازم الذي كاد ينكب على صدره من فرط الهدوء قبل أن يسمع صوت رمزي وكلماته المتسائلة، كانت الكلمات تصل له بصوتٍ خفيض نظرًا لاحتلال هذا الغطاء لرأسه لكنه سمعها جيدًا وفهمها وأدرك جيدًا أن رمزي في قبضتهم هو الآخر فسقط قلبه يائسًا فاقد الأمل وهو يجيبه: "نعم، إذا أنت أيضًا قد سقطت في قبضتهم"

أجابه رمزي وهو ينظر للأرض خجلًا: "أجل يا صديقي"

لم ير ملامح وجه حازم ولكنه خمن أن اليأس وقلة الحيلة يتصارعان حول أولوية الظهور الآن لكن بعد عدة لحظات من الصمت القاتل تحدث حازم بصوت حاول أن يجعله شجاعًا: "إذًا الأمل في فريد"

صمت رمزي للحظة وهو يتأمل فريد المعصوبة عينيه بجواره وهو يسأل نفسه هل يخبر حازم بأسره هو الآخر أم يترك له القليل من الأمل عَلَّهُم كانوا ذوي فائدة له قبل أن يوأد فريد أحلامه وتساؤلاته وهو يقول: "لا، لا أمل مع فريد"

رفع حازم كتفيه وهو يتنهد ويقول: "توقعت هذا ولكني كذبت قلبي، أعتقد أنني أردت أن أثمل بقليل من الأمل، حسنًا هل نستطيع أن نقول الأمل كان في العسكريين اللذان صاحبوكما، لأن أحمد الطيب – رحمه الله – قد اغتالوه برصاصة آثمة"

أجاب رمزي بدوره: "حسنًا سأستطيع أن أؤكد لكما أن جون أوبايا قد لحق به"

صمت رمزي محاولًا أن يتذكر قبل أن يقول: "آسفًا لن أستطيع أن أؤكد مصير سايتال لأنني فقدت الوعي قبل أن أطمئن عليه ولكن دعنا نؤكد أنه لحق بزملائه"

لحظات الصمت قررت فرض سيطرتها على المكان الذي خلا من أي صوت سوى صوت تنفس حازم الثقيل بسبب هذا الغطاء الذي يحيط برأسه ليخفيها عن العالم، قليل من الصمت بعد فلم يحن أوان الكلمات، قطع حازم هذا الصمت وهو يقول: "كانوا في انتظارنا، أحدهم خائن وسرب لهم خطتنا"

أجاب رمزي في سرعة والتوتر يبدو جليًا على كلماته: "أرجو ألا يكون أحد الخبراء الاستراتيجيين أو العلماء الموجودين بصحبة مريم"

وكأن حازم لم يسمعه أو كأنه يفكر بصوت عالٍ: "أحدهم كان خائنًا، ترى من هو الخائن؟"

فُتح باب الغرفة في اللحظة التي أنهى فيها حازم كلماته فرفع رأسه في سرعة محاولًا أن يخترق غياهب الظلمات باحثًا عن سبيل لرؤية القادم بينما تجمد فريد ذعرًا ورعشات صغيرة غير ملحوظة تنتاب جسده بين الحين والآخر، رفع رمزي رأسه وهو يتأمل الشخص الذي وقف على الباب يبتسم بسخرية، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول بصوت خافت: "حازم، أخشى أن أخبرك بهذا لكني عرفت من هو الخائن"

***

ابتسم جون سايتال بسخرية وهو يتأمل حازم الذي انتفض جسده عندما سمع صوته يقول: "مرحبًا، هل افتقدتموني أيها الأوغاد؟"

أجاب حازم بغضب وهو يقول: "سايتال؟"

رفع سايتال الغطاء عن رأسه، أغلق حازم عينيه لبعض الوقت كي تتأقلما مع اختلاف درجة الإضاءة قبل أن يفتحهما في بطء وهو يتأمل وجه سايتال وهو يقول بسخرية: "أعتقد أن هذا رد عن سؤالك"

تأمله حازم بغضب ووجهه يحمر نتيجة اعتمار الغضب في صدره وهو يصرخ به: "تتعاون مع المنظمة الآن؟؟، أليست تلك المنظمة هي التي طالبت برأسك وأنا من أعطاك الفرصة لتتنفس مرة أخرى أيها الأبله؟، سيقتلونك بمجرد أن ينتهوا منا"

قهقه سايتال في عنف حتى دمعت عيناه وهو يقول: "هل ما زلت تعتقد حقًا أنني جون سايتال، الجندي المقاتل الأمريكي؟"

سأله رمزي: "ماذا تقصد؟"

أخرج الرجل من جيبه الداخلي بطاقة إلكترونية خاصة بالمنظمة وهو يقول: "ديفيد فيتشر، أحد رجال الأمن بالمنظمة وأحد أهم مقاتليها"

سمع الجميع صوت نهنهة خافتة تصدر عن فريد الذي رمقه رمزي بنظرة اشمئزاز من ضعفه قبل أن يقول لديفيد مرة أخري: "إذًا كنت تخدعنا؟"

اتسعت عينا ديفيد بشدة وهو يسأله بسخرية: "هل تسأل؟"

قبل أن يجيبه رمزي وجه له ديفيد لكمة قوية على صدغه، شعر رمزي بالألم يجتاح جوانبه وهو يشعر بمرارة الدماء في فمه وقبل أن يجيب وجد إجابة ساخرة من رمزي: "ماذا تعتقد الآن؟"

وقبل أن يجيبه رمزي تحرك ديفيد وجذب رابطة العنق من على عيني فريد الذي ظهرت عيناه باكيتان، نظر له ديفيد باشمئزاز بدوره قبل أن يبصق في وجهه ويلقي رابطة العنق عليه، ظهرت علامات الخوف على رمزي وهو يبتعد بجسده من رابطة العنق قبل أن يشير ديفيد إليه وهو يقول بسخرية غاضبة: "كنت تريد أن تقتحم المنظمة وتسيطر عليها بهذا !!"

أدار فريد وجهه للجهة الأخرى وهو يبكي في صمت وجسده يرتجف قبل أن يسمعوا جميعًا صوت طرقات على الباب، أمر ديفيد الموجود بالخارج أن يدخل، فُتح الباب ودخل شخصان مفتولي العضلات ومن خلفهم رجل نحيل الجسد يبدو عليه الضعف، بمجرد أن رآه رمزي حتى ارتجف بعنف بالغ وهو يقول: "يا إلهي"

لاحظ حازم ارتجافة رمزي التي إن دلت على شيء فتدل على الهول الذي رآه رمزي، حاول أن يتبين الأمر لكنه لم يرى سوى شخص يشبه مرضى

السل يرتجف وتبدو عليه العصبية، لو أن هناك سببًا واحدًا للخوف من هذا الضعيف سيكون الخوف من أن يموت هنا أمامهم لكن نظرة تساؤل منه جعلت رمزي يرتجف وهو يحاول التماسك وهو يقول: "إنه ... إنه الفنان"

تساءل حازم بعدم فهم: "من؟"

أجابه ديفيد وهو يبتسم: "رون أرماندو ... الشهير بالفنان، أحد أهم فناني التعذيب حول العالم وأحد المبتكرين القلائل الذين يستطيعوا ابتكار وسائل تعذيب مضمونة نتائجها مائة بالمائة"

أجاب حازم بدهشة: "هذا!"

رفع ديفيد كتفيه للأعلى وهو يقول: "يبدو أنك لا تصدق ... حسنًا هيا نثبت له يا فنان"

تحرك الرجلان الضخمان إلى رمزي يفكون وثاقه ليجروه أرضًا وهو يحاول المقاومة لكنه يبدو كدمية بين يد عملاقين قبل أن يحكموا ربطه على المنضدة وهم يخلعون ملابسه حتى أصبح جسده عاريًا بالكامل، فتح الفنان حقيبته وهو يخرج منها أدواته، تأمل حازم الحقيبة وهو يرى السكاكين المختلفة والمشارط والخطافات التي تراصت بجوار بعضها البعض قبل أن يمسك الفنان بمشرط خاص به يتأمله للحظات قبل أن يتجه لجسد رمزي ويبدأ الفنان في رسم لوحته الفنية باستمتاع

***

لم يستهلك الفنان الكثير من الوقت قبل أن يترك رمزي الذي ينشج بعنف محاولًا إخفاء ألمه وعدم البوح به في محاولة لاستفزازه، كان جسده ينزف

من جروح كثيرة تناثرت هنا وهناك بينما بضع أظافره تركته راحلة إلى مكان آخر، بضع مناطق حساسة في جسده تعلقت بها مشابك حديدية ذات أطراف حادة في عنف بينما كان لسانه قد زارته الكهرباء عدة مرات، تناول رمزي وجبة تعذيب من عيار خاص وثقيل، الملفت للنظر كان في استمتاع الفنان الذي كان يبدو وكأنه يرسم أو يؤلف مقطوعة موسيقية سارحًا في ملكوت من صناعة خياله سابحًا في بحار متعة لا يراها غيره، يَئِنُّ رمزي ويبكي فريد ويبحث حازم عن سبيل للفرار من هذ الجحيم، صحيح أن رمزي لم يَبُح بعد بسر واحد لكن يبدو أن النهاية قريبة، البشر كالقلوب كُلٌّ له طاقة تنتهي بعد قليل من الوقت ليتحول بعدها للنقيض تمامًا، فريد كان يبكي بعنف لدرجة أن حازم تمنى لو يقتله الفنان ليستطيعا التركيز كل في واد، الفنان في استمتاعه وحازم في بحثه، كان الفنان يستريح الآن تاركًا المشابك الحديدية تنهش جسد رمزي ريثما يتنفس بعمق لقليل من الوقت، كان ينشج وكأنه يبذل مجهودًا مثله مثل الفنان الذي ينتهي من فنه ناشجًا يعب الأكسجين كأنه كان يركض في الصحراء، المثير أن رمزي رفض أن يكمل متعته و يتألم أمامه مما جعل الفنان يكشف عن بعض خدعه التي لا مجال لذكرها هنا و التي سببت الدهشة لحازم لأنه لم يكن يدرِ أن هناك من يستطيع أن يتحمل مثل هذا العذاب، وقف الفنان وهو يتناول معداته من جديد وبمجرد أن أعمل أحدها في جسد رمزي حتى فقد تماسكه وصرخ بكلمة واحدة حملت رجاء جسد معذب ولم يعد يحتمل : "يا رب"

و كأن الله استجاب لدعائه في الحال سمع الجميع صوت صرخات و طلقات رصاص يتردد بالخارج لوهلة قبل أن يصمت الجميع، فجأة سمع الجميع صوت طرقات و كأن أحدهم يحاول اقتحام الباب لكن قوته أقل

من أن تفتح بابًا معدنيًا كهذا، تراجع الفنان للخلف و هو يحمل مشرطه مختبئًا خلف حازم الذي رمقه بسخرية قبل أن يسمعون الطرقة القوية الأولى متأملين الانبعاج التي سببته، سبب هذا الانبعاج شيء يتمتع بقوة خارقة. ضربتين أخرتين وطار الباب من مكانه غير متحمل لتلك القوة قبل أن يظهر على الباب جسدًا يغلب عليه اللون الرمادي الباهت يشبه تكوينه الخارجي تكوين الإنسان، تتناثر في رأسه الكبير بضعة شعيرات تكاد تعد طويلة و لكن قلتها مع كبر حجم الرأس يعطوك انطباعًا أنك تراقب شيطانًا فقد شعره ، أحدب، طويل القامة و قصير القدمين، له عينان بلا حدقات ينبعث منها الشر ليرجف أشجع القلوب بينما وجهه ملطخ بأوساخ لا يعرف كنهها، ضلوعه تخترق لحمه لترسم لوحة مرعبة على صدره بينما غطي عورته بقطعة قماش بالٍ تكشف أكثر مما تستر. كانوا يتأملون مسخًا خارق القوي يقف على الباب زائرًا بعنف ومنخاريه ينفثان الهواء بغضبٍ عارم لا مثيل له. نظر رمزي بأعين قتلها الألم إليه قبل أن ينظر إلى حازم في استجداء وهو يراقب المسخ يقترب منه ولعابه يسيل عن أنيابه بِشَرَه وزئيره الحاد يُصِمُّ الآذان صَمًّا. أغلق حازم عينيه محاولًا ألا يرى ما يحدث لكن أيديه المقيدة منعته من صم أذنه عن صرخة صديقه التي خالطها الزئير القبيح

(31)

زئير حاد من فم مليء بالأنياب الحادة، بخار قذر يتصاعد من منخارين تجمد عليهما المخاط، صوت بشع يأتي من صوت احتكاك أظافر أقدامه المتسخة بالأرضية، صوت قرقرة ينبع من حنجرته رغم سكوته، عضلاته ترتعش كأن ماسًا كهربائيًا يعبث فيها و يهز رأسه في عنف كأن آلاف الشياطين تسكنها وهو يحاول طردها، يقف غاضبًا في منتصف الحجرة يتأمل رمزي المربوط في المنضدة وجسده ملئ بالدماء، يغلق عينيه وهو يخرج لسانًا قذرًا يلعق به شفتيه الرفيعتين، حازم يحاول أن يفك قيده بصعوبة محاولًا إنقاذ رمزي قبل أن ينهشه هذا المسخ الطليق بينما يَئِنُّ فريد بقوة مزعجًا المسخ الذي مشى إليه و توقف أمامه وهو يقرب وجهه من وجه فريد، شم فريد رائحة فم المسخ العطنة ورائحة اللحم المتعفن على وجهه، رائحة العرق المتراكمة على جسده دون غسيله زكمت أنفاسه فأدار وجهه للجهة الأخرى محاولًا كتم دموعه لكن المسخ مد يده و أمسك بوجه فريد، أدار وجهه و لم يحاول فريد أن يقاومه كيلا يجرح وجهه بأظافره القذرة فالله وحده يعلم ما نوع المرض الذي سيسببه له المسخ لو جرحه، صرخ المسخ في وجه فريد بشدة، كاتمًا أنفاسه ودموعه ووائدًا أي نوع من أنواع المقاومة بداخله صمت فريد قبل أن يقرر أنه لا داع لبقائه واعيًا فترك وعيه ينسحب ليسقط رأسه على صدره فاقدًا للوعي، تأمله المسخ للحظات قبل أن يتركه ويتحرك تجاه رمزي، يمد يده ليعبث في الدماء التي تغطي جسده، يمتليء إصبعه بالدماء فيقربه من فمه لاعقًا إياه وهو يقرقر في سعادة، نظر حازم للفنان وهو يرجوه أن يفك قيده، لم يجد الفنان بدًا من الأمر فاستعمل المشرط الموجود في يده ليفك سراح

يمناه قبل أن يتبعها بيسراه، دلك حازم يديه ليبعث الدماء مرة أخرى عبر عروقه التي ضغط عليها القيد ليسبب له كدمات زرقاء فيهما، وقف حازم وهو يتأمل الفنان الذي بدا جسده صغيرًا مرتعشًا أمامه وبدت عينيه كأنما تفيض بالفزع بعد أن كانت أمطار النشوة تهطل فيهما، أشار له بيده أنه يريد المشرط لكي يحرر رمزي و يقاوم المسخ الذي وقف يتأملهم بوجه مائل جهة اليسار و لسان يتلاعب في الهواء ليزيد من رهبته وأعين تفيض جنونًا، أخفى الفنان المشرط خلف ظهره و هو يبتعد بخطوات بطيئة عن حازم الذي تعجب من ردة فعله، همس له بغضب : "أريد أن أحرر رمزي و أقتل هذا المسخ"

تردد الفنان للحظات قبل أن يمد يده بأيدي مرتعشة وهو يعطي حازم المشرط الذي تناوله برفق وهو يعطي الفنان ظهره ويسأله: "أخيرًا بدأت تفعل الصواب، هل تعلم ما هو الخطأ الأول الذي ارتكبته اليوم؟"

سأله الفنان: "إعطائك المشرط؟"

نظر له حازم بطرف عينه وهو يبتسم بسخرية: "هذا كان خطأك الثالث، خطأك الأول كان أنك بدأت الاستجواب برمزي الذي فضل الموت على أن ينطق بكلمة، خطأكم الثاني كان بمهاجمة المنزل الذي أعطاكم جون سايتال عنوانه لأنه بمجرد فتح الباب ستنفجر البناية بأكملها، بمجرد أن تحركنا ورحلنا تحركت مريم بصحبة العلماء لمكان آمن لا يعرفه سوى رمزي وأنا فقط، حتى فريد لا يعرفه وتم زرع مجموعة من القنابل والمتفجرات تنتظر فقط أن يفتح أحدهم باب الشقة لتنفجر البناية بأكملها أما خطأك الثالث ...."

لم ينهي حازم كلمته وهو يستدير ليواجه الفنان بيده الممدودة بالمشرط وهو يبتسم ويقول له: "هذا ...."

لم يفهم الفنان ما حدث و لكنه تحسس عنقه الذي شقه المشرط بيده و هو يرى الدماء تسيل منه بقوة، تحشرج صوته و هو يحاول أن يقول شيئًا إلا أن حازم لم يهتم ولم ينتظر أن يسمع كلماته الأخيرة وإنما أمسكه من ياقة معطفه الأبيض الذي تلوثت بالدماء وهو يحمله بقوة ويلقيه بالقرب من المسخ الذي اقترب من رمزي مخرجًا لسانه مستعدًا للعق دمائه متجاهلًا صرخات رمزي التي ملأت الغرفة قبل أن يشعر بجسد الفنان الذي يقترب منه فيبتعد في خطوات سريعة قبل أن يرى جثة الفنان و الدماء التي تسيل منها، اقترب منه يشتمه وهو يلعق الدماء التي ملأت الأرض حول الجثة في بركة حمراء قانية، تحرك حازم بحرص وهو يقترب من رمزي الذي ركع المسخ بجواره يلتهم جثة الفنان في نهم قبل أن يشعر بخطوات رمزي فينظر له و هو يبعد الجثة عنه زائرًا في عنف خائفًا من أن يشاركه طعامه إلا أن حازم تحرك وبيده المسلحة بالمشرط بدأ بفك رباط رمزي الذي قاوم جروحه وآلامه وانتفض ضد الدوار الذي يداهمه وهو يحرك نفسه منتظرًا أن يتم حازم مهمته ليتحرك قافزًا رغم الألم عن المنضدة مبتعدًا عن المنضدة إلى حيث ألقى الفنان ملابسه مرتديًا إياها ضاغطًا على أسنانه كاتمًا ألم زحف في جسده يعيث بها فسادًا، أفاق حازم فريد وقبل أن يحرره عَنَّفَهُ على ضعفه و قلة حيلته، تحمل فريد كلماته وهو يدلك جسده بعد التحرر وهو يقف ناظرًا للمسخ الذي يلتهم جثة لا ملامح لها قبل أن يسأل حازم : "أهذا رمزي؟"

هز حازم رأسه نفيًا و هو يشير لرمزي الذي بدل ملابسه و جلس على الأرض في ضعف، تحركا إليه في سرعة و هما يحملانه محاولين ترك الغرفة

قبل أن يتحرك المسخ الذي خذل شجاعتهم و أعلن انتهائه من الطعام قبل أن يقف ليسد مدخل الغرفة عليهم و هو يصرخ صرخة جديدة لم يسمعونها منه من قبل، نظر فريد لحازم نظرة يستنجد بها شجاعته، رفع رمزي رأسه يتأمل الموقف، لم يفهم أيهم ماهية هذه الصرخة قبل أن يسمعوا عشرات الأصوات تتردد من هنا و هنا، لحظات و ظهر حوالي عشر مسوخ أو يزيد على باب الغرفة، حسنًا الآن فهم الجميع ماهية الصرخة، كان المسخ ينبه أقرانه بوجود المزيد من اللحم لإطعامهم و سد جوعهم، تأملوا المسوخ التي تقف على باب الغرفة لتزأر في عنف و هي تتأملهم و أعينها تفيض جنونًا وحشيًا

***

وقف المسوخ على باب الغرفة يزأرون في وحشية ونظرات عيونهم تعكس مشاهد من مستقبل حازم وفريد ورمزي الذي كاد ينتهي بين أسنان هذه المسوخ، توقف حازم وفريد وهما يحملان رمزي الذي رفع رأسه بضعف يتأمل ما يبدو وكأنه آخر لحظاتهم سويًا، قال بصوت خافت متأملًا المسوخ: "حازم، كنت خير رفيق في هذه الرحلة، أشكرك ولتعلم أنني سأموت راضيًا عنك أما هذا الوغد في الجهة الأخرى فهو أضعف من رأيت طوال حياتي"

لم يستطع فريد أن يرد على هذه الإهانة لأنه على يقين تام بأنه يستحق أكثر منها فقد كان مثالًا يحتذي به في الضعف والخنوع وقدوة حسنة لكل الضعفاء في هذه الرحلة، حاول أن يفعل شيئًا حسنًا ينهي به حياته فترك رمزي وهو يتقدم نحو المسوخ التي بدأت في تأمله، وقف أمامها صارخًا بصوت حاول أن يكون شجاعًا: "إذا أردتم أن تمروا فليكن على جثتي"

قهقه حازم بشدة وهو يجذبه من ذراعه ويقول له: "الآن ليس الوقت المناسب لكي تتظاهر بالبطولة، يجب أن نتحد لكي نستطيع الفرار من هنا، فثلاثة عقول تفكر أفضل من عقلان"

نظر فريد للمسوخ وهو يتراجع للخلف قبل أن يسمع صوت رمزي الضعيف مليءٌ بالسخرية: "ألن تعتذر لهم؟"

ابتسم له بصمت و هو يتراجع ليحمله مرة أخري، وقفوا أمام المسوخ التي صمتت إلا أن صوت قرقرة مقرفة تنبع من أعماقهم، فجأة صمت صوت القرقرة تمامًا، ساد الصمت الغرفة بأكملها إلا من صوت تنفس ثقيل من رمزي المصاب، انقسم المسوخ قسمين مكونين ممرًا بينهم يسمح لشخص ضئيل بالمرور من بينهم، نظر الثلاثة لبعضهم البعض خوفًا من التقدم لعلها تكون خدعة من المسوخ خصوصًا و أن فريد يعلم جيدًا حجم وحشيتها و قوتها، لم يتحرك أيهم و لكنهم رأوا حركة خافتة تأتي من خلف المسوخ، ركز الجميع أبصارهم بذلك الشخص الذي تحرك في خفة ممسكًا بجهاز في يده، قبل أن يرفع عينيه ليتأملهم، شعر قصير ناعم وبنية قوية رغم قصره، ملامح آسيوية ووجه ضحوك بشوش، ترك فريد رمزي وهو يسرع إليه في سرعة ليحتضنه أمام أعين حازم و رمزي الذي امتلأت بالتساؤلات قبل أن ينظر لهم فريد وابتسامته تفوق حجم تساؤلاتهما و هو يقول بفرح بالغ : "شينزو ... محارب المسوخ الذي أخبرتكم عنه"

أجاب رمزي: "يبدو لي مرافقًا للمسوخ أكثر منه محاربًا إياها"

ابتسم شينزو وهو يستمع لكلمات رمزي، بالطبع كان حوار الجميع يدور باللغة الإنجليزية منذ بدء هذه الأزمة قبل أن يجيبه شينزو: "هل أنت حازم؟"

رد رمزي بسرعة: "لا بالطبع حمدًا لله، هذا هو حازم"

مشيرًا إلى حازم الذي حياه بيده الحرة: "مرحبًا شينزو، كما ترى أنا حازم"

أجابهم رمزي بسرعة: "يبدو فعلًا اننا لا نقف في وسط المنظمة وسط عشرات المسوخ التي ستأكلنا أحياء الآن، هذا بالفعل المكان الأمثل للتعارف"

ابتسم شينزو وهو يقول: "لو أنك تخاف المسوخ فالمسوخ لن تتحرك إلا بأمري أنا فقط، أما بخصوص المنظمة فأعتقد أنك تسمع الصرخات، المسوخ تقوم بعملها في الانتقام منهم وتصفيتهم في الوقت الذي نتحدث فيه"

اعتدل رمزي سائلًا: "لن تتحرك إلا بأمرك؟"

ابتسم شينزو للمرة الثانية : "في خضم رحلتي لمقاومة المسوخ اكتشفت أن المسوخ نفسها لا تتحرك إلا بأوامر تأتي من قائدها، المشكلة الأكبر كانت في أنهم برغم كونهم كائنات حية إلا أنهم يتصرفون طبقًا للأوامر كالآليين، هنا بدأت بالتفكير في هذا السر، إلى أن تفتق ذهن أحد المصاحبين لي في خطف إحدى الجثث لتشريحها و بالفعل وجدنا شريحة مرتبطة بجهازها العصبي منها تتلقي أوامرها و منها تنفذها بدون أدني تفكير، وجب هنا التوقف للحظات بحثًا عن المصدر الذي تتلقي منه تلك المسوخ أوامرها وتنفذها وبالفعل بعد مجهود وصراع اكتشفنا أن هناك قيادات بشرية خلف مشروع المسوخ، بشر كالمسوخ لكنهم ممتلئون بوعود من المنظمة لإصلاح الأمر ريثما تنتهي الأزمة، هؤلاء يمتلكون حسابات مصرفية في بنوك سويسرا مليئة بالدولارات، تنفذ أوامر المنظمة بعد صبغها بالصبغة المطلوبة لتحريك هذه العقول المغيبة تحت شعار هذا هو الصالح العام،

بدأت البحث حتى وجدت أحدهم واستطعت قتله بعد أن خسرت أحد أفضل رجالي ولكنني انتصرت وفزت بهذا"

أشار للجهاز الذي يمسكه في يده وهو يستكمل حديثه: "هذا الجهاز ببساطة هو سر التعامل مع هذه الممسوخ، كما ترى فالشاشة بها نقاط صفراء ونقاط حمراء وكما ترى أيضًا النقاط الصفراء أكثر بكثير من الحمراء، هذه النقاط الصفراء هي الممسوخ وأماكن تواجدها على الخريطة أما النقاط الحمراء فهي زعماء الممسوخ وبدأ فريقي بالفعل في تصفيتهم، تستطيع عن طريق هذا الزر أن تحدد العدد المطلوب من الممسوخ لتنفيذ الأمر ومن هذا الزر تختارهم جميعًا لإعطائهم أمرًا حتى لو كان النوم أو صراع بعضهم البعض"

ابتسم حازم ولكن رمزي المتشكك سأل سؤالًا آخرًا: "كيف عرفت أننا هنا؟ ولماذا تنقذنا؟"

أجابه شينزو: "غرور المنظمة هو السبب، بمجرد أن تم القبض عليكم تم إذاعة بيان عاجل على جميع الشبكات التليفزيونية بصوركم وأنكم ثلاثة إرهابيين حاولوا اقتحام المنظمة من أجل إسقاطها للقضاء على مخططهم في مساعدة البشر في استرداد ذكرياتهم، أنتم بالخارج أكثر ثلاثة أشخاص مطلوبين ومكروهين على الإطلاق لذا إذا تم الأمر بخير وخرجتم احرصوا على تجنب الناس لبعض الوقت ريثما تُكْتَشَفُ الحقيقة والآن هيا فسنخرج من هنا بمساعدة الممسوخ"

بمجرد أن أنهى كلماته حتى شعر بالجهاز ترتفع درجة حرارته في يده لدرجة أنه اضطر لتركه يسقط أرضًا وهو ينظر للثلاثي بنظرة فزع قبل أن يتردد صوت في الإذاعة الداخلية الخاصة بالمنظمة

((شينزو ورمزي وحازم وفريد يريدون الهرب بصحبة المسوخ، حسنًا هذا خبر جديد سيذهب للتلفاز كي يعرف العالم بأكمله أنكم المسؤولين عن المسوخ، الآن حان وقت التخلص من المسوخ كلها، ونصيحة حاولوا الهرب لأن فرقة ضخمة من رجال الأمن تتجه نحوكم الآن لتتخلص منكم، استعدنا السيطرة على المنظمة مرة أخرى وسنسيطر على العالم قريبًا، مع السلامة أيها الفشلة))

أنهى الصوت كلماته قبل أن تنفجر رؤوس المسوخ بشدة لتتناثر دماؤها القذرة على وجوههم، لحظات صمت مرت وهم يتبادلون نظرات اليأس قبل أن يروا ما حذرهم منه الصوت، العشرات من أفراد الأمن المدججين بالسلاح يأتون من كل حدب وصوب، مئات رجال الأمن يحاصرونهم بحثًا عن هدف واحد يبدو أنه اقترب للغاية، تراجعوا وهم يعرفون جيدًا أن النهاية قد حانت

(32)

في البداية كان السهم الذي اخترق رأس أحد المسؤولين عن تجمعات رجال الأمن أو قائد لأحد الكتائب الصغيرة التي تهاجمهم، سهم معدني ذو صناعة خاصة اخترق رأس القائد الذي ترنح للحظات محاولًا فهم ما الذي حدث قبل أن يخبره ملاك الموت أن أوانه قد آن ولا وقت للمزيد من التساؤلات فرحل معه صاغرًا دون نقاش، تبعه عدة أسهم تعرف طريقها جيدًا وكأن ملاك الموت نقش اسم كل ضحية فوق السهم الخاص بها فذهب يعرف طريقه ليصيب هدفه دون نقاش أو تردد، ثورة الأسهم حدثت في أقل من ثلاثين ثانية وتبعها موجة أخرى من الرماح الخشبية الضخمة التي شاركت بدورها في اختراق الجذوع والصدور وبقرت البطون وحطمت الرؤوس تحطيمًا، وقبل أن تبدأ موجة جديدة من الأسلحة البدائية جذب حازم فريد وشينزو بقوة لكي يستيقظوا من ذهولهم الذي سيطر على العقول فأوقفها وعلى الأعين فجحظت متابعة ما يحدث، حازم الوحيد الذي كان رد فعله أسرع منهم فحمل رمزي وهو يدلف إلى الغرفة التي كانوا بها من قبل، تبعه فريد وشينزو محاولين ألا يتعثروا في جثث المسوخ التي ملأت الأرض دون رؤوس، دخل شينزو وفريد إلى الغرفة ليجدا أن حازم يعطيهما رمزي الذي خارت قواه نتيجة مقاومته لتعبه و آلامه ليحملاه بينما خرج إلى الخارج كي يبدأ في جذب جثث المسوخ لداخل الغرفة، راوغ سهم طائش وابتعد عن رمحٍ غادر و هو يجذب جثة المسخ الأخيرة إلى الداخل، صوت طلقات الرصاص بدأ يتزايد و هذا يعني أن الجنود و رجال الأمن تخلصوا من عامل المفاجأة وانتهوا منه، لا يملك حازم المزيد من الوقت لذا بمجرد أن اطمأن إلى أن آخر جثة قد دخلت إلى

الغرفة تركها أرضًا و عدا من فوره إلى الباب المنبعج و حاول أن يضعه مكانه، كان الباب من الحديد ثقيل الوزن و ضخم للغاية لذا عاني من حمله وهو يترنح بشدة بسبب ثقله قبل أن يمد له شينزو يد العون فيضعون الباب مكانه ويظل حازم ممسكًا به ويشير لشينزو أن يأتيه بالمنضدة التي تتسلم دورها كخط دفاع ثانٍ لتمسك بالباب محافظة على ثباته بينما بدأ حازم بمساعدة شينزو في وضع الجثث فوق المنضدة كلأ منها فوق الأخرى ليصنعا خط دفاعي يحميهم من المعركة التي تحدث بالخارج، تركا الأمر وهما يرجعان ليجلسا أرضًا جوار فريد المستسلم ورمزي الذي فقد وعيه وفَضَّلَ حازم تركه مغشيًا عليه كي يرتاح قليلًا، بالخارج كانت المعركة محتدمة حيث بدأت بمجرد أن انتهت الرماح من قتل المزيد من الجنود فداروا على أعقابهم ليروا مهاجميهم ففوجئوا بعدد من الأطفال ولكنهم كالشياطين، لا يكفوا عن الحركة وهو يطلقون المزيد من الأسهم والمزيد والمزيد من الرماح، يبدو أن ذخيرتهم من الأسلحة البدائية لا تنفذ، احتاج الأمر رصاصة واحدة فقط لتخرجهم من حالة الذهول التي غرقوا بها فانطلقت الأيدي من فورها تأمر الأصابع بالضغط على الزناد الخاص بكل سلاح، وانطلقت الرصاصات تحصد أرواحًا والأسهم تحصد أرواحًا أخرى ومن بين هؤلاء وهؤلاء شعر الجنود بالغدر فجأة وانتبهوا أنهم أعطوا انتباههم بالكامل لهؤلاء الأطفال الذي توقفوا عن القتال مختبئين خلف كل ما يصلح كمخبأ يختبئون به من عذر الرصاصات التي لا ترحم ولكن الجنود أهملوا شيئًا واحدًا فقط، من الذي يؤمن ظهورهم التفتوا للخلف ببطء فرأوا مجموعة من البدائيين عاريو الصدور يقفون بابتسامة و كلًا منهم يمسك سيفًا إلا أحدهم يمسك دلوًا مليء بالبنزين الذي ألقاه عاليًا قبل أن يسرع أحدهم و يمسك بسلاح ينفث النار من مقدمته ليشتعل البنزين في الهواء قبل أن يهبط عليهم نارًا

تحرقهم قبل أن تشوي أجسادهم، و قبل أن يفيقوا اعتملت السيوف في أجسادهم تشقها شقًا بينما عادت موجات الرماح و الأسهم من الخلف فأصبح الجنود يتساقطون واحدًا تلو الآخر ولم يبقى سوى مجموعة قليلة قررت أن تهاجم بمنطقية فشكلوا شكل دائرة وتجاورت ظهورهم لكي يغطوا كل الجهات ولكن هذا كان قبل أن تنفجر بهم قنبلة بدائية لتتناثر أشلائهم بين هنا وهناك، انتهى الجنود تمامًا وانتهى معهم جزء كبير من الجيش البدائي قبل أن يشير القائد الخاص بهم إلى مجموعة منهم لترحل لتستكمل مهمتها في إخلاء المنظمة وقتل كل ما يمكن قتله الآن قبل أن يقف أمام الباب وهو يطرقه برفق وينادي بصوت هادئ : "حازم"

وقف حازم منتظرًا أن تتكرر الطرقة بنفس النمط و أن يسمع اسمه مرة أخرى قبل أن يجذب شينزو من يده و هو يمسك المنضدة أمامه و يحركونها و هي تحمل الجثث إلى ركن بعيد قبل أن يقرر الباب أن يسقط أرضًا ليثير ثورة من غبار متطاير انتهى ليجدوا رجل أسود البشرة مغطى بالدماء و كتفه تزينه رصاصة تسيل من ثقبها الدماء ولكنه يبتسم، هرع حازم إليه وهو يصافحه بهدوء ويفحص جرحه سريعًا قبل أن ينظر للأعين الذاهلة التي انضم لها رمزي الذي أزعجه صوت الباب الذي سقط ليقرر أن يصحو، نظر حازم لهم و هو يبتسم و يقول : "سادتي الكرام ... أعرفكم بالملك"

***

<u>منذ يوم واحد</u>

سمع الجميع صوت طرقات خفيفة على الباب فانتبه الجميع، من المفترض تمامًا أن هذه الشقة مقر سري لا يعرفه أحد، أشار حازم للجميع

أن يدخلوا إلى غرفة جانبية ليختبئوا ريثما يفتح الباب، تأكد من مسدسه الذي يختبئ خلف ظهره وهو يفتح الباب ببطء بعدما تأكد أنه يقف وحيدًا ليجد طفلًا لا يتجاوز العشر سنوات يقف على الباب مبتسمًا، إنه يعرف هذا الطفل ويعرف هذا الموقف و قبل أن يتذكر أي شيء فوجئ بالطفل يخرج بخاخة صغيرة ويرش قليلًا مما بها على وجهه وهو يبتسم، هنا فقد وعيه وسقط أرضًا تحت قدمي الطفل، سمع الجميع صوت الارتطام فخرج رمزي بحرص ليجد باب الشقة مفتوحًا ولا أثر لحازم على الإطلاق، خرج ينظر في الردهة ولكنها كانت خاوية تمامًا

فتح حازم عينيه بعد أن أنهى التظاهر بفقدان الوعي ونظر للرجلان اللذان حملاه بسرعة ليخفوه في شقة قريبة للغاية من الشقة التي يختبئون بها قبل أن يفتحوا له النافذة لهبط على سلم النجاة في سرعة ليجد نفسه يقف خلف البناية وفي انتظاره سيارة ركبها بسرعة وأخذ يتأمل الطريق الذي تتغير ملامحه من حوله قبل أن تقف أمام بناية قريبة، هبط من السيارة وتوجه بمفرده سابقًا مرافقيه إلى مدخل البناية يتحرك بخطوات شخص يعرف جيدًا أين يذهب ولمن أتي، صعد درجات السلم في سرعة متقافزًا حتى وصل للباب الذي يبتغيه وقف أمامه وقبل أن يطرق الباب فُتح، دخل إلى الشقة يتأملها قبل أن تجد عينيه ضالتها، وقف الملك أمامه مبتسمًا في هذه الشقة التي يعتبرها بيت آمن وأحد أهم مخازن السلاح الخاص به، ابتسم للملك وهو يعانقه بشدة قبل أن يجلس بجواره على أريكة قديمة، بدأ حازم يقص خطته على الملك الذي بدت عليه علامات الاهتمام وهو يسمعه دون أن يقاطعه قبل أن يسأله : "هل انتهيت؟"

هز حازم رأسه إيجابًا قبل أن يسأله الملك مرة أخري: "حسنًا، هل لي في تعقيب صغير؟"

أجابه حازم: "بالطبع"

"يبدو أن خطتك محكمة للغاية ويبدو أنك خططت لها جيدًا، لماذا تحتاجني؟"

"وجود خط دفاع سري سيجعلني أشعر بالاطمئنان، لا أستطيع أن أتحلى بالجرأة في هجومي سوى بعلمي أن هناك من يدافع خلفي"

حَكَّ الملك ذقنه وهو يفكر قليلًا قبل أن يقول: "حسنًا، هي وجهة نظر صحيحة بالفعل ولكن أنت تعلم جيدًا أنني سأخسر الكثير من الرجال والكثير من الأسلحة في هذه المعركة وهي ليست معركتي، مازلنا غير مستعدين بعد لخوض تلك المعركة"

ابتسم حازم بقلق وهو يقول: "ونحن أيضًا غير مستعدين لخوض مثل تلك المعركة ولكننا مؤمنين أن الجرأة والإصرار لهم ثِقَل كبير للغاية في كفة الميزان الخاصة بنا، كما أن تعاوننا واتحاد أيدينا سيضفي دفعة معنوية ومادية قوية لنا ولكم، يجب أن نخاطر إذا أردنا الخلاص"

كرر الملك كلماته في صوت خافت: "المخاطرة من أجل الخلاص"

هز حازم رأسه إيجابًا قبل أن يسأله الملك: "لكن كما أخبرتك سنخسر الكثير من الرجال وسننهك جدًا هذا بخلاف خسارتنا للعديد من الأسلحة، ولكن الأهم هي الصدمة النفسية السلبية التي سيتعرض لها الرجال جراء تساقط زملائهم أمامهم وجراء ملاحظة فرق القوة بيننا وبينهم"

ابتسم حازم وهو يقول: "ولكن في حال نجاحنا ستكون مكافئتك ومكافئتهم عظيمة للغاية"

انتبه الملك وتأمل عيني حازم المليئتين بالحماس وهو يسأله: "مكافأتنا؟"

"هل حلمت يومًا أن تدير المنظمة لكي تعيد للكوكب سلامه واستقراره؟"

"أدير المنظمة؟"

"ستصبح البطل العالمي الذي خَلَّصَ المنظمة من أيدي الطغاة ورد للعالم كله ذكرياته كما عاد بالكوكب لتوازنه الطبيعي قبل أن يهدم أسطورة المنظمة ثانية، هل تتخيل مدى السلطة والشعبية التي ستعيش بهم؟ هل تتخيل مدى البطولة التي ستصف بها أنت ورجالك؟"

فكر الملك للحظة قبل أن يمد يده ليصافح حازم: "حسنًا، أنا مشارك"

صافحه حازم بحماس وهو يقول له: "حسنًا فعلت، سأخبرك الآن المطلوب منك"

(33)

صافح الملك المجموعة باهتمام و هو يتأمل جروح رمزي ومقاومته التي بدأت تنسحب سامحة للألم أن يتعاظم في غيابها ليسيطر على جسده ناهشًا إياه مسببًا له آلام كادت تذهب بعقله، هذا الرجل احتمل أكثر مما ينبغي ولو أننا في زمن غير هذا لصار رمزي أحد الأبطال الذين سيتغنى بهم الشعراء وستتصدر صورهم الصحف ونشرات الأخبار ولكننا صرنا في زمن لا مكان فيه إلا للمسؤولين على الصفحات الأولي وشاشات التلفاز وأغاني الشعراء، تأمله الملك قبل أن يخرج خارج الغرفة ويصرخ بصوت جهوري مناديًا أحد رجاله الذي أتى سريعًا فاحصًا جرح كتفه قبل أن يمد يده في حقيبة يحملها مخرجًا عدة أدوات طبية خاصة بالإسعافات الأولية قبل أن يشير له الملك تجاه رمزي الذي كاد ينهار أرضًا، أسرع التابع ليمسك بالمنضدة المقلوبة بمساعدة شينزو وهو يضعها مكانها، كان صوت الصرخات البعيدة يأتيهم ليثير بهم حماسًا لا ينتهي وفضولًا يكاد ينهشهم طلبًا للمعرفة وبالطبع لا مانع من بضع طلقات رصاص هنا أو هنا، أسجي جسد رمزي فوق المنضدة قبل أن يخرج عدته مرة أخرى ويبدأ في العمل بمهارة وثقة وأيدي تتحرك بخفة تعرف جيدًا أين ستذهب وما هي مهمتها، تركه الرجال بصحبة الطبيب وترك آخران يحرسان الغرفة واصطحب معه حازم وفريد وشينزو، كانوا يتجولون في طرقات المؤسسة كأنهم يتجولون في منازلهم فمن يراهم ربما سيقول أنهم أحكموا السيطرة على المنظمة بالكامل ولن يعتقد أن المعركة لا تزال قائمة، أخيرًا شعر الجميع بالهدوء التام، صعد الجميع درجات سلم قبل أن يصلوا للمصعد الذي حاول رمزي أن يصعد به قبل أن تفشل مهمته، دلفوا إلى المصعد و اختاروا الدور الخاص بالإدارة، كانت الخطة منذ البداية تهدف لقتل

مجموعة المديرين لأنهم أهم عنصر في القضاء على المنظمة، إذا أردت قتل أيَّ كائن فعليك بالرأس وإذا أردت قتل وطن فعليك بالشباب لأنهم رأس الوطن وعقله المفكر، لذا قرروا منذ البداية أن بداية النهاية هي سقوط رؤوس المنظمة وبالتالي سيصير الأمر سهلًا لأن من تعود على تلقي الأوامر وتنفيذها لن يستطيع أن يفكر وحده وهذه كانت سياسة المنظمة منذ البداية، يجب أن تصدر الأوامر منهم ومنهم فقط ولا مجال للتفكير خصوصًا من المتبوعين وهذه السياسة عيوبها أكثر من مميزاتها ولكنها على الأقل تضمن أن تقل نسبة الخطأ البشري، قرروا منذ البداية أن يقطعوا رأس الثعبان وليتركوا الجسد ينتفض ويتلوى كما يرغب ففي النهاية سيحتضر، صعدوا إلى الطابق الأعلى وبمجرد أن فُتح باب المصعد وجدوا مجموعة من الجثث متناثرة هنا وهنا وتنتمي لكلا الفريقين ولكن جثث أعضاء المنظمة كانت مقتولة بوحشية، رمح يخترق منطقة البطن فيثير غثيان أمعائها فتحاول الهروب منها أو سهم فجر رأسًا أو كسر جمجمةً، بالطبع لا مانع من بضع أشلاء متناثرة بفعل السيوف الحادة ولكن ما أثار انتباههم هو تسمر الملك مكانه و هو يتأمل إحدى الجثث التي تخص أحد الصبية الذين لم يتجاوز عمرهم الخامسة عشر عامًا والذي سقطت جثته بجوار أحد الحوائط ويبدو أنه كان يقاوم حين أتته رصاصة غادرة ليلتصق بالجدار وينحسر من عليه ليسقط أرضًا، خط الدماء الذي يتهاوى من أعلى إلى أسفل يشير لانزلاقه عن الجدار، تحرك الملك ببطء شديد وهو يتجه إلى الجثة ويركع أمامها وهو يمسك يد الجثة دون أن تظهر أي دموع في عينيه، هذا رجل يبكي بقلبه ويحزن في أعماقه لكن ظاهره كالجبل لا تهزه أي رياح حزن، أمسك يد الجثة وهو يرقبها من فمه ويقبلها في حنان واحترام لا حدود لها قبل أن يمد يده ليغلق أعين الجثة الشاخصة وهو يتحرك لينظر لحازم وفريد وشينزو ويقول : "جاك ... ابني الوحيد"

حاول الجميع تعزيته لكنه هز رأسه دون تأثر وهو يقودهم إلى الغرف الداخلية متتبعًا أثر رجاله وجثث أعضاء المنظمة. الأمر المثير كان في ثقة المنظمة التي فاقت الحدود لدرجة أنها تركت المبنى دون حماية تليق بهم، لم يكونوا يتخيلون أن هذا سيحدث، اعتقدوا أنهم آلهة وأنهم فوق مستوى البشر لكن هذا هو الخطأ الذي يخطئه المغرور دائمًا، عليه أن يعرف أنه مهما بلغت شهرته ونجاحه فهو بشر في النهاية وربما كان تابعوه أكثر ذكاءً وحكمة منه وعليه أن يحترم هذا، لذا كانت المقاومة ضعيفة. أغلب هؤلاء كانوا موظفين إداريين، وجد ثنائي مصاب من رجاله يقف أمام باب أحد الغرف، اقترب منهم وبانجليزية سليمة سألهم : "أين الباقين؟"

أجابه أحدهم: "مات منا ما يقارب المائة وتبقى حوالي الخمسون نصفهم أو يزيد مصابين لكن الخبر الجيد، المنظمة الآن في قبضتنا"

شد الملك على قبضته وهو يفتح باب الغرفة ليتأمل رجاله الذين أسروا ما يقارب الثلاثمائة عامل ومدير وإدارى وبعض رجال الأمن. تأملوا وجوههم جميعًا قبل أن يقرروا أنهم بحاجة لرمزي، هرع فريد من الغرفة ولم تمر سوى حوالي ربع الساعة حتى كان رمزي يقف بجوارهم وقد ضمدت جروحه وساعدته مسكنات الألم على التماسك قليلًا فبدا في خير حال، وقف رمزي أمامهم يستند إلى حازم وهو ينظر إليهم ويقول : "كل هؤلاء عمال أو إداريين، لا وجود لشخص مسؤول واحد، يبدو أن جميع المسؤولين قد لاذوا بالفرار ولكن هذه الخزانة هناك تحوي الصندوق الأسود الخاص بالمنظمة، جميع تعاملاتهم وجميع أسماء الأعضاء الدائمين الذين سنبحث عنهم لنصفيهم واحدًا تلو الآخر"

مشى ببطء حتى وصل للخزانة متأملًا زملائه السابقين وهم مقيدون كالخراف ومكممي الأفواه، تتسع الأعين هلعًا وتهتز الرؤوس خوفًا ولكنه لم يهتم، وصل للخزانة وبأيدٍ محترفة فتحها ببطء ليطالع صندوقًا أسودًا بالفعل ووريقة صغيرة بجواره، أمسك بالورقة وهو يجذبها ليقرأ غير منتبه للسلك الرفيع للغاية الذي قطعه فظهر على شاشة الصندوق عداد صغير بدأ يعد تنازليًا

01:00

00:59

00:58

نظر للورقة في سرعة ليجد رسالة ساخرة تركوها له: "هل تعتقد حقًا أنك أقوى من المنظمة"

00:50

00:49

نظر رمزي للجميع بهلع قبل أن يسرع قدر إمكانه وهو يعدو متحملًا آلامه يجذبهم من أيديهم للخارج دون أن يفهموا شيئًا إلا أن نظرة من حازم للخزانة أعطته فكرة فجذب الملك من يده وخرجوا جميعًا ليضغطوا زر استدعاء المصعد الذي فُتح في يسر وسهولة مخالفًا توقعاتهم، دخلوا جميعًا إلى المصعد وحشروا أجسادهم

00:40

00:39

أشار الملك لقواته أن تترك الغرفة وترحل وبدأ بالفعل التابعين يساندون جرحاهم ويتحاملون على آلامهم وهم يهرعون ليهبطوا درجات السلم في سرعة

00:30

00:29

قبل أن يضغط رمزي زر المصعد أمسك حازم بيده وهو يمنعه صارخًا: "هؤلاء الأسرى لا ذنب لهم"

00:20

00:19

أمسك الملك يده بعنف واشتعلت نيران الغضب في عينيه وهو يزأر بصوتٍ أجش: "ثأر ابني"

00:15

00:14

ترك حازم يد رمزي تضغط الزر وهو يتأمل أعين إحدى الضحايا التي اتسعت عيناها في رعب وهي تبكي، أدار وجهه للجهة الأخرى وهو يحاول طرد هذا المشهد الذي سيطارده طوال أيامه القادمة، بدأ المصعد رحلته هابطًا للدور السفلي

00:01

00:00

مخالفًا كل التوقعات جاء الانفجار محدودًا، لم يدمر سوى طابق الإدارة فقط وكأن الهدف منه محو كل شيء قابل للتحقيق بأمره أو لاستخراج المعلومات، أجهزة الحاسب والأوراق الرسمية، التقارير والمكاتب، كل شيء يمكن استجوابه وكل شخص يمكن استجوابه قد انتهى أمره تمامًا بهذا الانفجار، الآن أصبحت المؤسسة في قبضتهم ولكن بلا رأس فالرأس فر هاربًا للخارج

***

حاول حازم أن يتجاهل الالام النفسية التي يشعر بها و حرص على عدم إغلاق عينيه كي لا تطارده صورة المرأة الفزعة التي هزت رأسها برعب وعينها تستجد كل معاني الإنسانية بداخله، الإنسانية التي ماتت لحظة ضغط رمزي للزر الخاص بالمصعد، تغلب على دموعه وقاوم أفكاره السلبية وهو ينظر لرمزي الذي فهم أفكاره فشعر بالخجل يجتاح أعماقه، أدار وجهه للجهة الأخرى يتأمل فريد الذي امتلأت عينيه بالأسى وهو يتابع نظرات صديق عمره القديم التي امتلأت حزنًا حتى فاض الحزن منها ليغرق قلبه بين أمواجه العالية، سأل حازم رمزي بصوت حزين خافت : "أريد منك شيئان الآن ، ابحث عن المعامل ومخازن الأدوات العلمية الموجودة في المنظمة لكي نستطيع أن نجمع الأشياء المطلوبة واتركني بمفردي قليلًا، أريد أن أظل بمفردي لبعض الوقت"

هز حازم رأسه وهو يقول: "سأتركك بمفردك ولكن يجب أن تعلم أنني خاطبت مريم والعلماء وهم في طريقهم إلى هنا، سيساعدون الملك في مهمته ها هنا، أرى أن وجودهم في المكان الذي بدأ منه الوباء سيكون جيدًا خصوصًا وأنهم سيستعملون كل التقنيات والتكنولوجيا التي توصل

لها علماء المنظمة وتعانوا بها على خلق هذه الأزمة، ومن حيث الداء يُخلق الدواء"

هز حازم رأسه ولكن ذبول عينيه وانطفاء الأمل فيهما أخبر رمزي أنه لم يسمعه وإن ترك له زمام الأمور. احترم رمزي حزن صديقه وتركه بمفرده متوجهًا مع الملك الذي جلس يحاور فريد في انهماك حزين، وقف رمزي بجوارهما قبل أن يقول لهما: "حسنًا يجب أن نبدأ التحرك بخطوات سريعة في البحث عن زوجة حازم فهي الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يخرجه من تلك الحالة"

نظرا تجاه حازم منكس الرأس دامع العينين، يتذكر نظرة الاستنجاد التي تجاهلها في عيني المرأة، لم يشعر أنه وحش من قبل، رغم كل القتلى الذين صاد ذكرياتهم في الفترة الماضية إلا أن هذا الشعور جديد عليه. فقدان الإنسانية وتحجر القلب، تجاهل المحتاج والتغاضي عن نجدة الغير خصوصًا وأن هؤلاء برغم انتمائهم إلى كيان قذر مثل المنظمة إلا أنهم في النهاية يظلوا بشرًا لم يمسكوا سلاحًا ولم يزهقوا روحًا، خلافهم مع القيادات وليس مع العامة. غريق في بحر أحزانه متشبثًا بطوف أفكاره كي لا تغمره أمواج الاكتئاب يفكر وحيدًا. لم يمر الكثير من الوقت قبل أن يسمع الجميع صوت صرخة فرحة من رمزي الذي يمسك بجهاز تحكم في يده وهو يقول : "خبر سار. الغجر يحاربون رجال الأمن بالخارج وأوشكوا على الانتهاء"

سأله فريد باهتمام: "من كاد ينتهي؟"

أجاب رمزي: "الطرفان في صراعٍ ضارٍ، سيخرجان منه منهكي القوي قريبون من الانقراض"

ابتسم الملك وهو يقول: "هذا خبر جيد للغاية"

تأملوا حازم الذي يتابعهم بأعين منتبهة وذهن غائب في صحراء الأفكار. وصلت المروحية التي تُقِلُ طاقم العلماء مع مريم ودلفوا إلى المنظمة يتأملون الخراب الموجود نتاج المعركة قبل أن يتحركوا خلف رمزي وهم يحملون جهازًا ضخمًا وبعض أجهزة الحواسب المحمولة والألواح الإلكترونية. توجه الكهل إلى حازم وهو يخبره بابتسامة: "ينقصنا بعض المعدات التي بالتأكيد سنجدها هنا وبمجرد أن ننتهي سنخبرك كي تكون صاحب إشارة الخلاص"

اقترب منه رمزي وهو يخبره بهدوء: "هيا يجب أن تظهر مع الملك في البث المباشر كي تعلنان للعالم انتهاء الأزمة"

ابتسم حازم وهو يتحرك ببطء قبل أن يمسك به رمزي فيقف. نظر له رمزي بهدوء وأخبره بصوت ينضح بالثقة: "سنجدها. أعدك"

(34)

شعب الكوكب الكريم نعلنها اليوم صريحة لنريح بها مليارات القلوب حول العالم، سيطرنا على المنظمة التي سببت هذا الوباء للكوكب، منظمة استغلت نفوذها وقوتها في تعاستكم، منظمة استخدمت التقدم والتكنولوجيا من أجل قتل القلوب في تجربة علمية أقل ما توصف به هو البشاعة ولكن لأن الله يحبكم ولأن مازالت بعض القلوب تحيا من أجل راحة أخرى، بُعث لكم بعض الملائكة، حازم وفريد ورمزي رجال بعثوا من قلب الشرق الأوسط، من قلب الحضارة، فراعنة العصر الحديث الذين حملوا قلوبهم وأرواحهم على أيديهم وحاربوا من أجلكم وشيتزو من كوكب اليابان الشقيق الذي حارب مسوخًا لو رأيتموها لابيضت رؤوسكم ووقفت قلوبكم، أما أنا فستروني من هنا كثيرًا لكي أطمئن قلوبكم، أنا الملك المسؤول منذ تلك اللحظة عن سلامتكم، معنا فريق من العلماء جاهز الآن لعكس نتاج التجربة لذا يجب أن تسمعوا جيدًا الأوامر التالية وأن تحرصوا على تنفيذها

أولًا: جميع الذكريات ستعود مرة أخرى إلى أجسادها طالما كان الجسد سليمًا معافى لم يُصَب إصابة خطيرة تؤدي للوفاة

ثانيًا: جميع الأجساد المصابة ستتيه ذكرياتها في العدم وستصعد أرواحها إلى بارئها في عودة لنظام الكون الطبيعي

ثالثًا: جميع الصيادين سيفقدون قواهم والذكريات التي يحملونها بداخلهم ستعود لأصحابها

رابعًا: عليكم الانتقام من جميع الحمقى التابعين للمنظمة لأنهم سبب في شقائكم وعذابكم

خامسًا: سيقوم حازم بإبطال عمل التجربة على الهواء مباشرة في لحظة سيسجلها التاريخ وسيذكر المنقذ حازم، صائد الذكريات

سادسًا: صلوا من أجلنا وتقربوا إلى الله، نحن في أمس الحاجة إلى دعائكم

أنهى الملك كلماته وهو يبتسم رغمًا عن حزن قلبه المعصور على فقد ابنه، جذب حازم من يده كأنه يستمد منه القوة كي لا ينهار حزنًا و مشوا إلى منطقة المعامل ودلفوا إلى العلماء الذين أنهوا صناعة الجهاز تمامًا، أعطى أحدهم حازم لوحًا رقميًا وهو يشير لزر أحمر ظهر عليه وتحته أرقام تتناقص : "ستحتاج أن تضغط الزر مرة كي تعكس أثر التجربة و تعيد الذكريات لأصحابها و أن تنتظر مرة أخرى بعد ضغط الزر حتى تظهر الأرقام مرة أخرى لتضغطه ثانية كي تصنع شبكة أشعة كهرومغناطيسية مقاومة ستغطي سماء الكوكب كي تحمينا من تكرار هذا الأمر"

هز حازم رأسه وهو يتأمل الرقم المكتوب، حسنًا يملك من الوقت حوالي الساعة وهو الوقت الذي حدده له رمزي كي يكتشف شفرة باب الزنازين الموصد بقفل معدني كي يبحث عن زوجته بداخله، قلبه يخبره أنها بالداخل وأنها بخير ولكنه لا يستطيع الانتظار حتى يجدها، قلبه يكاد يخترق صدره ليذهب وحيدًا في رحلة بحث عن روحه التي تسكنه، دلف إلى غرفة جانبية ووضع اللوح الإلكتروني على المنضدة و ترك عينيه تفرغ شحنة من الحزن وترك سُحُبَ الدمع تهطل أمطارًا غزيرة، ترك كل المشاعر السلبية الموجودة بداخله تخرج قبل أن يفتح الباب، نظر للوح الإلكتروني فوجد خمسة عشر دقيقة تبقت على ضغط زر الجهاز على الهواء

مباشرة، وقف رمزي على باب الغرفة يتأمله هو يمسح عينيه قبل أن يقول له : "توصلنا لشفرة الأبواب، هل تريد أن تكون موجودًا لحظة فتح الأبواب؟"

أعطاه رمزي الجهاز وهو يقول: "أريد أن يقوم فريد بالقيام بهذه المهمة"

***

وقف رمزي وبجواره حازم يتأملان الزنزانة الإلكترونية التي على وشك أن تفتح، كان قلب حازم ينبض بقوة وخوف، لقد هزم منظمة عالمية بمفرده، قاتل كما لم يقاتل من قبل، قتل العديد من أجل الوصول إليها وهو على استعداد أن يموت لو اقتضى الأمر فقط ليعيش في قلبها، فقط ليشعر بروحها تفيض بالمرح مرة أخرى، ليرى عينيها تلمعان بلمعة الحياة، فُتح الباب ووقف الجميع ينظرون لحازم الذي ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقترب من الباب بخطوات بطيئة للغاية، أمسك الباب المعدني وهو يمشي إلى الغرفة حين رآها، وسط عشرات المقيدين إلى الحائط رآها، بعيدة عنه مقيدة للحائط بوجهها ولا يواجهه إلا ظهرها لكنه يعرفها، من وسط المليارات يعرفها لأنه يراها بقلبه وليس بعينيه، حاول أن يركض أو أن يطير أو يسرع ليضمها ويفك قيدها لكن قلبه سَمَّرَهُ مكانه، لا يستطيع التحرك و لا يستطيع الركض إليها، الحب وحده قادر أن يشل أعظم الرجال في تلك المواقف، مشي إليها ببطء و هو ينادي عليها، شعر بحركة خافتة منها فمشي بغير هدى، أعمى العينين مبصر القلب، يتحرك بروحه لا بجسده، روحه التي تركت جسده لتهرع إليها تضمها، تمني لو يضمها فعلًا، أن يعيد ضلعه إلى صدره ثانية، أثمال بالية تغطي جسدًا طالما كان الأمان بالنسبة له وشعر هائج يثور حول رأس منكس تعبًا، مشى إليها وهو يحاول أن يفك القيود المعدنية التي تربطها في الحائط، ساعده رمزي فحملها حازم برفق

منتبهًا لبطنها المنتفخ رغم كل ما قاسته وعانته، الإرهاق يغزو وجهها، أسجى جسدها أرضًا فنظرت له نظرة خاصة غَزَت قلبه لتحيي به مشاعر نسيها وسط الصيد والذكريات التائهة، نبض باسمها وصرخ بحبها، وضع جسدها أرضًا وأخفى ملامح أنوثتها التي فشل الثوب البالي في سترها بمعطف أعطاه إياه رمزي، نظرت له وبصوت مرتجف قالت شيئًا لم يسمعه، اقترب منها فقبلته في وجنته بضعف وهي تبتسم وتسأله : "هل أنت مستعد لاستقبال ولي العهد؟"

ارتجف قلبه وفرت الكلمات من على لسانه فرارًا فلم يجد ما يجيبها به إلا اقترابه من رأسها وتقبيلها بهدوء، لم يعرف ما عليه فعله لكنها طمأنته بنظرة من عينيها، دقائق تقترب من نصف الساعة مرت قبل أن يسمع صوت صرخات ابنه الصغير، حمله بين يديه متجاهلًا الدماء التي تغطيه وهو يضمه برفق إليه، نظرة مرهقة من عيني زوجته قبل أن تنام مودعة مشاكل العالم كلها في سبات عميق طلبًا لراحة افتقدتها، ضَمَّهَا إليه وهو ينظر لرمزي بأعين دامعة، هَزَّ رمزي رأسه مشجعًا وهو يكاد يخرج من الغرفة، في هذه اللحظة دخل فريد يحمل خبرًا سعيدًا : "نجحت التجربة"

نظر له رمزي وهو يقول بسعادة: "حمدًا لله، هل عادت كل الذكريات لأجسادها؟"

أجابه فريد: "حسب تأكيدات العلماء: "خلال ساعات بسيطة سيكون العالم قد عاد كما كان، بالطبع ما يزال هناك إجراءات كثيرة وخطط كبيرة سنناشد مجلس الأمن والأمم المتحدة للتحرك"

قبل أن ينهي كلماته جاءهم صوت مدير المنظمة من خلال وحدة الإذاعة الداخلية

((حسنًا، أستطيع بكل روح رياضية أن أهنئكم على الفوز بهذه المعركة ولكن الحرب لم تنتهي

سنلتقي في جولة أخرى وسيكون النصر لنا، المنظمة كيان لا يسقط وسترون عاقبة الأمر

أتمنى فقط حين ننتهي أن تتمتعون بنفس الروح الرياضية وتهنئوننا على النجاح في النهاية

ولتعلموا جيدًا أن الأمر لم ينتهي إلى هذا الحد، استعدوا فالجولة الثانية على وشك البداية))

تمت بحمد الله

شكر خاص

- الكاتب الجميل / محمد على علي

لا توجد كلمات شكر تكفي ما يعتمر في قلبي لك

شكرًا من القلب

- الأعزاء

(آية عبد الصمد، محمد الحويف، محمد مسلم)

دعمتموني وساندتموني وحين أسأت انتقدتموني

إليكم هذا الشكر عله يكفي ولو جزء ضئيل من تعبكم معي

شكر خاص

لمن جعلهم الله رزقًا لي هذا العام

إلي رزقي عام 2015

شكرًا لأنكم هنا

الفنان الجميل / أحمد الجارحي -- د / محمد شادي -- د / سالي يونس -- إيمي خضر -- ميرا عبد الله -- عبد الرحمن جاويش -- أحمد عاطف -- رنا أشرف -- رجاء مجدي -- عبد الله عادل -- عبد الرحمن حجاج -- رشا محمود -- محمود بكري -- سلمي شمس الدين -- مي العمروسي -- محمود إمام -- نسمة الجمل -- غفران عبد الحليم -- هدير مختار -- منار توفيق -- حسن البخاري -- مي عادل-- دعاء محمد -- أحمد أسامة -- وليد الفقي -- ساهر البحيري -- رامي أحمد -- ميسون خالد -- شريف عبد الهادي -- محمد نجيب عبد الله -- محمد عبد القوي مصيلحي .

الكاتب فى سطور

محمد عصمت عبد الحميد ... روائي شاب من مواليد دمياط ... 1988 شارك من قبل في الكتاب المجمع شيزوفرينيا الحب ... شارك في كتاب (الثائرون) العدد الثالث من اصدارات جمعية ادب الخيال العلمي ... شارك في كتاب (المنتصرون) العدد الرابع من اصدارات جمعية ادب الخيال العلمي ...ولي لجمعية أدب الخيال العلمي حصل علي المركز الثاني في المسابقة قصة (الاختيار الخاطئ)

صدر للكاتب

رواية (الممسوس) في معرض الكتاب 2014

رواية (التعويذة الخاطئة) 2014

رواية (ذاتوي) 2015

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/mohammedesmaat

صائد الذكريات

شعر بشيءٍ ما يحدث، عضلاته تتصلب و جسده يتشنج بعنف، آلمه جسده للحظات و لكن الألم ضاع بين غياهب النشوة التي شعر بها، شعر كما لو أن هناك شذى يتسلل من مخه ليتسرب لكامل جسده، يحتل كل خلية في جسده مُحِيْلًا إياها لقشعريرة لذة منفصلة عن شقيقاتها، شعر كما لو أنه يجرب نوعًا جديدًا من المخدرات،امتلأت جبهته بالعرق البارد و أطلق آهة عميقة قبل أن يعتدل و عينيه تلتمعان في قوة خالصة، كما لو كان أمسك سلكًا كهربائيًا عاريًا و لكنه صعق بالبهجة و النشوة، شعر بالذكريات تتسلل لتملأ عقله و الأحاسيس تتسلل إلى قلبه لتختبئ خلف أحاسيسه الشخصية، للمرة الأولي يشعر كما لو أن بداخله عدة أشخاص، جسده يحتوي على عدة ذاكرات ، لقد صاد ذكرياتهما و يشعر بهما بداخله، أغلق عينيه في نشوة بالغة و هو يشعر بالقوة النابعة عن كثرة عدد الذكريات بجسده، ابتسم لاكتشافه نبع قوة لم يعرفه غيره، أو هكذا تخيل ..!

تصميم الغلاف : أسامة علام


ISBN 9789777780469

